مَوْسُوعَةُ العَذَابِ

موسوعة العذاب

تأليف

عبّود الشالجي

المجلّد الرّابع

الدار العربية للموسوعات

GLEBEWEALD LTD.

اخراج وتنفيذ



THE ARAB ENCYCLOPEDIAS LTD.

London

2 Greville Lodge, 15 Westbourne

Grove Terrace London W2, P.O. Box 1068

Tel (01) 2293880, (01) 2294054

Telex Arben G925388,Telefax: 7920802

الدار العربية للموسوعات

بيروت - لبنان

ص. ب. ١٣/٥٣٤٨ تلكس: ٢٣١٠٧ Arelred Le

هاتف: ٣٥٢٥٩٨ - ٣٤٣٨٢٨ - الحمرا

ص. ب. ٤٤٦ الحازمية - تلكس: ٤٢٨٣٩ Arab Le

٤٢٩٩٨١ (٩٦١١) Telefax - هاتف: (٢) ٤٢٩٩٨١

الباب السادس

التعذيب بالطعام والشراب

الطعام : اسم جامع لكلّ ما يؤكل .

والطعم (بطاء مفتوحة) : ما يؤدّيه الذوق (المذاق) .

والطعم (بطاء مضمومة) : ما أكل .

والشراب : ما يشرب من أيّ نوع كان ، ويشمل كل ما لا يمضغ .

والشرب (بشين مفتوحة وراء ساكنة) : اسم جمع لشارب ، واسم من اسماء الماء ، واسم للمورد ، وللنصيب من الماء ، وللجماعة يشربون سويّة .

والشرّيب : المولع بالشراب .

والشرّاب : الكثير الشرب .

والشرّاب : تعبير بغدادي يطلق على كل من يكثر من شرب الخمر ، ويقول البغداديون : الشرّاب مزته جمع (بجيم وميم مكسورين) ، يعني إنّه بعد ان يتناول كأسه يمسح شفتيه بقبضة يده مجموعة ، ويكتفي بذلك نقلاً .

والشوارب : مجرى الماء في الحلق .

والشاربان : ما سال على الفم من الشعر .

والتعذيب بالطعام والشراب ، يحصل بإطعام ما ليس بطعام ، كإطعام

الرسول ، الرسالة التي أحضرها ، أو إطعام الانسان سلحه ، أو إطعـامه قـطعة من لحم بدنه ، وقد بلغ ببعض الناس ، أن أطعم أسيـره لحم ولده الـذي قتله أمامه .

وأمّـا التعذيب بـالشراب ، فيكـون بسقي المسهـل ، أو المـاء مخلوطـاً بالرماد ، أو خلط الماء بمواد غريبة كالغائط ، وإجبار المعذّب على شربه .

ويدخل في هـذا الباب ، التعـذيب بالملح ، إمّـا بأن يسقـاه المعذّب ، مـذاباً في المـاء ، وإمّا بـإسعاطـه إيّاه في أنفـه ، وإمّا بـرشّه على جـروحـه ، ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التعذيب باطعام ما ليس بطعام .

الفصل الثاني : التعذيب بسقي الدواء المسهل .

الفصل الثالث : التعذيب بالملح ، وهو على ثلاثة ألوان :

اللون الأول : رشّ الملح على جروح المعذّب.

اللون الثاني : إسعاط المعذّب بالملح .

اللون الثالث : سقي المعذّب الماء المخلوط بالملح والرماد .

الفصل الأول

التعذيب بإطعام ما ليس بطعام

في السنة ٧٢ كتب عبد الملك بن مروان ، إلى عبد الله بن خازم السلمي ، أمير خراسان لابن الزبير ، يدعوه إلى بيعته ، ويطعمه خراسان سبع سنين ، فقال عبد الله ، للرسول : لولا أنّك رسول لضربت عنقك ، ثم أطعمه الرسالة ، فأكلها . (الطبري ٦/١٧٦ و١٧٨) .

وكان الحجاج بن يوسف الثقفي ، يطعم المسجونين في سجنه ، الشعير مخلوطاً بالرماد (محاضرات الأدباء ٣/١٩٥) .

وروى صاحب الاغاني ١١/٢٨٢ : إنّ نصرانياً اسمه شمعلة ، دخل على أحد الخلفاء الأمويّين ، فقال له : أسلم يا شمعلة ، فأبى ، فغضب ، وأمر فقطعت بضعة من فخذه ، وشويت بالنار ، فأطعمها .

وهجا أحد الشعراء مالك بن طوق ، فطلبه ، فهرب منه إلى البصرة ، وكان عليها إسحاق بن العباس العبّاسي ، فقبض عليه ، ودعا له بالسيف والنطع ، فتضرّع إليه ، فأعفاه من القتل ، ودعا له بالعصا ، فضربه حتى سلح ، وأمر به ، فألقي على قفاه ، وفتح فمه ، فردّ سلحه فيه ، والمقارع تأخذ رجليه ، وهو يحلف ألّا يكفّ عنه حتى يبلع سلحه ، فما رفعت عنه العصا ، حتى بلع سلحه كلّه . (الاغاني ٢٠/١٨٥ و١٨٦) .

وفي السنة ٥٤٧ وقعت حرب عظيمة بين ملوك الهند ، وبين جيش

السلطان غياث الدين الغوري ، وكان بقيادة أخيه شهاب الدين ، فانهزم جيش الغوري ، وأصاب شهاب الدين ضربة بطلت فيها يده اليسرى ، وضربة أخرى على رأسه ، سقط منها الأرض ، فأنقذه غلمـانه ، وحملوه على رؤوسهم حتى وصلوا به إلى مدينة أغـرا ، فـأوّل ما عمـل أنّه أخـذ قوّاده الـذين فرّوا عنـه ، وأسلموه ، فملأ مخالي خيلهم شعير ، وحلف أنّهم لا بـدّ أن يأكلوه ، فـأكلوه ضرورة . (ابن الأثير ١١/١٧٣) .

وحارب الأمير زنكي بن خليفة الشيباني ، صـاحب طخارستـان ، الأمير قماج صاحب بلخ ، فانكسر زنكي ، وأخذه الأمير قماج ، هو وابنـه أسيرين ، فقتل قماجُ ، ابن زنكي ، وجعـل يطعم أبـاه لحمه ، ثم قتـل الأب أيضاً ، ثم أنّ الأمير قماج دخل في حرب مع الغزّ ، فانكسر ، وأسر هو وولـده ، فقتلهما الغزّ سنة ٥٤٨ . (ابن الأثير ١١/١٧٩) .

وفي السنة ٥٥٠ قتل نصرُ بن عباس ، الـظافر الفـاطمي ، بأمـر من أبيه عباس وزير الـظافر ، فقصـدهما الملك الصـالح طـلائع بن رزّيـك ، ففرّا إلى الشام ، وقتل عباس ، وأسر نصر ، وأعيد إلى القاهرة ، فعـذّب ، وأدخل إلى نساء الظافر فقطعن لحمه ، وأطعمنه إيّاه . (النجوم الزاهرة ٥/٣١١) .

وغضب السلطان محمـد بن تغلق ، سلطان الهند ، على الشيـخ شهاب الدين بن شيخ الجـام الخراسـاني ، من كبار المشـايخ الصلحـاء ، فأمـر بأن يـطعم خمسة أستـار من العَذِرة ، وهي رطـلان ونصف من أرطـال المغـرب ، فأخذه الموكّلون بمثل هذه الأمور ، وهم طائفة من كفّـار الهنود ، فمـدّوه على ظهره ، وفتحوا فمه بالكلبتين ، وحلّوا العذرة بالماء ، وسقوه ذلـك (رحلة ابن بطوطة ، طبعة صادر ٤٧٢ و٤٧٣) .

وفي السنة ٩١٦ مات القاضي بدر الدين حسن ، كاتب أسرار القاهرة ، بعد أن صودر ، وحبس ، وضرب بحضرة السلطان الغوري ، ثم عصر بـدنه ،

ثم لفّ القصب والمشاق على يديه وأحرقت ، ثم عصر رأسه ، ثم أحمي له الحديد ، ووضع على يديه ، وقطع ثديه ، وأطعم لحمه ، وآستمرّ في العذاب الشديد إلى أن مات بقلعة مصر (شذرات الذهب ٨/٧٤) .

أقول : ذكر صاحب الكواكب الزاهرة ١/١٧٦ انّ تعذيب القاضي بدر الدين ، جرى في السنة ٩١٠ .

وفي السنة ٩٣٠ أمر أحمد باشا ، والي مصر ، بمحاسبة مباشري الأمير فارس ، وأحضرهم ، وعذّبهم عذاباً شديداً ، وقطع من لحومهم وأطعمهم منها (الكواكب السائرة ١/١٥٦) .

وفي السنة ١١٥٦ صدر بمصر فرمان بتحريم الدخان (التبغ) ، ونزل الأغا والوالي فنادوا بذلك ، وجرى التشديد والانكار على من يفعل ذلك من عالٍ أو دون ، وصار الأغا يشقّ البلد في التبديل كلّ يوم ثلاث مرات ، وكلّ من رأى في يده آلة الدخان (السبيل) عاقبه ، وربما أطعمه الحجر الذي يوضع فيه الدخان بالنار (الجبرتي ١/٢٢٨) .

أقول السبيل : عند البغداديين ، هو الأداة التي يوضع فيها التبغ للتدخين ، وهي الأداة المسماة عند الإفرنج (البايب) و (الغليون) وهي أداة ذات فوهة مدوّرة ، يوضع فيها التبغ ، ولها من طرفها الآخر ذنب يمتصّ منه المدخّن الدخان بعد إشعال التبغ ، وكانت تصنع في العراق من الطين ، وتسمّى : سبيل (بكسر السين) وجمعها : سبلان ، وأحسب أنّها كانت في مصر من الطين أيضاً ، وان سمّاه الجبرتي حجراً ، لأنّ الطين إذا صهرته النار انقلب إلى صلابة الحجارة .

وفي السنة ١٢٠٨ أصبحت الفتن في حلب متواصلة بين الانكشارية والسادة الأشراف ، وبينما كان بعض الأشراف مارّين أمام جامع الأطروش ، انقض عليهم الانكشارية ، فهربوا منهم إلى داخل الجامع ، وأغلقوا عليهم

الباب ، فأحرق الانكشارية الباب ، ودخلوا عليهم ، ففرّوا منهم إلى المنارة ، فلحقوا بهم ، فألقوا بأنفسهم إلى سطح الجامع ، ومنه إلى بيوت الخلاء ، فلحقوا بهم ، وقبضوا عليهم ، فاستغاثوا بهم ، فلم يغاثوا ، بل بالوا بأفواههم ، ثم ذبحوهم (اعلام النبلاء ٣/٣٧١) وفي السنة ١٢٢٧ قبض والي حلب جلال الدين باشا على زعماء الانكشارية ، وهم ابراهيم أغا الحربلي وياسين أغا بن تل قراصية ، ومعهما ثمانية عشر شخصاً ، وقتلهم بأجمعهم (اعلام النبلاء ٣/٣٧٥) .

ولما تسلطن أورنك زيب، سلطان الهند (١٠٦٨ ـ ١١١٩) سيّر جيشاً لمقاتلة أخيه دارا ، فأسر دار وقتله ، وقبض على ابن لأخيه دارا فاعتقله في سجن كواليور ، وكان يرغم في السجن على تعاطي كميّات كبيرة من الأفيون في صباح كل يوم قبل الطعام ممّا عجّل بموته (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ١١٤) .

الفصل الثاني

التعذيب بسقي الدواء المسهل

وهذا اللون من العذاب ، المقصود منه الإهانة والإيذاء ، لا القتل .

وأوّل من مارسه ، عبيد الله بن زياد ، عذّب به يزيد بن مفرغ الحميري ، لأنّه هجا أباه زياد ، وهجا أولاده ، فقبض عليه ، وأمر به فسقي نبيذاً حلواً ، خلط معه الشبرم ، فأسهل بطنه ، وطيف به في الطرق ، وهو في تلك الحال ، مغلولاً ، وقرن بهرّة وخنزيرة ، وكلاب ينهشنه ، فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ، ثم ردّ إلى محبسه ، وقامت الشرط على رأسه تصبّ عليه السياط (الاغاني ١٨/ ٢٦٤ و٢٦٧) ، ثم أخرجه عبيد الله إلى أخيه عبّاد بسجستان ، ووكّل به رجالاً ألزموه بأن يمحو بأظافره جميع ما كتبه من الشعر في هجاء زياد وأولاده ، وكتبه على حيطان الخانات التي نزلها في الطريق ، ما بين سجستان والبصرة ، فكان يحكّ ذلك بأظافره ، حتى ذهبت أظافره ، فكان يمحوه بعظام أصابعه ودمه (الاغاني ١٨/ ٢٦٩) . كما أمر عبيد الله ، الموكّلين بابن مفرغ ، أن لا يتركوه يصلّي إلاّ إلى قبلة النصارى ، إلى المشرق (الاغاني ١٨/ ٢٦٩) ، راجع أنساب الاشراف ٤/٢/ ٧٨ .

وشتم أبو حزابة ، قريشاً في قصيدة ، فغضب منه عون بن عبد الرحمن بن سلامة، وأغلظ له ، ثم أمر ابن أخ له ، فدعا أبا حزابة ، وأطعمه ، وسقاه ، وخلط في شرابه شبرماً (شراب مسهل) ، فسلّحه ، فخرج أبو حزابة ، وقد أخذه بطنه ، فسلح على بابهم ، وفي طريقه ، حتى بلغ أهله ، ومرض أشهراً ، ثم عوفي ، وهجا عون (الاغاني ٢٢/ ٢٦٣) .

الفصل الثالث

التعذيب بالملح

ويحصل إمّا برشّ الملح على جروح المعذّب ،أو بإسعاطه بالملح في أنفه ، وإمّا أن يذاب في الماء ، ويسقاه .

أمّا اللون الأوّل من هذا العذاب ، وهو رشّ الملح على جروح المعذّب ، فإنّ أوّل من مارسه الحجّاج بن يوسف الثقفي ، فإنّه اعتقل فيروز ، أعظم مولى بالعراق قدراً ، وأمر فشقّ له قصب ، ثم شدّ عليه ، وجعل يسلّه قصبة قصبة ، ثم صبّ عليه الخلّ والملح حتى مات (المعارف لابن قتيبة ٣٣٧) .

وفي السنة ٨٠٠ ضرب الأمير بكلمش ، موقّعه صفي الدين الدميري ، بالمقارع ، حتى مات ، وسبب ذلك ، أنّ الأمير بكلمش ضرب صفي الدين ، وصادره ، فشكاه إلى السلطان بقصيدة قال فيها : أتأكلني الذئاب وأنت ليثُ ؟ فسمع الأمير بكلمش بذلك ، فطلبه ، وضربه بالمقارع ، وكانوا كلّما ضربوه رشّوا عليه الملح ، وكلما استغاث أجابه بكلمش : قل للّيث يخلّصك من الذيب ، ولم يزل يضربه حتى مات (نزهة النفوس ٤٥٩) .

وكان المعذّبون في الهند في عهد السلطان محمد بن تغلق ، يوضع على جروحهم الرمل والبول ، زيادة في آلامهم . (رحلة ابن بطوطة طبعة صادر ٤٧٥) .

وأمّا اللون الثاني من العذاب ، وهو إسعاط المعذّب بالملح ، فقد مارسه المتسلّطون في مصر ، مضافاً إلى العذاب بالضرب .

وكان من جملة ألوان العذاب التي عذّب بها الصاحب شمس الدين موسى المتوفّى سنة ٧٧١ أن سعّط بالماء والملح والخلّ والجير (النجوم الزاهرة ١١/١١٠ ـ ١١٢) .

وفي السنة **٧٩٩** ضرب سعد الدين بن البقري ، هو وولده ضرباً كبيراً بالمقارع والعصي ، وسعّطا بالملح مرّات ، إلى أن مات سعد الدين ، وغسل بالميضأة ، ودفن بالخندق ، ولم يمش في جنازته أحد . (نزهة النفوس ٤٤٢) .

وفي السنة **٧٩٩** ضرب محمد بن محمود الأستادار ، فوق أربعمائة عصاة ، وسعّط ، بسبب دواة ذكر أنّها عنده ، بألقاب مثل ألقاب السلطنة الشريفة ، وأحضرت الدواة ، ولم يثبت ما ذكر . (نزهة النفوس ٤٤٧) .

وأمّا اللون الثالث من العذاب ، وهو سقي الماء المخلوط بالملح والرماد ، فإنّ أوّل من مارسه ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، اذ كان لا يسمح لمن يسجنهم بشرب الماء إلّا مخلوطاً بالملح والرماد . (محاضرات الأدباء ٣/١٩٥) .

حبس الحجاج ، مالك بن أسماء بن خارجة ، وضيّق عليه كلّ أحواله ، حتى كان يشاب له الماء الذي كان يشربه بالرماد والملح ، فاشتاق الحجّاج إلى حديثه يوماً ، فأحضره ، فبينما هو يحدّثه استسقى ماء ، فأتي به ، فلما نظر إليه الحجّاج ، قال : لا هات ماء السجن ، فأتي به ، وقد خلط بالملح والرماد فسقيه . (الاغاني ١٧/٢٣١) .

وكان عبد الله بن علي العباسي ، يعذّب من ظفر به من بني أميّة ، بأن

يسقيهم النورة والصبر ، والرماد والخلّ ، يخلط لهم ذلك مع ماء شربهم (شرح نهج البلاغة ١٥٦/٧) .

وفي السنة ٨٠٠ غضب سلطان مصر ، على علاء الدين والي القاهرة ، فكان مما عاقبه به ، أن سقاه الماء مخلوطاً بالجير والملح . (بدائع الزهور ٣٠٩/١) .

ولما احتل التتار ، أمسكوا بالشريف أبي الحسن علي بن محمد الحسيني ، وملؤا له سطل نحاس من الماء والملح ليسقوه إيّاه ، وشرعوا في ربطه ، فجاء ثور فشربه في لحظة ، فعجبوا ، وأطلقوه ، ولم يعاقبوه ، وكان ذلك في السنة ٨٠٣ . (اعلام النبلاء ١٣١/٥) .

الباب السابع

التعذيب بالحلق والنتف

اللحي : عظم الحنك الذي عليه الأسنان .

واللحية : شعر الخدّين والذقن ، فاللحية تجمع الوجه كلّه ، فما كان من الصدغ إلى منبت الأسنان ، فهو العذار، وما آنسبل من مقدّمها ، فهو السبلة ، والسبال فوق الشارب ، والشارب حرف الشفة العليا ، أقول : البغداديّون الآن يسمّون السبال : شارب ، ويجمعونه على شوارب ، والعنفقة : ما تحت الشفة السفلى ، والعثنون طرف اللحية مما يلي الصدر ، فإذا كانت اللحية في الذقن ، فالرجل كوسج ، فارسية : كوسه ، فإذا كان الرجل أمرد فهو سناط وسنوط .

واللمّة : بكسر اللام ، الشعر المجاوز شحمة الأذن ، أمّا مجتمع شعر الرأس ، **فهو الجّمة** .

الحلق : إزالة الشعر بالموسى ، أو بأيّة آلة حادة .

والنتف : الإنتزاع .

واللحية عند العرب واجبة الكرامة ، ويقسم الواحد منهم بلحيته ، أو بلحية من يخاطبه ، وجاء الإسلام ، فأقرّ لها حرمتها وكرامتها ، وقد أمر النبي صلوات الله عليه بتوقير اللحى ، فقال : أحفوا الشوارب وآعفوا اللحى ، وكان من يمين عائشة : لا والذي زيّن الرجال باللحى ، وبلغ من حرمة اللحى

عنـدهم ، انّهم كانـوا يحصون السنـاط الأشراف اي الـذين لا لحية لهم ، ولا يحصون الأشراف من ذوي اللحى ، لأنّ الشـريف عندهم لا بـد أن تكون لـه لحيـة ، وهم يعـدّون من السنـاط الأشـراف عبـد الله بن الـزبيـر ، وقيس بن سعد بن عبادة ، أحـد دهاة العرب ، وسيّد قـومه غيـر مدافـع ، وكان يلقب : خصيّ الأنصار لأنّه لم تكن في وجهه طاقة شعر ، وقال الشاعر يذمّ قوماً بـأنّهم سناط :

زرقٌ إذا لاقيتـهـم سـنـاط ليس لهـم في نـسـب ربـاط
ولا إلى حبـل الهـدى سـراط فـالسبّ والعـار بهـم منـاط

وكان الأحنف بن قيس من السادات الطلس (وفيات الأعيـان ٢/٥٠٤) والأطلس : الذي لا لحية له ، وكان رهطه يقولون : وددنا أنّا آشترينا للأحنف لحية بعشرين ألفاً (الاعلام ١/٢٦٣) .

وكـان أبو الحسن عليّ بن هـلال ، المعـروف بـابن البـوّاب ، صـاحب الخطّ المشهـور ، طويـل اللحية جـدّاً ، ذكر صـاحب الهفوات ، إنّـه كان في الديوان كاتب يعرف بأبي نصر بن مسعود ، فلقي يوماً أبا الحسن بن البوّاب ، فسلّم عليه ، وقبّل يده ، فقال له ابن البوّاب : الله ، الله ، يـا سيّدي ، مـا أنا وهذا ؟ فقال له : لو قبّلت الأرض بين يديك ، لكـان قليلاً ، قـال : ولم ذلك يا سيّدي ؟ قال : لأنّك تفرّدت بأشيـاء ما في بغـداد كلّها من يشـاركك فيهـا ، مثل الخطّ الحسن ، وأنّه لم أر في عمري كاتبـاً من طرف عمـامته إلى طـرف لحيته ذراعان ونصف ذراع غيرك ، فضحك ابن البـوّاب منه ، وجـزاه خيراً ، وقـال له : أسـألك أن تكتم هـذه الفضيلة عليّ ، ولا تكرمني لأجلهـا (معجم الأدباء ٥/٤٥٣) .

وكان رسول الله صلوات الله عليه ، إذا آهتمّ بأمر ، أكثر من مسّ لحيتـه (البصائر والذخائر ٢/١/٢٢٨) .

وقال يزيد بن المهلّب : ما رأيت عاقلاً ينوء به أمر ، إلاّ كان معوّله على لحيته (البصائر والذخائر ٢/١/٢٢٨) . اقول : يعني انه يكثر عندئذ من مسّ لحيته .

وحدّثني صالح خضوري رحمه الله ، قال : كان أبي صيرفياً في مدينة العمارة ، وكنت وأنا صبيّ أقعد في دكّانه ، أقض حاجاته فيما يرسلني فيه ، وأحفظ الدكّان إذا بارحه ، وكنت أرى الناس يراجعونه ، فيقترضون منه ، وكلّما سلّم إلى أحدٍ منهم مالاً ، أخذ من المدين ورقة صغيرة مطبقة ، وكان يطويها أوّلاً بعناية ، ثم يكتب عليها إسم صاحبها ، ومقدار الدين ، ثم يودعها صندوقه ، وكنت أتعجّب مما أشاهد ، ولكنّي لم أجسر على السؤال من والدي عن ذلك ، وآغتنمت ذات يوم فرصة مبارحة والدي الدكّان ، ليتغدّى في الدار ، ففتحت الصندوق ، وأخرجت إحدى الوريقات ، وفتحتها ، فوجدت في باطنها شعرة واحدة ، فبهتّ ، وتحيّرت ، وأعدتُ لفّ الشعرة ، ثم طويتُ عليها الورقة ، وأعدتها إلى موضعها من الصندوق ، وهاج بي الفضول ، حتى إذا عاد والدي إلى الدكّان ، سألته عن قصّة هذه الشعرة ، وأخبرته بأنّني قد آطّلعت على ورقة من الأوراق التي آشتمل عليها صندوقه ، فقال : يا ولدي ، هذه الشعرات هي الرهن الذي يقدّمه لي هؤلاء لقاء ما يقترضون من مال ، فإنّ كلّ واحد منهم يقترض ما يحتاج إليه من مال ، فلا أكتب عليه صكّاً ، وإنّما يعطيني شعرة من لحيته ، أحفظها عندي ، تقوم مقام الرهن ، ويعود في وقت الإستحقاق ، فيؤدّي الدين ، ويستردّ الشعرة التي أودعها ، قال صالح : ولم يضع على والدي دين من هذه الديون قط .

ومن أمثال البغداديين التي تدل على عنايتهم باللحية ، قولهم : إذا طلعت لحية إبنك زيّن (احلق) لحيتك ، ويعني المثل إنّه إذا كبر ولدك وتصدّى للرئاسة ، فآترك له موضعك ليتصدّر خلفاً لك ، كني عن الرئاسة والمقام الرفيع باللحية ، وكني عن التنازل عن الرئاسة بحلق اللحية .

وكان هجو الرجل ، بالإشارة الى لحيته ، شديد ـ الوقـع على المهجو ، ومن قول المتنبي في الفخر ، من قصيدة له في مدح الأمير سيف الدولة :

إذا شـاء أن يلهـو بلحيـة أحمقٍ   أراه غبـاري ثم قـال لـه آلحقِ

وروى لنـا صاحب كتـاب زهر الـربيـع قصّـة طـريفـة عن رجـل طـويـل اللحية ، خلاصتها : إنّ جلساء أحد الأمراء ، أجمعوا في مجلسه على انّـه اذا توفّرت في الرجل ثلاث صفات ، كـان من الحمقى ، إحداهـا طول اللحيـة ، فـأمر الأميـر بالبحث عن رجـل يتّصف بهذه الصفـات ، ووجدوا رجـلاً طويـل اللحيـة ، فأحضـروه للتحقّق من الصفتين الباقيتين ، وكـان الأمير منهمكـاً في بعض الأمور ، فأجلسوه حتى يفرغ ، وكان جلوسه على كـرسي من خيزران ، فلما فرغ الأمير ، أمرهم بـاحضار الـرجل ، فقـام والكرسي ملصق بعجيـزته ، وقد أمسكه براحتيه ، فعجب منه الأمير ، وسأله عن السبب ، فقال : إنّني لما جلست على هـذا الكـرسي ، تحسّست بـأصـابعي فـروج خيـوط الخيـزران تحتي ، فوجدتها متباعدة ، وأردت أن أقيس مقدار تباعدهـا ، فاجتهـدت حتى أدخلت إحدى بيضتيّ في فرجـة من هذه الفـروج ، ولما حـاولت أن أخرجهـا أعياني ذلك ، فقال الأمير : لا حاجة بنـا إلى التحقيق عن الصفتين الباقيتين ، فإنّه بتصرفه هذا قد أغنانا عن ذلك .

وحـدّثونـا عن صوفي طـويل اللحيـة ، كـان مقيمـاً بـالتكيـة الخـالـديـة بـالنجف ، وكـان يـدخـل الى قبـر أميـر المؤمنين علي بن أبي طـالب عليـه السلام ، ويمسك بلحيتـه ، ثم يرفـع بصره الى السمـاء ، ويقول : يـا ربّ ، بحق هذه اللحية ، إغفر لصاحب هذا القبر .

راجع في الفصل الأوّل من الباب الأول : الشتيمة ، من هـذا الكتاب ، قصة الفخر الجنيدي ، الذي أمر الرشيد بإشخاصه إليه من مصر ، فلمـا أدخل عليه إذا لحيته قد وصلت إلى سرّته طولاً ، وإلى آباطه عرضاً ، فلما رآه قال :

أحمق وربِّ الكعبة ، فلما فاتشه ظهرت حماقته .

وأراد ماجن أن يضحك من طبيب ، فقال له : أجد في أطراف شعري مغصاً ، وفي بطني ظلمة ، والطعام الذي آكله يتغيّر في جوفي ، فقال له : أما ما تجد من المغص في أطراف شعرك ، فآحلق لحيتك ورأسك ، فإنّه يزول ، وأما الظلمة في بطنك فعلّق على باب دبرك مصباحاً ، وأما تغيّر الطعام في جوفك ، فكل خراك ، وآربح النفقة (البصائر والذخائر ٤/١١٦) .

وكان أبو خالد القاص ، يقول في دعائه : يا ساتر عورة الكبش ، لما عرف من فضله وصلاحه ، وهاتك عورة التيس ، لما علم من قذره وفجوره ، أستر علينا وآرحمنا ، وآهتك ستر أعدائنا ، فقيل له : وما فضيلة الكبش ؟ قال : لأنّه يقال كبش إبراهيم الذي فدى به ابنه ، ولأنّه يذبح في العقيقة ، قيل : فما ذنب التيس ؟ قال : يشرب بوله ، وينزو على الشاة التي لم تستحق النزو ، ويؤذي المسلمين بنتن ريحه ، ويعلّم الناس الزنا ، وبه يعاب أصحاب اللحى الكبار ، يقال : جاءني بلحية التيس (البصائر والذخائر ١/٤٨٦ و٤٨٧) .

وكان محمد بن عمرو بن حزم ، أمير المدينة في العهد الأموي ، عظيم اللحية ، له جارية موكّلة بلحيته ، إذا ائتزر عليها ، وكان إذا جلس للناس ، جمعها ، ثم أدخلها تحت فخذه (الاغاني ١٩/١٤٦) .

وكان الفضل بن غانم الخزاعي ، قاضي مصر في السنة ١٩٨ كبير اللحية جداً ، فكان يجعل في لحيته عوذة ، خوفاً عليها من العين (القضاة للكندي ٤٢٠) .

وكان الشيخ ضياء الدين القرمي ، المتوفّى سنة ٧٨٠ ذا هيأة غريبة ، له لحية طويلة جدّاً تصل إلى رجليه ، وكان إذا نام يجعلها في كيس ، وإذا ركب آنفرقت حول وجهه فرقتين (بدائع الزهور ١/٢/٣٥) .

وذكر أبو العباس المبرّد في كتابه الكامل ٢/١٢٨ : إنّ يزيد بن مزيد الشيباني ، نظر إلى رجل ذي لحية عظيمة ، وقد تلفّفت على صدره ، وإذا هو خاضب ، فقال له : إنّك من لحيتك في مؤونة ، فقال : أجل ، ولذلك أقول : (وفيات الأعيان ٦/٣٣٦) .

لها درهم للدهن في كلّ ليلة   وآخر للحناء يبتدران
ولولا نوال من يزيد بن مزيدٍ   لصوّت في حافاتها الجلمان

ومن اللحى المشهورة لحية عبّاد بن زياد ، وكانت كأنّها جوالق لكبرها ، وحدث ذات يوم أن كان راكباً ودخلت الريح في لحيته فنفشتها ، فضحك الشاعر ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان الى جانبه :

ألا ليت اللحى كانت حشيشاً   فنعلفها خيول المسلمينا

فبلغ ذلك عباداً ، فنكبه وآذاه ، راجع تفصيل ذلك في الأخبار الطوال ٢٩٦ ووفيات الاعيان ٦/٣٤٢ ومعجم البلدان ٢/٩٠٣ .

وكان أبو بكر محمد بن منصور القصري ، المفسّر ، المقرىء المتوفّى سنة ٥٤٧ ، طويل اللحية ، وكان إذا جلس تصل إلى حجره (الوافي بالوفيات ٥/٦٨) .

إنّ العناية الزائدة باللحية ، تجاوزت في بعض الأحيان الحدّ ، فأصبحت مجالاً للتعليق أو السخرية ، إذ كان بعض أصحاب اللحى ، يتعاهدها في كلّ ليلة بالدهن والحنّاء ، وأطال بعضهم لحيته حتى تجاوزت سرّته ، وأطالها بعضهم حتى تجاوزت ركبته، وكان بعضهم يضعها في كيس إذا نام ، ويطويها تحته إذا قعد ، واتّخذ بعضهم جارية كان عملها مقصوراً على العناية بلحية سيّدها ، فوجد الساخرون بهم ، طريقاً للسخرية ، قال الشاعز :

إذا عــرضت للفتى لحيــة — وطالت وصارت الى ســرّته
فنقصان عقل الفتى عنـدنا — بمقـدار ما زيـد في لحيتـه

وقال الشاعر البصري ابن لنكك :

لا تخـدعنـك اللحى ولا الصـور — تسعــة أعشــار من تــرى بـقــر
في شجــر الســرو منهم مثــل — لــه رواء ومــالــه ثــمــر

وروى الذهبي في تاريخ الإسلام ، انه كان في السنـة ٣٦٨ في بغداد ، قاض اسمه أحمد بن سيار ، له لحية طويلة ، ويلبس دنّية طويلة ، وله هيبـة ، تقدّمت إليه امرأتان ، فأدلت الأولى بدعواها ، وسأل المدعي عليها عما تجيب به ، فقالت : أفزع أيد الله القاضي ، فقال لهـا : ممّ تفزعين ؟ قـالت : لحية طولها ذراع ، ووجه طوله ذراع ، ودنّية طولها ذراع ، فأخذتني هيبتها ، فوضـع القـاضي دنّيتـه عن رأسـه ، وغـطّى بكمّـه لحيتـه ، وقـال لهـا : قـد نقصتـك ذراعين ، فأجيبي عن دعواها .

أقول : الدنّ ، وجمعه دنان، كهيأة الحبّ إلاّ إنّه أصغر منه ، في أسفله كهيأة قونس البيضة ، فلا يقعـد حتى يحفر لـه ، والدنّيـة : قلنسوة أشبـه شيء بالدنّ اختصّ بها الفقهاء والقضاة .

وقال الجاحظ : قيل لرجل طويل اللحية : مالك لا تـأخذ من لحيتـك ؟ فقال : أنا أصون بها عرضي ، فإنّ النـاس اذا نظروا إليهـا قالـوا : انظروا إلى لحيته كأنّها كارة ، ويقولون : لحيته كأنّها جوالق ، ويقولون : لا بـارك الله في هـذه اللحية ، فمـا لي أعرض لشيء يصـون عرضي (المحـاسن والمسـاوىء ٢/٢٣٢) .

وذكر محيي الدين بن الجوزي ، عن البرد في قـونية ، إنّ إنســانـاً خـرج من الحمّـام في تلك المدينـة ، في زمن الشتاء ، فجمـدت لحيته ، ثم زلق ، فآنكسرت ، وذهب منها قطعة (الحوادث الجامعة ١٨٦) .

وقال رؤبة في لحية حرب بن قطن : (شرح المقامات الحريرية ١/٣٤) .

هلوفة كأنها جوالق ... نكراء لا بارك فيها الخالق
لها فضول ولها نفائق ... اذا الرياح العصّف السوابق
طيّرنها طارت لها عقائق ... ان الذي يحملها لمائق

وقال الشاعر يهجو : (مجمع الأمثال ١/١١٧) .

وله لحية تيسٍ ... وله منقار نسر
وله نكهة ليثٍ ... خالطت نكهة صقر

وأنشد أبو علي : (شرح المقامات الحريرية ١/٣٤) .

وأنت أمرؤ قد كثأت لك لحية ... كأنّك منها قاعد في جوالق

وقال الشاعر في رجل قصير طويل اللحية : (شرح المقامات الحريرية ١/٣٥) .

ما طول داود إلاّ طول لحيته ... يظل داود فيها غير موجود
تكنّه خصلة منها إذا نفخت ... ريح الشمال وجفّ الماء في العود

وكان مع المهدي رجل من أهل الموصل ، يقال له سليمان بن المختار ، وكانت له لحية طويلة عظيمة ، فذهب يوماً ليركب ، فوقعت لحيته تحت قدمه في الركاب ، فذهب عامّتها ، فقال آدم بن عبد العزيز في ذلك : (الوافي بالوفيات ٥/٢٩٦) .

قد آستوجب في الحكم ... سليمان بن مختار
بما طوّل من لحيـ ... ـته جزّاً بمنشار
أو النتف أو الحلق ... أو التحريق بالنار
فقد صار بها أشـ ... ـهر من راية بيطار

وسارت الأبيات ، وأنشدت للمهدي ، فقال أسيد بن أسيد الأزدي ، وكان وافر اللحية ، ينبغي الأمير المؤمنين أن يكفّ هذا الماجن عن الناس ، فبلغ آدم ذلك ، فقال :

لحية طالت وتمّت ... لأسيد بن أسيد
كشراعٍ من عباءٍ ... قطعت حبل الوريد
يعجب الناظر منها ... من قريب وبعيد
هي ان زادت قليلاً ... قعطت خيل البريد

ولبعض المحدثين : (الحيوان ٦/٨٩) .

يا لحية طالت على نوكها ... كأنّها لحية جبريل
لو كان ما ينصبّ من مائها ... نهراً إذاً طمّ على النيل
أو كان ما يقطر من دهنها ... كيلاً لوفّي ألف قنديل
ولو تراها وهي قد سرّحت ... حسبتها بنداً على فيل

ومن اللحى المشهورة ، لحية العوفي القاضي ، كانت تبلغ الى حد ركبته ، وقال فيها الشاعر :

لحية العوفي أبدت ... ما اختفى من حسن شعر
هي لو كانت شراعاً ... لذوي متجر بحر
جعل السير من الصيـ ... ـن إلينا نصف شهر
هي في الطول وفي العر ... ض تعدّت كلّ قدر

وكان يوسف بن عمر الثقفي ، الملقب أحمق ثقيف ، من أقصر الناس قامة ، وأطولهم لحية ، وكان يلي العراق للأمويّين ، فلما قبض عليه بعد قتل الوليد بن يزيد ، أخذ عامل الحرس بلحيته ، فهزّها ، ونتف بعضها ، فلما أدخل على يزيد بن الوليد ، أمسك بلحيته ، وانّها لتجوز سرّته ، وجعل يقول : نتفت ـ والله ـ لحيتي يا أمير المؤمنين ، فما بقي فيها شعرة (الطبري ٧/٢٧٥) .

وقال ابن المعتز ، في ارجوزته ، يصف ما يصيب المسجونين ، من ضرب وصفع ، ونتف لحية : (ديوان ابن المعتز ١٣١) .

وويل من مات أبوه موسرا | ألبس هذا محكماً مشهّرا
وطال في دار البلاء سجنه | وقيل : من يدري بأنّك آبنه
فقال : جيراني ، ومن يعرفني | فنتفوا سباله حتى فني
وأسرفوا في لكمه ودفعه | وآنطلقت أكفّهم في صفعه
ولم يزل في أضيق الحبوس | حتى رمى إليهم بالكيس

وكان حلق اللحية ، أو نتفها ، من العقوبات التي يمارسها المتسلّطون ضدّ خصومهم من وجوه الناس ، من أمراء ورؤ ساء ، وقضاة وفقهاء .

ويمكن حصر ألوان العذاب الذي ينطوي تحت عنوان الحلق والنتف ، بحلق اللحية ، أو حلق اللمّة ، أو حلقهما معاً ، أو مسح الوجه ، ويعني ذلك حلق اللحيةوالشارب والحاجبين ، وبنتف اللحية ، أو نتف شعر الرأس ، أو نتفهما معاً ، وبنتف شعر البدن وشعر الرأس جميعاً .

ويشتمل هذا الباب ، على فصلين اثنين ، وهما :

الفصل الأول : الحلق ، وينقسم الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : حلق اللحى واللمم .

القسم الثاني : حلق اللمم

القسم الثالث : المسح

الفصل الثاني : النتف ، وينقسم الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : نتف اللحية .

القسم الثاني : نتف شعر الرأس

القسم الثالث : نتف شعر البدن

الفصل الأول

الحلق

القسم الأول : حلق اللحى واللمم

ولّى عبد الله بن عامر ، أمير العراق ، في السنة ٤٣ ، قيس بن الهيثم خراسان ، فأبطأ في حمل الخراج ، وأمسك عن إرسال « الهديّة » ، فوجد عليه ابن عامر ، وولّى عبد الله بن خازم خراسان ، فبلغ ذلك قيس فأقبل على ابن عامر ، تاركاً خراسان ، فازداد ابن عامر عليه غضباً ، وقال له : ضيّعت الثغر ، فضربه مائة ، وحلقه ، وحبسه . (الطبري ٥/٢٠٩ و٢١٠)

وكان مصعب بن الزبير ، يعاقب من تخلّف عن البعث ، بأن يحلق رأسه ولحيته ، وتخلع عمامته ، ويقام للناس ، فلما ولي بشر بن مروان ، أضاف إليه تعليق المتخلّف بمسمارين في يده في حائط ، فيخترق المسماران يده ، وربما مات ، فلما جاء الحجّاج ، ترك ذلك كلّه ، وجعل عقوبة المتخلّف القتل (تاريخ ابن خلدون ٣/٤١ و٤٢) .

وتحرّك أهل البصرة في السنة ٧١ على مصعب بن الزبير ، وكان إذ ذاك بالكوفة ، فقدم ، وأحضر قوماً من رؤسائهم ، وسبّهم ، ثم ضربهم مائة مائة ، وحلق رؤوسهم ولحاهم، وهدم دورهم ، وصهرهم في الشمس ثلاثاً ، وحملهم على طلاق نسائهم ، وجمّر أولادهم في البعوث ، وطاف بهم في أقطار البصرة ، وأحلفهم أن لا ينكحوا الحرائر (أنساب الأشراف ٤/٢/١٦٢ والطبري ٦/١٥٥) .

ووجد مصعب بن الزبير ، على الفرات بن معاوية البكائي ، فأمر به ، فحلق رأسه ولحيته في غداة يوم ، فراح إليه الفرات من يومه ، وقد اعتمّ ، فسلّم عليه ، فتذمّم مصعب ، وقال : رجل فعلتُ به ما فعلتُ ، وأتاني في عشيّة يومه ، فأحسن إليه ، وأكرمه ، ووصله ، وولّاه (أنساب الأشراف ٥/ ٢٨٠) .

وكتب عبد الملك بن مروان ، إلى عمّاله بالبيعة للوليد ثم لسليمان من بعده ، فأحضر هشام بن إسماعيل ، عامل عبد الملك على المدينة ، سعيد بن المسيّب، وأراده على البيعة ، فأبى ، وقال : لا أبايع بيعتين، وقد قال النبي ﷺ : إذا كانت بيعتان في الإسلام فاقتلوا الأحدث منهما ، فأخذه هشام ، وجلده مائة سوط ، وحلق رأسه ولحيته ، وأوقفه في السوق ، راجع التفصيل في كتاب الإمامة والسياسة ٢/ ٤٥ و٤٦ .

وغضب الوليد بن عبد الملك ، على عبيدة بن عبد الله ، عامله على الأردن ، فعزله ، وضربه ، وحلقه ، وأقامه للناس ، راجع التفصيل في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي في القصة المرقمة ٢٩٠ ج ٣ ص ١٣٣ و١٣٤ .

ولما حلقت لحية ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، كانت امرأة بالمسجد ، تقف عليه كلّ يوم في حلقته ، وتقول : لك الله يا ابن أبي عبد الرحمن ، من حَلْقِ لحيتك . فلما أبرمته ، قال لها : يا هذه ، إنّ ذاك حلقها في جزّة واحدة ، وأنت تحلقينها في كلّ يوم . (العقد الفريد ٤/ ٤٤) .

وكتب الحجّاج إلى محمد بن القاسم الثقفي ، أن آدْعُ عطيّة بن سعد العوفي ، فإن سبّ عليّ بن أبي طالب ، وإلّا فاْضربه أربعمائة سوط ، وآحلق رأسه ولحيته ، فأحضره ، فأبى أن يفعل ، فضربه أربعمائة سوط ، وحلق رأسه ولحيته . (الاعلام ٥/ ٣٢) .

وذكر أنّ قاضي البصرة ، هشام بن هبيرة ، رفع إليه قوم يخلطون دقيق

الشعير ، بدقيق البرّ ، فحلق أنصاف رؤوسهم ، وأنصاف لحاهم (اخبار القضاة ١/٣٠٠) .

وكان إياس بن عبد الله بن عمر ، عامل خوارزم على حربها لقتيبة ، فاستضعفه أهلها ، فجمعوا له ، فعزله قتيبة ، ووجّه أخاه عبد الله بن مسلم إليها وأمره أن يضرب إياس بن عبد الله ، وحيّان النبطي مائة مائة ، وأن يحلقهما . (الطبري ٦/٤٨٠) .

وفي السنة ١٠٤ ولّى عمر بن هبيرة ، معقل بن عروة ، عاملاً على هراة ، فأتى هراة ، ولم يأت الحرشي عامل خراسان ، فأمر الحرشي بإحضاره، وقال له : ما منعك أن تأتيني قبل أن تأتي هراة ؟ قال : أنا عاملٌ لابن هبيرة ، ولأني كما ولاّك ، فضربه سعيد مائتي سوط وحلقه (الطبري ٧/١٦) .

وكان القعقاع بن ضرار على شرطة الكوفة ، وكان يقف بين يديه حجّام ، وسفرة موضوعة فيها المواسي ، فإذا أتي بشرّاب النبيذ ، حلق رؤوسهم ولحاهم . (الاغاني ٢٠/٤١٣) .

وفي السنة ١٠٦ وقعت الفتنة بخراسان ، بين مضر واليمن ، وكان سبب ذلك ، ان مسلم بن سعيد غزا ، فتباطأ الناس عنه ، وكان ممّن تباطأ البختري بن أبي درهم ، فردّ مسلم ، نصر بن سيار وجماعة معه إلى بلخ ، لكي يخرجوا الناس ، فيلتحقوا بجيش مسلم ، فأحرق نصر باب البختري بن أبي درهم ، وباب زياد بن طريف الباهلي ، فغضب عمرو بن مسلم ، أخو قتيبة ، فاجتمعت مضر على نصر بن سيّار ، وربيعة والأزد على عمرو بن مسلم ، وحمل أصحاب عمرو على نصر وأصحابه ، فاشتبكوا ، فكان أوّل قتيل من باهلة من أصحاب عمرو بن مسلم ، وقتل معه ثمانية عشر رجلاً ، وانهزم عمرو ، وأرسل يطلب الأمان من نصر ، فأمّنه ، وقاده وفي عنقه حبل ،

وضربه مائة ، وضـرب البختري وزيـاد بن طريف مـائة مـائة ، وحلق رؤوسهم ولحـاهم ، وألبسهم المسـوح (الـطبـري ٧/ ٣٠ و٣١ وابن الأثيـر ٥/ ١٢٧ و١٢٨) .

وفي السنـة ١٠٩ تعصّب أسد بن عبـد الله القسري ، أميـر خراسـان ، لليمانيّة ، فضرب من المضريّة نصر بن سيّار ونفراً معـه بالسيـاط ، ثم حلقهم بعـد الضرب ، وبعث بهم إلى أخيـه خالـد بالعـراق ، وكتب إليه أنّهم أرادوا الوثوب عليه ، فكان الموكّل بهم كلّما نبت شعر أحدهم ، حلقه . (الـطبري ٧/ ٤٩) .

وكـان سليمان بن هشـام بن عبد الملك ، يسـاعد أبـاه ويشاركـه في ذمّ الـوليد بن يـزيد ، فلمـا ولي الوليـد الخلافـة ، كـان من جملة مـا عـاقب بـه سليمان ، أن أمر به فحلقت لحيته ، وضربه مائة سوط ، وغرّبـه الى معان من أرض الشـام (الـطبـري ٧/ ٢٣١ و٢٣٢ والعيـون والحـدائق ٣/ ١٣٠ والعقـد الفريد ٤/ ٤٦٢ وتاريخ ابن خلدون ٣/ ١٠٦) .

وكان المثّنى بن يزيد بن عمر بن هبيـرة ، والياً على اليمـامة ، من قبـل أبيه لما كان أميراً على العراق ، فضرب عدّة من بني حنيفة ، وحلقهم (تاريخ ابن خلدون ٣/ ١١٠) .

وفي السنــة ١٤٢ نقض أصبهبـذ طبــرستـان العهــد الـذي بينــه وبين المسلمين ، فحاصروه ، فقال أبو الخصيب لأصحابه : آضـربوني ، وآحلقـوا رأسي ولحيتي ، ففعلوا ، ولجأ إلى الأصبهبذ وزعم أنّه عائذ به ، حتى أمّنـه ، ففتـح باب الحصن للمسلمين ، فمصّ الاصبهبـذ خاتمـاً لـه فيـه سمّ ، فقتـل نفسه . (الطبري ٧/ ٥١٣) .

وتهـدّد المنصور العبـاسي ، على لسان الـربيـع ، جمعـاً من أتبـاعـه ، بضربهم وحلق لحاهم ، فقـال ابن عيّاش المنتـوف للربيع : يـا شبه عيسى بن

مريم (لأنّ الربيع لم يعرف أبوه) أبلغ أمير المؤمنين ، أنّنا لا نتحمّل الضرب ، أما حلق اللحى فإذا شئت (وكان ابن عيّاش منتوفاً ، اي لا لحية له) فذكر ذلك للمنصور ، فضحك ، وقال : قاتله الله (الطبري ٨/ ٧٩) .

وفي السنة ١٤٧ خرج هشام بن عذرة ، على عبد الرحمن الداخل بالأندلس ، وتحصّن بطيطلة ، فسيّر إليه عبد الرحمن جنداً بقيادة بدر مولاه ، فحصره ، وضيّق عليه ، وأسره هو وحياة بن الوليد اليحصبي ، وعثمان بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، فجيء بهم إلى عبد الرحمن مشهرين على حمير ، وقد حلقت رؤوسهم ولحاهم ، وألبسوا جباب صوف ، وقيّدوا بالسلاسل (ابن الأثير ٥/ ٥٨٣) .

وهجا أبو سماعة المطيعي الشاعر ، سليمان بن أبي جعفر المنصور ، عم الرشيد ، وكان إليه محسناً ، فأمر به الرشيد ، فحلقت لحيته ورأسه (نشوار المحاضرة ، رقم القصة ٧/ ١٢٨) .

وروى أبو صدقة المغنّي للرشيد ، قصّة صوت ، دفع في سبيل أخذه أربعة دراهم ، وأخذ من الرشيد لما غنّاه به أربعة آلاف دينار ، فقال : إنّ مولاه في الحجاز ، كان قد شرط عليه في كلّ يوم درهمين ضريبة ، فدفع الدرهمين في سبيل الصوت ، أوّل يوم ، ثم دفع درهمين اثنين ، في سبيل الصوت في اليوم الثاني ، فلما انقطعت الضريبة عن المولى ، سبّه ، وقال له : يا ابن اللخناء ثم بطحه ، وضربه خمسين جريدة بأشدّ ضرب ، وحلق لحيته ورأسه (مروج الذهب ٢/ ٢٨٥) .

وخرج ابراهيم بن صالح ، عامل دمشق للرشيد ، مع وفد من الشاميّين ، للسلام على الخليفة ، واستخلف على عمله ولده اسحاق ، فحصلت في دمشق فتنة ، فحبس اسحاق رؤساء من قيس ، وأخذ أربعين رجلاً من محارب ، فضربهم ، وحلق رؤوسهم ولحاهم ، وضرب كلّ واحد منهم ثلثمائة سوط (خطط الشام ١/ ١٩١) .

وفي السنة ١٩٥ ظهر شخص من بني أميّة بالشام ، ادّعى أنّه السفياني ، ويلقب : العميطر ، فقاومه محمد بن صالح بن بيهس الكلابي ، وبعث إليه العميطر جيشاً مكوّناً من آثنى عشر ألف محارب ، فانتصر الكلابي ، وقتل منهم ألفين ، وأسر ثلاثة آلاف فحلق رؤوسهم ، ولحاهم ، وأحلفهم أنهم يصيرون إلى العميطر ، ويصيحون : نحن عتقاء آبن بيهس . (خطط الشام ١/١٨٥) .

أقول : إنّ ابن بيهس هذا ، أسر في السنة ٢٢٧ في دمشق ، وحمل إلى سامراء ، ومعه أبو حرب المبرقع الذي أسر بفلسطين ، فجعلا في المطبق (الطبري ٩/١١٨) .

وفي السنة ٢٣٥ غضب المتوكل على ابن أبي الليث قاضي مصر ، فأمر بحبسه وولده وأصحابه وأعوانه ، فاستصفيت أموالهم كلّهم ، ثم ورد كتاب المتوكل يأمر بلعنه على المنابر ، فلعن ، ثم ورد كتاب المتوكّل في السنة ٢٣٧ بتخليته وأصحابه وأولاده من السجن ، وإعادته إلى القضاء ، وتكليفه بالنظر في قضية الجروي ، فحكم فيها ، ثم ورد كتاب المتوكّل في السنة نفسها (٢٣٧) بأن يحلق رأس ابن أبي الليث القاضي ولحيته ، وأن يضرب بالسوط ، وأن يحمل على حمار بأكاف ويطاف به في الفسطاط ففعل به ذلك ، وحبس ، ثم نفي إلى العراق . (اخبار القضاة ٤٦٣ ـ ٤٦٥) .

وفي السنة ٢٦٢ بعث أحمد بن محمد بن طاهر ، أبا العباس النوفلي ، في خمسة آلاف رجل ، ليخرج أحمد بن عبد الله الخجستاني من نيسابور ، فبلغ أحمد خبره ، فأرسل إلى النوفلي ، ينهاه عن سفك الدماء ، فأخذ النوفلي الرسل ، وأمر بضربهم ، وحلق لحاهم ، وفاجأهم الخجستاني بجيشه ، فأسر النوفلي ، وبلغه ما صنع برسله ، فقال له : إنّ الرسل ، تختلف إلى بلاد الكفّار ، فلا يتعرّضون لهم ، أفلم تستح أن تأمر برسلي بما

أمرت ؟ فقال له النوفلي : أخطأتُ ، فقال له : لكنني سأصيب في أمرك ، ثم قتله (ابن الأثير ٧/٣٠٢) .

وفي السنة ٢٨٦ قبض عامل القطيف على يحيى بن المهدي ، الداعي القرمطي ، فضربه ، وحلق رأسه ولحيته . (الكامل لابن الأثير ٧/٤٩٥) .

وذكر الوزير ابن الفرات ، أنّ المثنّى من أهل همينيا ، حلقت نصف لحيته عقوبة على اقتطاع اقتطعه . (الوزراء للصابي ٢٨٣) .

وفي السنة ٣١٨ شغب الرجالة المصافيّة ، ببغداد ، على المقتدر ، فأمر محمد بن ياقوت صاحب الشرطة ، فطردهم عن دار المقتدر ، وأخرجهم من بغداد ، وظفر بقوم منهم لم يخرجوا ، فضربهم ، وحلق لحاهم ، وشهّر بهم . (ابن الأثير ٨/٢١٧) .

وفي السنة ٣٣٧ أرسل المرزبان محمد بن مسافر ، رسولاً إلى معزّ الدولة ، فحلق معزّ الدولة لحيته ، وسبّه ، وسبّ صاحبه ، فغضب المرزبان ، وهاجم الري . (تجارب الأمم ٢/١٣١ ابن الأثير ٨/٤٧٩) .

وروى الفارس أسامة الكناني ، إنّه حضر مع الأمير صلاح الدين الغسياني ، فتح حصن ماسر ، وكان الغسياني ظالماً ، فحضر إليه شيخ مليح الشيبة ، يمشي على عصاتين ،فسلّم على صلاح الدين ، فقال : أيّ شيء هو هذا الشيخ ؟ قالوا : هو إمام الحصن ، فقال له : تقدّم يا شيخ ، ومدّ يده فقبض على لحيته ، وأخرج سكينة مشدودة في بند قبائه ، وقطع لحيته من حكمته (مقدّم وجهه) ، فقال له ذلك الشيخ : يا مولاي ، بأي شيء آستوجبت أن تفعل بي هذا الفعل ؟ قال : بعصيانك على السلطان ، فقال له : والله ، ما علمت بوصولكم حتى جاء الناطور الساعة ، أعلمني واستدعاني . (الاعتبار ١٥٩) .

أقول : ورد في اعلام النبلاء ١/٥١٦ أن لقبه : الغسياني ، فاقتضى التنبيه .

وفي السنة ٥١٤ أساء نجم الدين ايلغازي ، صاحب حلب ، إلى جماعة من التركمان في عسكره ، لشيء أنكره عليهم ، فبالغ في إهانتهم ، وحلق لحى بعضهم ، وقطع أعصابهم (اعلام النبلاء ١/٤٣٦) .

وفي السنة ٥١٥ قبض سليمان بن ايلغازي على حجّاب أبيه ، فصفعهم ، وحلق لحاهم (اعلام النبلاء ١/٤٤٠) .

وفي السنة ٥٣٠ حكم بخلع الراشد ، فبارح الموصل ، إلى أذربيجان ، ثم إلى همذان ، فأفسد جماعته بها ، وقتلوا جماعة ، وصلبوا آخرين ، وحلقوا لحى جماعة من العلماء (تاريخ الخلفاء ٤٣٦) .

ورسم السلطان بدمشق ، أن تحلق لحية شخص له بين الناس وجاهة ، فحلق نصفها ، ثم شفع فيه ، فعفا عن حلق الباقي ، فقال مهذّب الدين ابن الخيمي : (وفيات الأعيان ٦/٥٦) .

رزت ابن آدم لما قيل قد حلقوا ... جميع لحيته من بعدما ضربا
فلم أر النصف محلوقاً فعدت له ... مهنّئاً بالذي منها له وهبا
فقام ينشدني والدمع يخنقه ... بيتين ما نظما ميناً ولا كذبا
إذا أتتك لحلق الذقن طائفةٌ ... فاْخلع ثيابك منها ممعناً هربا
وإن أتوك وقالوا : إنّها نَصَفٌ ... فإنّ أطيب نصفيها الذي ذهبا

وفي السنة ٥٩١ حصلت معركة الزلّاقة بين أبي يوسف يعقوب بن يوسف أمير الموحّدين ، وبين الفونس صاحب طليطلة ، فانكسر الفونس ، وقتل أكثر جنده ، وعاد الفونس إلى طليطلة ، **فحلق رأسه ولحيته** ، ونكّس صليبه ، وآلى أن لا ينام على فراش ، ولا يقرب النساء ، ولا يركب فرساً ، حتى يأخذ الثار . (النجوم الزاهرة ٦/١٣٨) .

وفي السنة ٦٠٥ قتل سنجر شاه ، صاحب جزيرة ابن عمر ، وكان

ظالماً ، سيّىء السيرة ، حلق من لحى رعيته ، ما لا يحصى . (ابن الأثير ٢٨٢/١٢) .

وكان ببغداد ، في رباط شيخ الشيوخ ، صوفي كبير اللحية جداً ، وكان معنى بها بها أغلب زمانه ، يدهنها ، ويسرّحها ، ويجعلها ليلاً عند نومه في كيس ، فقام بعض المريدين إليه في الليل وهو نائم ، فقصّها من الأذن إلى الأذن ، فأصبحت كالصريم ، وأصبح الصوفي شاكياً إلى شيخ الرباط ، فجمع الصوفية ، وسألهم ، فقال المريد : أنا قصصتها ، فقال له : لماذا فعلت ذلك ، ويلك ، فقال : أيّها الشيخ ، إنّها كانت صنمه ، وكان يعبدها من دون الله ، فأنكرت ذلك بقلبي ، وأردت اجعله عبداً لله ، لا عبداً للحيته (شرح نهج البلاغة ٢٠٨/١١) .

وفي السنة ٦١٧ بعث جنكيز خان ، إلى بلاد ما وراء النهر ، جماعة من التجّار من رعيّته ، فقتلهم نائب خوارزم شاه ، وأخذ أموالهم ، فبعث جنكيز خان ، إلى خوارزم شاه ، رسولاً ، ومعه جماعة ، يعتب على خوارزم شاه ، ويطلب إعادة المال ، والاقتصاص ممّن ارتكب القتل ، فأمر خوارزم شاه ، بالرسول ، فقتل ، ثم حلق لحى الذين كانوا معه ، فكان ذلك من أسباب اقتحام التتار ، بلاد المسلمين (ابن الأثير ٣٦٣/١٢) .

وفي السنة ٦٥٨ اتّفق ببغداد علي بهادر شحنة بغداد ، وعماد الدين القزويني وجماعة من صدور العراق ، وقصدوا السلطان هولاكو في الشام ، ورفعوا على صاحب الديوان علاء الدين عطا ملك الجويني ، فحوكم وأمر السلطان بقتله ، ثم خفّف العقوبة إلى حلق لحيته ، فحلقت ، وكان يجلس في الديوان ويستر وجهه (تاريخ العراق للعزاوي ٢٣٨/١) .

وفي السنة ٧١٩ اعتقل السلطان أبو سعيد ، سلطان العراق ، الأمير قرشي فأمر به فحلقت لحيته ، ثم أشهر ، وقتل . (تاريخ العراق للعزاوي ٤٦٢/١) .

وفي السنة ٧٥٥ حجّ الشاعر شمس الدين محمد بن يوسف الخياط الدمشقي ، الملقب بالضفدع ، فلم يترك أحداً في الركب من الأعيان إلّا هجاه ، فشكوه إلى أمير الركب ، فأحضره ، وأهانه ، وحلق لحيته ، وطوّفه ، ينادي عليه . (الاعلام ٢٧/٨) .

وفي السنة ٩٢١ وصل السلطان الغوري ، سلطان مصر والشام إلى حلب ، وأرسل إلى السلطان سليم العثماني رسولاً يطلب فيه أن يصالحه مع الشاه إسماعيل شاه العجم ، فلما وصل الرسول إلى السلطان سليم ، قبض عليه وحلق لحيته ، وأعاده إلى الغوري وقال له : قل لأستاذك ، إنّ اسماعيل خارجي ، وأنت مثله ، وأنا أقاتلك قبله ، والميعاد بيننا وبينك في مرج دابق (الكواكب السائرة ٢٩٦/١) .

وقصّ علينا صاحب إعلام النبلاء قصة حلق لحية هذا السفير ، بتفصيل أكثر ، فقال في كتابه : وفي السنة ٩٢٢ ارسل السلطان الغوري ، سلطان مصر والشام ، إلى السلطان العثماني ، السلطان سليم ، رسولاً ومعه جماعة ، فأمر السلطان سليم بقتلهم ، أما الرسول فاكتفى بحلق لحيته ، وتفصيل ذلك ، أنّ السلطان الغوري ، أرسل رسولاً ، من امرائه ، إلى السلطان سليم ، في عشرة فرسان دارعين مدجّجين ، من خيرة فرسانه ، فلما وقعت عليهم عين سليم ، علم أنّ الغوري أراد إرهاب عسكره برؤية هؤلاء الفرسان ، فتميّز غيظاً ، وقال للسفير : اما كان عند مولاك رجل من أهل العلم يرسله إلينا ، حتى أرسلك وأصحابك هؤلاء يهوّل بكم على جندي ؟ وأمر بضرب أعناقهم ، فشفع فيهم وزيره يوسف باشا ، وقال له : إنّ الرسول لا يقتل ، فأبقى عليه وحده ، وقتل الباقين ، ثم أمر بالسفير بعد يومين ، فحلقت لحيته إهانة له ، وألبسه ثوب أسمال ، وأركبه على حمار ظالع ، وقال له : اذهب إلى مولاك ، وقل له يفرغ ما في وطابه (اعلام النبلاء ١٢٤/٣) .

وكان الشيخ الزاهد أبو بكر الحديدي ، المتوفّى في السنة ٩٢٥ شديد

الحرص على السنّة ، لا يسامح أحداً في شيء من أدائها ، وكان معه مقراض ، من رأى شاربه طويلاً قصّه ، فإن امتنع تبعه قائلاً : واديناه ، يا محمداه ، حتى يمكّنه من قصّه (الكواكب السائرة ١/١١٩) .

وفي السنة ١٠٨٩ توفّي عبد الواحد الأنصاري قاضي القنفذة ، وكان أمير القنفذة قد بلغه عنه ما أوجب أن يقبض عليه ، وأمر به فحلقت لحيته ، وأراد قتله ، فشفع فيه ، فتركه (خلاصة الأثر ٣/٩٦) .

وفي السنة ١١٠٨ أحضر الباشا بمصر ، الشيخ محمد الزرقاني ، أحد شهود المحكمة ، بسبب إنّه كتب حجّة وقف تتعلّق بمنزل آل إلى بيت المال ، فأمر به فحلقت لحيته ، وأشهر ، ونفي (تاريخ الجبرتي ١/٤٩ و٥٠) .

وفي السنة ١١٧٩ (١٧٦٥ م) بعثت الحكومة الايرانيّة ، للمير مهنّا ، حاكم بندرريق ، أحد كبار موظفيها ، لاستيفاء الجعالة السنوية المقرّرة على حاكم بندرريق ، فأهان المير مهنّا الموظّف، وأمر بلحيته فحلقت (رحلة نيبور ٢/١٤٨) .

وفي السنة ١١٩٩ قَتَلَ أحد أتباع سردار الاسكندرية ، رجلاً ، فثار العامّة بالسردار ، وقبضوا عليه ، وحلقوا نصف لحيته ، وجرسوه ، وأهانوه . (تاريخ الجبرتي ١/٥٩٤) .

وفي السنة ١٢٢٩ زوّر رجل من أهل مصر ، أوراقاً على امرأة غائبة ، وباع أملاكها ، فأمر كتخدا محمد علي باشا ، بإشهاره ، وحلق نصف لحيته وشاربه . (الجبرتي ٣/٤٦٩) .

وجيء إلى أحد الأمراء ، بأناس من الشطار ، فأمر بضربهم ، وحلق

رؤوسهم ولحاهم ، وكان فيهم رجل سناط (لا لحية له) ، فقيل له : إنّ هـذا ليست له لحية ، فهل نزيده في الضرب ؟ قـال : لا ، ولكن احلقوا لحيـة هذا الشرطي مكانه (المحاسن والمساوىء ٢ / ١٥٤) .

القسم الثاني

حلق اللمم

كان هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص ، الملقّب هاشم المرقال ، وابنه عبد الله ، من أصحاب الإمام عليّ ، وكانت وطأتهما شديدة على أهل الشام في حروب صفّين ، وقتل هاشم في أحد أيّام صفّين ، فلما انقضى أمر صفّين ، وتسلّم الأمر معاوية ، استتر عبد الله بالبصرة ، فكتب معاوية إلى زياد بن أبيه ، عامله على البصرة ، أن آطلب عبد الله بن هاشم أشدّ طلب ، فإذا ظفرت به ، فآحلق رأسه ، وألبسه جبّة شعر ، وقيّده ، وغلّ يده إلى عنقه ، وآحمله على قتب بلا غطاء ولا وطاء ، وأنفذه إليّ ، ففعل زياد ذلك (شرح نهج البلاغة ٨/ ٣٠ ـ ٣٣) .

وشبّب يزيد بن الطثرية ، بامرأة من جرم ، فشكوه إلى صاحب اليمامة ، فجعل عقوبته حلق لمّته ، **فحلقها** ، فقال يزيد : (الاغاني ١٧٨/٨) .

أقول لثورٍ وهو يحلق لمّتي   بحجناء مردود عليها نصابها
ترفّق بها يا ثور ليس ثوابها   بهذا ، ولكن غير هذا ثوابها

وشرب طخيم الأسدي بالحيرة ، فأخذه العباس بن معبد المرّي ، وكان على شرطة يوسف بن عمر ، **فحلق رأسه** ، فقال : (الاغاني ٨/ ١٧٩) .

لقـد حلقوا منّي غـدافاً كـأنّها عناقيد كـرم أينعت فآسبـطرّت
يظلّ العذارى حين تحلق لمّتي على عجل يلقطنها حين جزّت

وفي السنة ٣٠٦ لما عزل الوزير ابن الفرات عن وزارته الثانية للمقتدر ، وخلفه حامد بن العباس ، أحضر المحسّن بن الفرات ، وطالبه ، فبلح ، فـأمر بصفعـه ، فصفـع ، فـرأى على رأسـه شعـراً كثيـراً ، فقـال : هـذا لا يتـألّم بالصفع ، هـاتوا من يحلق شعـره ، فأخـرج من بين يديـه ، فحلق شعره ، ثم أعيد إليه ، فصفعه حتى كاد يتلف . (تجارب الأمم ١/٦٥) .

وفي السنـة ٤٣١ اتّهم باديس صـاحب غرنـاطة ، أبـا الفتـوح ثـابت بن محمد الجرجاني بالتآمر ضدّه ، ففرّ منه إلى إشبيلية ، ثم استسلم إليه ، فكان مما عذّبـه به ، أن حلق رأسـه ، وأشهره ، وحبسـه ، وقتله (الاحاطـة ٤٦٢ ـ ٤٦٦) .

ولم يكن حلق اللمّـة مقصوراً على الـرجال ، وإنّمـا كـان يمـارس على النسـاء في بعض الاحـوال ، فقـد أخـذت آمـرأة في زنـا ، فحلقت ، وسـوّد وجهها ، وأشهرت على جمل ، فكانت وهي يطاف بها ، تقول : من رآني فلا يزنين ، فصاحت بها إحدى النسوة : يا فاجرة ، أمـرنا الله بـذلك فلم نـطعه ، افنطيعك أنت ، وأنت محلوقة ، مسوّدة الوجه ، مشهرة على جمل ؟

أقول : وقد جـرت ممارسـة هذا اللون من العـذاب ، أي حلق اللمم ، في فرنسا ، اثر اندحار المانيا الهتلرية ، في الحرب العالمية الثانية ، في السنة ١٩٤٥ ، وانسحاب جنودها وعسكريّيها من فرنسا ، فاقتيـدت الفتيات والنسـوة اللاتي صاحبن وعاشرن الألمان المحتلّين ، وحلقت لممهنّ .

القسم الثالث

المسح

أمّا المسح ، وهو أوسع مدى من الحلق ، لأنّه يعني حلق اللحية والشارب والحاجبين ، فقد مارسه إبراهيم بن هشام ، أمير المدينة على رجل من الموالي ، تزوّج بعربيّة من بني سليم ، فأحضره ، وفرّق بينه وبين زوجته ، وضربه مائتي سوط ، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه . (الاغاني ١٦/١٠٦) .

وفي السنة ٥٩٨ اخذ الخليفة الناصر العباسي ، قوام الدين بن الزاهد ، وكيل ولي العهد (الخليفة الظاهر) وضرب ظاهر باب النوبي الشريف مائة عصا ، ومسح وجهه ، وأحدر واسطاً فحبس بها ، قيل في سبب ذلك ، إنّه عثر عليه وهو يطلب كتاب السموم لابن وحشية ، ومات قوام الدين هذا وهو في الحبس (الجامع المختصر ٨٣ و ١٠٤) .

الفصل الثاني

النتف

القسم الأول : نتف اللحية

أوّل لحية نتفت في الإسلام ، لحية عثمان بن حنيف ، عامل الإمام عليّ على البصرة ، في السنة ٣٦ ، لما قدمها طلحة والزبير ، فحاربهم عثمان بن حنيف ، ثم هادنهم ، وكتبوا بينهم كتاباً ، ثم عمد قوم من أصحاب طلحة والزبير ، إلى عثمان ، فأسروه ، ونتفوا شعر لحيته ، وشعر رأسه ، وحاجبيه ، وأشفار عينيه ، وحبسوه ، ثم أطلقوه ، فقدم على الإمام عليّ بالربذة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بعثتني ذا لحية ، وجئتك أمرد ، فقال له : أصبت خيراً وأجراً (الطبري ٤٦٦/٤ و٤٦٩ و٤٨٠ وابن الأثير ٢١٦/٦ ـ ٢٢٦) .

ولما استباح يزيد بن معاوية ، المدينة ، في وقعة الحرّة ، فقتل ، ونهب ، وسبى ، وانتهك الحرمات ، أحضر قائد الجيش وهو مسلم بن عقبة المري ، عمرو بن عثمان بن عفان ، وقال : يا أهل الشام ، هل تعرفون هذا ؟ هذا الخبيث بن الطيّب ، هيه يا عمرو ، إذا ظهر أهل المدينة ، قلتَ : أنا رجل منكم ، وان ظهر أهل الشام ، قلتَ : أنا ابن أمير المؤمنين عثمان ، ثم أمر به فنتفت لحيته ، حتى ما تركت فيها شعرة (الطبري ٤٩٤/٥ وابن الأثير ١٢٠/٤ والاخبار الطوال ٢٦٦ وأنساب الأشراف ٣٩/٢/٤) .

ودخل بعض الافراد من جند الشام على أبي سعيد الخدري ، صاحب رسول الله صلوات الله عليه ، في وقعة الحرّة ، فوجدوه يصلّي ، ولم يجدوا

عنده شيئاً ، فضربوا به الأرض ونتفوا لحيته . (الاخبار الطوال ٢٦٨ و٢٦٩) .

ولما قتل الوليد بن يزيد ، وتولّى يزيد بن الوليد ،ولّى منصور بن جمهور العراق ، ففرّ يوسف بن عمر إلى الشام ، واستتر ، فقبض عليه وقد لبس لبسة النساء وجلس بين نسائه وبناته ، فجرّوا برجله ، ونتفوا قسماً من لحيته ، وكان من أعظم الناس لحية ، وأقصرهم قامة ، وحبس في السجن مع الحكم وعثمان ابن الوليد ، فلما مات يزيد ، وولي إبراهيم ، وانتقض أمره ، دخل يزيد بن خالد القسري السجن فأخرج يوسف بن عمر وقتله . (الطبري ٧/٢٧٤) .

وبايع المأمون في السنة ٢٠١ بولاية عهده للإمام علي بن موسى الرضا فغضب العباسيّون ، وبايعوا بالخلافة في بغداد إبراهيم بن المهدي ، وكان الفضل بن سهل يكتم هذه الأخبار عن المأمون ، فأخبره بها الإمام علي الرضا ، فقال : هل يعلم بذلك قوم من أهل عسكري ؟ فسمّى له أشخاصاً ، فأحضرهم ، وسألهم فحدّثوه بالصحيح ، وبلغ ذلك الفضل بن سهل ، فأخذهم ، وضرب بعضهم بالسياط ، وحبس بعضهم ، ونتف لحى بعضهم . (العيون والحدائق ٣/٣٥٦ و٣٥٧ الطبري ٨/٥٦٥) .

وحدث على أثر قتل الأمين ، ببغداد ، اختلال في الأمن ، وظهر رجل اسمه سهل بن سلامة الأنصاري ، دعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وضرب على أيدي الفسّاق والشطّار ، وكان إبراهيم بن المهدي ، قد أعلن خلافته ببغداد ، فاعتقل سهلاً ، وأخذ رجلاً من أصحابه ، فتقدّم إليه إبراهيم وضربه ، ونتف لحيته ، وحبسه . (الطبري ٨/٥٥١ و٥٥٢ و٥٦٣) .

وفي السنة ٢٥٣ حصر يعقوب بن الليث الصفار ، مدينة شيراز ، ودخلها عنوة ، وأخذ عاملها علي بن الحسين بن قريش أسيراً ، فلما أحضر

أمامه قنعه بيده عشرة أسواط ، وأخذ حاجبه بلحيته فنتف أكثرها ، وقيّده بقيد فيه عشرون رطلاً ، ثم أبدله بقيد أربعين رطلاً ، ثم عذّبه بألوان العذاب (وفيات الأعيان ٦/٤٠٩) .

وفي السنة ٣٠٩ تسلّم الوزير حامد بن العباس ، وزير المقتدر ، الحلاّج الصوفي ، فكان يخرجه إلى من حضره ، فيصفع ، وتنتف لحيته (صلة الطبري ٥٢) .

وناظر الوزير حامد بن العباس ، أبا الحسن بن الفرات ، لما عزل عن وزارته الثانية ، فشتمه حامد شتماً مسرفاً ، وأمر أن تنتف لحيته ، فلم يقدم عليه أحد ، فمدّ حامد يده إلى لحية ابن الفرات ، ونتف منها خصلة . (وزراء ١٠٨) .

وفي السنة ٣٥٤ كاتب أهالي طرسوس ، نقفور ملك الروم ، يبذلون له إتاوة ، فأحضر الرسول وأحرق الكتاب على رأسه ، فاحترقت لحيته . (ابن الأثير ٨/٥٦) .

وغضب القاضي ابو القاسم التنوخي ، على غلام لأبي الحسين هلال الصابي ، اسمه جميلة ، فضربه ، ونتف ذقنه ، وقال له : يا ماصّ بظر أمّه ، أنا شاهد الخرا ، راجع القصة في بحث الشتيمة ، وفي معجم الادباء (٣٠٦ و٣٠٧) .

وفي السنة ٥٣٥ حصلت مراسلة بين الخطا وبين السلطان سنجر ، فكتب سنجر إلى زعيم الخطا يتهدّده بعسكره الذين بالغ في وصفهم ، فقال عنهم : إنّهم يشقّون الشعرة بسهامهم ، ولم يرض وزيره طاهر حفيد نظام الملك بهذا الكتاب ، ولكن سنجر أصرّ على إرساله ، فلما وصل إلى كوخان زعيم الخطا ، أمر بنتف لحية الرسول ، وأعطاه إبرة ، وكلّفة أن يشقّ بها شعرة من لحيته ، فلم يقدر ، فقال : كيف يزعم ملكك أنّ عنده من يشقّ الشعرة

بالسهم وأنت عاجز عن شقّها بإبرة ؟ . (ابن الأثير ١١/ ٨٥) .

وفي السنة ٦٧٦ هجم أتباع الملك السعيد صاحب مصر والشام ، على نائب السلطنة ، الأمير شمس الدين الفارقاني ، وسحبوه إلى داخل القلعة ، وبالغوا في ضربه وأذيّته ، ونتفوا لحيته ، واعتقلوه بالقلعة ، فلم يلبث إلاّ أيّاماً يسيرة ، ومات (تاريخ ابن الفرات ٧/ ٩٥) .

وغضب السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، على الشيخ شهاب الدين الخراساني ، من كبار المشايخ الصلحاء ، فأمر الشيخ ضياء الدين السمناني ، بنتف لحيته ، فأبى وامتنع ، فأمر السلطان بنتف لحيتيهما جميعاً ، فنتفتا . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/ ٨٧) .

وفي السنة ٧٦١ خرج الوزير الحسن بن عمر ، وزير السلطان أبي سالم المريني ، على سلطانه ، ولحق تبادلا ، واعتصم بالجبل ، واستجار بالحسين بن علي الورديغي ، فبعث السلطان وزيره الحسن بن يوسف ، وبذل لبعض أهل الجبل مالاً ، فانفضّوا عن الحسن ، وقبضوا عليه ، وأسلموه إلى الوزير ، فحمله إلى السلطان الذي احتفل باستقباله ، ثم أشهره على جمل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، ونتفت لحيته ، وضرب بالعصي ، وتلّ إلى محبسه ، وقتل قعصاً بالرماح في ساحة البلد ، ثم نصب شلوه على سور البلد (ابن خلدون ٧/ ٣١٠) .

وفي السنة ١٢٠٥ غضب والي مصر ، على واعظ بشناقي اسمه عبد الوهاب ، اتّهمه بالتصرف في تركة كان أميناً عليها ، فلطمه على وجهه ، ونتف لحيته ، وأمر به فحبس ، وحوسب ، واستعيد منه ما أخذه من التركة (الجبرتي ٢/ ٩٣) .

ولما هلك الجزّار صاحب عكّا ودمشق في السنة ١٢١٩ بلغ أهل دمشق خبر هلاكه ، فتوجّه الناس إلى القلعة ، وأخرجوا المحبوسين من سجونهم ،

وتتبّعوا أعوان الجـزّار فقتلوهم ، وبحثوا عن الأكـراد ، الذين كـان الجزّار قـد وكّلهم بعذاب الناس ، فعثروا عليهم في قرية التلّ ، فأحضروهم ، وعـذّبوهم بمثل الأنواع التي عـذّبوا بهـا الناس ، ثم نتفـوا لحاهم ، وقتلوهم شـرّ قتلة .
(مجموعة محمود الحمزاوي) .

القسم الثاني
نتف شعر الرأس

وعـذّب أبـو الحسن بن أبي البغـل ، ابن جبيـر النصـراني ، كـاتب ابن الفـرات ، بأن دعـا بمزيّن ، وأمـره بأن ينتف بـالمنقـاش ربـع شعـر رأس ابن جبير ، فرشى الموكّلين ، وحلقوا قسماً منه حلقاً ، وأعلموه أنّه قد نتف ، فأمر أن يقيّـر الموضـع النظيف من الـرأس بقيرٍ حـارّ ، فكاد يتلف ، راجـع تفصيل القصة في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المـذاكرة للتنـوخي ، في القصة رقم ٨/٤١ .

القسم الثالث
نتف شعر البدن

وبلغ أماجور التركي ، أمير دمشق للمعتمد ، أنّ أعرابياً أهان جنديّاً من جنوده ، بأن نتف شعرتين من شاربه ، فأمر بالأعرابي ، فنتف شعر بدنه كلّه ، من أجفانه ، ورأسه ، ولحيته ، وما ترك على جسمه شعرة ، ثم ضربه ألف سوط ، وقطع يديه ورجليه ، وصلبه .

وقد روى الصفدي ، في الوافي بالوفيات ٣٧٥/٩ هذه القصة بتفصيل ، فأحببت أن أوردها بنصّها ، قال : بعث أماجور التركي ، أمير دمشق ، في أيّام المعتمد ، جندياً إلى أذرعات في رسالة ، فنزل اليرموك ، فصادف أعرابياً في قرية ، فجلس الجندي إليه ، فمدّ الأعرابي يده ، ونتف من سبال الجندي خصلتي شعر ، وعاد الجندي إلى دمشق ، وبلغ الخبر أماجور ، فدعاه وسأله عن القصّة ، فاعترف ، فحبسه ، ثم استدعى بمعلّم صبيان ، وأعطاه مالاً ، وقال له : اذهب إلى المكان الفلاني ، وأظهر أنّك تعلّم الصبيان ، فلا بد أن ترى الأعرابي هناك فشاغله ، وأعطاه طيوراً ، وقال : عرّفني الأخبار يوماً بيوم ، ففعل المعلّم ما أمره ، فرأى الأعرابي ، وشاغله ، وأطلق الطيور ، فركب أماجور بنفسه ، ووصل إليها في يوم واحد ، وأخذ الأعرابي مكتوفاً ، ودخل دمشق ، وقال له : ما حملك على ما فعلت برجلٍ من أولياء السلطان ؟ قال : كنت سكراناً لم أعقل ، فأمر بنتف كلّ شعرة فيه من أجفانه ولحيته ورأسه ، وما ترك على جسمه شعرة ، وضربه ألف

سوط ، وقطع يديه ورجليه ، وصلبه ، وأخـرج الجندي من الحبس ، وضـربه مائة سوط ، وطرده من الخدمة ، وقـال : أنت ما دافعت عن نفسـك ، فكيف تدافع عنّي ؟ (الوافي بالوفيات ٩/٣٧٥ و٣٧٦) .

الباب الثامن

التعذيب بالتعرّض للعورة

للعورة : كلّ ما يستحيا منه إذا ظهر .

والعورة من الرجل : ما بين السرّة إلى الركبة .

ومن المرأة : جميع جسدها ، الا الوجه واليدين إلى الكوعين .

ولما كنّا قد أفردنا للمرأة بحثاً مفرداً ، فإن البحث في هذا الباب مقصور على ما يتعلّق بالرجل وحده .

وينقسم التعذيب بالتعرّض للعورة بالنسبة للرجل ، إلى فصلين :

الفصل الأول : التعذيب بالتعرّض للقبل ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : التعذيب بالخصاء.

القسم الثاني : التعذيب بعصر الخصية .

القسم الثالث : التعذيب بجبّ الذكر .

الفصل الثاني : التعذيب بالتعرّض للدبر ، وينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : التعذيب بالخوزقة .

القسم الثاني : التعرض للدبر بألوان أخرى من العذاب

الفصل الأول

التعذيب بالتعرّض للقبل

القسم الأول

التعذيب بالخصاء

الخصاء : سلّ الخصيتين ، سواء بالقطع ، أو بأن تعصب مجامعها من أصلها ، وتترك معقودة بخيط شديد ، فلا تلبث أن تسقط (الحيوان ١٣١/١) . راجع بحث الخصاء في كتاب الحيوان للجاحظ (١٠٦/١ - ١٨١) .

والخصاء من المثلة المحرّمة في الإسلام ، وعن ابن عباس ، إنّه قال في قوله تعالى : ﴿ ولآمرنّهم فليغيرنّ خلق الله ﴾ قال : هو الخصاء .

ودخل معاوية يوماً ، على امرأته ميسون ابنة بحدل ، وهي أمّ يزيد ، ومعه خصيّ له ، فاستترت ميسون من الخصيّ ، فقال لها معاوية : أتستترين منه ، وإنّما هو مثل المرأة ، قالت : أترى أنّ المثلة به ، تحلّ ما حرّم الله تعالى ؟ . (الحيوان ١٧٧/١) .

وخطب من عقيل بن علّفة، سلاماني ، إحدى بناته ، فغضب ، وأخذ السلامانيّ فكتّفه ، ودهن آسته بشحم ، وألقاه في قرية النمل ، فأكلن خصيتيه ، حتى ورم جسده ، ثم حلّه ، وقال له : يخطب إليّ عبد الملك بن مروان فأردّه ، وتجترىء أنت عليّ . (الاغاني ٢٥٥/١٢) .

وكان سليمان بن عبد الملك من أشدّ الناس غيرة ، سمع رجلاً يتغنّى فأمر به فخصي ، وأمر بأن يخصى المخنّثون في كلّ بلد ، راجع القصة مفصّلة في كتاب الهفوات النادرة ص ٣٩ ـ ٤٢ ، وص ٨٩ ـ ٩١ .

أقول : جاء في الأغاني أنّ الأمر صدر بإحصاء المخنّثين ، وأنّ نقطة وقعت على الحاء ، فصيّرتها خاءً ، ولا أظنّ الأمر كما قال ، إذ ما فائدة الخليفة من إحصاء المخنّثين ومعرفة عددهم .

وأثبت الجاحظ في كتابه الحيوان ١/١٢١ و١٢٢ قصة خصاء الدلال ونومة الضحى المخنّثين المدنيين ، قال : خصاهما عثمان بن حيّان المرّي ، والي المدينة ، بكتاب هشام بن عبد الملك ، ومن بني مروان من يدعي أنّ عامل المدينة صحّف ، لأنّه رأى في الكتاب : إحص من قِبَلك من المخنّثين ، فقرأها : إخص من قِبَلك من المخنّثين ، وذكر عن الهيثم الكاتب الذي تولّى قراءة الكتاب ، إنّه قال : كيف يقولون ذلك ، ولقد كانت الخاء معجمة بنقطة كأنّها سهيل ، أو تمرة صيحانية ، وقال اليقطري : ما وجه كتاب هشام في إحصاء عدد المخنّثين ؟ وهذا لا معنى له ، وما كان الكتاب إلّا بالخاء المعجمة ، ، دون الحاء المهملة ، وذكر عن مشايخ المدينة ، عن الدلال ونومة الضحى ، إنّهما قالا : الآن صرنا نساءً بالحقّ ، كأنّ الأمر لو كان إليهما لاختارا أن يكونا امرأتين ، قال : وذكر إنّهما خرجا بالخصلتين من الخصاء والتخنيث ، من فتور الكلام ، ولين المفاصل والعظام ، ومن التفكّك والتثنّي ، إلى مقدار لم يروا أحداً بلغه ، لا من مخنّثات النساء ، ولا من مؤنّثي الرجال .

وفي السنة ٢٨٩ واقع أبو سعيد القرمطي ، بني ضبّة ، وظفر بهم ، وأخذ منهم خلقاً ، وبنى لهم حبساً عظيماً جمعهم فيه ، وسدّه عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب ، فمكثوا شهراً ، ثم فتح عليهم ، فوجد أكثرهم موتى ، ويسيراً بحال الموتى ، قد تغذّوا بلحوم الموتى ، فخصاهم ، وخلّاهم ، فمات أكثرهم (اتعاظ الحنفا ١٦٤) .

وبعث السلطان طغرلبك ، وزيره عميد الملك الكندري ، ليخطب له

امرأة ، فخطبها الكندري لنفسه وتزوّجها ، فاغتاظ منه طغرلبك ، واستبقاه في خدمته لكفاءته ، ولكنّه خصاه ، عقوبة له ، فقال الشاعر : (الفخري ٧٠) .

قالوا محا السلطان عنه بفعله   سمة الفحول وكان قرماً صائلا
قلت : آسكتوا ، فالآن زاد فحولة   لما غدا من أنثييه عاطلا
والفحل يأنف أن يسمّى بعضه   أنثى لذلك جذّها مستاصلا

وكان مجاهد الدين بهروز ، صاحب تكريت (ت ٥٤٠) ، في أوّل أمره بدوين ، فاتّهم بزوجة بعض الأمراء ، فأخذه صاحب دوين ، فخصاه ، فلما مثّل به لم يقدر على الإقامة بالبلد ، فخرج واتّصل بمحمد بن ملكشاه السلجوقي ، وكان ذلك أوّل تقدّمه . (وفيات الأعيان ١/٢٥٦) .

وفي السنة ٧٣٤ قبض بالقاهرة على عبد أسود كان يتعرّض لأولاد الناس ، فخصي ، فمات (تاريخ ابي الفدا ٤/١١٢) .

القسم الثاني

التعذيب بعصر الخصية

وكان من جملة ألوان العذاب ، الذي مارسه يوسف بن عمر الثقفي ، على بلال بن أبي بردة ، أن جعل الوتر في خصيتيه (البيان والتبيين ١/ ٢٢٠) .

وفي السنة ٢٤٥ بذل الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك ، ألفي ألف دينار في نجاح بن سلمة ، فأسلمه المتوكّل إليهما ، فضرباه بالمقارع مراراً ، وعذّباه ، وخنق ، وعصرت خصاه ، فمات . (تجارب الأمم ٦/ ٥٥٤ والطبري ٩/ ٢١٤ ـ ٢١٧) .

أقول : كان نجاح بن سلمة ، على ديوان التوقيع ، والتتبّع على العمّال ، فكان جميع العمّال يتّقونه ، ويقضون حوائجه ، وكان المتوكّل ربما نادمه ، وكان الحسن بن مخلد على ديوان الضياع ، وموسى بن عبد الملك على ديوان الخراج ، وكان الحسن وموسى منقطعين إلى الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، فكتب نجاح بن سلمة إلى المتوكّل رقعة ذكر فيها خيانات الحسن وموسى ، وإنّه يستخرج منهما أربعين ألف ألف درهم ، فأدناه المتوكّل ، وشاربه تلك العشيّة ، وقال له : بكّر إليّ غداً حتى أدفعهما إليك ، فغدا وقد رتّب أصحابه ، وقال : يا فلان خذ أنت الحسن ، ويا فلان خذ أنت موسى ، وبلغ الوزير عبيد الله الخبر ، فأمر بأن يحجب نجاح عن المتوكّل ، وأحضره وقال له يا أبا الفضل ، أنا أشير عليك بأمر فيه لك

صلاح ، وهو أن أصلح بينك وبين الحسن وموسى ، وتكتب رقعة تذكر فيها انّك كنت شارباً وانّك تكلّمت بأشياء تحتاج إلى معاودة النظر فيها ، وأنا أصلح الأمر عند أمير المؤمنين ولم يزل يخدعه حتى كتب رقعة بما أمره به ، فأدخلها عبيد الله على المتوكّل ، وقال له : يا أمير المؤمنين قد رجع نجاح عمّا قال البارحة ، وهذه رقعة موسى والحسن يتقبّلان نجاح بما كتبا ، فتأخذ ما ضمناه به ، ثم تعطف عليهما ، فتأخذ منهما قريباً مما ضمنا لك ، فسرّ المتوكّل ، وطمع فيما قال عبيد الله ، وقال له : إدفع نجاح إليهما ، فدفعه إليهما ، فأخذاه وصار به موسى إلى ديوان الخراج ، وأخذ ولده أبو الفرج ، وكاتبه إسحاق بن سعد ، وعبد الله بن مخلد المعروف بابن البوّاب وكان منقطعاً إلى نجاح ، وأخذ جميع ما لنجاحٍ من صامت وغيره ، وضرب مراراً بالمقارع « في غير موضع الضرب » نحواً من مائتي مقرعة ، وغمز ، وخنق ، ثم عصرت مذاكيره وخصيتاه ، فمات .

وفي السنة ٢٥٦ قتل الخليفة المهتدي العباسي ، بعصر خصيتيه ، وتفصيل ذلك ، إنّ النزاع اشتدّ بين المهتدي وبين الأتراك ، وحاول المهتدي أن يتقرّب إلى قلوب العامّة ، فبنى قبّة للمظالم ، وجلس فيها للخاصّ والعامّ ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، وحرّم الشراب ، ونهى عن القيان ، وأظهر العدل ، وكان يخطب بالناس ، ويؤمّهم في أيّام الجمع ، فشغب عليه الأتراك فخرج إليهم في السلاح ، معلّقاً في عنقه مصحفاً ، واستنفر العامّة ، وأباحهم دماء الأتراك ، وأموالهم ، ونهب منازلهم ، فحاربه الأتراك ، وانتصروا عليه ، وقبضوا عليه ، فداسوا خصيتيه ، وصفعوه حتى مات ، وأشهدوا على موته إنّه سليم ، ليس به أثر ، لزيادة التفصيل راجع الطبري ٩/٤٥٨ و ٤٦٨ و ٤٦٩ ومروج الذهب ٢/٤٦٤ وفوات الوفيات ٢/٥٣٥ وتاريخ الخلفاء ١٦٣ وابن الأثير ٧/٢٢٨ـ ٢٣٣ .

وفي السنة ٢٥٧ ظهر في موضع ببغداد ، يقال له : بركة زلزل ، على

خنّاق ، وقد قتل خلقاً كثيراً من النساء ، ودفنهنّ في دار كان فيها ساكناً ، فحمل إلى المعتمد ، فضرب ألفي سوط ، وأربعمائة أرزن ، فلم يمت ، حتى ضرب الجلّادون أنثييه بخشب العقابين ، فمات ، وردّ إلى بغداد فصلب بها ، ثم أحرق (الطبري ٩/٤٧٩) .

أقول : الأرزن : شجر صلب ، تتّخذ منه عصيّ صلبة ، والعقابان : خشبتان يشبح الرجل بينهما للجلد .

ولما فتح يعقوب بن الليث (ت ٢٦٥) شيراز ، أسر أميرها علي بن الحسين ، فقنّعه عشرة أسواط بيده ، وأخذ حاجبه بلحيته فنتف اكثرها ، وقيّده بقيد فيه عشرون رطلاً ، ثم عذّبه بأنواع العذاب ، وعصر أنثييه ، وشدّ الجوزتين على صدغيه ، وألحّ عليه بالعذاب ، حتى خلط ووسوس من شدّة العذاب ، ثم قيّده بقيد أربعين رطلاً ، ولما آرتحل من شيراز حمله معه ، فلما أتى كرمان ألبسه المصبّغ من الثياب ، وقنّعه بمقنعة ، ونادى عليه وحبسه . (وفيات الأعيان ٦/٤٠٩ و٤١٠) .

وفي السنة ٢٩٦ خلع المقتدر ، وبويع ابن المعتزّ بالخلافة ، وانتقض أمر ابن المعتزّ فقبض عليه المقتدر ، وحبس إلى الليل ، وعصرت خصيتاه حتى مات ، ولفّ في كساء وسلّم إلى أهله (ابن الأثير ٨/١٨ وتاريخ ابن خلدون ٣/٣٥٩) .

وسئل الحافظ النسائي ، إمام عصره في الحديث ، وهو بجامع دمشق ، عما روي في فضائل معاوية بن أبي سفيان ، فقال : أما يرضى معاوية ، أن يخرج رأساً برأس ، حتى يفضّل ؟ وفي رواية أخرى إنّه قال : ما أعرف له فضيلة إلّا « لا أشبع الله بطنك » ، فما زالوا يدفعون في خصييه ، وداسوه ، فحمل إلى الرملة ، فمات فيها سنة ٣٠٣ (وفيات الأعيان ١/٧٧) .

أقول : قوله « لا أشبع الله بطنك » حديث مرويّ عن الرسول صلوات الله عليه ، قاله لمعاوية ، بعد أن أرسل إليه مرتين ، فقيل هو يأكل .

وذكر صاحب وفيات الاعيان ٢/٦١ أنّ ناصر الدولة الحمداني ، قتل عمّه سعيد بن حمدان ، والد أبي فراس الحمداني ، بأن أمر فعصرت مذاكيره فمات .

أقول : كان ذلك في السنة ٣٢٣ ، وقد ذكر صاحب تجارب الأمم سبب ذلك ، أنّ أبا العلاء شرع في تضمّن الموصل وديار ربيعة ، وضمن ذلك سرّاً ، وخلع عليه ، مع أنّها تحت ضمان ناصر الدولة ابن أخيه ، وأصعد أبو العلاء إلى الموصل ، وأظهر أنّه يريد موافقة ابن أخيه ناصر الدولة على ما عليه من مال الضمان ، وعرف ابن أخيه خبر موافاته ، فخرج نحوه مظهراً تلقّيه ، وآعتمد أن يخالفه في الطريق ، فلم يلتقيا ، ومضى أبو العلاء إلى دار ناصر الدولة ، فنزلها ، وسأل عن خبره ، فقيل له : إنّه خرج ليتلقّاه ، فجلس ينتظره ، ولما علم ناصر الدولة بأنّ عمّه قد حصل في داره ، وجّه بغلمانه ، فدخلوا على عمّه ، وقيّدوه ، ثم وجّه اليه من قتله . (تجارب الأمم ١/٣٢٣ و٣٢٤) .

وفي السنة ٤٢٢ تآمر رجلان وآمرأة على أبي على بن ماكولا ، فقتلوه **بعصر خصاه** . (النجوم الزاهرة ٤/٤/٢١) .

وذكر أنّ خمسة من الخدم ، هاجموا الملك معزّ الدين أيبك ، ملك مصر ، سنة ٦٥٦ في الحمّام ، وربطوا محاشمه بوتر ، وجذبوه حتى مات . (بدائع الزهور ١/٩١).

وفي السنة ٧٤٤ قتلت الأميرة عزّة الملك زوجها الأمير حسن الجوباني بأن عصرت خصيتيه حتى قضى . (تاريخ العراق للعزاوي ٢/٤٥).

وفي السنة ١٠١٠ مات في سجنه بدمشق ، الحاج أحمد العجمي ، أمين البهار ، بالضرب ، وعصر مذاكيره . (تراجم الأعيان ١/١٣٥) .

وفي السنة ١٠٤٣ قتل إبراهيم باشا، إبن عبد المنّان الدفتردار بدمشق ، وكان من جملة ما عذب به أن عصرت مذاكيره (خلاصة الأثر ١/٣٠) .

القسم الثالث

التعذيب بجبّ الذكر

الجبّ : القطع .

والمجبوب : الخصيّ الذي استؤصل ذكره وخصيتاه .

والمرأة الجبّاء : التي لا أليتين لها ، وتسمّى كذلك : رسحاء .

والبعير الأجبّ : الذي قطع سنامه .

واستعار النابغة الذبياني ، هذا الوصف للعيش ، فقال :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ... ربيع الناس والبلد الحرام
ونمسك بعده بذناب عيشٍ ... أجبّ الظهر ليس له سنام

وكان التعذيب بجبّ الذكر ، يمارس ضدّ الاطفال الذين يؤسرون أو يخطفون ثم يجبّون ، ليكونوا خدماً في الحريم ، وليس هؤلاء موضوع بحثنا ، وإنّما يقتصر بحثنا عمّن عذّب بهذا اللون من العذاب ، إنتقاماً منه أو إيذاءً له .

وأوّل خبر بلغنا من هذا الباب ، ما حصل على يسار الكواعب ، وكان يسار هذا ، عبداً لبعض رجال العرب ، وكان لمولاه بنات ، فجعل يتعرّض لهنّ ، فقلن له : يا يسار ، إيّاك والتعرّض لبنات الأحرار ، فأبى ، فلما أكثر ، واعدنه ليلاً ، فأتاهنّ ، وقد أعددن له موسى ، فلما خلا بهنّ ، قبضن عليه ، وجببن مذاكيره . (الاغاني ٩/٣٣٤ والبصائر والذخائر ٢/٢/٧٧٦) .

وكان لزنباع بن روح الجذامي ، غلام اسمه سندر ، فوجده يقبّل جارية له ، فجبّه ، وجدع أنفه ، وصلم أذنه ، فأتى سندر رسول الله صلوات الله عليه ، فأرسل الى زنباع ، وقال له : لا تحملّوهم من العمل ما لا يطيقون ، وأطعموهم ممّا تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ، فإن رضيتم فأمسكوا ، وإن كرهتم فبيعوا ، ولا تعذّبوا خلق الله ، ومن مثّل به ، أو أحرق بالنار ، فهو حرّ ، وهو مولى الله ورسوله ، فأعتق سندر . (خطط المقريزي ٢/١٣٦) .

وتسمّع سليمان بن عبد الملك الأموي ، إلى رجل يتغنّى ، فأحضره وقال له : ما حملك على الغناء وأنت بالقرب منّي وبجانبي حرمي ، ثم أمر به فجبّ . (التكملة ٢) .

وفي السنة ١٢٧ انتقضت حمص على مروان الحمار الأموي ، فحصرها ، فطلبوا منه الأمان ، فأمّنهم على أن يمكّنوه من أشخاص منهم رجلٌ حبشيّ كان يشتم مروان، وكان يشدّ في ذكره ذكر حمار، ويقول: يا بني سُلَيم ، يا أولاد كذا وكذا ، هذا لواؤكم ، ولما تسلّم الحبشيّ ، سلّمه إلى بني سُلَيم ، فقطعوا ذكره ، وجدعوا أنفه ، ومثّلوا به . (الطبري ٧/ ٣٢٧) وابن الأثير ٥/٣٣٣) .

وأمر الهادي ، بتعذيب غلام سنديّ ، بأفظع ما يمكن من العذاب ، وقتله من بعد ذلك ، وأن يطرد من مملكته كلّ سنديّ ، وسبب ذلك أنّ شريفاً من أولاد المهلّب في المنصورة من بلاد السند ، وجد زوجته مع غلامه السنديّ على ريبة ، فجبّ ذكر الغلام ، فتحيّن الغلام الفرصة ، وأخذ غلامين ابنين لسيّده ، وصعد بهما إلى أعلى مكان في داره ، وهدّد سيّده بأن يرمي بهما ، أو أن يجبّ ذكر نفسه ، كما جبّه من قبل ، ووجد المهلّبي أن لا محيصَ ، فجبّ ذكره أمام الغلام ، وعندئذ رمى الغلام بالطفلين ، فتقطّعا ،

وقال : ما صنعتَ بنفسك ، مقابل ما صنعتَ بي ، وقتل الطفلين زيادة ، راجع القصّة مفصّلة في كتاب المحاسن والمساوىء للبيهقي ٢١٠ و٢١١ وفي مروج الذهب ٢/٢٥٨ .

ولما قدم بدر الجمالي إلى القاهرة في السنة ٢٦٦ فرّ ابن أخي ابن المدبّر، وهو عبد الله بن يحيى بن المدبّر، في زيّ المكدّين ، وكان متزوّجاً بإحدى بنات نزار بن الخليفة المستنصر ، فاعتقل ، وقطع ذكره ، ووضع في فيه ، ثم قتل . (النجوم الزاهرة ٥/٢٢).

وكان الأتابك عماد الدين زنكي ، شديد الغيرة على نساء الأجناد ، ويعتبر التعرّض لهنّ ،من الذنوب التي لا تغتفر ، وكان يقول : إنّ جندي لا يفارقونني في أسفاري ، وقلّما يقيمون عند أهلهم ، فعلينا أن نمنع من التعرّض لحرمهم ، وبلغه أنّ الدزدار الذي أقامه بقلعة الجزيرة ، واسمه حسن البربطي ، يتعرّض لحرم الأجناد فيها ، فأمر حاجبه صلاح الدين الباغسياني ، أن يسير مجدّاً ، وأن يدخل الجزيرة ، فإذا دخلها أخذ البربطي ، وقطع ذكره ، وقلع عينيه ، وصلبه ، فلم يشعر البربطي ، إلاّ وقد وصل الباغسياني البلد ، فخرج إلى لقائه ، فأكرمه ، ودخل معه البلد ، وقال له : المولى أتابك يسلّم عليك ، ويريد أن يعلي قدرك ، ويرفع من منزلتك ، ويسلم اليك قلعة حلب ، ويولّيك جميع البلاد الشامية ، فتتجهّز ، وتحدر أموالك إلى الموصل ، ففرح ، وجمع كلّ أمواله ، ووضعها في السفن ليحدرها إلى الموصل ، فحين فرغ من جميع ذلك ، أخذه ، ونفذ فيه ما أمر به الأتابك (اعلام النبلاء ١/٥١٦) .

ولما حصر الافرنج حلب ، في السنة ٥١٨ ، كانوا إذا ظفروا بأحد المسلمين ، قطعوا يديه ومذاكيره (اعلام النبلاء ١/٤٥٧) .

وفي السنة ٥٢٠ قتل صاحب الموصل قسيم الدين آقسنقر البرسقي ،

قتله الباطنية عندما كان يصلّي في الجامع ، وبعد البحث ذكر أنّ هؤلاء القتلة كانوا يجلسون عند إسكاف بالموصل فطولب بأن يقرّ على الباطنيّة ، ثم قطعت يداه ورجلاه وذكره ، ورجم بالحجارة ، فمات . (ابن الأثير ١٠/ ٦٣٥) .

وفي السنة ٥٤٢ توفّي صاحب قابس ، فاستولى على البلد مولى له إسمه يوسف ، وكاتب رجار الصقلي ، وأطاعه ، وسيّر له رجار خلعة وعهداً ، فحاصر الحسن صاحب إفريقية ، قابس ، وثار أهل البلدة بيوسف ، وتسلّم الحسن البلد ، وأخذ يوسف أسيراً ، فعذّب أنواع العذاب ، وقطعوا ذكره ، وجعلوه في فمه . (ابن الأثير ١١/ ١٢٠) .

وفي السنة ٦٠٠ أخذ معلّم يعرف بيحيى بن أبي سعد البصري ، وحبس بحجرة باب النوبي ، ثم أخرج إلى ظاهر الباب ، وأحضر جميع المعلّمين بمدينة السلام ، وجبّ ذكره بمشهد من الجميع ، وحمل إلى المارستان ، وسبب ذلك أنّه لاط بصبيّ كان عنده يعلّمه الخطّ . (الجامع المختصر ١٢١) .

وفي السنة ٧٥٤ توفّي محمد بن محمد بن محمد الغرناطي الأندلسي ، استقرّ مؤذناً بالحرم الشريف بالمدينة ، وكان في بداية أمره قد جبّ مذاكيره ، ثم ندم على ذلك لانقطاع نسله فلما مات وجدوا له مالاً طائلاً ، وتوفّي وله إحدى وثمانون سنة (الدرر الكامنة ٤/ ٣٥٥) .

أقول : قصة هذا الرجل داخلة ضمن بحثنا في العذاب بقطع الذكر ، وان كان هو الذي صنع بنفسه ما صنع .

وفي السنة ١٢٣١ تعلّق في القاهرة شخص عسكري ، بغلام من أولاد البلد ، وأراد أن يرتكب منه الفاحشة في الطريق ، فخادعه الغلام ، وقال له : إن كان ولا بدّ ، فأدخل بنا إلى مكان لا يرانا فيه أحد ، فدخل معه إلى درب حلب ، حيث دور الأمراء التي أصبحت خرائب ، وحلّ العسكري

سـراويله ، فقال لـه الغلام : ارني « بتاعـك » فلعلّه يكـون عـظيمـاً لا أتحمّله جميعـه ، وقبض عليه ، وكـان بيده مـوسى مخفيّـة في يـده الأخـرى ، فقـطع ذكره بتلك الموسى سريعاً ، وسقط العسكـري مغشياً عليـه ، وتركـه الغلام ، وذهب في طـريقه ، وحضـر رفقاء العسكـري ، وحملوه ، وأحضروا لـه سليماً الجرائحي ، فقطع مـا بقي من مذاكيـره ، وأخذ في معـالجته ومـداواته ، ولـم يمت (الجبرتي ٥١٦/٣) .

الفصل الثاني

التعذيب بالتعرّض للدبر

القسم الأول

التعذيب بالخوزقة

الخزق : إقحام الشيء الصلب .

والخازق : سنان الرمح .

والمخزقة : الحربة .

والخازوق : وتدٌ طويل محدّد الرأس ، يسمّيه البغداديون : قازوغ ، والبغداديّ ، إذا ضايق خصمه أو أحرجه ، يكني عن ذلك بقوله : قَوْزَغْتُه ، أي أقعدته على القازوغ .

وقد استعمل الوتد في التعذيب ، في ألوان عدّة ، فآستعمله المنصور العبّاسي ، بأن دقّه في عيني مطير بن عبد الله ، لما غضب عليه (المحاسن والمساوىء ٢ / ١٣٨) واستعمله الأمير خاير بك الجركسي ، بأن كان يشكّ الرجل به من أضلاعه ، ويسمّيه « شكّ الباذنجان (إعلام النبلاء ٥ / ٤٣٣) وكان أهالي المالبيار يستعملونه في تعذيب السارق ، بأن يمدّونه على لوح من الخشب ، فيه وتد ناتىء يدخل في بطنه ، ويخرج من ظهره (مهذّب رحلة ابن بطوطة ٢ / ١٨٠) ، وروي أنّ السلطان غياث الدين محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، اتّهم المهردار الملك كافور ، فأمر ، فضرب له عمود في الأرض محدّد الطرف ، وركز في عنقه ، حتى خرج طرفه من جنبه (مهذّب رحلة ابن بطوطة ٢ / ٥٠) .

أما الخوزقة ، بإقعاد الإنسان على الخازوق، فإنّ هذا اللون من التعذيب متأخّر ، ولم تقتصر ممارسته ضد الذكور من المعذّبين ، وإنّما عذبت به المرأة أيضاً .

ففي السنة ٤٨٠ قبض على تركي أخذ صبيّاً ، فأدخل في دبره دبوساً ، فمات ، فأخذ التركي ، وصلب . ((المنتظم ٩/٣٧) .

وفي السنة ٦٦٦ قتلت امرأة ببغداد اسمها عروس خاتون ، كانت زوجة بعض أصحاب توكال بخشي شحنة بغداد ، اسمه حسين أغا ، وسبب ذلك ، إنّها هويت غلاماً أمرد مليحاً ، فلما عرف بذلك أرادوا قتله ، فأبى الشحنة ، وقال : يقتلان جميعاً ، أو يستبقيان بعد أخذ الحدّ منهما ، فأخرج الغلام إلى ظاهر السور ، وضرب له وتد في الأرض ، وأقعد عليه فمات ، ثم قدّم المرأة وقتلها بيده وهو يبكي أسفاً عليها (الحوادث الجامعة ٣٦١) .

وفي السنة ٧٠٢ قتل في وقعة شقحب ، الأمير سيف الدين ايدمر القشاش ، وكان قاسياً على أهل الفساد ، ومن ألوان العذاب التي كان يعذّب بها الناس انّه كان يغرس خازوقاً في الأرض ، ويجعل محدّده قائماً ، وبجانبه صاري كبير يعلّق فيه الرجل ، ثم يرسله فيسقط على الخازوق ، فيدخل فيه ويخرج من بدنه . (النجوم الزاهرة ٨/٢٠٥) .

وكان من جملة مظالم الأمير يشبك الدوادار ، في السنة ٨٧٤ في صعيد مصر ، أن أقعد على الخازوق ، جماعة من العربان (بدائع الزهور ٢/١١٦) .

وفي السنة ٩٠٢ قتل القاضي شمس الدين بن الزلق ، بدمشق ، قتلته سريّتاه ، بتحريض من الدوادار ، وأمير آخور ، واستدار (استاذ دار) الحاجب تمر بغا ، فأخذ الجميع وخوزقوا ، خلا الجارية الصغرى ، فإنّها غرّقت ، لأنّها كانت حبلى (قضاة دمشق ١٨٢) .

وكان الأمير خاير بك ، المتوفّى سنة ٩٢٨ كافل حلب للسلطان الغوري ، ثم نائب مصر للسلطان سليم العثماني ، ظالماً ، قاسياً ، قتل ما لا يحصى من الخلائق ، وشنق رجلاً على عود خيار شنبر ، وشنق جماعة كثيرة من النـاس ، ووسّط ، وخوزق ، واقترح لهم أشياء في عذابهم ، فكان يخوزقهم في أضلاعهم ، ويسميه شكّ الباذنجان ، وقتل بمصر أكثر من عشرة آلاف رجل ، راح أغلبهم ظلماً (اعلام النبلاء ٥/٤٣٣) .

وعاقب ملك الأمراء ، نائب السلطان بمصر ، فتى سرق ثوراً ، بأنّ أمر به فقطع أنفه ، وأذنه ، وأشهر على الثور المسروق ، ثم قتله بإقعاده على الخازوق . (بدائع الزهور ٥/٣٥٨) .

وفي السنة ١٠١٧ تولّى الحكم بدمشق سنان باشا ، المعروف بكجك سنان لقصره ، وحارب السكبانية المتّفقين مع عرب المفارجة ، فقتل منهم نحو ثلثمائة ، وأمسك منهم نحو خمسين رجلاً ، دخل بهم إلى دمشق راكبين الجمال ، وعلى كتف كلّ واحد منهم خشبة طويلة ، هي خازوق له ، وفي اليوم الثاني ، أتلفوهم بالخازوق ، وفرّقوا أجسادهم على المحلّات بدمشق ، وكان أحدهم أقرع أشقر ، لما ضرب الخازوق في بدنه ، كان يطلب الماء فلا يسقى ، ثم إنّه في الليل هرب من الخازوق ، ومشى من تحت القلعة إلى أن دخل في سوق برّا ، فوجد في الصباح ميتاً ، وهو إلى القبلة ، وما علم الناس كيف نزل عن الخازوق ، مع أنّه مربوط اليدين ، موثق الرجلين . (تراجم الأعيان ٢/٢٣٣ وخطط الشام ٢/٢٥٥) .

وفي السنة ١٠٩٨ كان والي حماة ، إذا غضب على شخص أمر به فأعدم بإقعاده على الخازوق (خطط الشام ٢/٢٧٧) .

وفي السنة ١٢١٥ قتل سليمان الحلبي ، الجنرال كليبر قائد الجيش الفرنسي بمصر ، فحكمت عليه المحكمة العسكرية ، التي شكّلت لمحاكمته

بالقاهـرة ، بأن تحـرق يده اليمنى ، وأن يـوضع على الخـازوق حتى يموت . (الجبرتي ٢/ ٣٨٩) .

ومما يجدر ذكـره ، أنّ الفرنسيّين احتفـظوا بالهيكـل العظمي لسليمـان، وعرضوه في متحف حديقة الحيوان والنبات بباريس ، كما احتفـظوا بجمجمته في غرفة التشريح بمدرسة الطبّ بباريس ، كما أنّ الخنجر الـذي استعمله في قتل الجنرال كليبر حفظ في مدينة كاركاسون بفرنسا . (الاعلام ٣/ ١٩٧) .

وفي أيّـام الجزار (ت ١٢١٨) حصلت فتنـة في بلاد بشـارة ، فـأرسـل الجـزار على العصاة عسكـراً قتلوا منهم ما ينيف على ثلثمـائة رجـل ، وأسروا عـدداً منهم ، فـأحضـروا إلى عكـا ، حيث جعلهم الجـزار على الأوتـاد (أي أقعدهم على الخازوق) وقتلهم (خطط الشام ٣/ ١٩ و٢٠) .

وذكـر الجبرتي ، أنّ كـاشف الغربيـة، كـان يخـوزق النـاس. (تـاريـخ الجبرتي ٣/ ٥٧) .

وفي السنة ١٢٣٠ خوزقوا شيخ عرب بلي ، فيما بين العزب والهـايل ، بالديار المصرية ، بعد حبسه أربعة أشهر (الجبرتي ٣/ ٤٧٦) .

وفي السنة ١٢٣١ تعرّض بعض العيّارين بالقاهرة ، لقهوة الباشا بشبرا ، وسرقوا جميع ما بالنصبة من الأواني والبكـارج والفناجين والـظروف ، فأحضـر الباشا بعض أرباب الدرك بتلك الناحية ، وألزمه بإحضار السـرّاق والمسروق ، وإنّـه لا يقبل لـه عذراً في التـأخير ، فـآستهمله أيـامـاً ، ثم أحضـر المسـروق بأجمعه ، وأحضر خمسة أشخـاص كانـوا هم السرّاق ، فـأمر البـاشا بـالسرّاق فخـوزقـوا في نـواحي متفـرّقـة ، بعـد أن قـرّروهم على أمثـالهم وعـرفـوا عن أماكنهم ، وجمع منهم زيادة على الخمسين ، وشنق الجميع في نواحي متفرّقة بالأقاليم مثل القليوبية والغربية والمنوفية (الجبرتي ٣/ ٥١٥) .

طرائـــف

أمر المتوكل العباسي ، بأنّ تدسّ في دبر نديمه ابن حمدون ، فجلة .

ذكر أنّ أبا إسحاق الأهوازي ، عابر الرؤيا ، حمل إلى المتوكّـل ، فلما أدخـل عليه ، قـال المتوكـل لنديمـه ابن حمدون : اعبث بـه ، فقـال لـه ابن حمدون : متى تعلّمت العبارة (أي تفسير الرؤيا) ، فقال له : أنا معبّر ، قبل أن تكون مضحكاً ، قال : فما تقول في رؤيا رأيتها ؟ قال : ومـا هي ؟ قال : رأيت كأنّ أمير المؤمنين حملني على فـرس أشهب أخضر الـذنب ، قال : إن صدقت رؤياك ، فإنّ أمير المؤمنين يأمر بـأن يدخـل في آستك فجلة ، فيغيب أصلهـا الأبيض ، وتبقى الخضرة بين فخـذيك ، فضحـك المتوكّـل ، وقال : صدقت رؤياك يا ابن حمدون ، هـاتوا فجلة ، فقـال له : يـا أمير المؤمنين ، أنت أمرتني ، قال : ولكنّك رأيت الرؤيا قبل أمـري لك ، وأمـر بأن يفعـل به ذاك، ففعل (الهفوات النادرة ٢٣٠ و٢٣١) .

ورفـع إلى القاضي عبـد المعطي بن محمـد الـريشي ، نـائب القـاضي الحنفـي بالقاهرة (ت ٨٣٣) شاب آتّهم بأنّه فسق بصبيّ ، فأمر من بحضرته من الفعلة أن يفسقوا به ، قصاصاً بزعمه لما صنع (الضوء اللامع ٥/٨٢) .

وجـاءت امرأة إلى أبي العـطوف القاضي بفتى ، فقالت: إنّ هذا آفتض ابنتي ، فقال للرجل : أفعلت ؟ قال : نعم ، قال : ولم ؟ قال : لاعبتني آمرة

مطاعة ، فقمرتني ، فأدخلت في آستي مـدقّة الهـاون ، ولاعبتها ، فقمـرتها ، فافتضضتها ، فقال أبو العطوف : يا هـذه ، إنّ الذي أدخلت ابنتـك في آست هذا ، أشدّ مما أدخل هذا في حر آبنتك . (البصائر والذخائر ٤/٢٣٣) .

ويتنـدّر البغداديّـون ، بقصّة فتى تـدهـدى من أعلى السلم ، وكـان في أسفل السلم إبريق ، فدخلت البلبلة فيه ، فقال : الحمد لله ، فقيل له : على مَ تحمد الله ؟ فقال : أحمده لأنّ البلبلة صادفت ثقبـاً فدخلت فيـه ، ولو أنّهـا صادفت بطني أو صدري لخرقته وقتلتني .

القسم الثاني

التعرّض للدبر بألوان أخرى من العذاب

وثمة ألوان أخرى من العذاب ، حصل فيها التعرّض للدبر ، منها ما صنعه عمر بن هبيرة ، أمير العراقين ، بسعيد الحرشي ، عامله على خراسان ، لما عزله عنها ، فإنّه نفخ في دبره النمل (العيون والحدائق ٣/ ٨٤ والحيوان للجاحظ ٤ /٣٣) .

أقول : كان عمر بن هبيرة أمير العراق ، بعث في السنة ١٠٤ جميل بن عمران إلى خراسان ، لينظر في الدواوين ، فقيل للحرشي عامل خراسان : ما قدم جميل لينظر في الدواوين ، وانما قدم ليتعرّف أخبارك ، فسمّ الحرشي بطيخة ، وبعث بها إلى جميل ، فأكلها ومرض ، وتساقط شعره ، وعاد إلى ابن هبيرة ، فعولج ، وصحّ ، وقال لابن هبيرة : إنّ الحرشي لا يرى إلاّ أنّك عامل من عمّاله ، فغضب ابن هبيرة ، وعزل الحرشي ، وأحضره ، واعتقله ، وعذّبه بأن نفخ في دبره النمل ، ولما ورد خالد القسري عاملاً في العراق ، وحبس ابن هبيرة ، وفرّ من حبسه ، بعث خالد سعيداً الحرشي في طلبه ، فأدركه قبل أن يقطع الفرات ، فقال لعمر بن هبيرة : يا أبا المثنّى ، ما ظنّك بي ؟ قال : ظنّي بك أنّك لا تدفع رجلاً من قومك ، فقال له : هو ذاك ، فالنجاء ، وتركه ، وعاد عنه (الطبري ٧/ ١٥ و١٧) .

وفي السنة ١٠٦ كانت الوقعة بين المضريّة واليمانيّة ، في أرض بلخ ،

وانتصر المضريّة ، فقال لهم أحد قوّادهم : لا تقتلوا الأسرى ، بل جرّدوهم ، وجوبوا (اكشفوا) سراويلاتهم عن أدبارهم ، ففعلوا . (الطبري ٧/٣٢) .

وفي السنة ٢٥١ حاصر أبو أحمد (الأمير الموفّق العباسي) وجند الأتراك ، بغداد ، وفيها المستعين ، وأميرها محمد بن عبد الله بن طاهر ، وكان على السور بباب الشماسيّة (الصليخ) من الرماة جماعة ، فكان مغربيّ يجيء حتى يقرب من الباب ، ثم يكشف آسته ، ثم يضرط ويصيح ، فحرّر عليه أحد الرماة سهماً ، فأنفذه في دبره ، فقتله (الطبري ٩/٣٠٥) .

ومارس هذا اللون من العذاب ، المعتضد مع أحد اللصوص ، إذ آحتال عليه بكلّ حيلة ، وعذّبه ألوان العذاب ، فلم يقرّ بالسرقة ، ثم احتال عليه بحيلة أخرى فأقرّ ، وهو لا يعي ، وأرشد إلى موضع المسروق ، فأمر المعتضد به ، فشدّ يداه ورجلاه ، وأمر بمنفاخ فنفخ في دبره ، وحشى قطناً في أذنيه ، وفمه ، وخيشومه ، وظلّ ينفخ فيه حتى أصبح كالزقّ المنفوخ ، وورمت سائر أعضائه ، حتى كاد أن ينشقّ ، ثم أمر ففصد له عرقان فوق الجبين ، فخرجت الريح منهما مع الدم ، إلى أن خمد وتلف ، راجع تفصيل القصّة في مروج الذهب ٢/٥٠٧ ـ ٥٠٩ .

وفي السنة ٤٨٩ عذّب الملك رضوان ، في حلب ، بركات بن فارس الفوعي ، بأن نفخ في دبره بالكير . (اعلام النبلاء ١/٣٧٥) .

وفي السنة ٥١٠ أقطع السلطان محمد ، الأمير جاولي سقاوو ، بلاد فارس ، فحاصر أبا سعد بن ممّا في قلعته بمنطقة كازرون ، وكانت حصينة ، فأقام عليها سنتين ، ولم يظفر ، فبعث إلى أبي سعد رسولاً ، فقتل أبو سعد الرسول ، فبعث إليه جماعة من الصوفيّة ، فأطعمهم أبو سعد الهريسة والقطائف ، ثم أمر بهم ، فخيطت أدبارهم ، وألقوا في الشمس ، فهلكوا . (ابن الأثير ١٠/٥١٨) .

وفي السنـة **٦٩٣** لما تـآمر بعض الأمـراء بمصـر ، على السلطان الملك الأشـرف خليل ، وضـربوه بـالسيوف ، جـاء سيف الدين بيـدرا رأس نـوبـه ، وأدخل فيه السيف من أسفله وشقّه إلى حلقه . (فوات الوفيات ١/ ٤٠٧) .

الباب التاسع

التعذيب بالتعرّض للجوارح

الجرح والاحتراج : الكسب .

والجوارح : أعضاء الانسـان ، سمّيت جوارح ، لأنّهنّ يجتـرحن الخير والشرّ ، أي يكسبنه .

وقـد قسمنا هـذا الباب المتعلّق بـالتعـذيب بـالتعـرّض للجـوارح ، الى فصلين :

الفصل الأوّل : التعرّض للعين بالسمل .

الفصل الثاني : التعرّض لبقيّة الجوارح ، وقسمناه الى ستّة أقسام

القسم الأوّل : قطع الأطراف أي الأيدي والأرجل

القسم الثاني : سلّ اللسان .

القسم الثالث : جدع الأنف وصلم الأذن .

القسم الرابع : قلع الأضراس .

القسم الخامس : سلّ الأظافر

القسم السادس : خلع المفاصل .

الفصل الأول

السمل

السمل ، وقد يسمّى : **الكحل** ، إزالة البصر من العين ، بآلة حادة ، أو بدواء كالكحل ، يوضع فيها ، وتربط عليه الأجفان .

وكان السمل من نصيب الطبقة العالية ، إذ كان مقصوراً على الخلفاء والملوك ، والوزراء ، والقوّاد ، والدعاة .

ولم يكن السمل معروفاً في القرن الأوّل الهجري ، وندر أن مارسه أحد في القرن الثاني ، إذ لم يمارسه إلا أسد القسري ، ضدّ أحد الدعاة العباسيّين ، كما مارسه مروان الحمار ، ضد يزيد بن خالد القسري ، بأن أحضره أمامه ، ومدّ أصابعه فاّقتلع عينيه بيده ، ومارسه المنصور ضدّ شخص شتمه ، فأمر به فدقّت الأوتاد في عينيه ، وضرب محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فأصاب السوط إحدى عينيه ، فسالت . فلما حلّ القرن الثالث أصبح السمل أسلوباً رسميّاً من أساليب التعذيب ، يمارسه المتغلّبون ضد خصومهم السياسيّين ، وأصبح صناعة معروفة ، بحيث أنّ الراضي لما أراد أن يسمل عمّه القاهر ، أحضر طبيباً ، وسأله « عمّن يحسن أن يسمل » ، فذكر له رجلاً ، فأحضره ، وقام بالعمل المطلوب فيه .

ويتّضح لنا من كتاب « البرق اليماني » أنّ السمل كان في القرن العاشر الهجري ، في اليمن ، يمارسه القائد المنتصر ، في أسراه ، إذ كانت خاتمة

الأسير ، واحدة من اثنتين ، اما القتل بقطع العنق ، واما السمل ، وإنّ سلمان الريس ، أحد قوّاد العثمانيّين ، لما دخل مدينة زبيد باليمن ، في السنة ٩٣٣ ، على أثر معركة أسر فيها جماعة من الجنود ، مع قائدهم ابن حمزة ، فكان يأمر بقتل البعض، وبسمل عيون البعض الآخر ، إلى أن سمل عيون طائفة كبيرة ، أوّلهم ابن حمزة (البرق اليماني ٥١ و٥٢) .

وفي كتاب « سياحة في آسيا الوسطى » قصّ علينا مؤلّفه ، وهو يهوديّ مجريّ ، سافر إلى آسيا الوسطى ، متنكّراً باسم الحاج محمد رشيد افندي ، ان التعذيب بالسمل كان يمارسه حكّام امارة خيوه في آسيا الوسطى ، بأن يطرح المعذب على الأرض ، وقد ربطت يداه الى ظهره ، ثم تحصّ عيناه بالسكّين أو الموسى ، راجع كتابنا موسوعة الكنايات العامية البغدادية ج ١ ص ٥٧٥ و٥٧٦ .

وأوّل من مارس هذا اللون من العذاب ، أسد بن عبد الله القسري ، عامل خراسان لبني أميّة ، إذ قبض في السنة ١١٨ على عمّار بن يزيد ، الداعية العباسيّ ، الملقّب بخداش ، فلما مثل بين يديه سأله عن حاله ، فأغلظ خداش له القول ، فأمر به فقطعت يده ، وقلع لسانه ، وسملت عينه ، ثم دفعه الى يحيى بن نعيم الشيباني عامل آمل ، فقتله وصلبه بآمل (الطبري ١٠٩/٧ وابن الأثير ١٩٧/٥) .

ومارس هذا اللون من العذاب من بعده ، مروان الحمار ، آخر الحكّام الأمويّين ، فقد أدخل عليه يزيد بن خالد القسري ، وكان قد حاربه قبل أن يلي الخلافة ، فلفّ مروان منديلاً على إصبعه ، ثم أدخلها في عين يزيد فقلعها ، واستخرج الحدقة ، ثم أدار يده فآستخرج الحدقة الأخرى (فوات الوفيات ١٢٧/٤) .

ومارس هذا اللون من العذاب ، عبد الملك بن قطن الفهري ، أمير

الأنـدلس ، إذ قبض على زيـاد بن عمـرو اللخمي ، وسمـل عينيـه ، وسبب ذلك : إنّ البربر حصروا كلثـوم بن عياض القشيـري ، بسببه، وكـان معه ابن أخيه بلج ، وجند من أهـل الشام ، حتى جـاءوا ، وآستغـاثوا بـوالي الأندلس عبـد الملك ، فتقاعس عن نصـرتهم ، لخوفـه على سلطانه منهم ، فـأغـاثهم زيـاد بن عمرو اللخمي بمـركبين مشحـونين ميـرة ، وبلغ ذلـك عبـد الملك ، فـأخذ زيـاد ، وضربـه سبعمـائـة سـوط ، وسمـل عينيـه ، ثم ضـرب عنقـه ، وصلبه ، وصلب على يساره كلباً ، وعبر بلج إلى الأندلس بجيشه ، وأسر عبد الملك في السنـة ١٢٣ فصلبه بقـرطبة ، وصلب على يمينـه خنـزيـراً ، وعلى يساره كلباً (نفح الطيب ٣/١٩ ـ ٢١) .

وكان داود بن علي العباسي ، يمثّل بمن يعثر عليه من بني أميّة ، يسمل العيون ويبقر البطون ، ويجدع الأنوف ، ويصلم الآذان (شرح نهـج البلاغـة ١٥٦/٧) .

وجيء ببني الحسن ، مغلولين ، الى الـربذة ، وأدخلوا على أبي جعفـر المنصور ، ومعهم العثماني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّـان ، وأمّـه فاطمـة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ، فـأمـر بـالعثمـاني فضـرب بالسياط ، فأخرج كأنّه زنجي ، قـد غيّرت السيـاط لونـه ، وأصاب سـوط منها إحدى عينيه فسالت (مقاتل الطالبيين ٢٢٠) .

ولما حمل إلى المنصور ، رأس محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) ، قال المنصور لمطير بن عبد الله : أما تشهـد أنّ محمداً بـايعني ؟ ، قال : أشهد بالله ، أنّك أخبرتني بأنّ محمـداً خير بني هـاشم ، وأنّك بـايعت له ، فقال له : يا ابن الزانية ، أنا قلت ذلك؟ قال : الزانية ولدتك ، قـال : يا ابن الزانية الفاعلة ، أتدري ما تقول ؟ قـال : التي تعني خير من أمّـك ، فأمـر به ، فوتّد في عينيه ، فما نطق . (المحاسن والمساوىء ١٣٨/٢) .

وفي السنة ١٨٢ سملت عينا ملك الروم قسطنطين بن ليون (الطبري ٨/٢٦٩ والعيون والحدائق ٣/٣٠١) .

وكان أحمد عبد الله الخجستاني له غلام اسمه قتلغ ، وهو على شرابه ، فسقاه يوماً ، فرأى في الكوز شيئاً ، فأمر به فقلعت إحدى عينيه ، فأضمرها له ، واتّفق مع غلام آخر اسمه رامجور ، على قتله ، وقتلاه . (ابن الأثير ٧/٣٠٣) .

وكان القاهر ، محمد بن المعتضد ، من اعظم الناس شرّاً ، وأقساهم قلباً ، وكان يعامل الراضي معاملة سيّئة ، فلما قبض عليه في السنة ٣٢٢ ، كان يعرف ماله عند الراضي ، فعذّب عذاباً شديداً ، وخلع ، وأشار القائد سيما بسمله ، فاستحضر الراضي بختيشوع بن يحيى الطبيب ، وسأله عمّن يحسن أن يسمل ، فذكر له رجلاً ، فأحضر ، وكحل القاهر بمسمار محميّ دفعتين ، فسمل عينيه حتى سالتا جميعاً على خديه (مروج الذهب ٢/٥٥٣ والتكملة ٨٢ والمنتظم ٦/٢٦٥ وتاريخ الخلفاء ٣٨٨ وتجارب الأمم ١/٢٩٢ والعيون والحدائق ج ٤ ق ٢ ص ٢٥) .

وفي السنة ٢٢٣ أوقع توفيل ملك الروم ، بأهل زبطرة ، فخرّب بلدهم ، ومثّل بهم ، فسمل أعينهم ، وقطع آذانهم وآنافهم (العيون والحدائق ٣/٣٨٩) .

وفي السنة ٣٢٧ حمل عبد الصمد بن المكتفي الى دار الخلافة ، فذكر انّه كحل في ليلته ، أي سملت عيناه ، وحمل إلى داره ميتاً . (العيون والحدائق ج ٤ ق ٢ ص ٧٩).

وفي السنة ٣٣١ ظفر ناصر الدولة بعدل البجكمي ، وكان قد عاث في بلاد ناصر الدولة ، فسمله ناصر الدولة ، وسيّره وابنه الى بغداد ، فشهرا فيها . (ابن الأثير ٨/٣٩٤ و٣٩٥) .

وفي السنـة ٣٣١ تنازع الإمـارة بـالعـراق ، القـائـدان التـركيّـان تـوزون (طـوسـون) وجخجـخ ، ثم آستقـرّ الحـال على أن يكـون تــوزون أميـراً ، وجخجـخ صاحب الجيش ، وتصـاهـرا ، ثم بلغ تـوزون أنّ جخجـخ بسبيـل خيانته والإنحياز إلى البريدي ، فسار إليه جريـدة في مائتي غـلام ، وكبسه في فراشه ، فلمـا أحسّ به، ركب دابـة بقميص ، وفي يده لتّ ، ودفـع عن نفسه قليـلًا ، ثم أخـذ ، وحمـل إلى تـوزون ، فحمله الى واسط ، وفي ثـاني يـوم وصوله سمله فأعماه (ابن الأثير ٨/٣٩٧ و٣٩٨) .

وفي السنة ٣٣٣ قبض على اسكورج الديلمي ، وسملت عيناه ، وكانت إليه شرطة بغداد في عهد المتّقي (العيون والحدائق ج ٤ ق ٢ ص ١٥٩) .

وفي السنة ٣٣٢ قلّد ناصر الدولـة الحمداني ، أبـا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان ، (أخا الأمير أبي فراس الحمداني) حلب وأعمالها ، وديار مضر والعواصم ، ومـا يفتحه من بـلاد الشام ، فحـارب أهل الـرقّة ، فـدخلها عنـوة ، وأسـر أميــرهـا محمــد بن حبيب ، وسمـل عينيــه (اعـلام النبــلاء ١/٢٤٧) .

وفي السنـة ٣٣٣ وصـل الخليفـة المتّقي ، إبـراهيم بن جعفـر المقتـدر بـالله ، إلى بغداد ، ونـزل بالسنـدية ، فـاستقبله أمير الأمـراء توزون ، القـائد التركي ، وترجّل له ، وقبّل الأرض بين يديـه ، وأنزلـه في مضرب نفســه ، ثم سمله بحضرة عَلَم ، قهرمانة المستكفي بـالله ، وكانت قـد رتّبت معه ذلـك ، ليكون المستكفي بالله ، خلفـاً له ، وكـان الذي كحله ، اسمـه سنيدي ، من أصحاب عَلَم ، فلما كُحِلَ المتّقي ، صاح ، وصاح النساء والخدم لصياحـه ، فأمر تـوزون بضرب الـدبادب حـول المضرب ، فخفي الصـراخ ، وحمل إلى الحضرة ، مسمول العينين (الاوراق للصولي ، اخبار الـراضي والمتقي ٢٨٢ و٢٨٣ والفخري ٢٨٤ ومروج الذهب ٢/٥٧٥ وتاريخ الخلفاء ٣٩٦ وتجارب الأمم ٢/٧٢ و٧٦ والمنتظم لابن الجوزي ٦/٣٣٨ و٣٣٩) .

أقول : كان هذا التصرّف من توزون ، بعد أن أمّن المتّقي ، وحلف لـه أيمـاناً مؤكّـدة ، بمحضر من القضـاة والعدول والعبـاسيّين والطالبيين ومشـايخ الكتّـاب ، فقـد حلف بحضـرتهم للمتّقي ، وكتب بـذلـك كتـابـاً ، وأحكم ، ووقعت فيـه الشهـادة من جميـع من حضـر على تـوزون . (تجـارب الأمم ٢/٦٧) .

وفي السنة ٣٣٤ اتّهم معزّ الـدولة ، المستكفي ، بـأنّه يكـاتب خصومـه الحمـدانيّين ، فانحـدر إلى دار الخـلافـة ، فسلّم على الخليفـة المستكفي ، وقبّـل الأرض ، وقبّل يـد الخليفـة ، وطـرح لـه كـرسي ، فجلس ، ثم تقـدّم رجلان من الديلم ، فمدّا أيديهمـا إلى المستكفي ، فظنّ أنّهمـا يريـدان تقبيل يده ، فناولهما يده ، فجذباه ، فنكّساه عن السرير ، ووضعا عمامته في عنقه ، وجـرّاه ، وحمـل راجـلاً إلى دار معـزّ الـدولـة (وهي التي كـانت دار مؤنس) فاّعتقل بها ، وخلع من الخلافة ، وسملت عيناه . (المنتظم ٦/٣٤٣ وتاريـخ الخلفاء ٣٩٧ ومروج الذهب ٢/١٩٥ والفخري ٢٨٧) .

وفي السنة ٣٣٤ قبض على عَلَم قهرمانة المستكفي ، فسملت عينـاها ، وقطع لسانها (تجارب الأمم ٢/١٠٠) .

أقول : عَلَم هذه ، اسمها الأوّل حُسْن الشيرازية (بحاء مضمـومة وسين ساكنة) وكـانت جزلـة ، ذات لسان ، تتكلّم بـالعربيـة والفارسيـة ، وهي التي سعت للمستكفي في الخـلافـة ، وكلّمت بعض المتّصلين بتـوزون ، وجمعت بين المستكفي وتـوزون ، إذ أخرجت المستكفي من دار ابن طـاهر ، في زيّ امرأة ، فقام توزون بسمل المتّقي ، واستخـلاف المستكفي في السنة ٣٣٣ ، فلمـا تمّت الخـلافـة للمستكفي ، غيّـرت اسمهـا ، وجعلتـه عَلَم (بعين ولام مفتوحين) وصارت قهرمانـة للمستكفي ، واستولت على أمـره كلّه ، واتّخذت لها حاشية من شرار الناس ، ألبستهم سيوفاً ومناطق ، وصـاروا حجّابـاً في دار الخلافة ، وأخذت تتولّى عرض الغلمان والحجّاب والرجّالة في دار الخلافة ،

وأخذ حاشيتها يكبسون التجار والمستورين ويسلبون أموال النـاس ظلماً ، وفي السنة ٣٣٤ مات توزون ، واستولى أبـو الحسين أحمد بن بـويه على بغـداد ، ودخل على المستكفي فلقّبه معز الدولة ، كما لقّب أخويه عماد الدولة ، وركن الـدولة ، واستحلف المستكفي معـز الدولـة لنفسه ، ولعَلَم قهـرمانتـه ، ولأبي أحمـد الشيرازي كـاتبه ، وهـو زوج ابنة عَلَم ، ثم انّ معـز الدولـة ارتـاب في تصـرّفات عَلَم ، وسـاء ظنه فيهـا ، لأنّها أخـذت تقيم الولائم لقـوّاد الـديلم ، وتداخلهم ، فاّتهمها بأنّها تريـد إفسادهم عليـه ، وعلم بما سبق من جسـارتها وإقدامها على قلب الدول ، فخلع المستكفي ، وقبض على علم هذه وسملت عينـاها ، ثم قـطع لسانهـا ، راجع التفصيـل في تجـارب الأمم ٢/٧٥ و٨٥ و٨٦ و١٠٠ .

وفي السنـة ٣٣٤ استعان أبـو سالم ديسم بن إبـراهيم الكـردي ، بسيف الدولة الحمداني فأعانه ، فقصد مدينة سلماس ، وملكها ، وخطب بها لسيف الدولة ، وكان السلار المرزبان بن محمد غائباً بناحيـة باب الأبـواب ، مشغولاً بقوم خرجوا عليه هناك ، فلما عاد وأصلح أمره ، قصد ديسماً ، فاستأمن رجال ديسم الى سـلار ، وفـرّ ديسم فـالتجـأ الى ابن الـديـراني صـاحب ارمينيـة ، مستجيراً به ، فقبله ، ثم غدر به ، وقبض عليـه وقيّده ، وحمله إلى السـلار ، فسمل عينيه ثم قتله (تجارب الأمم ٢/١٦١) .

وفي السنة ٣٣٤ خلع الجند الساماني بنيسـابور ، طـاعة أميـرهم نوح ، صاحب خراسان وما وراء النهر ، ورأسوا عليهم إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الساماني ، عمّ نوح ، وبعد معارك عدة ، تصالح إبراهيم ونوح ، ثم إنّ نـوحاً آرتـاب بعمّه إبـراهيم ، فقبض عليـه وعلى أخـويـه محمـداً وأحمـد ، فسمـل أعينهم ، وقتل طغان الحاجب (ابن الأثير ٨/٤٥٩ ـ ٤٦١ و٤٦٥) .

وفي السنة ٣٣٥ أسر ناصر الدولة الحمـداني ، تكين الشيرزادي القـائد

التركي ، فسمل عينيه ، ثم أنفذه الى قلعة من قلاعـه ، فاعتقله بهـا (تجارب الأمم ٢/ ١١٠) .

وفي السنــة ٣٥٧ أصيب الأمير اليسـع بن أبي علي بن أليــاس ، في خوارزم ، برمد شديد فحمله الضجر ، على أن قلع عينه الرمـدة بيده ، وكـان ذلك سبب هلاكه . (ابن الأثير ٨/ ٥٨٥ ـ ٥٨٧) .

أقول : تذكّرني هذه القصّة ، بقصّة مماثلة ، قصّها علينا المستر ريـج ، المقيم البريطاني ببغداد ، في أيّام الوزير داود بـاشا ، فقـد ذكر أنّـه زار عثمان باشا بابان في السليمانيّة ، فوجد عنده أحد الرؤساء ، بعين واحـدة ، والأخرى غائرة عليها أثر جرح بليغ ، وذكروا له إنّ الرجل ، وكان شديد الحدّة ، وقعت على عينه ذبابة ، فطردها ، فعادت ، وعـاود الطرد ، فعـاودت العودة ، ووالى طردها ، فوالت عودتها ، حتى ملأته غيظاً ، فسـلّ خنجره ، وطعن بـه عينه ، فسالت العين ، وفرّت الذبابة .

وفي السنـة ٣٦٣ أصعـد بختيـار إلى المـوصـل ، لمحـاربـة أبي تغلب الحمداني ، فارتفع عنه أبـو تغلب ، واحتلّ بختيـار الموصـل ، ثم تمّ الصلح بينهما ، وآنحدر بختيار ، ودخل أبو تغلب الموصـل ، وظفر بجمـاعة ، كـانوا مالوا إلى بختيار ، فسمل أعينهم (تجارب الأمم ٢ / ٣٢٠) .

وفي السنـة ٣٦٦ اعتقل مؤيّـد الـدولـة البـويهي ، وزيـره أبـا الفتـح بن العميد ، وسمل عينه الواحدة ، ونكّل به ، وجزّ لحيته ، وجدع أنفـه ، وعذّبـه بــأنــواع العــذاب إلى أن تلف (معجم الأدبــاء ٥/ ٣٤٩ و٣٥٠ وابن الأثيــر ٨/ ٦٧٥) .

أقـول : كان أبـو الفتح بن العميـد الملقّب بذي الكفـايتين (أي كفايـة

السيف والقلم) قد وزّر بعد أبيه لركن الدولة البويهي ، ثم لولده مؤيّد الدولة ، ونال الوزارة وهو ابن ٢٢ سنة ، وقتل وهو ابن ٢٩ سنة ، وسبب قتله انّه تمكّن من الدولة ، وسيطر علي الجند والقوّاد ، فخيفت عائلته ، فقبض عليه مؤيّد الدولة ، وحمله إلى بعض القلاع ، ثم أنهض إليه من تكفّل بتعذيبه ، فنكّل به، وسملت عينه الواحدة ، وجزّت لحيته ، وجدع أنفه ، وعذّب بأنواع العذاب إلى أن تلف .

وفي السنة ٣٦٧ بعث عضد الدولة إلى ابن عمّه بختيار ، يطالبه بتسليم ابن بقيّة وزيره ، فسمله بختيار ثم بعث به إلى عضد الدولة ، وسمل معه صاحبه المعروف بابن الراعي ، وحمل ابن بقيّة مسمولاً إلى عضد الدولة ، وكان نازلاً بالزعفرانية (وهي منطقة جنوبي بغداد ، وما زال هذا اسمها) فأشهر في العسكر على جمل ، ثم طرح إلى الفيلة (تجارب الأمم ٢/٣٧٧ و ٣٨٠).

وفي السنة ٣٧٠ قتل نقفور ملك الروم ، وسملت عين أخيه لاون (ذيل تجارب الأمم ١٣) .

وفي السنة ٣٧٦ اصطلح الأخوان صمصام الدولة وشرف الدولة ولدا عضد الدولة البويهي ، ثم مال العسكر إلى شرف الدولة ، فانحدر صمصام الدولة إلى أخيه راضياً بما يعامله به ، فلمّا وصل إليه ، قبّل الأرض بين يديه ثلاث دفعات ، ثم قبّل يده ، فقال له أخوه : تمضي وتغيّر ثيابك ، وتتودّع من تعبك ، وحمل إلى خيمة وخركاه قد ضربا له من دون سرادق ، ثم أمر به فحمل إلى إحدى القلاع ، ومرض شرف الدولة في السنة ٣٧٩ ، فألحّ نحرير الخادم على شرف الدولة في قتل أخيه صمصام الدولة ، فأبى ، فألحّ عليه أن يسمل عينيه ، فأنفذ فرّاشاً اسمه محمد لسمل عيني صمصام الدولة ، وأعطاه « شيئاً » أمره أن يكحله به ثلاثة أيّام ، وأن يشدّ عليه عينيه ، وكان

الفرّاش في طريقه إلى صمصام الدولة لمّا توفّي شرف الدولة ، ولكنّ أمره بسمل أخيه نفّذ رغم موت الآمر (ذيل تجارب الأمم ١٤٩ ١٥٠ ، والمنتظم ١٣٢/٧ ، وابن الأثير ٤٨/٩ و٦١ وتاريخ الخلفاء ٤٠٩) .

وفي السنة ٣٨١ خلع الخليفة الطائع ، وأسلم إلى خلفه القادر بالله ، بعد أن سملت عيناه ، وقطعت قطعة من إحدى أذنيه ، ولما تسلّمه القادر بالله ، تقدّم بجدع أنفه ، فقطع يسير من مارن أنفه ، مع ما كان قطع أوّلاً من أذنه ، وتوفّي الطائع في السنة ٣٩٣ . (شذرات الذهب ١٤٣/٣) .

أقول : لم يرد في الكامل لابن الأثير ٧٩/٩ ـ ٨٢ ، وفي تجارب الأمم ٢٠١/٢ ـ ٢٠٨ أي ذكر لسمل الطائع ، أو لقطع أذنه ، أو جدع أنفه ، إلا أنّني وجدت في المنتظم ١٥٧/٧ أنّ الخلافة لما تقرّرت للقادر ، وكان لاجئاً في البطيحة خوفاً من الطائع ، أنفذ إليه مع الرسل قطعة من أذن الطائع ، راجع تعليقي على هذا الخبر في حاشية القصة ١٥٨/٧ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ج ٧ ص ٢٨١ .

وفي السنة ٣٨٩ تآمر قائدان سامانيان ، هما بكتوزون وفائق ، على أميرهما منصور بن نوح الساماني ، صاحب بخارى وما وراء النهر ، فخلعاه ، وسملا عينيه ، فعمي ، وأقاما مقامه أخاه عبد الملك ، وهو صبي صغير (ابن الأثير ١٤٥/٩) .

أقول : ذكر صاحب معجم أنساب الأسرات الحاكمة (ص ٢٩٢) إنّ السمل حصل في السنة ٣٨٦ وإنّ الذي قام به هو الأمير أبو الفوارس بكتوزون .

وفي السنة ٣٩٢ تآمر أبو عبد الله الحيري ، كاتب الحسن بن المسيّب ، وهو من شرار الخلق ، على أبي الحسين بن شهرويه ، كاتب قرواش ، وأبي عبد الله المستخرج ، وكيل قرواش ، فقتلهما ، وقتل كثيراً من

الناس غيرهما ، وسمّ سيّده الحسن ، فأغروا به مرح ، أخا الحسن بن المسيّب ، الذي خلفه في ضمان الموصل ، فقبض عليه ، وسمل عينيه ، فمات ، فلما دفن ، نبش أهل الموصل قبره ، وأحرقوه لسوء معاملته لهم ، وما قدّمه من القبيح إليهم (تاريخ الصابي ٨/٤٤٤ - ٤٤٦) .

وفي السنة ٣٩٢ قبض عميد الجيوش بواسط على أبي القاسم بن العاجز ، وأمر به فسملت عيناه ، ثم قطعت عنقه ، وطيف برأسه في جانبي مدينة السلام (تاريخ الصابي ٨/٤٤٢) .

وفي السنة ٣٩٨ كثرت العملات ببغداد ، وكبس الذعّار عدّة مواضع ، وقصد قوم منهم مسجد براثا ليلة الجمعة ، وأخذوا حصره ، وستوره ، وقناديله ، فجدّ أصحاب الشرطة في طلبهم ، فظفروا ببعضهم ، فشهروا ، وكحلوا ، وقطعوا (المنتظم . /٢٣٧) .

وفي السنة ٤١١ ملك مشرّف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة البويهي ، العراق ، وكان الجند قد شغبوا على سلطان الدولة ببغداد ، وأرادوا أن يبايعوا أخاه مشرّف الدولة ، فأراد سلطان الدولة أن يعتقله ، فلم يتمكّن ، وانحدر إلى واسط ، ونصب أخاه مشرّف الدولة نائباً عنه ببغداد ، فلما وصل سلطان الدولة الى تستر ، استوزر ابن سهلان ، وكان قد وعد أخاه مشرّف الدولة أن لا يستوزره ، فاستوحش منه مشرّف الدولة ، وقطع خطبته بالعراق ، فسيّر إليه جيشاً بقيادة ابن سهلان ، فالتقى الجيشان بواسط ، وكان النصر لمشرّف الدولة، وقبض على ابن سهلان ، فكحله وأعماه (ابن الأثير ٩/٣١٧و٣١٨) .

وفي السنة ٤٢١ توفّي السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، وأوصى بالملك لابنه محمد ، وكان أصغر سنّاً من أخيه مسعود ، فطالب مسعود بالسلطنة ، وحارب أخاه محمداً وتسلطن في موضعه ، وسمل أخاه وحبسه (ابن الأثير ٩/٣٩٨ - ٤٠٠ و٤٨٥ والوافي بالوفيات ٥/٨) .

أقـول : جـاء في معجم الأنسـاب الأسـرات الحـاكمـة (ص ٤١٦) أنّ الأخوين محمد ومسعود توأمان .

وفي السنة ٤٣٩ قبض الأكراد اللّرية ، على سرخاب أخي أبي الشوك ، لأنّـه أساء السيـرة فيهم ، ووترهم ، وحملوه إلى إبـراهيم ينـال ، فقلع إحـدى عينيه (المنتظم ١٣٢/٨ وابن الأثير ٥٣٦/٩) .

وفي السنة ٤٤١ طلب السلطان طغرل بك من أخيه لأمّه إبراهيم ينال بن يـوسف أن يسلم إليه مـدينة همـذان ، فامتنـع ، واتّهم وزيره أبـا علي بالسعي بينهمـا بالفسـاد ، فقبض عليه ، وأمـر به فضـرب بين يـديـه ، وسمـل إحـدى عينيه ، وقطع شفتيه . (ابن الأثير ٥٥٦/٩) . .

وكـان الأمير ألـطنطاش ، الـذي استولى على صـرخد وبصـرى ، سمل عيني أخيـه خطلخ ، ونفـاه ، ولما عـزل ألطنـطاش وعاد إلى دمشق ، حـاكمه خطلخ إلى الشرع ، وسملت عيناه قصاصـاً ، فبقيا أعميين (الـوافي بالـوفيات ٣٦٩/٩) .

ولمـا تسلطن ملكشاه ، خلفـاً لوالـده ألب أرسلان ، حـاربه عمّـه قاورد بك ، وآنكسر ، فأسره ملكشـاه ، وخنقه ، وجمـع أولاد عمّه قـاورد ، وصهره إبراهيم ينال ، وكحلهم بين يديه ، وقدّم أوّلهم سلطان شاه إسحاق بن قاورد ، وهو أكبرهم ، وكان شاباً كما بقل عذاره ، فأخذ إخـوته الصغـار ، واحداً بعـد واحـد ، وجعل يضمّهم إليـه ، ويقبّلهم ، ويقول لهم : هـذا قضاء الله ، فـلا تجـزعوا ، فـإنّ الموت يـأتي على جميع النـاس ، وكحل ، وكحلوا ، فمـات منهم اثنان ، وظلّ سلطان شاه معتقلاً من السنة ٤٦٥ في همذان ، ثم فـرّ إلى كرمان ، وتملّك هناك ، حتى مات في السنة ٤٧٦ (نكت الهميان ١١٨) .

ووجـدت أنّ الصفدي ، صـاحب نكت الهميان ، اشـار إلى هذا الخبـر في كتابه الوافي بالوفيات ٤٢١/٨ اذ ذكر ان إسحاق بن قاورد بك ، لمّـا سمل

هو واخوته ، اعتقل في همذان في السنة ٤٦٥ ، وفي السنة ٤٦٦ دبّر سلطان شاه حيلة مع بعض الموكّلين به ، فنقبوا له السقف ، وفرّ ومعه أخوه ، إلى كرمان ، وعاد إلى الحكم هناك مقام أبيه ، إلى أن توفّي في السنة ٤٧٦ فقصدت أمّه السلطان ملكشاه بهدايا وألطاف ، فأكرمها ، وأقرّ أخا سلطان شاه في موضعه .

أقول : ورد اسم عمّ ملكشاه ، في نكت الهميان (فاورت) مصحّفاً ، كما ورد في الوافي بالوفيات (فاورد بل) مصحّفاً ايضاً ، والصحيح : قاورد بك ، وقد ورد اسمه في الكامل لابن الأثير (قاورت) وفي معجم زامباور (قاورد) ، وفي المعجم الذهبي : إن « قاورد » بالفارسية ، اسم لنوع من الحلوى ، وقاورد هذا ، أو قاورد بك ، أخو السلطان ألب أرسلان ، وكان حاكماً على كرمان منذ السنة ٤٣٣ باسم السلطان عماد الدين قرا أرسلان قاورد بن داود ، فلمّا تسلطن أخوه السلطان عضد الدولة أبو شجاع محمد ألب أرسلان بن داود ، تحرّك عليه في السنة ٤٥٩ وأراد السلطنة لنفسه ، فسار إليه أخوه السلطان ألب أرسلان ، وحاربه ، فانفلّ عسكر قاورد واستسلم إلى أخيه ، فعفا عنه أخوه ، وأعاده إلى مملكته ، وأكرمه إكراماً زائداً، وأقرّ قاورد في سلطنته على كرمان ، فلما قتل ألب أرسلان في السنة ٤٦٥ وبويع ولده ملكشاه بالسلطنة ، تحرّك قاورد مجدداً يريد السلطنة لنفسه ، وجرت المعركة بين جنده وجند ملكشاه ، فانفلّ جيش قاورد ، وأحضر هو أسيراً أمام ملكشاه ، فأمر به فخنق ، وأقرّ كرمان بيد أولاده ، أي أولاد قاورد ، وفي المنتظم : إن ملكشاه لما أحضر أمامه عمّه أسيراً، قال له : يا عمّ ، أما تستحي من هذا الفعل، اطّرحت وصيّة أخيك، وأظهرت الشماتة به، وقصدت ولده، ثم أمر باعتقاله في همذان ، ولما وافاها ملكشاه ، أمر به فخنق ، ويظهر من معجم زامباور ، ما يؤيد ما جاء في تاريخ ابن الأثير ، بأنّ ملكشاه أقرّ حكم كرمان لأولاد عمّه قاورد ، وقد جاء في معجم زامباور ان كرمان شاه ، خلف

أباه قاورد في حكم كرمان في السنة ٤٦٦ ، ثم خلفه أخوه سلطان شاه بن قاورد في السنة ٤٦٧ ثم خلفه اخوه توران شاه بن قاورد في السنة ٤٧٧ ، وذكر ابن الأثير في الكامل : إن ملكشاه قصد بعسكره كرمان في السنة ٤٧٢ فخرج إليه سلطانها سلطان شاه ، وهو ابن عم ملكشاه ، وتلقّاه ، وهاداه ، وخدمه ، فأقرّه على كرمان ، ولم أجد في جميع ما لديّ من المراجع ، ما يؤيّد ما جاء في نكت الهميان ، عن سمل عيون أولاد قاورد بك ، وعن اعتقال سلطان شاه ، ولا أدري من اين جاء صاحب نكت الهميان بهذا الخبر ، وقد أثبتُّ ما قاله وما ناقضه ، والحكم للقارىء ، راجع ابن الأثير ١٠/٥٣ ، ٧٩ ، ١١٥ ومعجم الاسرات الحاكمة لزمباور ٣٣٣ و٣٣٥ والمنتظم ٨/٢٧٨ .

وفي السنة ٤٩٠ خالف أمير أميران ، على السلطان بركياروق ، فحاربه السلطان سنجر ، وأسره ، وسمل عينيه (الكامل لابن الأثير ١٠/٢٦٦) .

وفي السنة ٤٩١ عصى الأمير دولت شاه على السلطان سنجر السلجوقي ، فحاربه ، وأسره سنجر ، فحبسه ، وكحله (ابن الأثير ١٠/٢٧٩) .

وفي السنة ٤٩٥ وقع الصلح بين السلطان بركياروق ، وأخيه السلطان محمد ولدي السلطان ملكشاه ، فنسب السلطان محمد ، للأمراء الذين كانوا معه ، ممن وافق على الصلح ، وسعى فيه ، أنّهم خامروا عليه ، فقتل الأمير بسمل ، وكحل الأمير إيتكين (ابن الأثير ١٠/٣٣٢) .

وفي السنة ٥٠٠ اقطع السلطان محمد ، الأمير جاولي سقاوو ، الموصل ، وكان جاولي قد استولى على البلاد التي بين خوزستان وفارس ، وأقام بها سنين ، وعمّر قلاعها ، وأساء السيرة في أهلها ، وقطع أيديهم ، وجدع أنوفهم ، وسمل أعينهم (ابن الأثير ١٠/٤٢٢) .

وكان أبو البركات الأنصاري الدمشقي ، المعروف بابن البقلي ، قد وزّر لصاحب حمص ، ثم بلغه إنّه يكاتب صاحب دمشق ، فقبض عليه ، وكحله ، وتوفّي أبو البركات سنة ٥١٧ (النجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٧) .

وفي السنة ٤٧٤ دسّ ابن بهمنيار ، كاتب خمارتكين الشرابي ، على الوزير نظام الملك ، وزير السلطان ملكشاه السلجوقي ، فقبض على ابن بهمنيار ، وسمل . (المنتظم ٨/ ٣٣٠) .

وفي السنة ٤٧٥ هلك أحمد بن سليمان بن محمد بن هود ، الملقّب بالمقتدر بالله ، وكان أبوه قد قسم مملكته بين أولاده ، فاحتال أحمد على ثلاثة من إخوته ، فاستولى على ممالكهم ، واعتقلهم ، وسمل بعضهم (الاعلام ١/ ١٢٨ و١٢٩) .

وفي السنة ٤٧٦ قتل سيّد الرؤساء أبو المحاسن بن كمال الملك بن أبي الرضا ، وكان قد قرب من السلطان ملكشاه قرباً عظيماً ، وكان أبوه يكتب الطغراء ، فقال أبو المحاسن للسلطان : سلّم إليّ نظام الملك وأصحابه ، وأنا أسلم إليك منهم ألف ألف دينار ، فإنّهم يأكلون الأموال ويقتطعون الأعمال ، فبلغ ذلك نظام الملك ، فعمل سماطاً عظيماً ، وأقام عليه مماليكه ، وهم ألوف من الأتراك ، وأقام خيلهم ، وسلاحهم على خيولهم ، فلما حضر السلطان قال له : إنّي خدمتك ، وخدمت أباك وجدّك ، ولي حقّ خدمة ، وقد بلغك أنّي آخذ عشر أموالك ، وهذا صحيح ، أنا آخذه وأصرفه إلى هؤلاء الغلمان الذين جمعتهم لك ، وأصرفه أيضاً إلى الصدقات والصلاة والوقوف التي يكون ذكرها ، وشكرها ، وأجرها لك ، وها أموالي ، وجميع ما أملكه ، بين يديك ، وأقنع أنا بمرقّعة وزاوية ، فأمر السلطان بالقبض على أبي المحاسن ، وحمل إلى قلعة ساوة ، وقوّرت عيناه بالسكّين ، وحملت الى السلطان فتقدّم بطرحها لكلب الصيد (المنتظم ٩/ ٦ والكامل لابن الأثير ١٠/ ١٣١) .

وفي السنة ٤٧٧ عصى الأمير تكش على أخيه السلطان ملكشاه ، فقصده السلطان ، وأخذه ، وكان قد حلف له بالأيمان إنّه لا يؤذيه ، ولا يناله منه مكروه ، فأفتاه بعض من حضر ، بأن يجعل الأمر إلى ولده أحمد ، ففعل ذلك ، فأمر أحمد بكحله (أي سمل عينيه) فسملتا ، وأودع السجن (ابن الأثير ١٠/١٣٨) .

وفي السنة ٥٠٨ لما استولى أرسلان شاه بن مسعود الغزنوي ، على السلطنة ، قبض على إخوته ، فقتل بعضاً منهم ، وسمل أعين البعض الآخر (الكامل لابن الأثير ١٠/٥٠٥) .

وفي السنة ٥١٤ سمل السلطان محمود السلجوقي ، عين أخي دبيس بن صدقة صاحب الحلّة (الكامل لابن الأثير ١٠/٦٠٠) .

وفي السنة ٥١٥ عصى سليمان بن ايلغازي على أبيه ، وتحصّن بحلب ، وكان قد تجاوز العشرين من عمره ، حمله على ذلك جماعة من أصحابه ، فسمع والده بالخبر ، فسار إليه مجدّاً ، فلما وصل إلى حلب ، خرج سليمان إليه معتذراً، فأمسك عنه ، وقبض على من أغراه بذلك ، منهم أمير من الأمراء ، كان أرتق والد ايلغازي قد التقطه وربّاه ، واسمه ناصر ، فقلع ايلغازي عينيه وقطع لسانه ، ومنهم انسان حموي من بيت قرناص كان قد رأسه ايلغازي على أهل حلب ، فسمل عينيه ، وقطع يديه ورجليه ، فمات (ابن الأثير ١٠/٥٩١ و٥٩٢ واعلام النبلاء ١/٤٤١و٤٤٢) .

وفي السنة ٥٢١ تسلّم القائد قتلغ آبه قلعة حلب ، فظهر منه جور على الناس شديد ، وظلم عظيم ، ومدّ يده إلى أموال الناس ، ولا سيّما التركات ، فإنّه أخذها ، وكانت حلب قد أعطاها السلطان لعماد الدين زنكي ، فاستنزل قتلغ آبه من القلعة ، وسلّمه إلى رئيس البلد فضائل بن بديع ، فكحله (سمل عينه) (ابن الأثير ١٠/٦٥٠) .

وفي السنة ٥٥١ مات خوارزم شاه آتسز ، وخلفه ولده أرسلان ، فبدأ ملكه ، بأن قتل نفراً من أعمامه ، وسمل أخاً من اخوانه . (الكامل لابن الأثير ١١/٢٠٩) .

وذكر الأمير أسامة بن مرشد (ت ٥٨٤) ، انّه زار القدس مرّة ، مع الأمير معين الدين ، فجاء إليه شاب مسلم مسمول العينين ، كان يحتال على الإفرنج ويقتلهم ، فأجروا محاكمته ، وكيفيّة ذلك ، بأن ملأوا له بتّيّةً عظيمة ماءً ، وكتّفوه ، ورموه في البتّيّة ، وعندهم انّه إن كان بريئاً غاص في الماء ، فيرفعوه عندئذ ، وان كان مذنباً طفا فوق الماء ، ولما رموه في الماء ، حاول أن يغوص فلم يتمكّن ، فوجب عليه حكمهم ، فسملوا عينيه (الاعتبار ١٣٩ و١٤٠) .

وذكر الفارس أسامة بن مرشد الكناني ، إنّ تانكارد صاحب أنطاكية ، أسر فتى كردياً من أصحاب أسامة ، في المعركة ، فعذّبه أنواع العذاب ، وأراد أصحابه قلع عينه اليسرى ، فقال : إقلعوا عينه اليمين ، حتى إذا حمل الترس استترت عينه اليسار ، فلا يعود يبصر شيئاً ، فقلعوا عينه اليمين ، وآفتداه والد أسامة بحصان أدهم من جياد الخيل . (الاعتبار ٦٦ ٦٧) .

وفي السنة ٥٥٦ قبض المؤيّد ، صاحب نيسابور ، على السلطان محمود بن محمد السلجوقي ، وعلى ولده جلال الدين محمد ، فسمل أعينهما ، وسجنهما ، فمات الأب ، ثم مات ولده بعده حزناً على أبيه . (الكامل لابن الأثير ١١/٢٧٣) .

وفي السنة ٥٨٢ توفي طغان شاه ، صاحب نيسابور ، فقصد خوارزم شاه ، نيسابور ، وفتحها ، وأخذ سنجر شاه بن طغان شاه ، فتزوّج خوارزم شاه بأمّه ، وزوّج سنجر شاه ، بابنته ، فماتت ، فزوّجه بأخته ، ثم بلغه أنّه يريد العودة لحكم نيسابور ، فسمله وأعماه ، وأبقاه عنده إلى أن مات في السنة ٥٩٥ . (ابن الأثير ١١/ ٣٨٠) .

وفي السنة ٦٠٠ ملك الإفرنج مدينة القسطنطينية ، وأزالوا ملك الروم عنها ، وكان ملك الروم تزوّج أخت ملك الافرنج ، فرزق منها ولداً ، ثم وثب على الملك أخ له ، فقبض عليه ، وسمل عينيه (الجامع المختصر ١٢٣) .

وفي السنة ٦٠٢ لما توفّي شهاب الدين الغوري ، كان الحسين بن خرميل والي هراة ، فحاول أن يستعين بخوارزم شاه ، ولكنّ أهل هراة كانوا مع غياث الدين الغوري ، وكان مدرّس النظامية بهراة ، الفقيه علي بن عبد الخلّاق بن زياد ، من أنصار الغورية ، فقال لابن خرميل : ينبغي أن تخطب للسلطان غياث الدين ، وتترك المغالطة ، فحقدها عليه ، ثم قبض عليه ، وسمل عينيه فأعماه (ابن الأثير ١٢/٢٢٨) .

وفي السنة ٦٤٣ مات مسمول العينين يوسف بن هلال ، صهر محمد بن مردنيش صاحب بلنسية بالأندلس ، وكان قد عصى على ابن مردنيش ، واستولى على مرتلة ، وبعد حوادث أسر يوسف بن هلال ، فأخذه ابن مردنيش إلى حصن مرثلة ، وطلب منه أن يأمر أصحابه بتسليمها ، فامتنع ، فأمر بنزع إحدى عينيه ، فنزعت عينه اليمنى بعود ، ثم طلب منه ثانية أن يأمر أصحابه بتسليمها ، فعاود الإمتناع ، فأمر به ، فنزعت عينه اليسرى أيضاً . (الاعلام ٩/٣٣٧) .

وفي السنة ٦٥٩ دعا الأمير يحيى بن محمد السراجي ، من أشراف اليمن ، إلى نفسه ، في ناحية حصور ، باليمن ، وأطاعه أهل تلك الناحية ، فقاتله الأمير علم الدين سنجر ، فانهزم يحيى ، ولجأ إلى بلد بني فاهم ، فأمسكوه ، وسلّموه إلى الأمير علم الدين ، فكحله في السنة ٦٦٠ ، فعمي . (العقود اللؤلؤية ١/١٣٧ والاعلام ٩/٢٠٩) .

وفي السنة ٧١٥ لما توفّي السلطان علاء الدين الخلجي ، سلطان

الهند ، خلفه ولده شهاب الدين عمر ، فأمر بإخوته الثلاثة ، أبي بكر خان ، وشادي خان ، وخضر خان ، فسملت أعينهم ، أما أخوه قطب الدين ، فاكتفى بسجنه ولم يسمله ، وفي السنة ٧١٦ تآمر قطب الدين مع بعض الأمراء ، واعتقل أخاه شهاب الدين عمر ، وتسلطن مكانه ، ثم أمر بقتل إخوته جميعاً ، فقتلوا (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٣٨ - ٥٢) .

وفي السنة ٧١٨ قبض السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، على الأمير بهادر الإبراهيمي ، أمير الحاج لأنّه جبن عن مواجهة الشريف حميضة ، وفي السنة ٧٢٠ أمر به فسملت عيناه ، فذهب بصره (الدرر الكامنة ٢/٣١) .

وسمل السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، أعين قاضي مدينة كول ، ومحتسبها ، لأنّهما كانا في مجلس ذكر فيه أحد أعدائه بخير ، فلم يعترضا ، (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٩٢) .

وفي السنة ٧٢٦ تحرّك العوارين بزبيد ، باليمن ، فتولّى أمرهم الأمير الظاهر ، أمير زبيد ، وشنق طائفة منهم ، وكحل طائفة أخرى (العقود اللؤلؤية ٢/٤٢) .

وفي السنة ٧٣٣ أحضر الأمير سيف الدين تنكز ، نائب دمشق ، حاجب العرب علاء الدين علي بن مقلّد ، وضربه بالمقارع ضرباً شديداً مبرّحاً ، وكحله ، واعتقله ، فتكلّم في السجن بما لا يليق ، فقطع لسانه ، ومات في الحبس . (نكت الهميان ٢١٩) . .

وفي السنة ٧٤٠ اعتقل الأمير صارم الدين صاروجا المظفري ، بدمشق ، بأمر من السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ثم صدر مرسوم السلطان بمصر ، بكحله ، فكحل وعميت عيناه (نكت الهميان ١٧١) .

أقول : جاء في الدرر الكامنة ٢/٢٩٦ إنّ الأمير صاروجا مات في السنة ٧٤٣ .

ولما قتل شاه محمد ، في طريق بغداد ، في السنة ٨٣٧ جمع ولده شاه علي إخوانه ونساءه ونساء أبيه ، وعاد إلى إربل ، وفيها مرزه علي ، فاعتقله ، ففرّ من حبسه ، واستولى على قلعة الكرخيني ، وأقام فيها ، فقصده عمّه الأمير أسبان ، ففرّ منه إلى تبريز ، إلى عمّه جهان شاه ، فلما وصل إليه ، اعتقله ، وسمل عينيه ، فظلّ بتبريز أعمى (تاريخ الغياثي ٢٥٥) .

أقول : جاء في تاريخ العزاوي ٣/ ٩٠ : إنّ الشاه محمد بن الأمير إسكندر ، لما قتل ، تسلطن ولده شاه علي ، فأخذه الأمير أصبهان (أسبان) وكحله .

وفي السنة ٨٥٢ قصد ألغ بيك بن شاه رخ ، مدينة هراة ، وكان بها علاء الدولة بن بايسنقر بن شاه رخ ، مع جدّته كوهرشاد زوجة شاه رخ ، فاستولى ألغ بيك على هراة ، والتجأ علاء الدولة إلى أخيه بابر الذي أمر بسجنه ، ثم سمل عينيه في السنة ٨٥٥ وتوفّي علاء الدولة في السنة ٨٦٥ (تاريخ الغياثي ٢٢٣ و ٢٢٤) .

وفي السنة ٧٥٥ كان نائب السلطنة بحلب الأمير طاز بن قطفاج ، فرام العصيان وجمع جموعاً ، فخذله بعض الأمراء في حلب ، وعزله السلطان ، وطلبه إلى مصر ، فامتنع أولاً ، وأذعن ثانياً ، فلما جاوز دمشق في طريقه إلى مصر ، أدركه أخو نائب دمشق ، واعتقله ، وكحله (سمل عينيه) فعمي ، واعتقل بالكرك (الدرر الكامنة ٢/ ٣١٥) .

وفي السنة ٧٥٥ تملّك محمد بن مظفر بن منصور ، فارس ، والعراق ، ويزد ، وكرمان ، وأصبهان ، وصيّر لحكمه وجهاً شرعيّاً ، بأن أحضر شخصاً عبّاسيّاً ، وقلّده الخلافة ، ولقّبه المعتضد بالله ، وجعله نائباً عنه في حكم المملكة ، ثم نصب ولده شاه شجاع ولياً للعهد ، وفي السنة ٧٦٠ قبض شاه شجاع على والده ، وسمل عينيه ، واعتقله بقلعة سرمق من اعمال شيراز (التاريخ الغياثي ١٤٧ ـ ١٥٠) .

وقد ورد هذا الخبر في شذرات الذهب ٢٩٧/٦ فذكر إنّه في السنة ٧٠٦ (الصحيح في السنة ٧٦٠) اتّفق الإخوة الخمسة شاه شجاع ، وشاه محمود ، وشاه ولي ، وأحمد ، وأبو يزيد ، على أبيهم (محمد بن مظفر) فاعتقلوه ، وسملوا عينيه فأعموه ، وحبسوه في قلعة من عمل شيراز ، وتولّوا الحكم مكانه .

أقول : في السنة ٧٨٧ مات شاه شجاع بن محمد بن مظفر اليزدي ، وكانت علّته أنّه لا يشبع ، فكان لا يسير إلّا والمأكول على البغال صحبته ، فلا يزال يأكل ، وكان مظفّر جد شاه شجاع ، صاحب درك يزدوكرمان في أيّام السلطان أبي سعيد بن خربندا ، ولما مات قام ولده محمد مقامه ، ولم يزل أمره يقوى حتى ملك كرمان ، انتزعها من شيخ بن محمود شاه ، وفرّ شيخ إلى شيراز ، فحاصره محمد بن مظفر بها ، إلى أن ظفر به فقتله ، ولما مات أبو سعيد ، استقلّ محمد بملك العراق كلّه ، وكان له من الأولاد خمسة ، شاه ولي ، وشاه محمود ، وشاه شجاع ، وأحمد ، وأبو يزيد ، فاتّفق هؤلاء على والدهم ، فسملوا عينيه وسجنوه في قلعة من أعمال شيراز ، في السنة ٧٦٠ وتولّى شاه شجاع شيراز وكرمان ويزد ، وتولّى شاه محمود أصبهان ، ومات شاه ولي ، وآستمرّ أحمد وأبو يزيد في كنف شاه شجاع ، ووقع الخلف بين شاه محمود وشاه شجاع ، فانتصر شاه شجاع ، ومات شاه محمود ، وآستولى شاه شجاع على أذربيجان ، انتزعها من أويس ، وكان شاه شجاع عالماً ، محبّاً للعلم والعلماء ، ينظم الشعر بالعربيّة والفارسية ويكتب الخطّ الفائق ، ولما مات آستقرّ ولده زين العابدين في الحكم من بعده ، إلى أن خرج عليه تيمورلنك فقتله وقتل أقاربه (شذرات الذهب ٢٩٧/٦) ، وجاء في تاريخ الغياثي ١٥٨ ـ ١٦٠ و١٨٤ في مصير زين العابدين بن شاه شجاع ، إنّ تيمورلنك لما فتح في السنة ٧٩٥ مدينة شيراز ، وقتل صاحبها شاه منصور بن شاه مظفر ، قتل جميع الحكّام من آل مظفر ما عدا ولدي شاه شجاع ، أوّلهما

شبلي ، وكان أبوه شاه شجاع قد سمل عينيه ، وثانيهما زين العابدين وكان ابن عمّه شاه منصور قد سمل عينيه ، وأخذ تيمورلنك شبلي بن شاه شجاع ، وبعث به إلى سمرقند ، وعيّن له اقطاعاً .

وحصلت معركة بين سلطان زين العابدين ، يعاونه آل مظفر ، وبين شاه منصور ، فانتصر شاه منصور ، وفر سلطان زين العابدين هارباً ، ولكنّه اعتقل وأحضر أمام شاه منصور ، فكحله فأعماه ، وسجنه بقلعة سفيد (التاريخ الغياثي ١٦٠).

وسلّط الله تيمورلنك على شاه منصور ، فحاربه بقرب شيراز ، في موقعة أسفرت عن مقتل شاه منصور ، وجاءوا برأسه الى تيمور (التاريخ الغياثي ١٦٤) .

وأطلق تيمور السلطان زين العابدين من سجنه ، وأخرجه مكحولا ، وأنعم عليه ، (التاريخ الغياثي ١٦٢) .

وقال صاحب الدرر الكامنة (٢/٢٠٩) : ان زين العابدين بن شاه شجاع بن محمد بن مظفر اليزدي ، ملك شيراز بعد أبيه ، بعهد منه ، فوثب عليه ابن عمه شاه منصور واستولى على شيراز ، وأسر زين العابدين ، وسمل عينيه ، ولما توجه تيمورلنك إلى شيراز ، وفتك بالذي استولى عليها ، خلّص زين العابدين من الأسر ، وقرر له من الرواتب ما يكفيه .

وفي السنة ٧٦٢ أفرج الملك المنصور محمد بن الناصر محمد بن قلاوون ، عن الأمير طاز اليوسفي ، وكان معتقلاً بالإسكندرية ، وقد سبق للسلطان الملك الناصر حسن أن كحله (سمل عينه) ، فحضر طاز أمام السلطان ، وعلى عينيه شعريّة (غشاء أسود رقيق يغطي به وجه المرأة والأرمد) . (النجوم الزاهرة ١١/٤) .

وفي السنة ٧٨٨ توفّي أمير مكة أحمد بن عجلان ، فخلفه ولده

محمد ، وكان الأمير المتوفّى ، قد حبس جماعة من أقربائه الاشراف ، إذ كانوا قد نفروا منه ، وتركوا مكّة ، وخرجوا ، فتبعهم أخوه محمد بن عجلان ، وكفل لهم عن أخيه الرضا التام ، فعادوا معه ، فأمر الشريف أحمد بحبسهم ، فقال له أخوه : إنّي كفلت لهم عنك الرضا ، فلا تخيّبني معهم ، فاما أن تطلقهم وترضى عنهم، واما أن تتركهم يخرجون من مكّة ، فأبى ، فقال له أخوه : إذن فآحبسني معهم ، لأنّي أنا الذي أتيت بهم ، فحبسه معهم ، فأقاموا في الحبس ثلاث سنين ، فلما مات الشريف أحمد ، وخلفه ولده محمد ، سمل أعينهم وهم في الحبس ، وسمل عين عمّه محمد معهم كذلك ، وفي نفس السنة قتل الشريف محمد ، قتله أمير الحاج المصري لما بلغه ظلمه وتعدّيه ، فخلفه الشريف عنان بن مغامس أحد المساجين وكان قد فرّ من السجن ، وشارك في الحكم محمد بن عجلان ، الذي كحله ابن أخيه (العقود اللؤلؤية ٢/١٨٧ - ١٨٩) .

وروى صاحب نزهة النفوس والابدان ص ١٣٩ هذه القصّة بصورة أكثر اختصاراً ، وأشدّ فجيعة ، فذكر أنّ الشريف أحمد بن عجلان ، شريف مكة ، توفّي في السنة ٧٨٨ فأقيم مكانه ولده محمد ، بأمرة عمّه كبيش بن عجلان ، فكحل كبيش أعين جماعة من بني حسن ، وهم أحمد وحسن ابنا أخيه ثقبة ، ومحمد بن عجلان ، وابن أحمد بن ثقبة ، وكان عمره اثنتى عشرة سنة (نزهة النفوس والابدان ١٣٩) .

وفي السنة ٧٩٣ أخذ في مدينة تعز ، باليمن ، رجل من البهادرة ، ذكروا إنّه ساحر ، وكان يتشبّه بالمسلمين ، فسملت عيناه ، وقطعت يده . (العقود اللؤلؤية ٢/٢٢٣) .

وفي السنة ٧٩٩ خلع السلطان غياث الدين ، من ملوك البهمنيّين بالدكن ، وسملت عيناه ، بعد أن مكث في الحكم شهرين اثنين (انساب الاسرات الحاكمة ٤٣٧) .

وفي السنة ٨٠٢ حاول أحد اليمانيّين أن يخرج من مدينة زبيد ، وكان الوالي قد منعه من مبارحتها ، فاتّفق مع جمّال ، على أن يخرجه في محارة على ظهر جمله ، فلما وصل به إلى باب المدينة ، أراد البوّابون أن يختبروا ما في المحارة ، فضربوا عليها بالحديد ، فتوجّع الرجل وأنّ ، فلزموا الجمل ، وأبركوه ، وأخرجوا الرجل ، وقدّموه إلى الأمير ، فأمر الأمير به وبالجمّال ، فسملت عيناهما معاً . (العقود اللؤلؤية ٢/٣١٢) .

وفي السنة ٨٧٢ قصد جهان شاه بن قرا يوسف بلاد حسن بيك ، فتحصّن منه ، وظلّ مراقباً له ، ثم إنّ جهان شاه « أعطى العسكر دستوراً ، وبقي هو وجماعة قليلة ، ليمضي وراءهم ، فأحسّ حسن بيك بقلّة من معه ، ونزل إليه ، وصدمه صدمة عنيفة ، فركب جهان شاه وفرّ هارباً ، فصادفه أحد الغلمان ، فضربه بالسيف ، وقطع رأسه ، وحمله إلى حسن بيك ، فبعث به حسن بيك إلى مصر ، وأسر حسن بيك ، ولدي جهان شاه وهما محمدي ميرزا ويوسف نويان ، فأمر بمحمدي ميرزا ، فقتل ، وأمر بيوسف نويان فسملت عيناه بقضبان ملتهبة (تاريخ الغياثي ٢٩٣ ـ ٢٩٩) .

وذكر الغياثي في تاريخه ٣٨١ ـ ٣٨٣ أنّه على أثر المعركة بين جهان شاه وحسن بيك ، وقتل جهان شاه ، أسر حسن بيك ولدي جهان شاه وهما محمدي ميرزا ويوسف نويان ، فقتل محمدي ميرزا ، وأخذ يوسف معه ، ولما حصر حسن بيك بغداد ، وامتنع التواجي بير محمد من تسليمها ، قيل لحسن بيك إنّ يوسف نويان أرسل إلى التواجي بير محمد يقول له : لا تسلّم بغداد ، فإنّي هارب إليك ، وعندئذ أمر حسن بيك بسمل عيني يوسف نويان ، فأعماه ، ثم إنّ يوسف فرّ من حسن بيك إلى شيراز ، واستقرّ عند حاكمها كور بير علي بن علي شكر الذي جاهر حسن بيك بالعصيان ، فأرسل إليه حسن بيك جيشاً قتل كوربير علي ويوسف نويان معاً في السنة ٨٧٤ .

أقول : ذكر العزاوي رحمه الله في تاريخه ، تاريخ العراق بين احتلالين

٣/١٧٨ إنّ المعركة بين شاه جهان وحسن بك الطويل حصلت في السنة ٨٧١ وانّ حسن بك ، قبض على ولدي شاه جهان ، وهما محمدي ميرزا ويوسف ميرزا ، بعد قتل أبيهما ، فسمل أعينهما .

وفي السنة ٨٩٤ سمل سلطان المغرب ، عين الأمير محمد بن سعد ، الملقب بالزغل ، وألقاه في السجن حتى مات ، إذ نقم عليه ما صنع ، من تسليم القسم الذي كان تحت حكمه من مملكة غرناطة إلى الأسبان ، فأدّى ذلك إلى ضياع غرناطة بأجمعها . (محاكم التفتيش ١٤ و١٥) .

وفي السنة ٩٠٤ قبض سلطان مصر ، على حرامي يقال له : ابن الوارث ، فقطع لسانه ، وكحل عينيه بالنار ، والطريف في الأمر ، أنّ ابن الوارث لم يكفّ عن السرقة ، إذ قبض عليه بعد ذلك ، وعلى رأسه عملة (مال مسروق) (بدائع الزهور ٣٥٣/٢) .

وفي السنة ٩٥٠ هلك الحسن بن محمد الحفصي ، من الملوك الحفصيّين بتونس ، وكان قد تسلطن بعد وفاة أبيه في السنة ٩٣٢ ، فاستولى جيش السلطان سليم العثماني ، بقيادة خير الدين باشا على تونس ، فحاربه الحسن ، فانكسر ، فاستعان بصاحب أسبانيا فأمدّه بأسطول ، فانتصر على العثمانيين ، وطردهم من تونس ، ولكنّ تونس أصبحت تحت حكم الأسبان ، ثم انتقضت القيروان على الحسن ، فخرج لإخضاعها ، فوثب على الحكم بتونس ولده أحمد بن الحسن ، فاستعان الحسن عليه بالأسبان ، ولكنّ الظفر كان لأحمد بن الحسن ، فقبض على أبيه ، وسمل عينيه ، فأعماه ، ففرّ منه وهو أعمى إلى القيروان ، فهلك فيها ، أما أحمد فقد طرده الأتراك من تونس ، فرحل الى صقلية ومات بها . (الاعلام ١٠٧/١ و١٠٨و٢٣٤/٢ و٢٣٥) .

وثار قمران بن بابر ، أكثر من مرّة ، على أخيه السلطان ناصر الدين

همايون بن السلطان ظهير الدين بابر ، سلطان الهند ، (حكمه ٩٣٧ - ٩٦٢) ، فاعتقله وسمل عينيه ، ونفاه إلى مكة . (الاسلام والدول الإسلامية في الهند ٥٦) .

وكان الحكيم شفائي ، الطبيب الخاص للشاه عباس ، شاه العجم (ت ١٠٣٨) ونديمه ، وشاعره ، وكان عند الشاه بالمكانة المكينة ، ثم غضب عليه ، فحمى ميلاً من الحديد ، وكحله به ، فأعماه ، وأبعده عن مجلسه (خلاصة الأثر ٢/٢٦٩) .

وفي السنة ١١٤٨ قام نادر شاه ، بعزل الشاه عباس الثالث ، وسمل عينيه ، وكان نادر شاه قد نصبه سلطاناً في السنة ١١٤٤ ثم خلعه وسمل عينيه ، حيث توفّي في السنة ١١٤٩ (معجم انساب الأسرات الحاكمة ٣٨٨) .

ولما قتل نادر شاه في السنة ١١٦٠ خلفه ابن أخيه علي قولي خان ، وتربّع على العرش بآسم علي شاه ، وكان مستشاره أخوه ابراهيم ميرزاخان ، وفي السنة ١١٦١ اختلفا وتحاربا ، فظفر إبراهيم ميرزاخان ، وقبض على أخيه علي شاه فسمل عينيه (تاريخ العراق للعزاوي ٥/٢٨٩) .

وفي السنة ١١٦٣ عزل شاه رخ حفيد نادر شاه ، عن العرش ، وسملت عيناه ، فعمي (معجم انساب الاسرات الحاكمة ٣٨٩) ، ويذكر صاحب المعجم انّ شاه رخ أعيد إلى السلطنة في نفس السنة، ثم عزل، ثم أعيد إلى السلطنة في السنة ١١٦٨ وعزل في السنة ١٢١٠ .

وفي السنة ١١٩٢ عيّن لولاية بغداد ، الوزير حسن باشا ، والي كركوك ، فكتب إلى أحمد باشا والي بابان بأن يحضر لمعونته ، فبادر أحمد باشا لامتثال الأمر ، إلاّ أنّه كان قد حبس أخاه محمد باشا في قلعة سروجك ،

فأشير عليه بقتله ، إلاّ أنّه رقّ له واكتفى بسمل عينيه ، ثم بارح إلى بغداد . (تاريخ العراق للعزواي ٦/٧٨) .

وفي السنة ١٢٠٢ قتل حمزة كاشف المعروف بالدودار ، رجلاً نصرانياً رومياً صائغاً ، اتّهمه مع زوجته ، فقبض عليه وعذّبه أيّاماً ، وقلع عينيه ، وأسنانه ، وجدع أنفه ، وقطع شفتيه وأطرافه حتى مات ، وأراد أن يقتل زوجته، فهربت ، والتجأت إلى الستّ نفيسة زوجة مراد بك ، فطلّقها (الجبرتي ٢/٥٢) .

وفي السنة ١٢٠٧ توفّي تيمور شاه ، ملك الأفغان ، وخلفه ولده همايون شاه ، فنفس عليه أخوه زمان شاه الملك ، وحاربه ، فآنفلّ جيش همايون ، ثم عاد فجنّد جيشاً آخر ، وحارب أخاه زمان شاه ، فآنفلّ جيشه ثانياً ، وفرّ إلى الملتان ، فأسره عامل الملتان ، وبعث به إلى أخيه زمان ، فسمل عينيه ، وحبسه ، ثم خرج عليه أخوه محمود بهراة ، وتحاربا ، فآنفلّ جيش محمود ، ولجأ إلى فتح علي شاه سلطان العجم ، ثم إلى شاه مراد صاحب بخارى ، ثم إلى خوارزم ، ثم عاد إلى شاه إيران ، فأعانه بجيش حارب به أخاه زمان شاه ، وانتصر محمود شاه ، وأسر أخاه زمان شاه ، فأمر به فسمل عينيه وحبسه ، ثم ثار الأفغانيون على محمود شاه ، اتّهموه بالميل إلى التشيّع واعتقلوه ، وحبسوه ، وأخرجوا أخاه زمان شاه من السجن ، وسلطنوه ، وأحضروا أمامه أخاه محموداً ، ليقتصّ منه ، فعفا عنه ، واكتفى بحبسه ، ثم فرّ محمود من السجن ، وسعى حتى عاد إلى السلطنة ، وأطلق لأخيه زمان شاه أن يسافر للحجّ ، فقصد مكّة ، ومات في الحجاز في السنة ١٢٢٢ (اعيان القرن الثالث عشر ٢٧٨ - ٢٨١) .

وفي عهد محمود شاه بن تيمورشاه ، ملك الافغان (١٠٢٧ - ١٢٤٦) توجّه وزيره فتح محمد خان ، على رأس جيش للاستيلاء على خراسان ، فلم يوفّق ، وانفلّ جيشه وعاد ، فكتب شاه إيران إلى ملك الأفغان يتهدّده ، فرد

عليه محمود شاه يعتذر ، ويدعي أنّ الوزير صنع ذلك بدون موافقته ، فكتب إليه شاه إيران يطلب منه إمّا أن يبعث إليه بالوزير فتح محمد خان ، واما أن يسمل عينيه ، ويتهدّده إن لم يفعل ذلك أن يهجم بجيشه على بلاد الأفغان ، فأمر محمود شاه ، بوزيره فتح محمد خان فسملت عيناه ، فغضب أخوة فتح محمد خان ، وكانوا عشرين ، واتّفقوا مع أخوة محمود شاه ، وكانوا إثنين وثلاثين، وخلعوا محمود شاه ، ونادوا بسلطنة شاه زاده أيّوب ، وآستولوا على أكثر بلاد الأفغان ، بحيث لم يبق في يد محمود شاه غير هراة (اعيان القرن الثالث عشر ٢٨٢ و٢٨٣) .

الفصل الثاني

التعرّض لبقية الجوارح

القسم الأول

قطع الأطراف

التعذيب بقطع الأطراف ، كان متعارفاً منذ ابتداء العهد الأمويّ ، واوّل من مارسه معاوية بن أبي سفيان ، ضدّ خارجيّ حاول قتله ، إذ أنّ ثلاثة من الخوارج تعاهدوا على قتل الامام عليّ ومعاوية وعمرو بن العاص ، وأقبل الذي تعهّد بقتل معاوية ، وآسمه النزّال بن عامر ، فقام خلفه في الصلاة ، ووجأه في أليته بخنجر كان معه ، فأخذ ، وأدخل عليه ، فقال له : ألم أقتلك يا عدوّ الله ؟ فقال معاوية : كلّا يا ابن أخي ، وأمر به معاوية ، فقطعت يداه ورجلاه ، ونزع لسانه ، فمات ، ثم أمر فاتّخذت المقاصير في الجوامع (الأخبار الطوال ٢١٥) .

وفي السنة ٥٠ توفّي المغيرة بن شعبة ، أمير الكوفة لمعاوية ، فولّاها زياداً ، جمع له البصرة والكوفة ، وقدم زياد الكوفة ، فصعد المنبر ، فخطب ، فلما فرغ من الخطبة حصبوه وهو على المنبر ، فجلس حتى أمسكوا ، ثم دعا قوماً من خاصّته ، وأمرهم بأخذ أبواب المسجد ، ثم جلس على كرسي بباب المسجد ، فدعاهم أربعة أربعة ، يحلفون بالله ، ما منّا من حصبك ، فمن حلف خلّاه ، ومن لم يحلف حبسه ناحية ، حتى صار إلى ثلاثين (أو ثمانين) فقطع أيديهم على المكان ، ثم اتّخذ من بعد ذلك المقصورة (الطبري ٥/ ٢٣٥ و٢٣٦ وتاريخ الكوفة ٤٣) .

وكان عبد الله بن عمر بن غيلان ، عامل البصرة لمعاوية ، يخطب على

المنبر ، فحصبه رجل من بني ضبّة ، فأمر به فقطعت يده (الطبري ٥/٢٩٩) .

وأمر زياد بن أبيه ، عامل معاوية على العراق ، بجويرية بن مسهر العبدي ، فقطعت يداه ورجلاه ، ثم صلبه بالكوفة (تاريخ الكوفة ٦٦ ، ٢٧١) .

ولما أخذ بيهس الخارجي ، قطعت يداه ورجلاه ، ثم ترك يتمرّغ في التراب ، فلما أصبح ، قال : هل أحد يفرغ عليّ دلوين ، فإنّي آحتلمت في هذه الليلة . (البصائر والذخائر ٣/٢/٥١٥) .

وجيء إلى زياد ، برشيد الهجري ، من أصحاب الإمام علي ، فأمر به فقطعت يداه ، ورجلاه ، ثم قطع لسانه ، ثم صلب خنقاً في عنقه (شرح نهج البلاغة ٢/٢٩٤) .

وجيء إلى عبيد الله بن زياد ، بابن مكعبر ، فقطع يديه ورجليه ، وسمل عينيه (أنساب الأشراف ٤/٢/٨٢) .

وأخذ عبيد الله بن زياد ، في السنة ٥٨ عروة بن أديّة ، أخا أبي بلال ، فقطع يديه ورجليه ، وصلبه على باب داره ، فقال عروة لأهله ، وهو مصلوب : انظروا إلى هؤلاء الموكّلين بي ، فأحسنوا إليهم ، فإنّهم أضيافكم (العقد الفريد ١/٢٣٤) .

وجعل لأحد الناس جعل على أن يلطم سيّد بني تميم ، فجاء إلى الأحنف ، فلطمه ، فقال له الأحنف : يا ابن أخي ما دعاك إلى هذا ؟ قال : قد جعل لي جعل ، على أن ألطم سيّد بني تميم ، فقال له : ما أنا بسيّد تميم ، وإنّما سيّدها حارثة بن قدامة ، وكان حديداً ، فذهب الرجل ، فلطم حارثة ، فقطع يده ، فبلغ ذلك الأحنف ، فقال : أنا قطعتها . (المحاسن والمساوىء ٢/١٦٦) .

وكان مالك بن النسير البدي ، قد ضرب الحسين الشهيد في موقعة الطفّ على رأسه ، وعليه برنس ، فامتلأ دماً ، فألقاه ، فجاء مالك فأخذه ، فبعث المختار لما ظهر بالكوفة ، مالك بن عمرو النهدي ، فجاء بمالك ، فأمر بنار فأججت في الرحبة ، ثم أمر فقطعت يده وألقيت في تلك النار ، ثم قطعت رجله فألقيت فيها ، وهو ينظر ، ولم يزل يفعل ذلك بعضو منه بعد عضو حتى مات (انساب الأشراف ٥/٢٣٩) .

وفي السنة ٦٦ بعث المختار الثقفي ، قائده عبد الله بن كامل ، إلى مرّة بن منقذ العبدي ، قاتل علي بن الحسين ، فخرج عليهم مرّة ، وبيده الرمح ، وهو على فرس جواد ، فضربه عبد الله بن كامل بالسيف على يده ، فأسرع فيها السيف وشلّت ، وأفلت منهم ، فلحق بمصعب بن الزبير بالبصرة (الطبري ٦/٦٤) .

وقطع أحد ولاة المدينة ، رجل حريث مولى بني بهز ، من سليم ، فكان إذا مشى كأنّه يرقص ، فسميّ : حريث رقّاصة ، وكان حريث هذا من أشدّ الناس على بني أميّة ، لما أخرج الحجازيّون بني أميّة من مكّة والمدينة أيّام يزيد بن معاوية ، راجع التفصيل في الاغاني ١/٢٣ - ٢٦ .

وكان إبراهيم بن حيّان ، وهو مولى لبني عجل ، شخص من البصرة إلى مكّة ، فأشار على عبد الله بن الزبير ، بأن يولّي على البصرة ولده حمزة ، وأخبره بأنّ أهل البصرة يحبّون ولايته ، فعزل أخاه المصعب ، وولّى ولده حمزة ، فغضب المصعب ، وشخص إلى مكّة ، فأرضاه عبد الله وأعاده والياً على المصرين (البصرة والكوفة) ، وظفر المصعب بإبراهيم بن حيّان ، فقطع يده ونفاه ، فصار إلى الروم ، وجنى هناك جناية فقطعوا رجله . (أنساب الأشراف ٥/٢٥٦ و٣٣٦) .

وفي السنة ٨٤ أحضر الحجّاج حطيط الزيّات الكوفي ، وكان عابداً ، زاهداً ، يصدع بالحق ، وقال له : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟

قال : أقول فيهما خيراً .

فقال له : ما تقول في عثمان ؟

قال : ما ولدت في زمانه .

فقال له : يا ابن اللخناء ، ولدتَ في زمن أبي بكر وعمر ، ولم تولد في زمن عثمان ؟

فقال : إنّي وجدت الناس اجتمعوا في أبي بكر وعمر ، فقلت بقولهم ، ووجدتهم اختلفوا في عثمان ، فوسعني السكوت .

فقال معد ، صاحب عذاب الحجاج : إنّي أريد أن تدفعه إليّ ، فوالله لأسمعنك صياحه .

فسلّمه إليه ، فجعل يعذّبه ليلته كلّها ، وهو ساكت ، فلما كان وقت الصبح كسر ساق حطيط ، ثم أعاده إلى الحجّاج ، فعذّبه بأنواع العذاب ، وكان يأتي بالمسالّ فيعزرها في جسمه وهو صابر ، ثم لفّه في بارية ، وأبقاه حتى مات . (النجوم الزاهرة ١/٢٠٨) .

وطلب الحجّاج الثقفي ، الهيصم بن جابر المدائني ، فهرب الهيصم إلى المدينة ، وطوّل شعره ، واختضب ، ولعب بالحمام ، فلم يعرفه بها أحد ، وبحث عنه الحجّاج ، فأعياه ، ولم يعرف موضعه ، ثم بلغ الوليد بن عبد الملك إنّه بالمدينة ، فكتب إلى عامله بها عثمان بن حيّان بطلبه ، ووصف له صفته ، فقرأ عثمان الكتاب على الناس ، والهيصم جالس ، فنظر إليه رجل إلى جنبه ، فقبض عليه ، وجاء به إلى حيّان ، فأقرّ إنّه الهيصم ، فحبسه ، وكتب إلى الوليد بوجدانه ، وكان عثمان بن حيان يرسل إلى الهيصم في كلّ ليلة فيسامره ، فأضحى معجباً به ، وأتاه كتاب الوليد أن آقطع يده ورجله ، وآقتله من بعد ذلك ، فقال له عثمان : اعهد ، فقد كتب إليّ أمير

المؤمنين في قتلك ، فقال : جميعاً أم متفرقاً ؟ قال : متفرّقاً ، قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وأوصى ببنيّة له أن تردّ إلى أهله ، وأنفذ فيه أمر الوليد ، فمرّ به عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وقد قطعوا يده ورجله ، فقال له : إصبر يا هميس وكان هذا لقبه (العيون والحدائق ٣/١٥ و١٦) .

وأمر هشام بن عبد الملك ، بغيلان بن مسلم الدمشقي ، رأس المقالة الغيلانية ، فقطعت يداه ورجلاه ، وصلبه على باب كيسان بدمشق (الطبري ٧/٢٠٣) .

أقول : كان غيلان ، رأس المقالة الغيلانية ، وكان يقول بالقدر خيره وشرّه من العبد ، وإنّ الإمامة تصلح في غير قريش ، وانّ كلّ من قام بالكتاب والسنّة فهو مستحقّ لها ، ولا تثبت إلا باجماع الأمّة ، فأحضره هشام ، وقال له : ويحك يا غيلان ، قد أكثر الناس فيك ، فأخبرنا بأمرك ، فإن كان حقّاً اتّبعناه ، وان كان باطلاً نزعت عنه ، قال : نعم ، فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلّمه ، فقال له ميمون : سل ، فإنّ أقوى ما تكونون إذا سألتم ، فقال له : أشاء الله أن يعصى ؟ فقال له ميمون : أفعصي كارهاً ؟ فسكت ، فقال له هشام : أجبه ، فلم يجبه ، فقال هشام : لا أقالني الله إن أقلتك ، وأمر به فقطعت يداه ورجلاه ، وصلبه على باب كيسان بدمشق .

وفي السنة ١٠٧ قبض أسد بن عبد الله القسري ، أمير خراسان ، على جماعة من دعاة بني العباس ، فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم . (الطبري ٧/٤٠) .

ثم قبض في السنة ١٠٨ على عمّار العبادي ، أحد دعاة بني العباس أيضاً ، فقطع يديه ورجليه أيضاً . (ابن الأثير ٥/١٤٠ والطبري ٧/٤٣) .

وفي السنة ١١٨ كان عمّار بن يزيد والياً على دعاة بني العباس بخراسان ، وتسمّى : خداش ، فاعتقله أسد بن عبد الله القسري أمير

خراسان ، وأحضره وأمر به فقطعت يده ، وقلع لسانه ، وسملت عينه ، وصلبه (الطبري ٧/١٠٩) .

وفي السنة ١١٨ نزل أسد القسري ، عامل خراسان ، مدينة بلخ ، وسرّح جديعاً الكرماني إلى قلعة التبوشكان في طخارستان ، وهي التي تحصّن فيها الحارث بن سريج وأصحابه وأصهاره ، فحصرهم الكرماني حتى فتحها وقتل جميع أصهار الحارث ، وسبى عامّة أهلها من العرب والموالي ، وباعهم فيمن يزيد ، في سوق بلخ ، وكان قد نقم على الحارث أربعمائة وخمسون رجلاً من أصحابه ، يرأسهم جرير بن ميمون القاضي ، فقال لهم الحارث : إن كنتم لا بدّ مفارقيّ ، فاطلبوا الأمان وأنا شاهد ، فإنّهم يجيبونكم ، وإن آرتحلتُ قبل ذلك لم يعطوا الأمان ، فقالوا له : إرتحل أنت وخلّنا ، فلمّا رحل ، أرسلوا يطلبون الأمان ، فأبى أسد ، وسرّح إليهم جديعاً في ستّة آلاف ، فحصرهم ، وسألوا أن ينزلوا على حكم أسد على أن يترك لهم نساءهم وأولادهم ، فنزلوا على حكمه ، فأمر الكرماني بأن يحمل إليه خمسين رجلاً من وجوههم فيهم المهاجر بن ميمون ، فحملوا إليه فقتلهم ، وكتب إلى الكرماني بأن يجعل الذين بقوا عنده أثلاثاً ، فثلث يقتلهم ، وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم ، وثلث يقطع أيديهم ، ففعل الكرماني ذلك (ابن الأثير ٥/١٩٧ و١٩٨) .

ولما خرج يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ، ثائراً بالجوزجان ، كان ممّن لحق به الحسحاس الأزدي ، فلما قتل يحيى ، قبض نصر بن سيار على الحسحاس ، فقطع يديه ورجليه ، وقتله (مقاتل الطالبيين ١٥٧) .

وفي السنة ١٢٧ أسر مروان الجعدي ، ثابتاً بن نعيم الجذامي ، وثلاثة من أولاده ، وهم نعيم ، وبكر ، وعمران ، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وطرحوا على أبواب جامع دمشق ، ثم صلبهم على أبواب دمشق (الطبري ٧/٢٩٦ ـ ٣١٥ وابن الأثير ٥/٣٢٨ ـ ٣٣٠) .

أقـول : إنّ ثابت بن نعيم الجـذامي ، وأولاده ، لهم تاريـخ طويـل في الفساد وإشعال نيران الفتن ، وأوّل ما بلغنا من أخبار ثابت ، إنّه كـان بإفـريقية في عهد هشام بن عبد الملك ، وكانت له يد طولى في إشعال نار الفتنة بهـا ، وكانت عاقبة تلك الفتن ، أن قتل كلثـوم بن عياض القسـري ، أمير إفـريقية ، فـوجّـه هشـام إلى إفـريقيـة حنـظلة بن صفـوان على رأس جيش ، لإصـلاح أمورها ، فسعى ثابت في إفساد الجيش على حنظلة ، فكتب حنظلة إلى هشام يشكو إليه أمر ثابت ، فكتب هشام إليه بتوجيه ثـابت إلى دمشق في الحديـد ، فـوجّهه حنـظلة إليه ، فـوضعه في السجن ، فلم يـزل في حبسـه ، حتى قـدم مـروان بن محمـد ، وكـان يلي ارمينيـة ، على هشـام ، في بعض وفـاداتـه ، فسألوه أن يكلّم هشاماً في إطلاق ثابت ، فآستوهبـه مروان منـه ، فوهبه لـه ، فأخذه معه إلى ارمينية ، وولّاه ، وحباه ، ولكنّ نفس ثابت اللئيمة ، أبت عليه إلّا أن يسيء إلى من أحسن إليـه ، فأخـذ يـدسّ إلى قـوّاد مـروان ، ويثيـرهم عليـه ، واستطاع أن يختـزل جمـاعـة صـالحـة منهم ، انضمّـوا إليـه ورأسـوه عليهم ، وجاهروا مروان بالعصيان ، فحشد مروان لهم ، فلما رأوا منه الجدّ ، عـادوا فـآنقـادوا لـه ، وأمكنـوه من صـاحب الفتنــة ثـابت بن نعيم ومن أولاده الأربعة ، نعيم ، وبكر وعمران ، ورفاعة ، فأمر بهم ، فأنـزلوا عن خيـولهم ، وأخذ سلاحهم ، ووضعت السلاسل في أرجلهم ، ووكّـل بهم من يحرسهم ، حتى ورد حـرّان ، والظاهـر إنّه أطلقهم ، ولمـا أعلن مـروان خـلافتـه ، ظهـر ثــابت بن نعيم مجـدّداً ، ودعــا أهـل الشــام إلى الانتقـاض على مــروان ، وراسلهم ، وكاتبهم ، فانتقضوا ، وانتقض أهل حمص ، فأخمد مروان ثورات أهل الشام ، فحرّك ثابت بن نعيم ، أهل فلسطين ، وجنّد منهم جيشاً حصر به طبـرية ، فـوجّـه إليـه جيشـاً ، فـآنفـلّ جيش ثـابت ، وانصـرف إلى فلسـطين منهـزمـاً ، وأسـر ثـلاثـة من أولاده ، وهم نعيم ، وبكـر ، وعمــران ، وأفلت ثابت ، وولده رفاعة ، ثم إنّ عامل مروان على فلسطين ظفر بثابت ، فبعث به مـوثقاً إلى مـروان ، فأمـر به وبـأولاده الثـلاثـة ، فقـطعت أيـديهم وأرجلهم ،

وحملوا إلى دمشق ، فطرحوا على أبواب الجامع ، ثم صلبهم على أبواب دمشق ، أمّا رفاعة بن ثابت ، وكان أخبثهم جميعاً ، فإنّه أفلت من مروان ، ولحق بمنصور بن جمهور بالسند ، فأكرمه منصور ، وولّاه ، وخلّفه مع أخ له اسمه منظور بن جمهور ، فوثب رفاعة عليه ، فقتله ، وبلغ منصوراً ذلك ، وهو متوجّه إلى الملتان بالسند ، وكان منظور بالمنصورة ، فعاد منصور الى رفاعة ، فأخذه ، وبنى عليه أسطوانة من آجر مجوّفة ، وأدخله فيها ثم سمّره إليها ، وبنى عليه (الطبري ٢٩٦/٧ ـ ٣١٥ وابن الأثير ٣٢٨/٥ ـ ٣٣٠) .

وفي السنة ١٢٨ كان مروان الجعدي يحارب الخوارج ، وبعث إليهم كاتبه محمد بن سعيد رسولاً ، فمالأهم وانحاز إليهم ، ثم جيء به إلى مروان أسيراً ، فقطع يده ورجله ولسانه (الطبري ٣٤٧/٧) .

وفي السنة ١٢٨ حصر مروان الجعدي ، شيبان الخارجي بالموصل ، وقد انضمّ إلى شيبان ، سليمان بن هشام ، في جماعة من بني أميّة ، فجيء إلى مروان بإبن أخٍ لسليمان بن هشام ، يقال له : أميّة بن معاوية بن هشام ، وكان قد بارز رجلاً من فرسان مروان ، فأسره الرجل ، وجاء به إلى مروان ، فقال له : أنشدك الله والرحم يا عمّ ، فقال : ما بيني وبينك اليوم من رحم ، وأمر به ، وعمّه سليمان وإخوته ينظرون ، فقطعت يداه ، وضربت عنقه (الطبري ٣٥٠/٧) .

وفي السنة ١٤١ خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن ، عامل خراسان للمنصور ، فوجّه إليه المنصور جيشاً بقيادة ولده المهدي ، فأقام بالريّ ، ووجه خازم بن خزيمة لحرب عبد الجبار ، وبعد معركة ضارية ، انكسر عبد الجبار ، وأخذه خزيمة أسيراً ، فألبسه جبّة صوف ، وحمل على بعير ووجهه إلى ذنب البعير ، وحمل إلى المنصور ومعه ولده وأصحابه ، فبسط المنصور عليهم العذاب ، وضربوه بالسيّاط ، ثم أمر المسيب بن زهير ، فقطع يدي

عبد الجبار ورجليه ، وضرب عنقه ، وأمر بتسيير ولده إلى دهلك (الطبري ٥٠٣/٧ ـ ٥٠٩ وابن الأثير ٥/٥٠٥ و٥٠٦) .

وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار (ت ١٣١) من أقسى خلق الله قلباً ، وغضب على غلام له وهو في غرفة بإصبهان ، فأمر بأن يرمى به منها إلى أسفل ففعل به ذلك ، فتعلّق بدرابزين كان على الغرفة ، فأمر بقطع يده التي أمسكه بها ، ومرّ الغلام يهوي حتى بلغ إلى الأرض فمات (الاغاني ٢٣٢/١٢) .

أقول : راجع ترجمة عبد الله بن معاوية في هذا الكتاب في الباب الثالث : الضرب .

ولما قتل يحيى بن زيد ، الثائر بالجوزجان ، احتزّ رأسه رجل اسمه سورة بن محمد ، وأخذ سلبه رجل من موالي عنزة اسمه عيسى ، وبقيا حتى أدركهما أبو مسلم الخراساني ، فقبض عليها ، وقطع أيديهما وأرجلهما ، وقتلهما ، وصلبهما (مقاتل الطالبيين ١٥٨) .

وكان داود بن علي العباسي ، يمثّل بمن يقبض عليه من بني أميّة ، فيقطع أيديهم وأرجلهم ، كما كان يصلبهم منكّسين (شرح نهج البلاغة ١٥٦/٧) .

وفي السنة ١٤٥ ولّى المنصور العباسي على المدينة ، عبد الله بن الربيع ، فقدمها مع جند ، وأخذ الجنود ينازعون تجّار المدينة فيما يشترون ، ولا يؤدّون لهم ثمنه ، فخرجت طائفة من التجّار إلى ابن الربيع ، وشكوا ذلك إليه ، فنهرهم ، وشتمهم ، فطمع الجند فيهم ، وحدث أنّ رجلاً من الجند آشترى من جزّار لحماً ، وأبى ان يعطيه ثمنه ، فطعنه الجزّار بشفرته ، فقتله ، وتنادى سودان المدينة على الجند ، فقتلوهم بالعمد في كل ناحية ، فهرب ابن الربيع وجنده ، وأخرج أهل المدينة آبن أبي سبرة من الحبس ، فرقى

المنبر وهو في كبله ، ثم عاد ابن الربيع إلى المدينة ، فقطع أيدي رؤساء السودان ، وهم : وثيق ، وأبو النار ، ويعقل ، ومسعر (الطبري ٧/ ٦١٠ - ٦١٤) .

وبعث المنصور ، في السنة ١٥١ أسد بن المرزبان إلى البصرة ، وكلّفه النظر في أمر من الأمور فبلغه أنّه قصّر في تنفيذ أمره ، فبعث إليه أبا سويد الخراساني ، وكان صديق أسد ، فلما وصل إليه ، قال له : يا أسد هل أنت سامع مطيع ؟ قال : نعم ، قال : مدّ يدك ، فمدّ يده ، فضربها ، فأطنّها ، ثم أمره فمدّ رجله ، ثم يده ، ثم رجله ، حتى قطع أطرافه الأربعة ، ثم قال له : مدّ عنقك ، فمدّه ، فضرب عنقه . (الطبري ٨/ ٤٠) .

وفي السنة ١٥٤ قتل المنصور وزيره أبا أيّوب المورياني ، وأخاه خالد ، وأمر بقطع أيدي أبناء أخي أبي أيّوب وأرجلهم ، وضرب أعناقهم ، ففعل ذلك . (ابن الأثير ٥/ ٦١٢ والطبري ٨/ ٤٤) .

وفي السنة ١٥٦ ظفر الهيثم بن معاوية ، عامل البصرة للمنصور ، بعمرو بن شدّاد الذي ولي فارس لإبراهيم بن عبد الله العلوي ، قتيل باخمرى ، فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه (الطبري ٨/ ٥٠ ومقاتل الطالبيين ٣٣٠ و٣٣١) .

أقول : ولّى إبراهيم بن عبد الله ، عمرو بن شدّاد، فارس ، فصار إليها ، وطرد ولاة المنصور ، فلما قتل إبراهيم ، ورده نعيه وهو في أقاصي فارس ، وبلغ الخبر الرؤساء وهم مقيمون معه ، فتآمروا به ، وقالوا : ما يغسل ما عند أبي جعفر علينا إلّا توجيه هذا إليه ، وعلم عمرو بما أجمعوا عليه ، فلم يظهر عليه شيء ، وطعموا على مائدته ، ثم ركب وركبوا يريدون أداني فارس وهم على ثقة بأنّه لا يمكن أن يفوتهم ، غير انه آنسلّ من ليلته ، ففاتهم ، وطلبوه فأعجزهم ، ودخل البصرة ، فاستخفى فيها ، ثم ظفر به الهيثم عامل

البصرة ، فإنّ عَمْراً ضرب غلاماً له ، فذهب إلى عامل البصرة ودلّ عليه ، فأخذ ، وكتب الهيثم إلى المنصور ، فبعث إليه من بغداد رسولاً تسلّمه ، وجاء به إلى الرحبة ، فأمر ابن دعلج (أحسبه اسم رسول المنصور) بقطع يده ، فمدّها ، فقطعت ، ثم مدّ اليسرى فقطعت ، ثم رجله اليمنى فقطعت ، ثم مدّ اليسرى فقطعت ، وما يقربه أحد ولا يمسّه ، ثم قال له ، مدّ عنقك ، فمدّها ، فضربه ضارب بسيف كليل فلم يصنع شيئاً ، فقال : اطلبوا سيفاً صارماً ، فعجل الضارب فنبا ، فلم يصنع شيئاً ، فقال عمرو : سيف أصرم من هذا ، فقال ابن دعلج لعمرو : والله ، أنت الصارم ، وسلّ ابن دعلج سيفاً كان عليه ، فدفعه إلى الرجل ، فضرب به عمراً ، فقطع عنقه .

وفي السنة ١٦٠ خرج بخراسان يوسف بن إبراهيم ، المعروف بيوسف البرم ، فوجّه إليه المهدي العباسي ، يزيد بن مزيد الشيباني ، فأسره ، وبعث به إلى المهدي ، وبعث معه جماعة من وجوه أصحابه ، فلما انتهى بهم إلى النهروان ، حمل يوسف على بعير وقد حوّل وجهه الى ذنب البعير ، وأصحابه كلّ على بعير ، فأدخلوا الرصافة ، وأدخلوا إلى المهدي ، فأمر هرثمة بن أعين ، فقطع يدي يوسف ورجليه ، وضرب عنقه ،وأعناق أصحابه ، وصلبهم على جسر دجلة الأعلى ، مما يلي عسكر المهدي (الطبري ٨/١٢٤ وابن الأثير ٦/٤٣) .

وفي السنة ١٩٣ كان الرشيد بطوس ، يعالج سكرات الموت ، لما أحضر أخو الثائر رافع بن الليث ، فأدخل عليه وهو على سرير مرتفع عن الأرض بقدر عظم الذراع ، وعليه فرش بقدر ذلك ، فقال له : أما والله . يا ابن اللخناء ، إنّي أرجو أن لا يفوتني خامل (يريد رافعاً) ، ثم دعا بقصّاب ، وقال له : لا تشحذ مداك ، اتركها على حالها ، وفصّل هذا الفاسق ابن الفاسق وعجّل ، لا يحضرن أجلي وعضوان من اعضائه في جسمه ، ففصّله

حتى جعله أشلاءً فقال : عدّ أعضاءه ، فعدّها ، فإذا هي أربعة عشر عضواً (الطبري ٣٤٢/٨) .

أقول : لزيادة التفصيل راجع كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٣٥٨ .

وزوّر بعض الكتّاب ، في ديوان إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، أمير بغداد ، تزويراً بمال أخذوه ، فوقف إسحاق على ذلك ، فأخذ بعضهم فقطع أيديهم ، وفرّ الباقون ، .

للتفصيل راجع كتاب الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٣٩٠ .

وقدّمت يوماً لإسحاق بن إبراهيم المصعبي ، هريسة ، وإذا فيها شعرة ، فأمر بالطبّاخ ، فقطعت يده . (الديارات ١٢٣ و١٢٤) .

وكان المعتصم ، قويّ العضلات ، شديد البطش ، وكان يجعل زند الرجل ، بين إصبعيه ، فيكسره . (تاريخ الخلفاء ٣٣٤) .

ولما ثار المازيار على حكم المعتصم ، كان الدرنيّ ، قائد جيشه في السهل ، وكان شجاعاً بطلاً ، فلما استولى جيش عبد الله بن طاهر على الجبل ، أراد الدرني الإنحياز إلى الغيضة ، فأسر ، وأحضر أمام محمد بن إبراهيم بن مصعب ، فأمر به ، فمدّت يداه فقطعت من مرفقيه ، ومدّت رجلاه فقطعتا من الركبة ، فقعد الدرني على آسته ، ولم يتكلّم ، ولا تغيّر ، فأمر محمد بضرب عنقه (تجارب الأمم ٥١٣/٦ ـ ٥١٥ والطبري ١٠١/٩) .

وفي السنة ٢٢٣ وافي الافشين سامراء ، ومعه بابك الخرمي ، الثائر الفارسي ، أسيراً ، وألبس بابك قباء ديباج ، وقلنسوة سمّور مدوّرة ، وحمل على الفيل ، من المطيرة إلى باب العامّة ، فلما مثل أمام المعتصم ، أمر

فنودي على سيّاف بابك ، فلما حضر ، أمره المعتصم ، بقطع يديه ورجليه ، فبدأ بيمناه فقطعها ، فلما جرى دمها ، مسح به وجهه كلّه ، حتى لم يبق من حلية وجهه ، وصورة سحنته شيء ، فقال المعتصم : سلوه لِمَ فعل هذا ؟ فسئل ، فقال : إنّ الخليفة لما أمر بقطع أربعتي ، فإنّ في نفسه قتلي ، وهذا يعني إنّه سوف لا يكوي مكان القطع ، ويبقى دمي ينزف ، فخشيت إذا خرج الدم منّي ، أن تتبيّن في وجهي صفرة يقدّر من يراها إنّني قد فزعت من الموت ، فغطّيت وجهي بما مسحته عليه من الدم ، حتى لا تبين الصفرة ، فأعجب المعتصم جوابه ، وقال : لولا أنّ أفعاله لا توجب العفو عنه ، لكان حقيقاً بالإستبقاء لهذا الفضل ، وأمر بامضاء أمره فيه ، فقطعت أربعته ، ثم ضرب عنقه ، وجعل الجميع على القطن ، وصبّ عليه النفط وضرب بالنار ، وصنع مثل ذلك بأخيه عبد الله ، ببغداد ، فما كان فيهما من صاح أو تأوّه ، للتفصيل راجع كتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة للقاضي التنوخي تحقيق المؤلف ج ١ ص ١٤٧ و١٤٨ رقم القصة ١/ ٧٤ .

أقول : بابك الخرمي ، ثائر فارسي ، خرج في السنة ٢٠١ يريد إرجاع دولة الفرس ، وإعادة الدين المجوسي ، وهزم من جيوش السلطان عدّة ، وقتل من قوّاده جماعة ، ودامت حركته عشرين سنة ، قتل فيها ربع مليون من البشر ، ولما تمزّق جيشه في آخر معركة خاضها مع الجيش العباسي ، تسلّل متّجهاً إلى أرمينية ، يريد اللجوء إلى بلاد الروم ، ونزل بابن سنباط الأرمني ، فأخبر ابن سنباط الافشين بموضع بابك عنده ، فبعث إليه من تسلّمه منه ، وحمله إلى سامراء حيث تمّ إعدامه ، ولما تسلل بابك بعد أن خسر المعركة ، بعث إليه الافشين ، صحبة رسولين من أصحابه ، بكتاب أمان إذا استسلم ، وبعث معهما برسالة إلى بابك من ابنه ، يسأله فيها أن يصير إلى الأمان ، فلما تسلّم بابك الكتاب لم يفتحه ، وقتل أحد الرسولين ، وأعاد الثاني بجواب منه إلى ولده ، يقول له فيه : أنت لست إبني ، تعيش يوماً واحداً وأنت رئيس ،

خيراً من أن تعيش أربعين سنة وأنت عبد ذليل ، ولما أسر بابك ، استنقذ من أسره من المسلمين سبعة آلاف وستمائة ، فلما نظر الأسرى إلى بابك أسيراً ، صاحوا وبكوا حتى آرتفعت أصواتهم ، فقال لهم الافشين : لعنة الله عليكم ، أنتم بالأمس تقولون أسرنا ، وأنتم اليوم تبكون عليه ، فقالوا : إنّه كان يحسن إلينا (الطبري ٩/ ٣١ ـ ٥٠) .

ولما قتل بابك الخرمي في سامراء ، حمل أخوه ، واسمه عبد الله ، إلى بغداد ، وكان إسحاق بن إبراهيم المصعبي ينتظره في رأس الجسر ، فأمر بقطع يديه ورجليه ، فلم ينطق ، ولم يتكلّم وأمر بصلبه ، فصلب في الجانب الشرقي بين الجسرين ، بمدينة السلام (الطبري ٩/ ٥٤) .

وفي السنة ٢٥٣ شغب الأتراك والفراغنة بسامراء ، وطالبوا بأرزاقهم ، فخاشنهم وصيف ، فوثبوا عليه ، وضربه أحدهم بالسيف ضربتين ، ووجأه آخر بسكّين ، ثم ضربوه بالطبرزينات حتى كسروا عضديه ، ثم ضربوا عنقه ، ونصبوا رأسه على محراك تنور . (الطبري ٩/ ٣٧٤) .

وخرج ابن الصوفي العلوي ، بمصر ، في السنة ٢٥٣ ، فوجّه إليه ابن طولون بقائده ابن أزداد في جيش ، فانهزم ابن ازداد ، وظفر به العلوي فقطع يديه ورجليه وصلبه . (الولاة للكندي ٢١٣) .

وفي السنة ٢٥٤ تمكّن المعتزّ من بغا الشرابي ، فأمر بقتله ، فضربه وليد المغربي ضربة على جبهته ورأسه ، ثم قطع يديه ، ثم ضربه حتى صرعه ، وذبحه ، وحمل رأسه في بركة قبائه إلى المعتز ، فوصله بعشرة آلاف دينار . (الطبري ٩/ ٣٨٠) .

وفي السنة ٢٥٨ أسر يحيى بن محمد الأزرق البحراني ، من كبار قوّاد الزنج ، رشق بالسهام ، فأصابه منها ثلاثة في عضديه وساقه اليسرى ، وتسلّمه أصحاب السلطان ، فحمل الى أبي أحمد (الموفّق) فحمله أبو أحمد إلى

سامراء ، فأدخل على جمل ، وبنيت له دكّة في الحير ، ثم رفع للناس حتى أبصروه ، فضرب بالسياط ، ضرب مائتي سوط بثمارها ، ثم قطعت يداه ورجلاه من خلاف ، ثم خبط بالسيوف ، ثم ذبح ، ثم أحرق ، وعظم قتل يحيى على صاحب الزنج (الطبري (٩/٤٩٧ - ٤٩٩) .

وفي السنة ٢٦٨ قبض أحمد بن طولون على ولده العباس الذي خرج عليه وحاربه ، فأمر فبنيت له دكّة عظيمة رفيعة ، ثم أمر بأحد أصحاب العباس وهو جعفر بن جدار ، فضرب ثلثمائة سوط ، ثم أمر العباس فتقدّم إليه فقطع يديه ورجليه . (الولاة للكندي ٢٢٤) .

وفي السنة ٢٦٨ ظفر الموفّق بالذوائبي العلوي ، وكان ممايلاً لصاحب الزنج فاعتقله (الطبري ٩/٦١١) ، وفي السنة ٢٧٢ نقب الذوائبي المطبق ببغداد وخرج مع اثنين آخرين ، فنذر بهم ، وغلّقت أبواب مدينة المنصور ، فأخذ الذوائبي ومن خرج معه ، فركب محمد بن طاهر أمير بغداد إلى مجلس الجسر بالجانب الغربي وأحضر الذوائبي هناك ، فقطعت يد الذوائبي ورجله من خلاف ، أي اليد اليمنى والقدم اليسرى ، ثم كوي (لقطع نزف الدم) . (الطبري ١٠/٩) .

وبلغ أماجور التركي ، أمير دمشق للمعتمد ، أنّ أعرابيّاً أهان جنديّاً من جنوده ، بأن نتف شعرتين من شاربه ، فاحتال على الأعرابي ، حتى آعتقله ، فنتف شعر بدنه كلّه ، ثم ضربه ألف سوط ، ثم قطع يديه ورجليه ، ثم صلبه ، راجع القصّة مفصّلة في هذا الكتاب ، في الباب السابع : الحلق والنتف ، الفصل الثاني : النتف ، القسم الثالث : نتف شعر البدن .

وفي السنة ٢٧٤ دخل صدّيق الفرغاني ، دور سامراء ، فأغار على أموال التجّار ، وأكثر العيث في الناس ، وكان صدّيق هذا يخفر الطريق ، ثم تحوّل لصّاً خارباً يقطع الطريق (الطبري ١٠/١٣) فوجّه الطائي - وكان إليه طريق

سامراء ـ جيشاً إلى سامراء في السنة ٢٧٥ وراسل صدّيقاً ومنّاه ، فصار إلى الطائي ، فاعتقله الطائي ، ومن دخل معه ، وقطع يد صدّيق ورجله ، وأيدي جماعة من أصحابه وأرجلهم ، وحملهم في محامل إلى مدينة السلام ، وقد أبرزت أيديهم وأرجلهم المقطّعة ، ليراها الناس ، ثم حبسهم (الطبري ١٠/١٤) .

وقتل العلويّان محمد بن علي بن إبراهيم ، وعلي بن محمد بن علي بن عبد الله ، ببغداد ، جرى قتلهما على الدكّة ، مع القرمطيّ المعروف بصاحب الخال ، من غير أن يكونا خرجا معه ، وإنّما اتّهما بذلك ، فأخذا ، فقطعت أيديهما ، وأرجلهما ، وضربت أعناقهما صبراً (مقاتل الطالبيّين ٦٩٧) .

وكان في بغداد هاشمي ، من أولاد علي بن ريطة (من أولاد المهدي) من شرار الناس ، أحبّ مغنيّة ، وأرادت سيّدتها بيعها ، فطلب أن تحضر لآخر مرّة ، وبعث جذرها لثلاثة أيّام ، ثم إنّه قتلها وفصّل أعضاءها ، ووضعها في جراب ، وألقاها في دجلة ، فأحضر المعتضد الهاشميَّ ، وقرّره فاعترف فحبسه ، وكان ذلك آخر العهد به ، راجع تفصيل القصّة ، وكيف تمكّن المعتضد من اكتشاف المجرم في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف رقم القصّة ٧/٤٥ .

ولما فتح محمد بن سليمان ، مصر ، أسرف في الشدّة على أهل مصر ، من ضرب أعناق ، وقطع أيدي وأرجل ، وتمزيق الظهور بالسياط ، والصلب على جذوع النخل ونحو ذلك من أصناف النكال . (النجوم الزاهرة ٣/١٣٩) .

وظفر الجيش العباسي في السنة ٢٨٩ بابن أبي الفوارس ، أحد قوّاد القرامطة ، ومعه جماعة من أتباعه ، فأخذ أبو الفوارس ، فقلعت أضراسه ، ثم شدّ في إحدى يديه بكرة ، وفي الأخرى صخرة ، ورفعت البكرة ، ولم

يزل على حاله إلى وقت الظهر ، ثم قطعت يداه ورجلاه ، ثم قطعت عنقه (النجوم الزاهرة ١٢٦/٣ والطبري ٨٦/١٠ ومروج الذهب ٥٢٢/٢) .

وفي السنة ٢٩٠ وافى القرمطي بن زكرويه الرقّة ، فكسر جميع الجيوش التي واجهته وأجابه أكثر أهل البوادي ، وفتح حماة ومعرّة النعمان فقتل أهلها حتى النساء والأطفال ، ثم سار إلى بعلبك ، فقتل عامّة أهلها ، ولم يبق منهم إلا اليسير ، ثم سار إلى سلميّة ، فدخلها وقتل أهل سلمية أجمعين حتى صبيان الكتاتيب ، ثم قتل البهائم أيضاً ، ثم دار في القرى يحرق ويسبي ويقتل ، وكتب أهل مصر إلى المكتفي يشكون ما لقوا من ابن زكرويه المعروف بصاحب الشامة وأنّه قد أخرب البلاد وقتل الناس ، فجهّز إليه المكتفي جيشاً ، فأسر صاحب الشامة وقسماً من أتباعه (الطبري ١٠/٩٧ ـ ١٠٩) ، وفي السنة ٢٩٠ استعدّت بغداد لاستقبال صاحب الشامة القرمطي وأتباعه ، منهم المدثّر والمطوّق وجماعة من الأسرى ، وكان الرأي أن يدخل القرمطي بغداد مصلوباً على دقل ، والدقل على ظهر فيل ، فأمر بهدم طاقات الأبواب التي تقصر عن هذا العلوّ ، مثل باب الطاق ، وباب الرصافة ، ثم غيّر المكتفي رأيه ، وأمر دميانة فعمل كرسيّاً ، وركّب الكرسي على ظهر الفيل ، وكان ارتفاعه عن ظهر الفيل ذراعين ونصف ذراع ، وأدخل الأسرى إلى بغداد على جمال مقيّدين، عليهم دراريع حرير وبرانس حرير ، والمطوّق في وسطهم ، غلام ما نبتت لحيته ، قد جعل في فيه خشبة مخروطة ، شدّت إلى قفاه كهيأة اللّجام ، لأنّه لما دخل الرقّة كان يشتم الناس إذا دعوا عليه ، ويبزق عليهم ، ففعل به ذلك لئلا يشتم أحداً ، وأمر المكتفي ببناء دكّة في المصلّى العتيق من الجانب الشرقي ، عشرين ذراعاً في عشرين ، وآرتفاعها نحو عشرة أذرع ، وبني لها درج ، ثم أمر المكتفي القوّاد والغلمان بحضور الدكة ، وخرج خلق كثير من الناس للرؤية ، وحضر الواثقي صاحب شرطة بغداد ، وحمل الأسرى ، وكان عددهم ثلثمائة وستّين أسيراً ،

ووكّل بكلّ واحد منهم عونان ، وجيء بالقرمطي الحسين بن زكرويه صاحب الشامة ، ومعه ابن عمه المدثّر على بغل في عمّارية ، وقد أسبل عليها الغشاء ، يحيط بهما جماعة من الفرسان والرجالة ، فأصعدا إلى الدكّة ، وأقعدا ، وقدّم أربعة وثلاثون إنساناً من الأسارى ، فقطّعت أيديهم وأرجلهم ، وضربت أعناقهم واحداً بعد واحد ، كان يؤخذ الرجل فيبطح على وجهه ، فتقطع يمنى يديه ، ويلقي بها إلى أسفل ليراها الناس ، ثم تقطع رجله اليسرى ، ثم يسرى يديه ، ثم يمنى رجليه ، ويرمي بما قطع إلى أسفل ، ثم يقعد فيمدّ رأسه ، فيضرب عنقه ، ويرمى برأسه وجثّته إلى أسفل ، فلما فرغ من قتل هؤلاء الأربعة والثلاثين ، وكانوا من وجوه أصحاب القرمطيّ ، وكبرائهم ، قدّم المدثّر ، فقطعت يداه ورجلاه ، وضربت عنقه ، ثم قدّم القرمطي ، فضرب مائتي سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه ، وكوي ، فغشي عليه ، ثم أخذ خشب فأضرمت فيه النار ، ووضع في خواصره وبطنه ، فجعل يفتح عينيه ثم يغمضهما ، فلما خافوا أن يموت ضربت عنقه ، ورفع رأسه على خشبة ، وكبّر الحاضرون ، ثم قام الواثقي بضرب أعناق باقي الاسرى ، فلما كان من غدِ ذلك اليوم حملت رؤوس القتلى من المصلّى إلى الجسر ، وصلب بدن القرمطيّ في طرف الجسر الأعلى ببغداد ، وحفرت لأجساد القتلى آبار إلى جانب الدكّة ، وطرحت فيها ، وطمّت ، ثم أمر بعد أيّام بهدم الدكّة . (الطبري ١٠/١١٣ و ١١٤) .

وفي السنة **٢٩٤** اعترض زكرويه القرمطي ، قافلة الحاجّ الخراسانية ، بالعقبة ، من طريق مكّة ، فأوقع بها ، وقتل النساء والرجال ، وسبى من النساء من أراد ، واحتوى القرامطة على من كان وما كان في القافلة ، ثم واجهوا القافلة الثانية فقتلوا من فيها عن آخرهم ، إلاّ من آستعبدوه ، ثم لحقوا من أفلت من السيف ، فأعطوهم الأمان ، فعادوا ، فقتلوهم أجمعين ، وسبوا من النساء والأولاد من أرادوا ، وكان في القافلة الثانية أبو العشائر الحمداني ،

فوضعوا القتلى بعضهم فوق بعض ، حتى صاروا كالتلّ العظيم ، ثم قطعوا يد أبي العشائر ورجليه ، ثم ضربوا عنقه ، وكان نساء القرامطة يطفن مع صبيانهم في القتلى ، يعرضون عليهم الماء ، فمن كلّمهم أجهزوا عليه (الطبري ١٠/١٣١ و١٣٢) .

وفي السنة ٣٠٤ قبض ذكا الأعور ، عامل مصر للمقتدر ، على قوم من أهل مصر اتّهمهم بمكاتبة صاحب إفريقية ، فقطع أيديهم وأرجلهم (الولاة للكندي ٢٧٤) .

وفي السنة ٣٠٧ تحرّك السعر في بغداد ، فهاجت العامّة ، وكسروا المنابر ، وقطعوا الصلاة ، ونهبوا دكاكين الدقّاقين (أصحاب الدقيق) وسلبوا الثياب ، ورجموا بالآجر ، وأحرقوا الجسرين ، وفتحوا السجون ، وأخرجوا المحبّسين منها ، ونهبوا دار صاحب الشرطة ، ودار غيره ، فأنفذ لهم المقتدر ، خاله غريب القائد ، مع جيش ، فقاتل العامّة ، فهربوا من بين يديه ، ودخلوا الجامع بباب الطاق (الصرافية) فوكّل بأبواب الجامع ، وأخذ من فيه ، فحبسهم ، وضرب بعضهم ، بالسياط ، وقطع أيدي من عرف منهم بالفساد (ابن الأثير ٨/١١٦ و١١٧ وتجارب الأمم ١/٧٤) .

وفي السنة ٣٠٩ قتل الحسين بن منصور الحلّاج ، الصوفي المشهور ، وكان للعامّة فيه اعتقادات عجيبة ، منها أنّه يحيي الموتى ، وأنّ الجنّ يخدمونه ، وكان الحلّاج ينكر ذلك ، ويقول : أنا رجل أعبد الله ، وعاداه الوزير حامد بن العباس ، فاستصدر فتوى بإباحة دمه ، ولما صدر الحكم بإعدام الحلّاج ، امتنع المقتدر من المصادقة عليه ، فألحّ عليه الوزير حامد بن العباس إلحاحاً شديداً ، فأصدر الخليفة موافقته على الحكم ، واتّخذت احتياطات أمن مشدّدة ، فقد كان رجال الحكم يخشون أن يغلبهم الناس على الحلّاج ويستنقذوه من أيديهم ، وأحضر في يوم تنفيذ الحكم في رحبة الجسر ، حيث مجلس صاحب الشرطة ، واجتمع من الناس خلق لا يحصى

عـددهم ، فضرب إلى تمـام الألف سـوط ، ثم قـطعت يـده ، ثم رجله ، ثم يده ، ثم رجله ، ثم حزّ رأسه ، وأحرقت جثّته ، ولما صـارت رماداً ألقيت في دجلة ، راجع في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٦/٧٩ ـ ٩٢ رقم القصة ٥١ كيفيـة محاكمـة الحلّاج وإعـدامـه ، وقـد اختلف المؤرّخـون في الحـلّاج اختـلافاً بيّنـاً ، فمن مادح غـالٍ ، ومن ذامّ قالٍ ، والـذي يـظهـر من محضـر محاكمته أنّه لم يرتكب ذنباً يستوجب العقوبة ، فضلاً عن القتل .

وفي السنة ٣١٧ هاجم الجنود القاهر ، وكان معـه أبو الهيجـاء عبد الله بن حمـدان ، والد سيف الـدولـة ، فتعلّق القـاهـر بـأبي الهيجـاء وقـال لـه : اتّسلمني ؟ فهـاجت الحميّة والأنفـة في أبي الهيجاء ، وقـال له : لا والله ، لا أسلمك ، وجرّد سيفه ، وأخذ يـدافـع عن القـاهر ، فـاضطرّ المحـاربون إلى قتله ، ورموه بالسهام ، فأصابه سهم تحت ثديه ، وآخر أصاب ترقوته ، وثالث شكّ فخذيه ، وهو يصيح : يا آل تغلب ، أأقتل بين الحيطان ، أين الكميت ؟ أين الدهماء ؟ ثم سقط ، فأسرع إليه أسود ، فضرب يده اليمنى فقطعها وفيهـا السيف وغشيه أسود آخـر فحزّ رأسـه . (ابن الأثير ٨/٢٠٠ ـ ٢٠٥ وتجـارب الأمم ١/١٩٨ والتكملة ٦٠ و٦١) .

وفي السنة ٣٢١ جلس القاهر العباسي بـالميدان ، وأحضـر رجلاً قـطع الطريق في دجلة ، فضرب بحضـرته ألف سـوط ، ثم ضربت عنقـه ، وضرب جماعة من أصحابه ، وقطعت أيديهم وأرجلهم (المنتظم ٦/٢٤٩) .

وفي السنة ٣٢٦ قطعت يـد الوزيـر أبي علي بن مقلة ، وقطع لسـانه ، وسبب ذلـك : إنّ الراضي استـوزره ، ولكنّ الأمور كـانت كلّهـا في يـد أمير الأمراء ابن رائق ، وليس في يد الـوزير منهـا شيء ، وكان ابن رائق قـد قبض أموال ابن مقلة وأملاكه ، وأمـلاك ابنه ، فخاطبه في أمـر ردّها ، فلم يـردّها ، فسأل أصحابه أن يكلّموه في ردّهـا ، فوعـدوه ، ولم تقض حاجتـه ، فلما رأى ذلك سعى بابن رائق ، وكاتب بجكم يطمعـه في موضـع ابن رائق ، كما كتب

إلى وشمكير بمثل ذلك ، وهو بالريّ ، وكتب إلى الراضي يشير عليه بالقبض على ابن رائق ويضمن له أن يستخرج منه ومن أصحابه ثلاثة آلاف ألف دينار ، وأشار عليه باستدعاء بجكم ، وإقامته مقام ابن رائق ، وتعجّل ابن مقلة ، فكتب إلى بجكم يعرّفه إجابة الراضي إلى إحلاله محلّ ابن رائق ، ويحثّه على الحركة والمجيء إلى بغداد ، ثم طلب ابن مقلة من الراضي أن يأذن له في أن ينتقل ويقيم عنده بدار الخلافة إلى أن يتمّ على ابن رائق ما اتّفقا عليه ، فأذن له ، فحضر متنكّراً آخر ليلة من رمضان ، فلما حصل بدار الخلافة ، أمر الراضي ، فاعتقل في حجرة ، وأنفذ إلى ابن رائق فأعلمه الحال ، وعرض عليه خطّ ابن مقلة ، وما زالت الرسل تتردّد بين الخليفة وابن رائق ، إلى منتصف شوّال ، فأخرج ابن مقلة من محبسه ، وقطعت يده في حجرة بدار السلطان (دار الخلافة) بحضرة فاتك ، حاجب ابن رائق ، وجماعة من القوّاد ، وعالجه على أثر القطع ثابت بن سنان ، في آخر اليوم الذي قطع فيه ، فوجده في حال صعبة ، ووجد ساعده قد ورم ورماً عظيماً ، وعلى موضع القطع خرقة غليظة كردوانية كحليّة ، مشدودة بخيط قنّب ، فحلّ الشدّ ، ونحّى الخرقة ، فوجد تحتها في موضع القطع سرجين الدوابّ ، فنفضه عنه ، وإذا رأس الساعد ، أسفل القطع مشدود بخيط قنّب قد غاص في ذراعه لشدّة الورم ، وابتدأ ساعده يسودّ ، فعالجه ، ثم كاتب الراضي مرّة أخرى ، يطلب الوزارة ، ويذكر انّ قطع يده لا يمنعه من عمله ، وكان يشدّ القلم على يده المقطوعة ويكتب ، فلما اقترب بجكم من بغداد ، طمع ابن مقلة في الخلاص ، فأمر الراضي وابن رائق ، بقطع لسانه ، فقطع ، وألبس جبّة صوف ، وترك معه في الحبس دورق واحد ، يشرب منه ، ووكّل به خادم صبيّ أعجمي ، فكان لا يفهم عنه ولا يخدمه ، ثم فرّق بينه وبين الخادم ، فبقي وحده ، ولحقه ذرب في الحبس ، فآل به الحال أن كان يستقي الماء من البئر بيده اليسرى ، ويمسك الحبل بفيه ، ولحقه شقاء شديد ثم أمر الراضي بقطع الخبز عنه أيّاماً ، فمات ، للتفصيل راجع تجارب الأمم ١/٣٨٧ و٣٩٠

والأوراق للصولي ١٠٥ والتكملة ١٠٩ و١١٠ ووفيات الاعيان ١١٤/٥ - ١١٧ وتاريخ ابن خلدون ٤٠٦/٣ وابن الأثير ٣٤٥/٨ و٣٤٦ والمنتظم ٢٩٣/٦ و ٣١١.

ومما يقتضي إيراده ، انّ ابن مقلة كان قد أصدر أمره ، وهو وزير ، بقتل الحسين بن القاسم بن عبيد الله ، الذي وزّر للمقتدر ، ولما وقعت الفتنة ببغداد في أيّام المتّقي ، أخرج من الخزانة سفط فيه يد مقطوعة ، ورأس مقطوع ، وعلى اليد رقعة ملصقة عليها مكتوب عليها : هذه اليد يد أبي علي بن مقلة ، وعلى الرأس : هذا رأس الحسين بن القاسم ، فكانت هذه اليد ، هي التي وقّعت بقطع هذا الرأس (الفخري ٢٧٤) .

وفي السنة ٣٣٠ نصب المتّقي ، الأمير ناصر الدولة بن حمدان ، أميراً للأمراء (تجارب الأمم ٢٨/٢) ولما دخل بغداد ، أخذ ينظر في قصص أصحاب الجنايات وفيما ينظر فيه صاحب الشرطة ، وتقام الحدود الواجبة عليهم من ضرب وقطع يد ورجل بحضرته ، وتعرض عليه الأيدي والأرجل إذا قطعت ، وتعدّ بحضرته ، ويستوفي العدد عليهم ، لئلا يرتفق أصحاب الشرطة من الجناة ويطلقوا من دون علمه (تجارب الأمم ٣٨/٢) .

وفي السنة ٣٤١ أسر معبد بن حرز الزناتي بالمغرب ، وجيء به إلى المنصورية ، وطيف به وبابنه في مدينة القيروان ، وقد أشهرا ، وقطعت يدا ولده ورجلاه وهو يرى ذلك في باب أبي الربيع ، وصلب ، ثم سلخ جلد معبد ، وهو حيّ ، ولم يتحرّك ، وحشي بالتبن (العيون والحدائق ج ٤ ق ٢ ص ١٩٥) .

وأقرّ ملّاح للأبزاعجي صاحب شرطة بغداد ، أنّه حمل في سفينته امرأة وطفلتين ، ينقلهنّ من بغداد إلى باب الشماسيّة (الصليخ) ، فراودها في الطريق على نفسها ، فأبت ، فأغرق طفلتيها الواحدة بعد الأخرى ، وأراد

إغـراقها ، فـاستسلمت له ، ثم أغـرقها ، فـأمر الأبـزاعجي به ، فقـطع يـديـه ورجليه ، ثم ضرب عنقـه ، واحـرق جسـده بالنـار ، راجع تفصيـل القصة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٣ ص ٢١٤ ـ ٢٢٠ رقم القصة ١٤١/٣ .

وفي السنة ٣٦٧ كان الأمير على الموسم بمكـة باديس بن زيـري ، بعثه العزيز الفاطمي ، فلما وصل مكّة ، أحضر ممثلي اللصوص بهـا، واتّفق معهم على تقبّـل الموسم منهم بخمسين ألف درهم يقبضـونها ولا يتعـرّضـون لأحـد خـلال موسم الحـج ، فوافق ، وقـال : إجمعوا إليّ أصحـابكم ، حتى يكون العقد مع جميعكم ، فاجتمعوا ، وكانوا نيفاً وثلاثين رجـلاً ، فقال : هـل بقي منكم أحـد ؟ فحلفوا لـه أنّه لم يبق منهم أحـد ، فقطع أيـديهم كلّهم . (ابن الأثير ٨/٦٩٤) .

وذكر القاضي التنوخي ، في كتابه نشوار المحاضرة واخبـار المذاكـرة ، فـي القـصّـة المـرقـمـة ٣/٦٠ (ج ٣ ص ٨٨ ـ ٩٠) ، أنّ الخـوارج فـي سجستان ، يقـطعـون السارق من المرفق .

أقول : إنّ الاختلاف الحـاصل بين الـطوائف الإسلاميـة ، في موضـوع مقدار ما يقتضي قطعه من السارق ، يرجـع إلى الاختلاف في تحـديد اليـد ، تطبيقاً لحكم الآية الكريمة : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعـوا أيديهمـا جزاء بمـا كسبـا ﴾ (٣٨ م المائـدة ٥) ، وقد فسّـر أكثر الفقهـاء ، اليد ، بـأنّهـا الكفّ بكامله ، وحكموا في القطع للسرقة ، بأنّ يتمّ من الـرسغ ، وهـو المفصل بين الكفّ والساعد (مجمع البيان ج ٣ ص ١٩٢) ، أمّا الإمامية ، فإنّهم قرّروا ، أنّ الآية الكريمة : ﴿ وإنّ المساجـد لله ﴾ (١٨ ك الجن ٧٢) ، منعت قطع الكفّ بكـامله ، لأنّ المساجـد ، مفردها مَسْجَد (بفتـح الجيم) هي الأعضاء التي يسجد عليها ، والمسـاجد أو الآراب السبعـة التي يسجد عليهـا ، هي : الجبهة ، والأنف ، واليدان ، والركبتان ، والـرجلان (لسـان العرب ، مـادة : سجـد) وحيث أنّ السجود يقتضي وجـود الكفّ ، فـلا تقـطع ، وحكمـوا في

القطع للسرقة بأن تقطع الأصابع من أصولهـا ، ويترك الإبهـام والكفّ (مجمع البيـان ج ٣ ص ١٩٢) ، أمّـا الخـوارج ، فقـرّروا أنّ الآيــة الكـريمــة ، في الـوضوء ، ﴿ فـإغسلوا وجوهكم وأيـديكم إلى المرافق ، ٦ م المـائـدة ٥) ، حدّدت اليد إلى المرفق ، ولذلـك أفتى فقهاؤهم بقـطع اليد ، وفقـاً للتحديـد الوارد في هذه الآية ، بأن يشمل الكفّ والساعد ، ويتمّ من المرفق .

وروي أنّ منصور بن سهل ، وكان يلي البصرة في السنة ٣٨٤ (تجارب الأمم ٣/٢٥٩) قبض على سـارق ، وأراد قطع يـده ، فقيل لـه : إنّـه خيـاط حـاذق ، فقال : اقـطعوا رجله ، ودعـوا يده ، فقـطعت رجله (أخبار الحمقى والمغفلين ٩٥) .

وكان غلمان حسام الدولة المقلّد بن المسيّب العقيلي ، قد استولوا على دوابـه ، وفرّوا بهـا ، فتبعهم ، وظفر بهم ، وقتـل ، وقطع أحـد عشـر غـلامـاً منهـم ، وأعـادهـم إلى خدمتـه ، فاغتـاله أحـدهـم في السنـة ٣٩١ . (تـاريـخ الصابي ٣٨٩/٨١) .

وفي السنة ٣٩٨ كثرت العملات ببغداد ، وكبس الذعّار عدّة مواضـع ، وقصـد قوم منهم مسجـد براثـا ، ليلة الجمعة ، وأخـذوا حصـره ، وستـوره ، وقنـاديله ، فجدّ أصحـاب الشرطـة في طلبهم ، فظفـروا ببعضهـم ، فشهروا ، وعوقبوا، وكحلوا ، وقطعوا . (المنتظم ٧/٢٣٧) .

وفي السنة ٤٠٠ قتل المهدي الأمويّ ، أبو المطرف محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبـد الرحمن النـاصر ، وكـان قد استخلف بقـرطبة ، فهـاجمه سليمان بن الحكم ، الملقّب بالمستعين بـالله ، وطرده من قـرطبة ، فـاستعان بالإفرنـج ، وهاجم قـرطبة ، فـآنكسر ، وأسـر ، فقطعت أربعتـه ، ثم ضربت عنقه (الوافي بالوفيات ٥/١٦٣ ـ ١٦٥) .

وقطع الحاكم الفاطمي (ت ٤١١) أيدي كثير من الكتّاب ، بـالساطـور

على الخشبة من وسط الذراع . (خطط المقريزي ٢/٢٨٧) .

ومن عجائب الحاكم الفاطمي ، إنّه كان يأمر بقطع يد أحد أصحابه ، ثم يعيده إلى خدمته ، ثم يقطع يده الأخرى ، ويبعث إليه بالأطبّاء لعلاجه ، ويبرّه بالذهب ، ثم يقطع لسانه ، ويبعث إليه بالأطبّاء لعلاجه ، وقد صنع ذلك بأحد أتباعه المسمّى غبن ، راجع خطط المقريزي ٢/٢٩٧ و٢٩٨ والنجوم الزاهرة ٦٣ و٦٥ . ,

وغضب الحاكم الفاطمي ، صاحب مصر ، على أبي القاسم الجرجرائي (ت ٤٣٦) وكان يتقلّد أحد الدواوين ، فأمر به فقطعت يداه ، فعصب يديه بعد قطعهما ، وانصرف إلى الديوان ، فجلس كعادته ، وقال : إنّ أمير المؤمنين لم يعزلني ، وإنّما عاقبني لجنايتي ، فعجب الناس منه ، واستعظمه الحاكم ، فرفعه إلى الوزارة . (اعتاب الكتاب ١٩٩) .

أقول : إنّ الظافر الفاطمي ، الذي خلف أباه الحافظ استوزر الجرجرائي ، رغم أنّه مقطوع اليدين ، فكان القاضي أبو عبد الله القضاعي ، يكتب عنه العلامة : وهي : الحمد لله ، شكراً لنعمته (النجوم الزاهرة ٤/٢٤٨) .

وفي السنة ٤٢٧ توفّي رافع بن الحسين بن مقن ، صاحب تكريت ، وكان شجاعاً حازماً ، وكانت يده قد قطعت ، لأنّ بعض عبيد بني عمّه كان يشرب معه، وجرى بينه وبين آخر كلام ، فجرّدا سيفيهما ، وقام رافع يصلح بينهما ، فضرب العبد بسيفه فأصابت يد رافع غلطاً فقطعها ، فعمل رافع لنفسه كفّاً أخرى يمسك بها العنان ، ويقاتل . (ابن الأثير ٩/٤٥١) .

وذكر أسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار ١٥٥ و١٥٦ أنّه كان في جيش الأمير أتابك زنكي ، لما حاصر حصن الصور في ديار بكر ، وكان فيه رماة جرخيّة ، فأمر من ناداهم ، بأنّه إذا أصيب أحد من رجاله بنشّابة منهم ، فإنّه

سيقطع أيديهم ، ولما استولى على الحصن ، اتّفق أنّ نشابة جرخ ضربت رجلاً من الخراسانية في ركبته ، قطعت الفلكة التي على مفصل الركبة ، فمات ، فاستدعى أتابك الرجخيّة ، وهم تسعة نفر ، فجاءوا ، وقسيّهم موتورة على أكتافهم ، فأمر بحزّ إبهاماتهم من زنودهم ، فاسترخت أيديهم وتلفت .

وذكر صاحب الإحاطة في أخبار غرناطة (٣٠٥ - ٣١١) انّ من جملة ألوان العذاب التي كان يمارسها إبراهيم بن محمد بن همشك ، صاحب شقورة بالأندلس (ت ٥٧١) قطع وإخراج الأعصاب والرباطات عن الظهور .

وثمة تقاليد ، هي في الواقع ، لون من العذاب ، منها أنّ السلطان محمود بن سبكتكين ، كان إذا هادن ملكاً ، بعث إليه قباءً ، وعمامة ، وسيفاً ، ومنطقة ، وفرساً ، ومركباً ، وخفّاً ، وخاتماً عليه اسمه ، وأمره أن يقطع إصبعه ، ويبعث به إليه ، وهي عادة للتوثقة عندهم ، وكان عند محمود ، من أصابع هؤلاء الذين هادنوه ، الكثير (المنتظم ٨/٥٣) ، أقول : لو كان قطع الإصبع يقوم به الطرفان المتقابلان ، لكان محمود بن سبكتكين ، بعد عشر مهادنات ، بلا إصبع .

وفي السنة ٤٨١ حاول سعد الدولة كوهرائين ، صدّ بعض العامة عن امرأة تبيع الماء ، فطعنه أحدهم بأسفل رمحه ، فسقط في الطين ، فأخذ من العامّة ثمانية نفر ، قتل واحداً منهم ، وقطع أعصاب ثلاثة نفر (ابن الأثير ١٠/١٦٤) .

وفي السنة ٤٩٥ قتل تيران شاه بن توران شاه ، صاحب كرمان ، وكان قاسياً ، قتل ألفي رجل من الإسماعيلية ، أتباع أمير اسمه إسماعيل صبراً ، وقطع أيدي ألفي رجل آخرين . (ابن الأثير ١٠/٣٢٠) .

وفي السنة ٥١٥ عصى سليمان بن ايلغازي على أبيه ، وتحصّن بحلب ، وكان قد تجاوز العشرين من عمره ، حمله على ذلك جماعة من

أصحابه ، فسمع والده بالخبر ، فسار إليه مجدّاً ، فلما وصل إلى حلب ، خرج سليمان إليه معتذراً ، فأمسك عنه ، وقبض على من أغراه بذلك ، منهم أمير من الأمراء كان قد التقطه أرتق ، والد ايلغازي ، وربّاه ، واسمه ناصر ، فقلع ايلغازي عينيه ، وقطع لسانه ، ومنهم إنسان حمويّ من بيت قرناص ، كان قد رأسه ايلغازي على أهل حلب ، فقطع يديه ورجليه وسمل عينيه ، فمات (ابن الأثير ١٠/٥٩١ و٥٩٢) .

وفي السنة **٥٤٦** قطعت يد رجل متفقّه ، يقال له شجاع الدين ، كان يتخادم للفقهاء والوعّاظ ، ظهرت عليه عدّة عملات ، فقطع (المنتظم ١٠/١٤٥) .

وفي السنة **٥٦٤** قبض وزير الخليفة المستنجد بالله ، وهو شرف الدين أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدي ، على الحسين بن محمد المعروف بابن السيبي ، وعلى أخيه الأصغر ، وكانا آبني عمة عضد الدين استاذ دار الخليفة ، وكان الأصغر عامل البيمارستان ، فاتّهم بخيانة ، وقطعت يده ورجله ، وحمل إلى البيمارستان ، فمات به (ابن الأثير ١١/٣٤٩) .

وفي السنة **٥٧٤** كبس بالكرخ على رجل يقال له أبو السعادات بن قرايا ، كان ينشد على الدكاكين ، اتّهم بالترفّض (أي التشيّع) فأخذ ، فقطع لسانه ، ثم قطعت يده ، ثم رجم حتى مات ، ثم أحرق (المنتظم ١٠/٢٨٦) .

ولما ولي الظافر الفاطمي ، الخلافة ، فتك بآبني الانصاري ، وكانا قد آستعليا في دولة أبيه الحافظ ، فركب الظافر بعد العشاء الآخرة ، ووقف على باب الملك ، وأحضر ابني الانصاري ، واستدعى متولّي الستر ، وهو صاحب العذاب ، وأحضرت آلات العقوبة ، فضرب الأكبر بحضوره بالسياط إلى أن

قارب الهلاك ، وثنّى بأخيه ، وأمر بإخراجهما ، وقطع أيديهما ، وسلّ السنتهما من القفا ، وصلبا على بابي زويلة زمناً (النجوم الزاهرة ٥/٢٩٥) .

وكان الوزير ابن البلدي ، وزير المستنجد ، في أيّام وزارته ، قطع أنف امرأة ، ويد رجل ، فلما توفّي المستنجد ، واستخلف المستضيء ، أسلمه إلى أولياء الثأر ، فقطعوا أنفه ، ثم بتروا يده ، ثم ضرب بالسيوف ، وألقي في دجلة ، وكان ذلك في السنة ٥٦٦ (المنتظم ١٠/٢٣٣) .

وفي السنة ٦٠٤ قطعت يدا أبي الغنائم نصر بن ساوى النصراني ، الناظر في أعمال دجيل ورجلاه ، وصلب ، وعلّق مقابل دار الأمير علاء الدين تتامش الناصري ، وسبب ذلك انّه قد نسب الى أبي الغنائم انّه توصّل الى قتل الأمير تتامش بالسمّ ، وكان تتامش مقطع دقوقا ، فلما مات مسموماً ، نسب إلى أبي الغنائم انّه دسّ له السمّ ، فتقدّم بأخذه ، وأن يفعل به ما سبق ذكره ، وكان شيخاً مليح الهيأة ، مترفاً ، منعمّاً ، وبلغني إنّه بذل عشرة آلاف دينار على أن لا يقتل ، فلم يقبل منه ، ثم أحرق بعد صلبه ، فطيف به المحال مسحوباً (الجامع المختصر ٢٢٠) .

وفي السنة ٦٢٩ جرت فتنة بين أهل باب الأزج وأهل المختارة ، وتراموا بالبندق والمقاليع والآجرّ ، وتجالدوا بالسيوف ، فقتل من الفريقين وجرح جماعة - فتقدّم في عشيّة اليوم التالي بخروج الجند ، وكفّهم عن ذلك ، فخرج نائب باب النوبي ، ومعه جماعة من الجند ، وكفّهم ، وقبض على جماعة منهم ، فضربهم ، وقطع أعصابهم ، فسكنت الفتنة (الحوادث الجامعة ٣١) .

وفي السنة ٦٣٧ تحيّل قوم غرباء ، كانوا في حبس الوزير ، وهو داره بدرب البطيخ ، ونقبوه ، وخرجوا ليلاً ، ومضوا لا يعلمون أين يقصدون ، فساقهم القضاء الى دار حاجب باب النوبي تاج الدين بن الدوامي ، فأنكرهم

الغلمان، وسألوهم عن حالهم ، فآستجاروا بهم ، وقالوا : قد هربنا من حبس الوزير ، فقبضوا عليهم ، وعرّفوا حاجب الباب ، فحبسهم ، وأنهى حالهم ، فتقدّم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف (الحوادث الجامعة ١٢٧) .

وفي السنة ٦٥٣ نبش قبر آمرأة في مقبرة معروف الكرخي ، وأخذت أكفانها ، فخرج بعض أهل قطفتا ليصلّي ، فرأى النبّاش ، فهرب ، فأنهى ذلك ، فكبس عليه وأخذ ، فوجدوا عنده عدّة أكفان ، فقطعت يداه وعلّقتا في حلقه ، وأشهر ببغداد (الحوادث الجامعة ٣٠٧) .

وفي السنة ٦٥٣ وثب أهل النيل على الشحنة بها فقتلوه ، لكونه أساء السيرة فيهم ، وكان يهجم على نسائهم ويفتك بهنّ ، فشكو أمره إلى الخليفة والوزير وصاحب الديوان ، فلم يلتفت إليهم ، فقتلوه ، فلما بلغ الخليفة خبر قتله ، أمر الأمير سيف الدين قليج ، بالمسير إليهم ومؤاخذة من فعل ذلك ، فسار إليهم ، وأخذ جماعة ، فقتل منهم ، وصلب ، وقطع أعصاب آخرين وأيديهم ، وأحرق دوراً كثيرة ، ونهب أموال أصحابها (الحوادث الجامعة ٣٠٢) .

وفي السنة ٦٩٠ قتل ببغداد ، شابّ يهودي ، وقطعت أطرافه ، وطاف به العوامّ في دروب بغداد (الحوادث الجامعة ٤٦٥).

وفي السنة ٦٩٢ وثب باطنيّ على نفاجو ، أمير المسلحة بالعراق ، على رأس الجسر العضدي ببغداد (يريد رأس الجسر من الجانب الغربي حيث كان البيمارستان العضدي) . وطعنه بخنجر فقتله ، فقبض عليه ، وتسلّمه ابن نفاجو ، فمثّل به ، وقطع أطرافه وهو حيّ (تاريخ العراق للعزاوي ٣٥٦/١) .

وفي السنة ٦٩٣ تآمر بعض الأمراء المماليك بمصر ، على الملك الاشرف خليل ، وقتلوه ضرباً بالسيوف ، وكان على رأسهم الأمير بيدرا ،

فانتصر للسلطان قسم من الأمراء ، على رأسهم الأمير كتبغا ، وقبضوا على بيدرا ، وقطعوا يده ، ثم قطعوا كتفه ، وقتلوه ، ثم قبضوا على أميرين اشتركا في قتل الملك الاشرف وهما الأمير سيف الدين بهادر ، وجمال الدين اقشي ، فضرب عنقاهما وأحرقت جثّتاهما ، ثم قبض على سبعة أمراء آخرين ، اشتركوا في قتل الملك الأشرف ، فقطعت أيديهم ، وأرجلهم ، وسمّروا على الجمال ، وطيف بهم ، وأيديهم في أعناقهم ، وماتوا شرّ ميتة (تاريخ ابن الفرات ٨/ ١٧٠ - ١٧٤) .

وفي السنة ٦٩٤ تآمر الأمير لاجين والأمير كتبغا نائب السلطان ، على خلع السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون ، على أن يبايع كتبغا بالسلطنة ، وبلغ ذلك الأمراء الأشرفية ، فهاجوا ، ووثبوا ، فقبض عليهم الأمير كتبغا ، وقطع أيدي بعضهم ، وأرجلهم ، وكحل البعض وقطع ألسنة آخرين ، وصلب جماعة منهم ، على باب زويلة ، ثم خلع السلطان الناصر محمد بن قلاوون من السلطنة ، وتسلطن بدلاً منه . (النجوم الزاهرة ٨/ ٤٨ و٤٩) .

وفي السنة ٧٠٢ قطعت يد تاج الدين ابن المناديلي الناسخ بدمشق ، إذ وجدت بخطّه كتابة باسم نصيحة أريد بها احداث فتنة . (الوافي بالوفيات ٨/ ٣٠٣ .

وفي أيّام ملك الأمراء أرغون شاه ، في حكم دمشق ، قام بعض العامّة بخطف الخبز من دكاكين الخبّازين ، فجمعهم بحجة توزيع الخبز عليهم ، وأمر بقطع أيديهم وأرجلهم . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/ ٢٧١ و٢٧٢) .

وذكر ابن بطوطة ، إنّه لما وصل إلى مدينة كنكار ، في جزيرة سيلان ، وجد خارجها مسجد الشيخ عثمان الشيرازي ، وسلطان المدينة وأهلها يعظّمونه ، وكان الدليل إلى القدم (قدم آدم) ، ولكن قطعت يده ورجله ،

فصـار الادلّاء أولاده وغلمانـه ، وسبب قطع أطـرافه ، إنّـه ذبح بقـرة ، وحكم كفّار الهنود إنّ من ذبح بقرة ، قتل، إمّا ذبحاً ، وإمّا وضع في جلدها وأحرق ، وكان الشيخ عثمان معظّمـاً عندهم ، فـاكتفوا بقـطع أطرافه (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٢١٥) .

وفي السنـة ٧٣٩ غضب السلطان الملك النـاصـر محمـد بن قـلاوون ، سلطان مصر ، على أحمد بن يحيى العمري الكاتب ، فحبسـه ، ثم إنّ بعض الكتاب نقل عنه إنّه زوّر توقيعاً فـأمر النـاصر بـه فقطعت يـده في السجن ، ثم أطلق وتوفي ٧٤٩ (الدرر الكامنة ١/٣٥٢ - ٣٥٤) .

وفي السنة ٧٥٦ خرج عيسى بن الحسين ، صاحب جبل الفتح والثغور الأندلسية التي تحت حكم صاحب المغرب ، على السلطان أبي عنان صاحب المغرب ، فخالفه كثير من أصحابه ، واعتقلوه وولده ، وبعثوا بـه إلى السلطان أبي عنان ، فقتل عيسى قعصاً بالـرماح ، وقـطعت اطراف ولـده أبي يحيى من خلاف ، وترك ينزف حتى مات (ابن خلدون ٧/٢٩٥ و٢٩٦) .

وفي السنـة ٧٦١ وصل جمـاعة من الشـرفاء ، إلى المهجم في اليمن ، فاعتدى بعض غلمان الأشراف ، على واحد من أهل المدينة ، فقبض عليـه ، وقطعت يده . (العقود اللؤلؤية ٢/١١٢) .

وفي السنـة ٧٨٢ ادّعى شخص افـرنجي ، ضـدّ آخـر من المسلمين ، أمام الأمير بركة ، بالقاهرة ، فلم تثبت دعوى الإفرنجي ، فغضب الإفرنجي ، وأخرج سكيناً ، طعن بهـا الترجمـان ، فقتله في مجلس الحكم ، فأمـر الأمير بركة ، بالإفرنجي ، فسمّر ، وطيف به في القاهرة على جمل ، بعد أن قطعت يـداه ورجـلاه ، ثم أحـرق بـالنـار ، خـارج القـاهـرة . (بـدائـع الـزهـور ١/٢/٢٥٥) .

وفي السنة ٧٨٧ أمر السلطان الملك الظاهر برقوق في القاهرة ، بـإبطال

ما كان الناس يتعاطونه في النيروز من رشّ الماء ، والرجم بالبيض ، والمصافعة ، وتوعّد من يتعاطى ذلك منهم ، ورسم لوالي القاهرة ، بالقبض على المخالفين ، فقبض الوالي على جماعة ، وضربهم بالمقارع ، وقطع أيدي جماعة منهم . (بدائع الزهور ١/٢/٣٦٥) .

وفي السنة ٧٨٨ لما توفّي السلطان أبو فارس موسى ، صاحب المغرب ، طلب وزيره مسعود بن ماسي ، من صاحب غرناطة ، الأمير الواثق بالله أبا زيان محمد بن أبي الفضل بن علي ، فأحضره وبايعه ، ثم اختلف الوزير مع ابن الأحمر صاحب غرناطة ، فأطلق ابن الأحمر السلطانَ المخلوعَ أبا العباس المريني ، وسيّره إلى المغرب للمطالبة بعرشه ، فآجتمع عليه جمع من أنصاره ، وحاصر الوزير مسعود بن ماسي ، ومعه السلطان الواثق بالله أبو فارس ، ودام الحصار ثلاثة أشهر ، ثم حصل الصلح بين الطرفين على أن يستسلم الواثق ووزيره ، لأبي العبّاس ، على أن يمكّن الواثق من الجواز للأندلس ، وأن يستوزر مسعود بن ماسي ، ويطلق يده في الدولة ، وتمّ الأمان والصلح على هذا الوجه ، ودخل السلطان أبو العبّاس البلد في السنة ٧٨٩ وقبض على الواثق ، وبعث به معتقلاً إلى طنجة ، حيث قتله هناك ، ثم قبض على الوزير مسعود بن ماسي وإخوته ، وحاشيته ، وآمتحنهم جميعاً ، فهلكوا في العذاب ، وسلّط على الوزير مسعود من العذاب والانتقام ، ما لا يعبّر عنه ، ونقم عليه ما كان يفعله في دور بني مرين ، فإنّه كان ينهب بيوتهم ، ويخرّبها ، فأمر السلطان بعقوبته في أطلالها ، فكان يؤتى به إلى كلّ بيت منها ، فيضرب عشرين سوطاً ، ولما تجاوز العذاب به الحدّ ، أمر السلطان بقطع أطرافه ، فهلك عند قطع الطرف الثاني من أطرافه (ابن خلدون ٧/٣٥٧) .

وفي السنة ٧٩١ أعيد حسين بن الكوراني ، إلى ولاية القاهرة ، لأنّ الزعر كثر عتوّهم وفسادهم ، فتتبّع الزعر ، وقبض على أربعة عشر نفراً ،

فقطع أيديهم وشهرهم في البلد ، ثم قبض على ستّة آخرين من الزعر، ومعهم السلاح ، فقطع أيديهم وشهرهم . (نزهة النفوس ٢٤٥ و٢٤٨) .

وفي السنة ٧٩٢ حدثت فتنة بدمشق ، فركب الأمير يلبغا الناصري ، وحارب أهل الفتنة ، وكسرهم ، وقبض على أكابرهم ، فوسّطهم تحت القلعة ، وحبس عدّة منهم ، وقطع أيدي سبعمائة إنسان . (نزهة النفوس ٣١٠) .

وفي السنة ٧٩٢ قطع الأمير صارم الدين ، والي القاهرة ،أيدي سبعة نفر من الزعر . (تاريخ ابن الفرات ٢٠٣/٩) .

وفي السنة ٧٩٣ أخذ في مدينة تعز ، باليمن ، رجل من البهادرة ، ذكروا إنّه ساحر ، وكان يتشبّه بالمسلمين ، فسملت عيناه ، وقطعت يده . (العقود اللؤلؤية ٢ /٢٢٣) .

وفي السنة ٨٠٠ أمر السلطان الأشرف ، سلطان اليمن ، بقطع يد ابن الرباحي نقّاش السكّة في تعز ، فقطعت (العقود اللؤلؤية ٢ /٢٩٤) .

وفي السنة ٨٠١ وصل صاحب حيس باليمن ، إلى السلطان برجل اسمه عثمان بن مطير كان يسرق بالليل وينهب بالنهار ، فأمر السلطان بقطع يده ورجله من خلاف ، فاقام أيّاماً بعد القطع ، وهلك (العقود اللؤلؤية ٢/ ٣٠٥) .

وفي السنة ٨٠٣ اتّفق قوم على اغتيال نائب الإسكندرية ، فقبض عليهم وقتل بعضهم ، وقطع أيدي بعضهم . (بدائع الزهور ١/٢/ ٦٣٢) .

وفي السنة ٨٠٥ قام جماعة من المماليك الناصرية ، بالقاهرة ، بضرب بعض الأمراء ، فرسم السلطان بإحضار أولئك المماليك ، فضربهم بالمقارع ، وأشهرهم على جمال ، وقطع أيدي جماعة منهم (بدائع الزهور ١/٢/ ٦٦٨) .

وفي السنة ٩٠٣ جيء إلى سلطان مصر ، بسارق ، فأمر بقطع يده ورجله ، والطريف في الأمر ، انّ السلطان ألزم السارق نفسه بتنفيذ العقوبة ، بأن قطع أطرافه بيده (بدائع الزهور ١/٤٢) .

وفي السنة ٩١١ ظهر على الشيخ سنطباي بالقاهرة ، وكان يدّعي التصوّف ، وله جماعة من أصحابه ، إنّه يسكّ النقود المغشوشة (يضرب الزغل) فأحضره السلطان الغوري ، وأحضر أتباعه ، وضربهم بحضرته ، فأقرّوا بصنع الزغل ، وإنّ شيخهم سنطباي معهم في العمل ، فأمر السلطان بهم فقطعت أيديهم ، وأمر بقطع يد الشيخ سنطباي ، فشفع له الأمير قرقماش ، فعفا السلطان عن قطعه ، ونفاه إلى القدس (الكواكب السائرة ١/٢١٢) .

وكان ملك الأمراء ، نائب السلطان العثماني بمصر ، مولعاً بقطع الأطراف ، ففي السنة ٩٢٦ قبض على صيرفيّ يهودي ، اتّهم بأنّه تعامل في مسكوكات مغشوشة ، فضربه ، وقطع يده ، وعلّقها في أنفه ، وأشهره (بدائع الزهور ٥/٣٣٧) .

وكان لعبد الكريم بن محمود الطاراني ، المتوفى سنة ١٠٤١ أخ اسمه محمد حسن الخط الى الغاية ، سافر إلى مصر ، وقلّد الطغراء السلطانيّة ، فأحضره حاكم مصر ، وسأله ، فاعترف بالتقليد ، فأمر به حاكم مصر ، فقطعت يده اليمنى ، وكان بعد ذلك يلفّ على يده خرقة ، ويمسك بها القلم ، ويكتب (خلاصة الأثر ٣/١٢) .

وكان المير مهنا بن المير ناصر ، حاكم بندر ريق على خليج البصرة من السنة ١١٦٨ ـ ١١٨٣ عظيم القسوة في تعذيب رعاياه ، بجدع آنافهم وصلم آذانهم ، كما أنّه قتل أباه ، وأمّه ، وأخاه ، وستّة عشر رجلاً من أفراد عائلته (رحلة نيبور ٢/١٤٥ ـ ١٤٩) .

وفي السنة ١١٨٥ اختلف الأمير محمد بك أبو الذهب مع سيّده الأمير علي بك ، وترك القاهرة إلى الصعيد ، ثم وقع على مراسلة بين سيّده علي بك وبين الأمير أيّوب بك ، فأحضر أيّوب بك ، واتّهمه بوجود مراسلة بينه وبين علي بك ، فأنكر وحلف ، وقال إنّه إذا صحّ ذلك فيجب أن تقطع يده ولسانه ، فأظهر له محمد بك الرسالة المكتوبة بخطّ يده ، الى علي بك ، ولم يحر جواباً ، فأمر به فقطعت يده ، ثم شبكوا في لسانه سنّارة ، وجذبوه ليقطعوه ، فتخلّص منهم ورمى بنفسه في النيل ، فغرق (الجبرتي ٤٠٨/١) .

وفي السنة ١١٩٢ أمر مراد بك ، بمصر ، بقطع يدي عبد الرحمن اغا ، وسلّمه لسوّاس الخيل ، فصفعوه ، ثم قطعت يده ، ثم قتل (تاريخ الجبرتي ٥٣٢/١) .

وكان أحمد باشا الجزار (ت ١٢١٩) ، مشتهراً بالتمثيل بالناس ، بقطع الأطراف والآناف والآذان (تاريخ الجبرتي ٤٩/٣) .

وفي السنة ١٣٢٧ استولى محمد بن علي الإدريسي ، على صبيا ، وقطع يدي حاكمها الشريف أحمد الخواجي ، من زعماء أبي عريش (الاعلام ١٩٦/٧) .

القسم الثاني

سلّ اللسان

أما التعذيب بسلّ اللسان ، فإنّ أوّل من مارسه ، زياد بن أبيه ، جيء إليه برشيد الهجري ، من أصحاب الإمام عليّ ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ، ثم قطع لسانه ، ثم صلب خنقاً في عنقه (شرح نهج البلاغة ٢/٢٩٤) .

ومارس هذا اللون من العذاب ، من بعد زياد ، هشام بن عبد الملك الأموي إذ قطع لسان غيلان بن مسلم الدمشقي ، لأنّه كان يقول بالقدر ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ، وألقي في الكناسة ، فاحتوشه الناس ، فأمر بقطع لسانه ، ثم ضرب عنقه (العقد الفريد ٢ / ٣٨٠) .

أقول : الظاهر أنّ هشام قتله لأنّه كان يرى أنّ الإمامة تصحّ في غير قريش ، وأنّ كل من كان قائماً بالكتاب والسنّة فهو مستحقّ لها ، وأنّها لا تثبت إلّا بإجماع الأمّة .

وفي السنة ١١٨ قبض أسد بن عبد الله القسري ، على خداش ، أحد دعاة العباسيّين ، فقطع لسانه ، وسمل عينيه (ابن الأثير ١٩٧/٥) .

وفي السنة ١٢٨ كان مروان الجعدي ، يحارب الخوارج ، وبعث إليهم كاتبه محمد بن سعيد رسولاً ، فمالأهم وآنحاز إليهم ، ثم جيء به إلى مروان أسيراً ، فقطع يده ورجله ولسانه (الطبري ٣٤٧/٧) .

وفي السنة ١٣٢ لما وصل مروان الجعدي إلى « أبو صير » بمصر ، فاراً من بني العباس ، اتّهم أحد قوّاده بمكاتبة العباسيّين ، فقطع لسانه (فوات الوفيات ٤/١٢٨) .

وأمر هشام بن عبد الرحمن الداخل ، بالأندلس ، بأبي المخشيّ عاصم بن زيد العبادي ، شاعر الأندلس ، فقطع لسانه ، وسبب ذلك ، إنّ أبا المخشيّ مدح أبا أيّوب ، أخا هشام ، فعرّض في القصيدة بهشام ، إذ قال :

وليس كمن إذا ما سيل عرفاً يقلّب مقلةً فيها آعورارُ

وكان هشام في إحدى عينيه نكتة بياض ، كجدّه هشام بن عبد الملك ، ثم ظفر هشام ، وكان يلي الحرب بماردة ، بأبي المخشي ، فأمر به فقطع لسانه (بدائع البدائه ٣٨) .

وغضب المأمون على أبي الحسن الشاعر ، المعروف بالعكوّك ، فأمر باعتقاله ، وأحضر أمامه ، فقال له : يا ابن اللخناء ، أنت القائل للقاسم بن عيسى (أبي دلف)

كلّ من في الأرض من عربٍ بين باديه إلى حَضَرِهْ
مستعيرٌ منك مكرمةً يرتديها يوم مفتخره

جعلتنا ممن يستعير منه المكارم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنتم أهل بيت لا يقاس بكم، وإنّما عنيت بقولي ، أقراناً وأشكالاً لأبي دلف ، فقال له المأمون : أنا أستحلّ دمك بكفرك في شعرك ، حيث قلت في عبدٍ ذليلٍ مهين :

أنت الذي تنزل الأيّام منزلها وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددتَ مدى طرفٍ إلى أحدٍ إلّا قضيتَ بأرزاقٍ وآجال

ذاك هو الله عزّ وجلّ ، فجعلت بشعرك مع الله شريكاً ، ثم أمر به فسلّ لسانه من قفاه ، فمات . (وفيات الأعيان ٣/٣٥٣) .

أقول : يغلب على ظنّي أنّ المأمون آنّما قتله لأنه عرّض به ، وعيّره بأنّ أمّه أمة ، في شعر مدح به الأمين من جملته هذا البيت :

لم تلده أمة تعـ ـرف في السوق التجارا

وقد سبق أن أوردنا ما يشبه ذلك في هذا الكتاب ، في الفصل الأول من الباب الثاني : الضرب ، اذ غنّي الرشيد ببيتين في مدح علي بن المهدي ، وأمّه ريطة بنت أبي العبّاس السفّاح ، وفيهما تعريض بالرشيد بأنّ أمّه أمة ، فراجع القصّة في موضعها .

وكان يعقوب بن السكّيت ، النحوي ، اللغوي ، يؤدّب أولاد المتوكل ، فقال له المتوكّل يوماً : أيّما أحبّ إليك ، ابناي هذان ، أم الحسن والحسين ؟ فأجاب بجواب لم يرضه المتوكل ، فأمر الأتراك فداسوا بطنه ، وسلّوا لسانه ، فقتلوه (معجم الأدباء ٧/٣٠١) .

وقطع الراضي لسان وزيره أبي علي بن مقلة ، في السنة ٣٢٨ ، بعد ان قطع يده . (الوافي بالوفيات ٤/١٠٩) .

وفي السنة ٣٣٤ قطع لسان علم ، التي كانت قهرمانة المستكفي وكانت قد سملت عيناها أيضاً . (تجارب الأمم ٢/١٠٠) .

وفي السنة ٣٧٩ قبض بهاء الدولة البويهي ، على الحسين الفراش ، وأحضره إلى بغداد ، وأمر باخراج لسانه من قفاه ، فمات ، ورمي به إلى دجلة (ذيل تجارب الأمم ١٦٩) .

وفي السنة ٤٧٤ حاول أحد خدم الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش ، صاحب الموصل أن يخنقه ، وهرب قبل أن يتمّ خنقه ، وأدرك الأمير

أصحابه ، فنجا من الموت ، وقبض على الخادم ، فقطع لسانه ، ثم قتله (المنتظم ٨/٣٣١) .

وفي السنة ٤٧٥ بلغ جمال الملك بن الوزير نظام الملك ، انّ جعفرك ، مضحك السلطان ملكشاه ، يحاكي نظام الملك في كلامه وهيأته ، ويضحك السلطان ، فترك بلخ ، وكان والياً بها ، ووافى إصبهان حيث والده والسلطان ، وأغلظ لإخوته القول لسكوتهم عن جعفرك ، ثم أمر بالقبض على جعفرك، وسلّ لسانه من قفاه ، فيقال انّ السلطان ملكشاه ، وضع على جمال الملك من سقاه سمّاً في كوز فقاع ، فلما شربه مات (ابن الأثير ١٠/١٢٣ و١٢٤) .

وفي السنة ٥١٥ عصى سليمان بن ايلغازي على أبيه ، وتحصّن بحلب ، وكان قد تجاوز العشرين من عمره ، حمله على ذلك جماعة من أصحابه ، فبلغ والده الخبر ، فسار إليه مجدّاً ، فلما وصل إلى حلب ، خرج سليمان إليه معتذراً ، فأمسك عنه ، وقبض على من أغراه بذلك ، منهم أمير من الأمراء اسمه ناصر ، كان ارتق والد ايلغازي ، قد التقطه ورباه ، فقلع ايلغازي عينيه ، وقطع لسانه (ابن الأثير ١٠/٥٩١ و ٥٩٢) .

ولما ولي الظافر الفاطمي ، الخلافة ، في السنة ٥٤٤ قتل ابني الأنصاري ، وكانا قد استعليا في دولة أبيه الحافظ ، فضربهما بالسياط ، وقطع أيديهما ، وسلّ ألسنتهما من القفا ، ثم صلبهما . (النجوم الزاهرة ٥/٢٩٥) .

وقطع الخليفة الناصر ، في السنة ٦١٠ لسان الفقيه المأموني ، وألقاه في مطمورة ، حتى مات (الوافي بالوفيات ٩/١٥٩) .

وفي السنة ٦١١ غضب الخليفة الناصر ، على ابن الماشطة الحنبلي ، وكان يلي ضياع الخاصّ ، فأمر به فضرب مائة خشبة ، وقطع لسانه ، وأعطوه

لسانه في مداسه ، ونـادوا عليه : هـذا جزاء من يكثـر كلامـه . (الذيـل على الروضتين ٨٥) .

وفي السنـة ٦٢٥ نقل عن عبـد الله بن اسماعيـل ، صـاحب ابن المنى الـواعظ ما اقتضى أن أحضـر إلى دار الوزارة ، وضـرب مـائـة عصـا ، وقـطع لسـانـه ، وحمـل إلى المـارستــان العضـدي ، وحبس في حجـرة المجـانين (الحوادث الجامعة ١٤) .

وفي السنة ٦٢٦ أحضر أبو القاسم علي بن البوري ، إلى باب النوبي ، وضرب مائـة عصا ، وقـطع لسانـه ، وحمل إلى حبس المـدائن ، وكان شـاباً حسن الصورة ، تامّ الخلقة ، جميلاً ، نقل عنه مـا اقتضت السياسـة أن يعمل به ذلك (الحوادث الجامعة ٣ و٤) .

وفي السنة ٦٢٨ جيء من همذان ، بإنسانٍ ادّعى أنّ له اتّصالاً بـالخليفة المستنصر ، فقطع لسانه ، وحبس في المارستان (الحوادث الجامعة ٢٤) .

وفي السنة ٧٠٩ هجا بعض العوام بمصر ، السلطان بيبرس الجاشنكير ، فقطع ألسنتهم (بدائع الزهور ١/١٥١) .

وفي السنة ٧٣٣ أخذ حـاجب العرب بـدمشق علي بن مقلّد ، فضرب ، وحبس ، وأخذ مالـه ، وقطع لسـانه ، ثم قـطع لسانـه مرة ثـانية ، فمـات آخر النهار (المختصر في تاريخ البشر ٤/١٠٩) .

وفي السنة ٧٣٥ قتل حمزة التركمـاني ، قتله الأمير تنكـز نائب السلطنـة في الشام ، وكان من خواصّ تنكز ، ثم تغيّر عليه ، فاعتقله ، وعذّبـه بأن أمـر به فرمي بالبندق ، حتى تورّم جسده ، ثم أطلقه ، وبلغه إنّه تكلّم عنه بسـوء ، فبعث بـه إلى البقاع ، حيث قـطع لسانـه من أصله ، فمات (الـدرر الكـامنـة ٢/١٦٦ وتاريخ ابي الفدا ٤/١١٤) .

وفي السنـة ٧٥١ كان الأميـر أبو عنـان فـارس بن علي ، مستوليـاً على فاس ، فأعلن بها سلطنته ضد أبيه السلطان أبي الحسن المريني ، الذي كان

مقيماً بمراكش ، وقبض أبو عنان على كاتب الجباية يحيى بن حمزة بن شعيب بن محمد بن أبي مدين ، واتّهمه بممالأة أبيه السلطان عليه، فقطع لسانه ، فمات (ابن خلدون ٧/٢٨٦) .

وكان الأمير يلبغا العمري ، في السنة ٧٦٨ بالقاهرة ، فقتله مماليكه ، لأنّه كان ظالماً ، وكان يتنوّع في فرض العقاب على مماليكه ، على أدنى جرم ، وكان إذا غضب على أحد مماليكه ، فربما قطع لسانه ، فاتّفقوا على قتله ، وقتلوه (النجوم الزاهرة ١١/٣٥ ـ ٤٠ وبدائع الزهور ١/٢/٤٥) .

وفي السنة ٨٢٢ توفّي أحمد بن يوسف الشاعر المعروف بابن الزعيفريني وكان قد مدح الأمير جمال الدين الاستادار بأبيات تنبّأ له فيها بأنّه سيملك مصر ، ويملك بعده ابنه ، فاطّلع الملك الناصر فرج على الأبيات ، فأمر بقطع لسانه ، وعقدتين من أصابع يده اليمنى ، فرفق به عند القطع ، فلم يمنعه من النطق ، وأظهر الخرس مدّة أيّام الناصر ، ثم تكلّم بعد ذلك ، وكتب بيده اليسرى (شذرات الذهب ٧/١٥٥) .

وكان سليمان باشا بن قباد ، محافظ دمشق ، المتوفى سنة ٩٩٧ شديد السطوة ينوّع أنواع العذاب ، وقتل حمدان وهو بالمرجة ، وسلّ لسانه من تحت حنكه ، ثم شنقه في شجرة (الكواكب السائرة ٣/١٥٨) .

وفي السنة ١١٢٢ وقعت محاربة بين القيسية واليمنيّة ببلاد الشام ، فقتل كثير من اليمنيّة ، وخمسة أمراء من بني علم الدين ، وأمسك الشيخ محمود أبو هرموش ، وقطع الأمير حيدر الشهابي لسانه ، وأباهم يديه . (خطط الشام ٢٨٨٢) .

وفي السنة ١١٨٥ اتّهم الأمير محمد بك أبو الذهب ، بمصر ، أحد الأمراء ، و سمه أيّوب بك ، بخيانته ، فأمر بقطع يده ولسانه (تاريخ الجبرتي ١/٤٠٧ و٤٠٨) .

القسم الثالث

جدع الأنف وصلم الأذن

الجدع : القطع ، وترد على قطع الأنف ، والأجدع : مقطوع الأنف ، وقال الحسين بن مطير الأسدي ، يرثي معن بن زائدة الشيباني :

ولما مضى معنٌ مضى الجود وانقضى   وأصبح عرنين المكارم أجدعا

والصلم : قطع الشيء من أصله ، وترد على قطع الأذن ، والأصلم : من كانت أذناه مقطوعتان .

والعذاب بجدع الأنف وصلم الأذن ، قد يمارس كل لون منهما على انفراد ، وقد يمارسان مجتمعين ، ولذلك فقد قسمت هذا القسم إلى ثلاثة أبحاث .

البحث الأول : جدع الأنف
البحث الثاني : صلم الأذن
البحث الثالث : جدع الأنف وصلم الأذن مجتمعين .

البحث الأوّل

جدع الأنف

من اوائـل من مـارس العـذاب بجدع الأنف حميـد بن الحـارث بن بحـدل ، في كلب ، بعد وقعة مرج راهط ، فإنّه بعد أن قتل وأسـر ، عمد إلى من ظفر به من القتلى والأسرى ، فقطع سبالهم وآنافهم ، وجعلهـا في خيط ، وبعث بها إلى الشام (الأغاني ١٩/ ٢٠٠) .

ومن اخبـار جدع الأنف ، مـا صنعته حليلة هـدبة بن الخشـرم ، وكانت من اجمل النساء ، فـإنّها جـدعت أنفها لمـا قدّم زوجهـا للقتل ، وكـان هدبـة شاعراً راويـة ، كان روايـة الحطيئـة ، والحطيئـة راوية كعب بن زهيـر ، وكان جميل بثينة راوية هدبة ،وكثير راوية جميل ، وكـان لهدبـة أخوة ثـلاثة ، كلّهم شاعر ، وكانت أمّ هدبة شاعرة أيضاً ، وكان هدبة مقبلاً من الشام في ركب من قومه ، وفيهم زيادة بن زيد ، وهـو شاعـر ، وكان زيـادة وهدبـة يتناوبـان سوق الابل ، فارتجز زيادة رجزاً ذكر فيه أخت هدبة ، فحمي هدبة ، ولما جاء دوره ارتجز فذكر أخت زيادة ، فتسابّا ، وتشاتما طويلاً ، وحجز القوم بينهما ، فلما قضيا حجّهما مع الناس ، جعل هدبة وزيادة يتهاديان الأشعار ، وأصاب هـدبة غرّة من زيادة فقتله ، فطلبه والي المدينة سعيد بن العاص ، فأعياه ، فـاعتقل عمّ هدبة وأهله ، فلما بلغه ذلك ، أقبل فأمكن من نفسه ، وشخص أخو زيادة إلى معاوية بدمشق ، واستعدى على هدبة ، فكتب معاوية إلى سعيـد أن يقيده به اذا قامت البيّنة ، وكره سعيـد أن يحكم بينهما ، فبعث بهمـا إلى معاويـة ،

وأقرّ هدبة بقتل زيادة ، وأراد معاوية تأجيل القصاص ، وأمر بأن يحبس هدبة ، حتى يبلغ ابن لزيادة ، لم يكن قد بلغ الحلم ، فلما بلغ بعد ثلاث سنين ، وأصرّ على القود ، أخرج هدبة من الحبس ، وحمل ليقتل ، أبصر امرأته بين النظّارة فأنشدها شعراً صرح فيه بأنّه يغار عليها أن تتزوّج من بعده ، فعمدت الزوجة الى مدية جدعت بها أنفها ، وأقبلت عليه مجدوعة تدمى ، وقال له : يا هدبة ، اتخاف أن يكون بعد هذا نكاح ؟ فقال : الآن طاب الموت ، راجع أخبار هدبة في الأغاني ٢١/٢٥٤ - ٢٧٤ وفي خزانة الادب للبغدادي ٤/٨٤ - ٨٧ وفي الاعلام ٩/٦٩ ، ومن ابيات هدبة ، التي أصبحت مثلاً سائراً قوله :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرجٌ قريب

ودخل الجحّاف بن حكيم بن عاصم السلمي ، على عبد الملك بن مروان ، والأخطل التغلبي عنده ، فقال الأخطل :

ألا سائل الجحّاف هل هو ثائر ... بقتلى أصيبت من تميم وعامر

فأثار ذلك حفيظة الجحّاف ، وأجابه قائلاً :

بلى ، سوف نبكيهم بكلّ مهنّد ... ونبكي عميراً بالرماح الشواجر

وكان الجحاف يأكل رطباً ، فجعل يتساقط من يده من فرط غيظه ، ثم قال للاخطل : يا ابن النصرانية ، ما كنت أظنّ أنّك تجترىء عليّ بمثل هذا ، فأرعد الأخطل من خوفه ، وقام إلى عبد الملك فأمسك ذيله ، وقال له : هذا مقام العائذ بك ، وقام الجحّاف يمشي ويجرّ ثوبه وهو لا يعقل ، ثم اصطنع كتاباً بعهده على صدقات تغلب وبكر بالجزيرة ، وقال لأصحابه : إنّ أمير المؤمنين قد ولّاني على هذه الصدقات ، فمن أراد اللحاق بي فليفعل ، فصحبه منهم جماعة ، فلما وصل الى رصافة هشام ، أخبرهم بما كان من الأخطل إليه ، وإنّه افتعل الكتاب ، وإنّه ليس بوالٍ ، فمن أحبّ أن يشاركه

في غسل العار فليصحبه ، ومن أراد العودة فليعد ، فرجعوا غير ثلثمائة قالوا : إنّهم يموتون بموته ويحيون بحياته ، فسار إلى تغلب بأصحابه ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وكان الأخطل بينهم فرمى بنفسه في جبّ ، فسلم ، ولحق الجحّاف ببلاد الروم ، حتى أخذوا له الأمان من عبد الملك ، فقدم عليه ، فألزمه ديات من قتل ، فقام بجمعها وأوصلها ، ثم أظهر التوبة هو وأصحابه ، ومضى معهم حجّاجاً إلى مكّة ، وقد زمّوا أنفسهم (أي إنّهم خرقوا حاجز بين المنخرين ، ووضعوا فيه زماماً) وتعلّق الجحّاف بأستار الكعبة ، وهو يصيح : اللهم آغفر لي ، وما أظنّك تفعل ، فسمعه محمد بن الحنفية ، فقال له : يا شيخ ، القنوط شرّ من الذنب (أنساب الأشراف ٥/٣٢٨ ـ ٣٣١ وابن الأثير ٤/٣٢٠ ـ ٣٢٢) .

وفي السنة ٧٨ وثب الروم على ملكهم ، فخلعوه ، وجدعوا أنفه ، ونفوه (شذرات الذهب ١/٨٤) .

وفي السنة ١٢٧ انتقضت حمص على مروان الحمار الأموي ، فحصرها ، ثم امّنهم ، بشرط أن يسلموا إليه أشخاصاً ، منهم حبشيّ كان يسبّ مروان ، وقت الحصار ، وكان يشدّ في ذكره ، ذكر حمار ، ويقول : يا بني سُلَيم ، هذا لواؤكم ، فلما تسلّمه مروان ، أسلمه لبني سُلَيم ، فجدعوا أنفه ، وقطعوا ذكره ، ومثّلوا به . (ابن الأثير ٥/٣٣٣) .

وقدّمت إلى عبد الرحمن بن حجيرة ، قاضي مصر (٦٩ ـ ٨٣) ، امرأة من حمير ، جدعت أنف أمة لها ، فأعتقها ابن حجيرة ، وحكم بولائها للمسلمين يعقلون عنها ويرثونها . (الولاة للكندي ٣١٧ و٣١٨) .

وأنشد حريث الطائي ، شعراً في هجاء بني عتود ، فسمعه واحد منهم اسمه أوفى بن حجر ، فأمسك هراوة جمع بها يديه ، وضرب بها أنفه فحطمه . (الاغاني ١٤/٣٨٣ ـ و٣٨٤) .

وكان داود بن علي العباسي، يمثّل بمن يعثر عليه من بني أميّة ، فيجدع أنوفهم ، ويصلم آذانهم ، ويسمل عيونهم ويبقر بطونهم (شرح نهج البلاغة ١٥٦/٧) .

ولما جيء إلى المنصور ، برأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، قتيل باخمري ، وضع بين يديه في ترس ، فأكبّ عليه بعض السيّافة ، فبصق في وجهه ، فنظر إليه أبو جعفر وأمر بدق أنفه ، فدقّ ، وأخذته أعمدة الحرس ، فما زال يهشم بها ، حتى خمد (الطبري ٨١/٨ و٨٢) .

وفي السنة ١٦٤ ولي مصر للمهدي العباسي ، سالم بن سوادة التميمي ، وكان أجدع جدعته اليمانية (الولاة للكندي ١٢٣) .

أقول : يريد إنّه قد جدع أنفه أيّام الفتنة التي وقعت بخراسان بين القيسية واليمانية ، فكان القيسيون إذا ظفروا بيماني ، قتلوه أو مثّلوا به ، وكذلك اليمانية إذا ظفروا بقيسي .

ولما خلع المطيع في فتنة الأتراك ، ادّعى محمد بن عبد الواحد بن المقتدر ، الخلافة ، وتلقّب المستجير بالله ، فلما استقرّت الخلافة للطائع ، طلبه ، فظفر به ، وقطع أنفه ، وبقي إلى أن توفّي في السنة ١٨٣ ، وكان له ولد أسود يضرب على المغنيّات (الوافي بالوفيات ٦٩/٤) .

وفي السنة ٣٥٧ ظهر ببغداد رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويجدّد ما عفا من أمور الدين ، فبايعه قوم ، وسمّى نفسه محمد بن عبد الله ، يدّعي تارة إنّه علوي ، ويدّعي تارة إنّه عباسي ، فأخذ ومعه أخ له ، فأسلمهما بختيار إلى الخليفة المطيع ، فجدع أنفه ، ثم خفي خبره (يعني إنّه قتله » (ابن الأثير ٥٨٤/٨ و٥٨٥) وورد ذلك في الوافي بالوفيات كما يلي : وفي السنة ٣٥٧ قبض عزّ الدولة بختيار على أبي الحسين محمد بن الخليفة عبد الله المستكفي بن علي المكتفي العباسي ، وأنفذه إلى دار الخلافة ،

فجدع أنفه ، وقطعت شفته العليا ، وشحمتا أذنيه ، وحبس في دار الخلافة ، وكان معه أخوه علي ، وكان أبو الحسن هذا قد هرب من بغداد لما خلع أبوه المستكفي وسملت عيناه ، ثم عاد في السنة ٣٥٧ إلى بغداد سرّاً ، وطلب الخلافة ، وادّعى أنّ أباه كان قد نصبه وليّاً لعهده ، فبايعه جماعة من الديلم ، وخلق من أهل بغداد ، منهم أبو القاسم اسماعيل بن محمد ، المعروف بزنجي ، وترتّب له وزيراً ، وتلقب بالمستجير بالله ، فأخذه بختيار ، وأنفذه إلى دار الخليفة ، حيث جدع أنفه وقطعت شفته وشحمتا أذنه (الوافي بالوفيات ٣/٣١٣ و٤/٦٩) .

وقبض فخر الدولة بن ركن الدولة البويهي ، على وزيره أبي الفتح بن العميد ، واجتاح ماله ، وسمل عينه الواحدة ، وقطع أنفه ، وجزّ لحيته ، وقطع يديه ، وما زال يعرضه على ألوان العذاب حتى تلف (وفيات الأعيان ٥/١١١) .

وفي السنة ٤٦٣ خرج أرمانوس ملك الروم ، في مائتي ألف مقاتل ، وقصد بلاد الإسلام ، وكانت مقدّمته بقيادة مقدّم الروسية ، فاصطدم بمقدّمة الملك فانهزمت الروسية ، وأسر مقدّمهم ، وحمل إلى السلطان ، فجدع أنفه (المنتظم ٨/٢٦١ وابن الأثير ١٠/٦٥) .

وفي السنة ٥٦٦ قتل الوزير ابن البلدي ، وزير المستنجد ، فقطع أنفه ، ثم قطعت يده ، لأنّه في أيّام وزارته كان قد قطع أنف امرأة ، ويد رجل ، ثم ضرب بالسيوف ، وألقي في دجلة (المنتظم ١٠/٢٣٣) .

وفي السنة ٥٦٨ أنفذ الأمير شملة التركماني ، ابن أخيه ، ابن سنكا ، لاحتلال نهاوند ، فتحصّن منه أهلها ، وشتموه أقبح شتم ، فعاد عنهم ، ثم كبسهم ، واستولى على البلد ، فقبض على القاضي والرؤساء وصلبهم ، ونهب البلد وأحرقه ، وأخذ الوالي فقطع أنفه وأطلقه (ابن الأثير ١١/٣٩١) .

وفي السنة ٥٩٨ اجتمع مملوكان تركيّان في دار يشربان خمراً ، وعندهما مغنيّة ، فسكر أحدهما ، فراود المغنيّة عن نفسها ، فغار الآخر منه ، وضربه بسكين فقتله ، فتقدّم بصلب القاتل ، فصلب على رأس درب الباهقي ببغداد ، وجدع أنف المغنيّة (الجامع المختصر ٨٢) .

أقول : صلب القاتل أمر مفهوم ، ولكن ما هو ذنب المغنيّة لكي يجدع أنفها ؟ .

وفي السنة ٦٠٥ قتل سنجر شاه ، صاحب جزيرة ابن عمر ، وكان قبيح السيرة ، ظالماً ، غاشماً ، لا يمتنع من قبيح يفعله ، من غصب ، وقتل ، وإهانة ، وكان يكثر من قطع الألسنة والأنوف والآذان ، أمّا اللحى ، فإنّه حلق منها ما لا يحصى ، وكان جلّ فكره في ظلم يفعله ، وكان من شدّة ظلمه ، أنّه كان إذا استدعى إنساناً ليحسن إليه ، لا يصل إلّا وقد قارب الموت من شدّة الخوف (ابن الأثير ١٢ / ٢٨١ و٢٨٢) .

وفي السنة ٧٠٨ أمر السلطان بيبرس الجاشنكير ، سلطان مصر ، الأمير آقوش الرومي ، بإنشاء جسر من القاهرة إلى دمياط ، فتشدّد في إتمامه ، وضرب كثيراً من الناس بالمقارع ، وخزم أنوفهم ، وصلم آذانهم . (خطط المقريزي ٢ / ١٧١) .

وثار الراجا الهندوسي بولاية ديفاجيري ، على قطب الدين مبارك شاه (٧١٦ ـ ٧٢٠) سلطان الهند ، فقطع أذنيه وأنفه (الإسلام والدول الاسلامية في الهند ١٥) .

وجاء في كتاب الدرر الكامنة ٢ / ٨٩ انّ تاج الدين أحمد بن محمد قاضي بغداد ، غضب عليه حاكم بغداد وهو ابن قرا يوسف ، فأمر به فجدع أنفه ، ففرّ هو وأخوه إلى القاهرة ، ثم استقرّا بدمشق .

وعاقب ملك الأمراء ، نائب السلطان بمصر ، فتى سرق ثوراً ، فقطع

أنفـه ، وأذنه ، وشهـره على الثور المسـروق ، ثم قتله على الخازوق (بـدائع الزهور ٥/٣٥٨) .

وعاقب ملك الأمراء ، نائب السلطان بمصر ، صيرفياً حجـازياً ، اتّهمـه بأنّه صرف أشرفياً ذهبيّاً ، بـأكثر ممـا قرّر صـرفه بـه ، فخزم أنفـه ، وعلّق فيه الميزان ، وأشهره في القاهرة ، ثم شنقه (بدائع الزهور ٥/٣٤١) .

وفي السنــة ٩٢٦ قبض ملك الأمـراء ، نــائب السلطان بمصـر ، على صيرفيّ يهودي ، اتّهم بأنّه تعامل في مسكـوكات مغشـوشة ، فضـربه ، وقـطع يده ، وعلّقها في أنفه ، وأشهره (بدائع الزهور ٥/٣٣٧) .

وفي السنة ٩٦١ شكا أحد أهالي حلب ، إلى القاضي ، أحد أتبـاع قباد بـاشا ، والي حلب ، فبعث القـاضي بالمـدعي مع محضـر باشي لتبليـغ تابـع الوالي بالشكـوى ، فعمـد الـوالي إلى المدعي ، فجـدع أنفه (اعـلام النبلاء ٣/٢١٠) .

وروى الرحّالة نيبور ، أنّ المير مهنا بن ناصر ، حـاكم بندر ريق ، على الساحل الشرقي لخليج البصرة (ت ١١٨٣) ، كان عظيم القسوة في تعـذيب رعاياه يجدع أنوفهم ويصلم آذانهم (رحلة نيبور ٢/١٤٨) .

وفي السنـة ١٢١٦ خالف ، بـالقاهـرة ، بعض الخبّـازين والجـزّارين ، التسعيـرة ، فقبض عليهم المحتسب ، وخزم آنـافهم ، وعلّق الخبـز في آنـاف الخبّازين ، واللحم في آناف الجزّارين (تاريخ الجبرتي ٢/٥١٣) .

وفي السنـة ١٢١٦ خالـف بعض البـاعـة التسعيـرة ، بـالقـاهـرة ، فعلّق بعضهم على حوانيتهم ، وخزموا آنافهم (الجبرتي ٢/٥١٤) .

وكـان أحمد بـاشا الجـزّار (ت ١٢١٩ مشتهراً بقـطع الأطـراف وجـدع الأنوف ، وصلم الآذان (تاريخ الجبرتي ٣/٤٩) .

وذكر أنّ أحمد باشا الجزّار (ت ١٢١٩) ، استراب من بعض سراريه ومماليكه ، فقتل من قويت فيه الشبهة ، وأحرقهم ، ومثّل بالباقين ذكوراً وإناثاً ، وقطع آنافهم ، ونفاهم (تاريخ الجبرتي ٣/٤٩) .

وفي السنة ١٢٣١ خزم المحتسب ، بالقاهرة ، آناف أشخاص من الجزّارين ، وعلّق فيها قطعاً من اللحم ، لأنّهم باعوه بأكثر من التسعيرة (تاريخ الجبرتي ٣/٥٦١) .

وذكر أبو الفرج بن الجوزي : إنّ قاضي تاهرت (بلد بأقصى المغرب ، مراصد الاطلاع ١/٢٥١) ، عرض عليه رجل جنى جناية ليس لها في القرآن ولا في السنّة حدّ منصوص ، فقرّر أن يضرب أوراق المصحف ببعض ثلاث مرّات ، ثم يعمل بما يخرج ، وفعل ، فخرج قوله تعالى : سَنَسِمُهُ على الخرطوم ، فأمر بالرجل ، فقطع أنفه (أخبار الحمقى والمغفلين ١٠٤) .

البحث الثاني

صلم الأذن

أما اللون الثاني ، وهو صلم الأذن ، فقد مارسه المتوكّل على نديمه أحمد بن إبراهيم بن حمدون ، إذ غضب عليه ، فنفاه إلى تكريت ، ثم بعث إليه من قطع أذنه (معجم الأدباء ١/٣٦٥) .

وفي السنة ٣٨١ خلع بهاء الدولة البويهي ، الخليفة الطائع ، وكان الطائع قد احتفل في جلوسه لاستقباله ، فلما دخل عليه قبّل الأرض ، وطرح له كرسي فجلس عليه وتقدّم أصحاب بهاء الدولة من الطائع ، فجذبوه بحمائل سيفه ، وأنزلوه عن السرير ، ولفّوه في كساء ، وحملوه إلى زبزب ، وأصعدوا به إلى الخزانة في دار المملكة « المخرّم » ، وانصرف بهاء الدولة إلى داره ، وأظهر أمر القادر بالله ، وأشهد على الطائع بأنّه خلع نفسه ، وأرسل المحضر مع أذن الطائع إلى القادر في البطيحة ، فأصعد إلى بغداد ، وكان قد أقام بالبطيحة سنتين وأشهراً . (المنتظم ٧/١٥٦ و١٥٧) .

وفي السنة ١٢٠٦ ارتفعت أسعار الغلّة في القاهرة ، وضجّت الرعيّة « وعيطوا على الحكّام » فصار الأغا يركب على الرقع والسواحل ، ويضرب المتسبّبين في الغلّة ،ويسمّرهم على آذانهم (تاريخ الجبرتي ٢/١٣٤) .

وفي السنة ١٢٣٢ نصب الباشا محمد علي بالقاهرة ، مصطفى كاشف كرد ، محتسباً ، فركب « في كبكبة » وطاف على الباعة ، وأخذ يضرب بالدبّوس هشماً ، ويعاقب بقطع شحمة الأذن . (تاريخ الجبرتي ٣/٥٦٢) .

البحث الثالث

جدع الأنف وصلم الأذن

أما اللون الثالث ، وهو جدع الأنف وصلم الأذن ، مجموعين ، فإن أقدم ما بلغنا بشأنه ، ما أورده الطبري ، بأنّ أهل بيكند ، في السنة ٨٧ صالحوا قتيبة بن مسلم الباهلي ، أمير خراسان ، فآستعمل عليهم رجلاً ، وسار عنهم مرحلة أو مرحلتين ، فقتلوا العامل وأصحابه ، وجدعوا أنوفهم وآذانهم ، فبلغ قتيبة ذلك ، فعاد إلى بيكند ، وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر ، وقاتلهم ، حتى فتح المدينة (الطبري ٦/٤٣١) .

وفي السنة **٢٢٣** أوقع ملك الروم ، بأهل زبطرة ، فسبى المسلمات ، ومثّل بمن صار في يده من المسلمين ، وسمل أعينهم ، وقطع آذانهم وآنافهم . (الطبري ٩/٥٥) .

وفي السنة **٣٠٠** ورد إلى بغداد رسول من عامل برقة ، (وهي من عمل مصر إلى ما خلفها بأربع فراسخ ، ثم ما بعد ذلك من عمل المغرب) ، بخبر خارجي خرج ، وإنّه ظفر بعسكر الخارجي وقتل خلقاً من أصحابه ، وبعث خيوطاً فيها آذان وأنوف من قتله . (الطبري ١٠/١٤٦ والمنتظم ٦/١١٥) .

في السنة **٣٢٩** حارب الديلم ابن رائق ببغداد ، وظهر عليهم ابن رائق ، فانهزموا ، وبقيت منهم بقيّة ، فظفر ابن رائق منهم بنحو ثلثمائة فحبسوا بدار الفيل في ظهر سور الحسني وأدخل إليهم الرجّالة السودان

فخبطوهم حتى أتوا عليهم ، وكان جماعة منهم في دار فاتك حاجب ابن رائق ، فجعل يرمي بهم من الأروقة إلى السطوح ، ويقال للعامّة خذوهم ، فيبادر العامّة بقطع آنافهم ، وآنافهم ، وآذانهم ، وأصابعهم ، وهم قيام أحياء ، واستفظع الناس هذا الفعل ، وآستعظموه ، وكرهوه (الأوراق للصولي ، أخبار الراضي والمتقي ٢٠٨) .

وفي أيّام عزّ الدولة ، بختيار الديلمي (٣٥٦ - ٣٦٧) ، قبض ببغداد على أبي الحسن محمد بن المستكفي بالله العباسي ، وكان ببغداد لما قبض معز الدولة على أبيه ، وخلعه وسمل عينيه وآعتقله ، ففرّ إلى الشام ، ثم إلى مصر ، وعاد إلى بغداد ، وطلب الخلافة ، واتّبعه جماعة ، فقبض عليه عزّ الدولة بختيار ، وجدع أنفه ، وقطع شحمتي أذنيه وشفته العليا ، وحبس في دار الخلافة ، ومعه أخ له اسمه علي ، فهربا من السجن ، وقصدا خراسان ، وانقطع خبر أبي الحسن . (الوافي بالوفيات ٣/٣١٣ والاعلام ٧/٩٨) .

أقول : إنّ جدع الأنف ، وقطع شحمة الأذن ، والشفة العليا ، لم يقصد بها المثلة فقط ، وإنّما قصد بها حرمان الانسان من طلب الخلافة ، لأنّ المشروط في الخليفة أن يكون سالم الحواس ، وعلى هذا الاساس ، كان يقع سمل الخلفاء ، لئلا يحقّ لهم في مستقبل الأيّام من بعد سملهم ، أن يطالبوا بالعودة إلى منصب الخلافة .

وفي السنة ٣٨١ خلع بهاء الدولة ، الخليفة الطائع ، وقطع قطعة من إحدى أذنيه وسملت عيناه ، وسلّم إلى القادر بالله ، فتقدّم بجدع أنفه ، فقطع يسير من مارن أنفه ، مع ما كان قطع أوّلاً من أذنه . (شذرات الذهب ٣/١٤٣) .

أقول : لم يرد في بقيّة التواريخ أنّ الطائع سملت عيناه ، وقد انفرد صاحب شذرات الذهب برواية هذا الخبر .

وفي السنة ٥٢٩ حارب الخليف المسترشد ، السلطان مسعود ، وانهزم

جيش الخليفة ، وأسمر المسترشد ، فهجم عليه في خيمته عدد من الرجال فجدعوا أنفه ، وأذنيه ، وعرّوه ، ثم قتلوه (ابن الأثير ١١/٢٧) .

وفي السنة ٥٥٢ حاصر الأتراك من جند محمد شاه ، بغداد ، وكان الضعفاء من أهل بغداد ، يعبرون جند الأتراك ، ثم يعودون إلى بغداد يجلبون علفاً وحطباً فيبيعونه ويعيشون بثمنه ، وربما حشوا فيه اللحم والتفّاح والخضرة ، ففطن بهم الأتراك فمنعوهم ، فلم يمتنعوا ، فحصر كوجك زعيم الأتراك ، جماعة منهم ، وقطع آذانهم ، وخرم أنوفهم ، فعادوا ودماؤهم تسيل ، وشكوا إلى الخليفة أمرهم بأن وقفوا تحت التاج واستغاثوا ، فقسم فيهم مالاً وأمر بمداواتهم . (المنتظم ١٠/١٧٣) .

وكان سنجر شاه ، صاحب جزيرة ابن عمر (ت ٦٠٥) ظالماً ، عذّب رعيّته ، وكان يكثر من قطع الألسنة ، والأنوف ، والآذان ، أمّا اللحى ، فإنّه حلق منها ما لا يحصى (ابن الأثير ١٢/٢٨٢) .

وسرق فتى بمصر ، ثوراً ، فأمر به ملك الأمراء بمصر فقطع أنفه ، وأضاف إلى ذلك أن قطع أذنه ، ثم شهره على الثور المسروق ، ثم قتله بالخازوق (بدائع الزهور ٥/٣٥٨) .

وغضب ملك الأمراء ، نائب السلطان بمصر ، على أحد الرعيّة ، فقطع أنفه وأذنيه ، ورسم بنفيه إلى مكة ، وأنزله من القلعة ، والدم يقطر من أنفه ومن أذنيه . (بدائع الزهور ٥/٣٩٤) .

وكان أحمد باشا الجزار (ت ١٢١٩) ، مشتهراً بالتمثيل بالناس ، بقطع الأطراف والأنوف والآذان (تاريخ الجبرتي ٣/٤٩) .

وجاء في كتاب « اعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر لمحمد جميل الشطي : أسرف أحمد باشا الجزار في القتل والتعذيب ، وقطع الآناف ، والآذان ، والأطراف ، وسلب النعم ، ومات في

سجنه ما لا يحصى من الأعيان والعلماء وغيرهم ، ومنهم من أطال حبسه حتى مات في سجنه ،.

وقال صاحب خطط الشام ٢١/٣ : كان الجزار يقتل الصغير والكبير ، من وزراء وعلماء وأفندية وأغوات ، وكان إذا عامل أحد المغضوب عليهم بالرفق ، وعزف عن قتله ، يجذم أنفه ، ثم يصلم أذنه اليمنى ، ثم يقلع عينه اليمنى .

القسم الرابع

قلع الأضراس

الضرس : بالكسر ، السنّ الذي من جانبي الفكّ ، والبغداديّون يسمّونه : الرحى لأنّه يطحن الطعام .

والأسنان كلّها إناث ، إلّا الأضراس والأنياب ، قال الشاعر :

وسرب سلاح قد رأينا وجوهه إناثاً أدانيه ذكوراً أواخره

والتعذيب بقلع الضرس ، قليل الممارسة ، وأوّل ما بلغنا خبره ، أنّه مارسه يوسف بن عمر الثقفي ، الملقّب : أحمق ثقيف ، عامل هشام الأموي ، على العراق ، فإنّه قال لكاتبه : ما حبسك عنّي ؟ قال : اشتكيت ضرسي ، فقال : تشتكي ضرسك ، وتقعد عن الديوان ؟ ثم دعا بالحجّام ، وأمره ، فقلع ضرسين من اضراسه (المحاسن والمساوىء ١/١٤٣) .

ولما ولي هشام بن عبد الملك ، الخلافة ، أحضر فقاش الفقعسي ، وأمر بقلع أضراسه وأظفار يديه ، فلما فعل به ذلك قال :

عذبوني بعذاب قلعوا جوهر راسي
ثم زادوني عذاباً نزعوا عنّي طساسي

الطساس : الأظفار ، ويريد بجوهر الراس : الأضراس . (شفاء الغليل ١٣١) .

ولمـا حبس المنصـور العبـاسي ، آل الحسن ، أرسـل عبـد الله بن الحسن ، إلى عيسى بن علي ، فاستأذن أبـا جعفر ، وصـار إليه في الحبس ، فـاستسقاه مـاء بارداً ، فـأتي بقلّة فيها مـاء وثلج ، فإنّـه ليشرب ، إذ دخـل أبـو الأزهـر ، فأبصـره يشرب من القلّة ، وهي على فيـه ، فضـرب القلّة بـرجله ، فألقى ثنيّتيه ، فـأخبر عيسى أبـا جعفر بـذلك ، فقـال له : أُلـهُ عن هذا يـا أبا العبّاس (مقاتل الطالبيّين ٢٢٥) .

وفي السنة ٢٥٥ تخاصم القائد صـالح بن وصيف ، والكتّـاب ، فقبض على أحمد بن اسرائيل وضربه حتى كسر أسنانه (الطبري ٣٨٧/٩) .

أقول : كان أوّل ما ذكر عن صالح بن وصيف ، إنّه اشترك مـع إخوة لـه أربعـة أولاد وصيف ، في مقتـل المتـوكّـل في السنـة ٢٤٧ ، ولمـا انخـزل المستعين عن سامراء في السنـة ٢٥١ واستقرّ ببغـداد ، كان صـالح بن وصيف أحـد قوّاده ، وكـان موكّـلاً بباب الشمـاسية (الصليـخ) وكـانت من المنـاطق المهمـة في المواجهـة بين العسكرين ، ولمـا تنازل المستعين عن الخـلافـة ، وتصـالح الجنـد الأتراك فيمـا بينهم ، عاد صـالح إلى سـامراء مـع من عـاد ، وأصبح ذا صولة في الدولة ، وفي السنة ٢٥٥ تحرك الجند الأتراك في سامـراء بقيـادة صـالـح يـريـدون أرزاقهـم ، وكـانت الفتن المتـواصلة ، وتمـزّق رقعـة الدولة ، واستبداد أصحاب الأطراف بما تحت أيديهم ، قد أفرغ خزانة الدولـة من المـال ، وكـان الجنـد يحيلون الـذنب في خلوّ الخـزينـة من المـال على الكتّاب ، ويتّهمونهم باحتجان الأموال لأنفسهم ، ونشبت خصومة عنيفة ، أمام المعتزّ ، بين صالح بن وصيف ممثّلاً الجند الأتراك ، وبين أحمـد بن إسرائيـل وزير الخليفة ، شكا خلالها صالـح للمعتز من انقـطاع أرزاق الجند الأتـراك ، واتّهم الكتّاب بأنّهم « ذهبوا بأموال الدنيا » فاغتـاظ أحمد بن اسـرائيل ، وشتم صالح بن وصيف ، وقال له : يا عاصي يـا ابن العاصي ، يشيـر إلى موقفـه ، ومـوقف أبيه ، من مقتـل المتوكّـل أوّلاً ، ومن إعانـة المستعين ثانيـاً ، فاشتدّ

انـزعاج صـالح ، وتـظاهر بـالإغماء ، فـرشّوا على وجهـه الماء ، وبلغ الخبـر أصحـابـه وهم على البـاب ، فهـاجـوا ، ودخلوا على المعتـزّ ، وقـد أشهـروا سيوفهم ، فدخل المعتز وتـركهم ، فنهض صالـح ، وأخذ أحمـد بن إسرائيـل وأبا نوح عيسى بن ابراهيم والحسن بن مخلد ، فقيّدهم ، وأثقلهم بالحديـد ، وحملهم إلى داره ، وتوسّل إليه المعتز أن يترك له أحمد بن اسرائيـل ، وقال : إنّه كاتبي ، وقد ربّاني ، فلم يلتفت إليـه صالـح ، وضرب ابن اسـرائيل حتى كسر أسنانه (الطبري ٩/٢٢٧ ، ٣٤١ ، ٣٨١ ، ٣٨٧) .

وفي السنة ٢٨٩ ظفر شبل غلام الطائي ، برئيس من رؤساء القرامـطة ، يعرف بابن أبي الفوارس ، وبعث به إلى الحضرة ، فدعـا به المعتضـد ، وأمر بـه فقلعت أضـراسـه ، ثم خلعت مفـاصله بمـدّ إحـدى يـديـه ببكـرة ، وعلّق بـالأخرى صخـرة ، وترك على حـاله تلك من نصف النهـار إلى المغرب ، ثم قـطعت يداه ورجـلاه من غد ذلـك اليوم ، وضـربت عنقه ، وصلب بـالجانب الشرقي ، ثم حملت جثته بعد أيّام إلى الياسرية ، فصلب مع من صلب هنـاك من القرامطة (الطبري ١٠/٨٦) .

وكـان ابن صلايـا العلوي ، نائب إربـل (ت ٦٥٦) ، يعـاقب شـارب الخمر بقلع أضراسه (الوافي بالوفيات ٥/١٢٩) .

وفي السنـة ٧٤٩ لما قتل السلطان الملك المظفر حاجي بن محمـد بن قلاوون ، قبض على نديمه الشيخ علي الكسيح ، وقلعت أسنانه وأضراسـه ، شيئاً بعد شيء ، وضرب بالمقارع والكسارات ضرباً عظيماً ، ونوّع له العذاب أنـواعاً حتى هلك ، وكـان بشع المنـظر ، له حـدبـة في ظهـره ، وحـدبـة في صـدره ، كسيحاً لا يستـطيع القيـام ، وإنّما يحمـل على ظهر غـلامه ، وكـان يضحك الملك المظفر ، ثم نادمه ، وعاقره الشراب ، وزوّجـه الملك باحـدى حـظاياه ، ولمـا قتل الملك المـظفر ، أخـذ الشيخ علي ، وعـذّب حتى هلك (النجوم الزاهرة ١٠/١٩١) .

وكان الأمير سودون الشيخوني ، بالقاهرة ، يعاقب من استعمل الحشيشة ، بقلع أضراسه ، فقلع في السنة ٧٨٠ أضراس كثير من العامّة (خطط المقريزي ٢/١٢٨) .

وفي السنة ٨٨٢ قبض سلطان مصر علي برهان الدين النابلسي وكيل بيت المال ، وبعد أن ضرب أكثر من الفين وستمائة عصا ، أمر به فقلعت أضراسه ودقّت في رأسه (بدائع الزهور ٢/١٧٢) .

وفي السنة ١٢٠٢ قتل حمزة كاشف المعروف بالدوديدار ، رجلاً نصرانياً رومياً صائغاً ، اتهمه مع زوجته ، فقبض عليه ، وعذّبه أيّاماً ، ومن جملة ما عذّبه به ، أن قلع عينيه ، وأسنانه ، وجدع أنفه ، وقطع شفتيه وأطرافه حتى مات (الجبرتي ٢/٥٢) .

وفي السنة ١٢١٧ حصلت معركة بين المماليك الذين في الصعيد ، وجماعة من الجيش العثماني ، وكانت الدائرة على الجيش العثماني فقتل أكثر الجماعة ، وأسر رئيسها واسمه أجدر وكان موصوفاً بالشجاعة والاقدام ، فأحضر أمام الأمير الألفي ، رأس المماليك ، فقال له : لأي شيء سموك أجدر ؟ فقال : الأجدر معناه الأفعى العظيمة ، فقال له : يحتاج إلى تطريمك وإخرج سمّك ، وأمر به فقلعت أسنانه ، ثم قتلوه (الجبرتي ٢/٥٣٨) .

القسم الخامس

سلّ الأظافر من الاصابع

أوّل ما بلغنا عن هذا اللون من العذاب ، مارسه هشام بن عبد الملك ، بفقاش الفقعسي ، وكان فقاش تولّى أمر وليمة في قريش ، فأجلس عمارة الكلبي فوق هشام بن عبد الملك ، فأحفظه ذلك ، وآلى على نفسه ، انّه متى أفضت إليه الخلافة عاقبه ، فلما استخلف ، أمر أن يؤتى به ، وان تقلع أضراسه ، وأظفار يديه ، ففعل به ذلك (شفاء الغليل ١٣١) .

وعذّب أبو القاسم البريدي ، أبا جعفر الكرخي ، المعروف بالجرو ، بسلّ أظافيره ، راجع كتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، في القصة المرقمة ٤/ ١٢٤ .

وعذّب أبو جعفر بن شيرزاد ، أبا الحسين البريدي ، في السنة ٣٣٣ ببغداد ، بسلّ أظافيره (التكملة ١٤٥) .

وكان من جملة ما عذّب به المعتضد ، قرطاساً ، أحد رماة صاحب الزنج ، بأن قلع أظفاره . (القصة ١/ ٧٨ من نشوار المحاضرة) .

وكان الأمير سيف الدين الناصري (ت ٧٣٨) ، مشدّ الدواوين بمصر ، يعذّب الناس ، بدقّ الليط تحت أظافرهم (الوافي بالوفيات ٩/ ٣٤٨) .

القسم السادس

خلع المفاصل

عـذّب الأتراك المهتـدي ، بألـوان من العذاب ، كـان من جملتهـا خلع مفاصل يديه ورجليه (الطبري ١٠/٨٦ وابن الأثير ٧/٢٣٣) .

وذكر صاحب فوات الوفيات ٣/٣٢٠ أنّ جملة ما عـذّب به المعتـزّ أنّهم نزعوا أصابع يديه ورجليه .

ولمـا جيء إلى المعتضـد ، بـابن أبي الفـوارس ، أمـر بخلع مفـاصله فمدّت إحدى يديه ببكرة ، وعلّق في اليد الأخرى صخرة ، حتى خلعت يده ، وتـرك كـذلـك من نصف النهـار إلى المغـرب ، ثم قـطعت أطـرافـه ، وقتــل (الطبري ١٠/٨٦).

ولما قتل نصر بن عباس ، الظافر الفاطمي ، في السنة ٥٥٠ ، وفـرّ إلى الشـام ، فأسـر ، وأعيد ، أمـرت أخت الظافـر ، فخلعت يد نصـر . (النجوم الزاهرة ٥/٣١٠) .

ولمـا فتح تيمـورلنك دمشق في السنـة ٨٠٣ كان من جملة مـا عذّب بـه الـدمشقيون خلع المفـاصل ، بـأن يربط كتفـا المعذّب بحبـل ، ويلوى الحبل بالعصا ، حتى ينخلع مفصل الكتفين (النجوم الزاهرة ١٢/٢٤٤ و٢٤٥) .

الباب العاشر

ألوان من العذاب

يشتمل هذا الباب على ألوان من العذاب ، رأينا أن يقسم على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تعذيب الوزراء والعمّال المصروفين

الفصل الثاني : أصناف مختلفة من العذاب ، وقد أثبتنا فيه خمسة عشرة بحثاً ، عن خمسة عشر لوناً من ألوان العذاب ، وهي :

١ ـ محنة القرامطة

٢ ـ حمل الأثقال

٣ ـ المساهرة

٤ ـ إرسال السباع والحشرات على المعذّب

٥ ـ شقّ لحم البدن بالقصب الفارسي .

٦ ـ العصر

٧ ـ الدهق

٨ ـ التعذيب بالزمّارة

٩ ـ التعذيب بالمضرّسة

١٠ ـ التعذيب بالدوشاخة

١١ ـ ثقب الكعاب

١٢ ـ تنعيل الناس بنعال الدواب

الفصل الأول

تعذيب الوزراء والعمال المصروفين

كان صرف الوزير أو العامل ، في العهد الأمويّ والعباسيّ ، يعني نقله من دار العمل إلى السجن ، حيث يطالب هو وجميع أفراد حاشيته ، ويعذّبون ، كما كان يعني عزل الوزير ، أو صاحب الديوان ، نهب داره أيضاً ، ولذلك نجد في الأخبار ، أنّ الوزير الفلاني ، صرف على تكرمة ، بأن أنفذ إلى داره من حماها من النهب ، ولم يسلم أحد من الوزراء ، أو العمّال أو أصحاب الدواوين ، بعد الصرف ، من المطالبة ، والحبس والعذاب ، إلاّ قليلاً ، وكأنّ دخول السجن بعد الصرف ، شرط من شروط استعمالهم ، حتى انّ صاحب الضوء اللامع ، ذكر في أخبار الوزير سعد الدين إبراهيم بن بركة القبطي الوزير ، إنّ السلطان المؤيد لما قبض عليه عندما عزله في السنة ٨١٦ « لم يتّفق له عند القبض أن يضرب ، ولا تمكّنت أعداؤه منه ، ولزم منزله حتى مات في السنة ٨١٨ (الضوء اللامع ٣٣/١) .

وقال أبو دلامة لما حبسه المهدي عندما وجده سكراناً : (العقد الفريد ٢٦١/١) .

أمير المؤمنين فدتك نفسي — علام حبستني وخرقت ساجي
أقاد إلى السجون بغير ذنبٍ — كأنّي بعض عمّال الخراج

وكان أبو الحسن الكاتب الملقب بابن الماشطة ، عزل عن عمل كان إليه وحبس ، فقال : (معجم الأدباء ٥/١١٤) .

قالوا حبست فقلت الحبس لاعجب حبس الكرامة لا حبس الجنايات
حبس العمالة بعد العزل عادتنا ريث التتبّع أو رفع الجماعات

ونظر إسماعيل بن عمّار إلى عمّال يوسف بن عمر ، يعذّبون ، فقال : (الاغاني ١١/٣٦٩) .

رأيت صبيحة النيروز أمراً فظيعاً عن إمارتهم نهاني
أعجّل - ان أتى - أجلي بوقتٍ وحسبي بالمجرّحة المتان
فما عذري اذا عرّضت ظهري لألفٍ من سياط الشاهجان
وأسحب في سراويلي بقيدي إلى حسّان معتقل اللسان

وكانت مصادرة العمّال والكتّاب ، وكلّ من كان له تصرّف في الدولة ، قد أصبحت آييناً ، بحيث أنّ من العيوب التي نسبت إلى الوزير علي بن عيسى ، لما شغبوا عليه عند المقتدر ، أن أخبروه ، أنّ الوزير علي بن عيسى لا يصادر أحداً من عمّاله ، ويقول : لا أخوّن عاملاً بعد أن ائتمنته . (تجارب الأمم ١/٤٣) .

وكان السلطان يصل في المكروه بالمعذّبين المطالبين ، وبأتباعهم ، إلى حدّ القتل ، ولما عزل الوزير ابن الفرات عن وزارته الثانية للمقتدر في السنة ٣٠٦ أحضر أحد أتباعه وآسمه موسى بن خلف ، وكان شيخاً في التسعين ، وسئل عن ودائع الوزير ابن الفرات وأمواله ، فأنكر معرفته بشيء منها ، فأمر الوزير حامد بن العباس بصفعه ، وعاوده بالمكروه مرّات ، حتى مات تحت الضرب ، وأمر بجرّ رجله وهو ميت ، فجرّ ، وتعلّقتَ أذنه في رزّة عتبة الباب ، فانقلعت (تجارب الأمم ١/٦٤ و٦٥) .

ولما توفّي الوزير المهلّبي ، وزير معزّ الدولة في السنة ٣٥٢ ، تصدّى أتباع معزّ الدولة للبحث عمّا خلّف من أموال وودائع ، واعتقلوا زوجته وابنه ، وأخذ كاتبه أبو العلاء عيسى بن الحسن بن أبرونا ، وطولب ببيان ما يعرفه عن أموال سيّده ، وعوقب أشدّ عقوبة ، وضرب أبرح ضرب ، وهو لا يزيد على إنكار معرفته بأيّ شيء ، ولما صدر الأمر بضرب أبي الغنائم ، ابن الوزير ، بكت أمّه ، وسألت أبا العلاء أن يكشف عما يعلمه من أموال سيّده ، ليتخلّص ولدها من الضرب ، فكشف لها عن أموال طائلة ، فقال له بعض من حضر : ويلك ، ألستَ من الآدميّين ؟ تقتل هذا القتل ، ويفضي حالك إلى التلف ، وأنت لا تعترف (التكملة ١٨٥) .

وكان المنصور العباسي ، ولّى محمد بن خالد القسري ، على المدينة ، ثم عزله برياح بن عثمان المرّيّ ، فلما قدم رياح المدينة ، اعتقل سلفه القسري ، وطالبه ، فأحاله على كاتبه مولاه رزام ، فغضب رياح ، وأمر به ، فضرب أسواطاً ، ووجئت عنقه ، وأخذ كاتبه رزاماً ، وأمره أن يرفع على محمد بن خالد ، فامتنع ، فبسط عليه العذاب ، وكان يضربه في كلّ غبّ خمسة عشر سوطاً ، مغلولة يداه إلى عنقه ، من بكرة إلى أوّل الليل ، ويدار به في أفناء المسجد والرحبة ، حتى أصبح ما بين قرنه إلى قدمه قرحة واحدة ، حتى إنّه أخرج يوماً للضرب ، فلم يكن في بدنه موضع للضرب ، فضرب على باطن كفّيه (الطبري ٥٣٣/٧ و٥٣٤) ، وكانت آخرة هذا الظالم أن قتل أشنع قتلة ، فإنّه لما ظهر النفس الزكية ، محمد بن عبد الله بن الحسن ، اعتقله ، ولما قتل محمد ، عمد أحد أنصاره إلى السجن ، فاقتحمه على رياح ، وذبحه ، ولم يجهز عليه ، بل تركه يضطرب حتى مات ، ثم تركت جثّته للصبيان ، يدورون حولها ، وينشدون ، (العيون والحدائق ٢٤٤/٣ و٢٤٧) .

سلحت أمّ رياح فأتتنا برياح

فـأتـتـنـا بـأمـيـرٍ ليس من أ ـل الصلاح
مـا سـمعـنـا بـأميـر قبـل هـذا من سفـاح

ويمكن أن يتّخذ ما أصاب الوزير ابن مقلة من أذى ، مثالاً لما يصيب الوزراء والعمّال والكتّاب والقوّاد ، إذا نحوّا عن مناصبهم في الدولة ، ذلك لأنّ ما أصاب ابن مقلة ، وصل إلينا مفصّلاً ، أمّا الباقون ، فقد أجمل المؤرّخون ما أصابهم ، بأن ذكروا أنّهم قتلوا ، أو أنّهم ماتوا تحت العذاب .

وكان أوّل ما عذّب به الوزير ابن مقلة ، أن استدرجه الخليفة الراضي إلى قصره ، حيث اعتقله في إحدى حجر القصر ، ثم أخذ إلى بيت البوّابين وأحضر له من قطع يده بحضور ابن بدر الشرابي ، صاحب الشرطة ، وجماعة من أصحابه القوّاد في الشرطة ، ثم ردّ إلى محبسه ، وساءت حالته الصحيّة في آخر النهار ، فاستدعى له الراضي الطبيب ثابت بن سنان ، فوجد محلّ القطع قد ورم وآسودّ ، فعالجه ، ثم عاودت الراضي هواجسه منه ، فأمر بقطع لسانه ، فقطع ، وألبس جبّة صوف ، وأفرد في الحبس ، لا يدخل إليه أحد ، فكان يرى من شقوق الباب يستقي الماء من باطن البئر ، مستعيناً بفمه ، وبيده اليسرى الصحيحة ، ولحقه شقاء شديد .

ثم أمر الراضي بقطع الخبز عنه ، فقطع عنه أيّاماً ، حتى مات جوعاً ، ودفن في دار السلطان . (تجارب الأمم ١/٣٨٦ ـ ٣٩٥) .

ولمن أراد الاطلاع بتفصيل أوفى ، على ما أصاب الوزراء ، ان يراجع كتابنا « الرواتب في الإسلام » الباب الثاني «الوزارة والوزراء » الفصل الرابع « مصير الوزراء » .

كان عمر بن هبيرة ، أمير العراق ، ولّى سعيد بن عمرو الحرشي ، خراسان ، في السنة ١٠٣ ، ثم بلغه عنه ما حقده عليه ، فعزله ، وأحضره ، وعذّبه بأن أمر فنفخ في دبره النمل (الحيوان ٤/٣٣ والاعلام ٣/١٥٢) .

وفي السنة ١١٦ عزل هشام بن عبد الملك ، عامله على خراسان ، الجنيد بن عبد الرحمن ، وولّى عليها عاصم بن عبد الله الهلالي ، فقدم وقد مات الجنيد ، واستخلف عمارة بن حريم ، فحبس عاصم ، عمارة ، وعمّال الجنيد ، وعذّبهم (الطبري ٧/٩٣) .

ولما عزل هشام بن عبد الملك ، خالد بن عبد الله القسري عن العراق ، وولّى بدلاً منه يوسف بن عمر الثقفي ، خطب الناس يوسف بالكوفة ، فذكر أنّ الخليفة أمره بأن يأخذ عمّال خالد ، وأن يشفيه منهم ، وأنّه سوف يفعل ذلك ويزيد ، وهدّد العراقيّين بأنّه سوف يقتل منافقيهم بالسيف وجناتهم وفسّاقهم بالعذاب (الطبري ٧/١٥١) .

ولم يقصّر يوسف بن عمر ، الملقّب « أحمق ثقيف » في تنفيذ رغبة هشام فإنّه قبض على جميع عمّال خالد ، وهم ثلثمائة وخمسون ، وعذّبهم ، وضرب مولى لخالد اسمه داود ، حتى مات (العيون والحدائق ٣/١٠٣) ، وقبض على طارق ، صاحب خالد القسري ، وضربه خمسمائة سوط (الطبري ٧/١٥٠ و١٥١) .

وكان المنصور العباسي ، لا يعزل أحداً من عمّاله ، إلاّ ألقاه في دار خالد البطين ، فيستخرج منه مالاً (الطبري ٨/٨١) .

وكان لعيسى بن موسى ، أمير الكوفة ، صاحب عذاب ، اسمه بطين ، يتسلّم من وقعت عليه مطالبته ، فيعذّبه ويستأديه (الاغاني ١٨/١٥٠) .

وكان التعذيب يقع بمحضر من الشخص الذي تناط به مناظرة المصروف المطالب (القصّة ٥/٢٧ من كتاب نشوار المحاضرة) ، وقد يقع التعذيب بمحضر من الوزير (القصة ٨/٤٧ من كتاب نشوار المحاضرة) ، وفي بعض الأحيان يقع التعذيب بمحضر من الأمير (القصة ٨/٤٨ من كتاب نشوار المحاضرة) .

وكان العمّال والكتّاب المصروفون ، يحبسون ، ويضربون ، ولكن مع حفظ حياتهم ، حتى أنّ الخليفة ربّما وكّل بالمسجون المطالب ، شخصاً من قِبَلِهِ ، هو في الظاهر لزيادة المطالبة ، والتشدّد فيها ، وفي الباطن لحفظ حياة العامل ، كي لا يتجاوز الوزير حدّه في المطالبة إلى قتل المطالب ، وكانوا يقولون : هؤلاء أكابر العمّال الذين قامت هيبتهم في نفوس الرعيّة ، وعرفوا أقطار البلاد ، وهم أركان الدولة ، وأنداد الوزارة ، والمرشّحون لها ، فإن لم تحفظ نفوسهم ، وضع ذلك من الأمر ، وأثّر فيه (القصة ٨/٤٠ من كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي) .

وقد لاقى العمّال المصروفون ، فترات من الترفيه ، ارتفع فيها عنهم العذاب ، أذكر منها الفترة التي حكم فيها الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، فإنّه أوّل ما استخلف كتب إلى عماله أن لا يغلّ مسجون (العيون والحدائق ٣/٦٣) .

وكتب عديّ بن أرطأة ، عامل العراق ، إلى عمر بن عبد العزيز ، يستأذنه في عذاب العمّال ، فكتب إليه : كأنّي لك جنّة من عذاب الله ، وكأنّ رضاي ينجيك من سخط الله ، من قامت عليه بيّنة ، أو أقرّ بما لم يكن مضطهداً مضطرّاً إلى الإقرار به ، فخذه بأدائه ، فإن كان قادراً عليه فاستأده ، وإن أبى فاحبسه ، وإن لم يقدر فخلّ سبيله بعد أن تحلّفه بالله إنّه لا يقدر على شيء (شرح نهج البلاغة ١٧/٢٠) .

وكان كثير من أهل الذمّة ، في العراقين وخراسان ، قد أسلموا ، وكان المقتضي حسب أحكام الإسلام ، أن ترفع عنهم الجزية ، ولكنّ الحجّاج بن يوسف الثقفي ، لما رأى أنّ ذلك يستوجب نقصاً في الخراج ، أمر بإبقاء الجزية على رقابهم ، وأن تؤخذ منهم ، وقد أسلموا ، كما كانت تؤخذ منهم ، وهم كفّار ، فكان ذلك من الأسباب التي أدّت إلى ثورة الناس على الحجّاج ، وتأييدهم لابن الاشعث لمّا خرج عليه وحاربه ، فلما ولي الخليفة

الصالح عمر بن عبد العزيز ، كتب إلى كلّ واحد من عمّاله : أنظر من صلّى قِبَلَكَ إلى القبلة ، فآرفع عنه الجزية ، فكتب بعضهم إلى عمر : إنّ الناس قد سارعوا إلى الإسلام ، نفوراً من الجزية ، فلو آمتحنّاهم بالخِتان ، فكتب عمر في جواب ذلك : إنّ الله بعث محمداً ﷺ داعياً ، ولم يبعثه خاتناً (الكامل لابن الأثير ٥/٥١ و١٠١) .

راجع ما كتبناه عن الحجّاج ، وقسوته ، وجرائمه ، وسياسته المالية المخربة ، في كتاب الفرج بعد الشدة لقاضي التنوخي ، في حواشي القصص المرقمات ٦٧ و١٤٩ و١٨٢ وفي كتابنا « الكنايات العامية البغدادية » في الفقرة « ظلم الحجاج » وفي هذا الكتاب في الباب الحادي عشر : القتل ، الفصل الأوّل : القتل بالسيف ، القسم الثاني : القتل في المعركة .

ويكفي لبيان رجحان سياسة عمر بن عبد العزيز ، في اللين والعدل ، أن نورد أنّ جباية سواد العراق ، كانت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، مائة ألف ألف ، وثمانية وعشرين ألف ألف درهم ، فنزلت في عهد الحجّاج إلى ثمانية عشر ألف ألف درهم ، أي انها نزلت إلى السُبْع ، ثم عادت فارتفعت في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، إلى مائة ألف ألف وأربعة وعشرين ألف ألف درهم (أحسن التقاسيم للمقدسي ١٣٣) .

ولما ظهر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، بالبصرة ، محارباً للمنصور العباسي ، أخذ حميد بن القاسم ، أحد عمّال أبي جعفر ، فقال له المغيرة : آدفعه اليّ ، قال : ما تصنع به ؟ قال : أعذّبه ، قال : لا حاجة لي في مال لا يؤخذ إلّا بالعذاب . (مقاتل الطالبيين ٣٣٤) .

ولما وزر أبو الحسن علي بن عيسى ، للمقتدر ، في السنة ٣٠١ كتب إليه عامل بادوريا ، إنّ قوماً من أهالي بادوريا ، ألطّوا بالخراج ، واستأذنه « في إطلاق يده في تقويمهم » فكتب إليه : إنّ الخراج ـ عافاك الله ـ دَيْنٌ ،

وليس يجب فيه غير الملازمة ، فلا تتعدّ ذلك إلى غيره ، والسلام . (تجارب الأمم ١/ ٣١) .

وكان المتوكّل يضيف إلى عذاب من يأمر بتعذيبه ، أن يبعث إليه بمن يعيّره أو يكايده ، أو يعبث به ، أو يسخر منه ، كما صنع مع وزيره محمد بن عبد الملك الزيات ، فإنّه حبسه ، وأحمى له التنور الحديد الذي كان محمد قد صنعه لتعذيب ضحاياه ، وأقعده فيه ، ثم أمر المتوكّل نديمه عبادة المخنث ، المجاهر بالعهر والبغاء ، أن يدخل إلى محمد ، فيكايده ، فدخل إليه ، فوقف بإزائه ، ثم قال له : اسمع يا محمد ، كان في جيراننا حفّار يحفر القبور ، فمرضت مخنّثة من جيراني ، وكانت صاحبة لي ، فبادر ، فحفر لها قبراً ، فبرأت هي ، ومرض هو بعد أيّام ، فدخلت إليه صاحبتي ، وهو في النزع ، فقالت له : وي ، فلان ، حفرت لي قبراً وأنا في عافية ، أو ما علمت انّ من حفر بئر سوء وقع فيها ؟ وحياتك يا محمد ، لقد دفنّاه في ذلك القبر ، والعقبى لك ، قال : فما برح من إزاء محمد بن عبد الملك ، يؤذيه ، ويكايده ، حتى مات . (الاغاني ٢٣/ ٧٣ و٧٤) .

وفي السنة ٢٩٩ قبض المقتدر على الوزير أبي الحسن بن الفرات ، ووكّل بداره ، وهتك حرمه أقبح هتك ، ونهبت داره ، ودور كتّابه وأسبابه ، وقبض على كتّابه ، ونهبت دورهم وهدمت ، وناظرهم ابن أبي البغل ، وعذّبهم ، وناظر ابن الفرات ، غير أنّه لم يمكّن من إيقاع مكروه به ، ومكّن من جميع أسبابه وكتّابه (تجارب الأمم ١/ ٢٠ و٢١) .

راجع في كتاب نشوار المحاضرة ، وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، في القصة المرقمة ٨/ ٤١ ، كيف عذّب ابن أبي البغل هذا ، أحد كتّاب الوزير ابن الفرات ، وكيف نتف ربع شعر رأسه ، ثم قيّره بقير حارّ ، حتى اضطرّه إلى أن يؤدّي سبعين ألف دينار .

ولما عزل الوزير علي بن عيسى في السنة ٣٠٤ وأعيد ابن الفرات

لـوزارة المقتدر ، قبض ابن الفـرات على أسباب علي بن عيسى ، وإخـوتـه ، وكتّابه ، وجميع عمّاله بالسواد وبالمشرق والمغرب ، وصادرهم ، وقبض على الوزير الأسبق ، أبي علي الخاقاني ، وتتبّع أسبابه ، وألزمهم مصـادرة ثانيـة . (تجارب الأمم ١/٤٢) .

وكان الوزراء والعمّال والكتّاب ، إذا اتّهموا بوجـود مالٍ في حـوزتهم ، اعتقلوا ، وعذّبوا ، وطولبوا ، ولما عزل الوزير ابن الفرات ، عن وزارته الثانية للمقتدر في السنة ٣٠٦ ، وحبس في دار الخـلافة ، قـال له منـاظره : أصـدق عن نفسـك ، فقد وصـل إليك من ضيـاعك وغـلاّتك في كـلّ سنـة ألف ألف ومائتا ألف دينار ، ومن وجوه إرتفاقاتك مثلها ، فآكتب خطّك بـألف ألف دينار معجّلة ، تقدّمها ، إلى أن ينـظر في أمرك ، حتى تسلم نفسـك ، وإلا سلّمت إلى من يعـاملك بمثـل مـا يعـامـل بـه مثلك من الخـونـة الـذين دبّـروا على المملكة . (تجارب الأمم ١/٦٤) .

وفي السنة ٣١٠ اتّهم المقتدر ، قهـرمانتـه أمّ موسى ، بـأنّها تسعى في نقل الخلافة إلى غيره ، فآعتقلها ، وأسلمها إلى ثمل القهرمانة ، وآعتقل معها أخاها ، وأختها ، فاستخرجت ثمل منهم أموالاً عظيمة ، وجواهر نفيسة ، ومن الثياب والكسوة والـطيب والفرش مـا يعظم مقـداره ، حتى انّ الوزيـر علي بن عيسى نصب لـذلك ديـواناً خـاصّاً سمـاه : ديوان المقبـوضـات عن أمّ مـوسى وأسبابها . (تجارب الأمم ١/٨٤) .

ولمـا عزل حـامد بن العبـاس عن وزارة المقتـدر في السنـة ٣١١ وولي الوزارة ابن الفرات ، أمر بكبس مواضع فيها أسباب حامد وكتّابه ، فأثـارهم ، وكـان المحسّن يسرف في المكـروه الذي يـوقعه بمن يحصـل في يده منهم . (تجارب الأمم ١/٩٣) .

ولما وزر ابن الفرات للمقتدر ، في وزارته الثـالثة ، عمـد إلى أصحاب

الـوزيـر علي بن عيسى وأسبـابـه ، فصـادرهم جميعـاً ، منهم ابن مقلة ، والشافعي ، ولما لم يجد على النعمان بن عبد الله سبيلاً ، لأنّـه كان قـد تاب من التصرّف ، أحدره إلى واسط ، فقبض عليه البزوفري ، في جامع واسط ، لمـا رأى من إكـرام النـاس لـه ، وأخـذ منـه سبعـة آلاف دينـار ، كمـا صـادر المـادرائيّين وأبا الحسن الإسكـافي ، ونفى ابن مقلة إلى البصـرة . (التكملة ٤١ و٤٢) .

وفي السنة ٣٢١ لما اعتقل الوزير ابن الفرات ، استتـر ولده المحسّن ، وكان يخرج متنكّـراً في زيّ امرأة ، ثم يعـود ، وحدث ذات يـوم أن تأخّـرت عـودته ، فـالتجأ مـع النسـاء إلى دار امـرأة ، كـان زوجهـا قـد أحضـر في دار المحسّن لـيصـادره ، فـلمـا رأى النـاس في داره يجـلدون ويشقّصـون ، ويعذّبون ، مات فجأة ، فلما رأت المرأة المحسّن ، واطّلعت على أنّه رجل ، أخبرت نصر الحاجب ، فأمر صاحب الشرطة بـالقبض عليه ، فـأخذ ، وحبس في دار الوزير . (ابن الأثير ٨/١٥٠ ـ ١٥٥) .

ولما استوزر المقتدر أبا العباس الخصيبيّ في السنة ٣١٢ ، اعتقل سلفه الخـاقاني ، واستتـر ولده ، وكتّـابه ، وأسبـابه ، وصـادرهم . (تجـارب الأمم ١/١٤٣ و١٤٤) .

وفي السنة ٣٢٤ عزل الراضي ، وزيره ابن مقلة ، واستوزر عبد الرحمن بن عيسى ، وسلّم ابن مقلة إلى الـوزير عبـد الرحمـان ، فضربـه بالمقـارع . وانتهب النـاس داره ودار ابنه ، وطـرحوا فيهـا النار ، ونهب جمـاعة من كتّـابه (تجارب الأمم ١/٣٣٧) .

وفي السنة ٣٣١ عبر وزير المتّقي ، أبو إسحاق القراريـطي ، إلى ناصـر الدولة ببغداد ، فاعتقله ، وجماعة معه ، واستوزر للمتّقي أبا العباس أحمد بن عبد الله الإصبهاني ، وصـودر القراريـطي والكتّاب والمتصـرّفون . (تجـارب الأمم ٢/٣٨) .

وفي السنة ٣٦١ استوزر بختيار ، ابن بقيّة ، فقبض على سلفه أبي الفضل الشيرازي الوزير ، وعلى جميع كتّابه ، ومن يتّصل به (تجارب الأمم ٢/٣١١) .

وفي السنة ٣٧٥ قتل بالعذاب أبو العباس بن سابور المستخرج ، أي الذي يقوم بتعذيب الناس لاستخراج ما يتقرّر عليهم على سبيل المصادرة ، فقيل أنّه عرضت فتوى على أبي بكر الخوارزمي الفقيه ، مضمونها : ما يقول الشيخ في رجلٍ مطالب ، معاقب ، قد تردّدت عليه مكاره هوّنت عليه الموت ، هل له فسحة في قتل نفسه ، وإراحتها مما تلاقيه ؟ فكتب في الجواب : إنّه لا يجوز ، ولا يحلّ له فعله ، والصبر على ما هو فيه أدعى إلى تضاعف ثوابه ، وتمحيص ذنوبه ، فلما انصرف حاملها ، قال بعض الحاضرين ، لزهير بن أبي بكر : هذه رقعة ابن سابور المستخرج ، فقال أبو بكر : ردّوا حاملها ، فردّوه ، فسأله عنها ، فأخبره أنها لابن سابور ، فقال أبو بكر : قل له ، إن قتلت نفسك ، أو أبقيت عليها ، فعاقبتك إلى الخسارة ، ومصيرك إلى النار . (ذيل تجارب الأمم ١١٨) .

وفي السنة ٣٩٣ عزل بهاء الدولة وزيره أبا غالب ، واستوزر أبا الفضل محمد بن القاسم بن سودمند ، فقبض أبو الفضل على أبي غالب وحواشيه وأصحابه ، وصادرهم جميعاً ، وعسف أبا غالب وأرهقه . (ذيل تجارب الأمم ٤٥٩ و٤٦٠) .

وفي السنة ٦٨٩ قتل الملك الأشرف خليل ، الأمير حسام الدين طرنطاي بالقاهرة ، وكان طرنطاي ، هو المتصرّف في دولة المنصور قلاوون ، والد الأشرف خليل ، فلما توفّي قلاوون ، وولي الأشرف ، قبض عليه وبسط عليه العذاب ، وعصره إلى أن هلك ، وصبر على العذاب صبراً لم يعهد مثله ، ولما غسلوه وجدوه قد تهرأ لحمه ، وتزايلت أعضاؤه ، وإن جوفه كان مشقوقاً ، كلّ ذلك ولم تسمع منه كلمة ، (النجوم الزاهرة ٧/٣٨٤) .

وفي السنة ٧٣٩ أمر السلطان الملك الناصر محمد قلاوون باعتقال النشو ناظر الخاص وأفراد عائلته ، فانتحر أخو النشو واسمه مجد الدين رزق الله بن فضل ، بأن نحر نفسه بسكين ، ثم ضرب المخلص أخو النشو حتى هلك ، ثم ماتت أمّه عقيب ذلك ، ثم عذّب صهره ولي الدولة فمات تحت « العقوبة » ورمي للكلاب ، ثم صبّت ألوان « العقوبة » على النشو حتى هلك (النجوم الزاهرة ٩/١٣٥ و١٤٢) .

وغضب السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١) على مضحك له يدعى عزيز ، فأمر المماليك ، فعرّوه ، وربطوه مع قواديس الساقية ، ودارت به البقر ، فصار عزيز تارة ينغمس في الماء ، وتارة يظهر وهو يستغيث وقد عاين الموت ، حتى مضى نحو ساعتين وانقطع حسّه ، فتدخّل أميران في آستعطاف السلطان حتى أمر بإطلاقه (النجوم الزاهرة ٩/٥٤) .

وفي السنة ٧٥٣ قبض الأمير صرغتمش بالقاهرة على الوزير علم الدين المعروف بابن زنبور ، وصادره ، ونهب أمواله ، وضربه عرياناً ، ثم أخذ آبنه الصغير وضربه ، بمرأى من أمّه ، فأسمعته الأمّ كلاماً جافياً ، فأمر بها فعصرت ، ثم أخرج ابن زنبور وفي عنقه باشه وجنزير ، وضرب عرياناً قدّام باب قاعة الصاحب بالقلعة ، ثم عصر ، وسقي الماء والملح ، ثم سلّم لشادّ الدواوين ، فنوّع عليه العذاب ، ثم أخرج الى قوص منفياً ، فمات هناك (النجوم الزاهرة ١٠/٢٨٤) .

أقول : أورد المقريزي في خططه ٢/٦١ و٦٢ قصّة تعذيب الوزير ابن زنبور ، بتفصيل أكثر ، فذكر انّه في السنة ٧٥٣ غضب الأمير صرغتمش ، رأس نوبة بالقاهرة على الوزير ابن زنبور ، وأمر أتباعه فاعتقلوه ، وطلب ولد الوزير ، وصار به إلى بيت أبيه ، وأحضر أمّه ليعاقبه وهي تنظره ، حتى يدلّوه على المال ، ثم ألزم والي مصر بإحضار بناته ، فنودي عليهنّ في مصر والقاهرة ، ثم حمل الى داره وعرّي ليضرب ، وبعد أن ضرب ، عرّيت

زوجته ، وضرب ولده ، ثم أخرجه في باشا وزنجير ، وضـرب في رحبة قـاعة الصاحب من القلعة بالمقارع ، وتوالت عقوبته ، وأسلم لشاد الدواوين ليعاقبـه حتى يموت ، فحال الأمير شيخو دون ذلك ، ثم عاد صرغتمش ، فسلّمه لشادّ الدواوين ، وعاقبه عقوبة الموت ، فغضب الأميـر شيخو ، ومنـع من ضربـه ، وكاد الأمر أن يتّسع بين شيخو وصرغتمش ، ثم آل الأمر إلى تسفيـر ابن زنبور الى قوص ، حيث مات هناك بعد أحد عشر يـوماً ، في السنـة ٧٥٤ . (خطط المقريزي ٢ / ٦١ و٦٢) .

وفي السنة ٧٧١ توفّي الوزير الصـاحب شمس الدين مـوسى ، وكان في شبـابه ضعيف البنيـة ، نحيف البدن ، قليـل الأكل ، مصـاباً بـالربـو ، وضيق النَفَس ، وقد لزمتـه الحمّى الصالبـة ، ولا يبرح محتميـاً ، يلبس الفراء صيفـاً وشتاء ، فلما صودر ، وتسلّمه والي القاهرة ، وأخذ يعذّبـه ألوان العـذاب ، إذ ضـربـه أوّل يـوم مـائتي شيب (سـوط) وسعـطه بـالمـاء والملح ، والخـلّ ، والجير ، حتى حسب أنّه مات ، ولكنّه أصبح حيّاً سـويّاً ، فضـربه ، وعقّـد له المقرعة ، حتى كانت اذا نزلت على جنبيه أحدثت فيه ثقوباً ، وبعد المعاقبة ، كان يرمى عرياناً في الشتاء على البلاط ، فيتمرّغ عليه ، وهو لا يعي من شـدّة الضـرب ، ثم عصروه في كعبـه وصدغيـه ، ثم عوقبت زوجتـه ، وكـانت مثله ضعيفة وحامـلاً ، فولـدت وهي تعصر بـالمعصرة ، وعـاش ولدهـا حتى كبر ، وقيل إنّ الصاحب شمس الدين ضرب ستّة عشر ألف شيب ، وقـد ضرب مـرّة فسقط من ظهـره قـطعـة لحم بقـدر الـرغيف ، فلمـا أطلق تعـافى من جميع أمراضه ، وصار صحيح البدن (النجوم الزاهرة ١١ / ١١٠ ـ ١١٢) .

وفي السنـة ٧٩٨ قبض السلطان الظاهـر برقـوق ، بالقـاهرة على الأميـر محمـود بن علي الاستادار ، ثم أحضـره أمامـه وهو في ألم عـظيم من العصـر والضرب والعقوبة ، وكلّمه ، فـامتلأ عليـه غضباً وأمـر بعقوبتـه حتى يمـوت ، وآستمرّ تحت العذاب حتى مات في السنة ٧٩٩ بعدما أخذ منه ألف ألف دينار

عيناً ، وأربعمائة ألف دينار ، وألف ألف درهم فضة ، وبضائع وغلال ثمنها أكثر من ألف ألف درهم فضّة (النجوم الزاهرة ١٢/٦٣ و٦٤ و١٥٩) .

أقول : في السنة ٧٩١ قبض على الأمير جمال الدين محمود الاستادار بالقاهرة ، وعلى ولده محمد ، وصفّد كلّ واحد منهما بقيد زنته أربعون رطلاً ، خارجاً عن قوائمه ، فإنّها عشرة أرطال ، وجعل في عنق محمود ثلاث باشات ، ثم أفرج عن الأمير محمود في السنة عينها وخلع عليه خلعة سنيّة ، وكان له موكب جسيم « إلى الغاية » ، ثم أعيد القبض عليه في نفس السنة ، ثم أطلق في السنة ٧٩٢ واستقرّ مشيراً للدولة ، ثم قبض عليه في السنة ٧٩٣ وصودر ، ثم أعيد إلى الاستادارية ، وخلع عليه السلطان ، للدلالة على رضاه عنه ، ولما عاد من دمشق إلى القاهرة ، جرى له استقبال حافل ، فدخل في موكب جسيم يشبه موكب السلطان ، وفرشت له الشقق الكمخا والحرير على الأرض ليطأها بفرسه ، واجتمع أهالي القاهرة لرؤيته ، ومرض الأمير محمود ، فعاده السلطان وجلس عنده ساعة ، وطال مرض الأمير محمود ، فأصدر السلطان أمره في السنة ٧٩٨ إلى والي القاهرة بأن ينقل الأمير محموداً (وهو مريض) إلى داره (دار واليَ القاهرة) من أجل استخلاص ما يمكن استخلاصه منه من أموال ، فنقله والي القاهرة إلى داره ، وعصره ، وعاقبه ، وأفحش في عقوبته ، ثم نقل من بيت الوالي إلى خزانة شمائل (أي السجن) ، وفي السنة ٧٩٩ مات الأمير جمال الدين محمود بن علي الطازي ، استادار العالية ، وكان موته بخزانة شمائل (احد سجون القاهرة) ولم يدفنوه إلاّ بعد الكشف لجماعة من الشهود « بأنّه سالم من الخنق والسقي (أي السمّ) وغيرهما » ، وإنّه مات « بقضاء الله وقدره » بعد مسكه ، وضربه ، وإهانته ، ومصادرته ، وأخذ ما فوقه وما تحته (نزهة النفوس ٢٢١ - ٤٥٤) .

وفيما أصاب الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله ، المعروف بابن

البقري ، بالقاهرة ، عبرة لمن يعمل في خدمة دواوين الحكم ، ولكن الناس لا يتّعظون ، فقد ولّاه السلطان الظاهر برقوق في السنة ٧٨٣ نظر الديوان المفرد ، والديوان الخاص ، بمصر ، وقبض عليه في السنة ٧٨٥ ، وصودر ، وأخذ منه مائتا ألف دينار ، وسلّم لشادّ الدواوين ، فضربه بقاعة الصاحب ، بالقلعة ، نيفاً وثلاثين شيباً ، ثم أطلق ، وفي السنة ٧٩٢ أعيد إلى الوزارة ، ثم صرف بعد خمسة اشهر ، واعتقل هو وولده ، ثم أطلقا ، واستخدم مستوفياً للدولة ، ثم قبض عليه وصودر على سبعين ألف درهم ، وأطلق ، ثم أعيد إلى الوزارة في السنة ٧٩٥ ، وفي السنة ٧٩٦ اعتقل هو وولده ، ثم صودرا ، وأطلقا ، وفي السنة ٧٩٧ استخدم ناظراً للاملاك ، وفي السنة ٧٩٨ أعيد إلى الوزارة ، وفي السنة ٧٩٩ قبض عليه ، وصودر ، وعوقب عقاباً شديداً ، وأخرج نهاراً ، وهو عاري البدن ، مكشوف الرأس ، مربوطاً بحبل يجرّ به ، وثيابه مضمومة بيده ، وقد انتهك بدنه من شدّة الضرب ، ثم أعيد إلى السجن ، وخنق في السنة ٧٩٩ (خطط المقريزي ٢/٩٥ و٩٦) .

أقول : لا بد لي أن أشير إلى تصرّف وضيع ، قام به السلطان الظاهر برقوق ، مع نساء ابن البقري ، فإنّ برقوق بلغه في السنة ٧٨٥ أنّ في دار ابن البقري احتفال ضخم ، وأنّ نساءه والنساء المدعوّات قد ظهرن في زينتهنّ وتحلّين بجواهرهنّ ، فشره إلى الإستيلاء عليها ، وكان ابن البقري عنده ، فأمر به فاعتقل ، وأوعز إلى أمراء من لدنه ، فهجموا على النساء في دار ابن البقري ، وسلبوهنّ جواهرهنّ ، واستولوا على ما وجدوا في الدار من أموال ومتاع ، فإذا كان السلطان يصنع هذا ، فلا لوم على اللصوص في ممارسة اللصوصية (نزهة النفوس ٧٧) .

وقد حفظ لنا ، صاحب كتاب أنساب الأشراف ، قصيدة لأحد الشعراء كتب بها إلى عبد الله بن الزبير ، يشكو فيها من عمّاله بالعراق ، ويتّهمهم

بـالخيانـة ، ويسمّيهم واحـداً واحـداً ، ويصف أعمـالهم ، ويعيّن عقـوبتهم ، منها : (أنساب الأشراف ٥/١٩١ ـ ١٩٤) .

يـا ابن الزبيـر أميـر المؤمنين ألم ... يبلغـك ما فعـل العمّال بـالعمـل
باعوا التجار طعام الأرض واقتسموا ... صلب الخراج شحاحاً قسمة النفل
فاشدد يديك بـزيدٍ إن ظفـرتَ به ... وأشف الأرامل من دحروجة الجعل
خذ العصيفير فانتف ريش ناهضه ... حتى ينـوء بشـرّ بعـد مقتبـل
وخـذ حجيـراً فـأتبعـه محـاسبـة ... وإن عـذرت فـلا تعـذر بني قفـل
لا تجعلن مـال بيت المال مـأكلة ... لكـلّ أزرق من همـدان مكتحـل
والحـارثيّ سيـرضى إن تقـاسمـه ... إذا تجـاوزتَ عن أعمـالـه الأُوَلِ
وادعُ الأقـارعَ فاقـرعهم بـداهيـةٍ ... واحمل خيانة مسعودٍ على جمـل
كـانوا أتـونا رجـالاً لا ركاب لهم ... فأصبحوا اليوم أهل الخيل والإبل
لن يعتبـوك ولمّـا يعـل هـامهم ... ضرب السياط وشدّ بعد في الحُجُل
إنّ السيـاط إذا عضّت غـواربهم ... أبـدوا ذخائـر من مـال ومن حلل

وقد أورد صاحب الصلة (ص ٣٤) أبياتاً ، أثبت قائلها فيها ، ألواناً من العذاب الذي كان يصبّ على العمّال والمتصرّفين المصروفين ، منها :

أين ضـرب المقـارع الأرزنيّـا ... ت[1] وأين التـرهيب والانتهـار
أين صفـع القفـا وأين التهـاويـ... ـل[2] إذا علّقت عليهـا الثفار[3]
أين ضيق القيـود والألسن الفـظّـ... ـة أيـن الـقـيـام والإخـطـار
أيـن عـرك الآذان واللطم لـلـهـا ... م وعصـر الخصى وأين الزيـار[4]
أين نتف اللّحى وشـدّ الحيـازيـ... ـم[5] وأين الحبـوس والمضمـار

(١) الأرزن : شجر صلب العود تتّخذ منه العصي .
(٢) التهاويل : أحسبها أخشاباً يشدّ عليها المطلوب تعذيبه ثم يربط بالثفر
(٣) الثفر : سير من الجلد يكون عادة في مؤخّر السرج .
(٤) الزيار : خشبتان يضبط بهما البيطار شفتي الفرس عند معالجته
(٥) الحيزوم : وسط الصدر .

وفي وفيات الأعيان ٤٦٩/٤ و٤٧٠ أبيات لابن التعاويذي ، ذكر فيها ما أنزله الوزير ابن البلدي ، بالعمّال المصروفين ، من ألوان العذاب ، وأوّل القصيدة :

يا قاصداً بغداد حد عن بلدة ... للجور فيها زخرة وعباب

ومنها :

شهدوا معادهم فعاد مصدّقاً ... من كان قبل بعثه يرتاب
حشرٌ وميزانٌ وعرضُ جرائدٍ ... وصحائفٌ منشورة وحساب
وبها زبانية تبثُّ على الورى ... وسلاسلٌ ومقامع وعذاب
ما فاتهم من كلِّ ما وعدوا به ... في الحشر إلاّ راحمٌ وهّاب

الفصل الثاني

أصناف مختلفة من العذاب

البحث الأول

محنة القرامطة

كانت القرامطة ، تسلم من اعتبروه مجاوزاً أحكام قوانينهم ، الى المحنة ، وكانوا إذا نقموا على رجل ، استدعوه من حيّه ، إلى الأحساء بلدهم ، فطرحوه ، إمّا مقيداً يكدّي في البلد ، أو سائساً للخيل ، أو راعياً للغنم أو الإبل ، أو ضربوه ، وجدّدوا عليه ، في كلّ يوم ، لوناً من العقاب ، ولا يزال عندهم حولاً ، وأكثر ، وربما عاقبوه بألوان أخر ، فجميع ما يعملونه من التأديب ، يسمونه « محنة » ، راجع التفصيل في القصّة (٨/٧٥) من كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف .

البحث الثاني

حمل الأثقال

والمراد بالأثقال ، كلّ ما هو ثقيل بصورة عامّة ، سواء كان حجارة ، أو حطباً ، أو جراراً مملوءة .

وهذا اللون من العذاب ، يمارس بقصد الإيذاء والإذلال ، وأكثر ما يمارس ضد المطالبين بالأموال ، من مصادرين ، أو عمّال معزولين .

ويظهر مما ذكره سليمان بن سهل البرقي ، أنّ العمّال المعزولين ، كان عذابهم حمل الحجارة على أكتافهم ، والمقارع تأخذهم ، راجع القصّة المرقمة ٣٧٩ من كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ، تحقيق مؤلّف هذا الكتاب .

وجاء في الغرر للوطواط (ص ٢٧٨) إنّ أبا الشمقمق ، وفد على محمد بن مروان بنيسابور ، يريد محمد بن عبد السلام ، فلما دخلها ، صار إلى منزل محمد ، فأخبر انّه في دار الخراج مطالب ، فقصده ودخل عليه وهو قائم في الشمس وعلى عنقه صخرة عظيمة فتغيّر له ، فلما رآه محمد ، قال :

ولقد قمتَ على رجالٍ طالما قدم الرجال عليهم فتموّلوا
أخنى الزمان عليهم فكأنّهم كانوا بأرض أقفرت فتحوّلوا

وذكر يوسف بن إبراهيم الكاتب (ت ٢٦٥) : إنّ أحمد بن محمد بن المدبّر ، عامل الخراج بمصر ، اعتقله مع من اعتقل ، وطالبه ببقايا ، وكان

يغدو على المعتقلين في كلّ يوم غلام لابن المدبّر يحجبه ، فيكتب على كلّ رجل ما يؤدّيه في يومه ، فإن لم يكتب شيئاً أخرج ، فحملت عليه الحجارة ، وطولب أعنف مطالبة (المكافأة ١٩٠) .

ولما قبض محمد بن خلف النيرماني ، في السنة ٣٢١ على أبي عبد الله البريدي ، وعلى أخويه أبي يوسف ، وأبي الحسين ، رفه أبا عبد الله ، وأوقع بأخويه ، وعلّق عليهما الجرار المملوءة ، ودهقهما . (تجارب الأمم ١/٢٤٧) .

وكان مرداويج الديلمي ، من قوّاد أسفار بن شيرويه ، المتغلّب على الريّ ، ثم خرج عليه ، وقتله ، وتغلّب على الريّ وأصبهان ، ثم ملك الجبل بأسره إلى حلوان ، فطغى وتجبّر ، وقال : أريد أن أبطل دولة العرب وأردّ دولة العجم ، وكتب إلى ابن وهبان عامله على الأهواز ، أن يعدّ له إيوان كسرى منزلاً إذا تقدّمه إلى الحضرة ، وأن يعمّره ويعيده كهيأته قبل الإسلام ، وصاغ لنفسه تاجاً عظيماً ، ورصّعه بالجوهر ، وكان يجلس على سرير من الذهب ، قد جعل عليه منصّة عظيمة ، ودونه سرير من فضّة ، وكراسي كبار مذهبة ، من أجل جلوس أصحابه ، وحدث في السنة ٣٢٣ أن تقدّم بإسراج الدوابّ ليعود إلى داره بعد أن طاف بالصحراء ، ثم نعس نعسة ، ونام فأبطأ ، واتّفق أن شغبت دوابّ الغلمان ، وارتفعت أصواتها ، وأصوات من يزجرها ، ولم يكن ممكناً أن يفرّق بينها لازدحامها بالباب ، ولأنّ أكثرها بأيدي غلمان الغلمان ينتظرون ركوب الأمير ، فيركب الغلمان بركوبه ، فانتبه مرداويج مذعوراً ، وقام بنفسه ليرى بنفسه سبب الضجّة ، فلما عرف حقيقة الأمر ، أمر أن تحطّ السروج عن ظهور الدواب ، وتجعل على ظهور الغلمان ، وتدفع الدواب بأرسانها إليهم ، ليقودوها بأنفسهم إلى الإصطبلات ، ففعلوا ذلك ، وكانت صورة قبيحة جدّاً ، ثم ركب وهو يتوعّد الغلمان ، فاتّفقوا على الفتك به ، فلما دخل الحمّام ، هجموا عليه فسند الباب بسرير ، فتعذّر عليهم فتح الباب ، فصعد نفرٌ منهم إلى قبّة الحمّام ، وكسر الجامات ، ورموه بالنشّاب

فدخل البيت الحارّ ، فعادوا إلى الباب وكسروه ودخلوا إليه فشقّ بعضهم جوفه بسكّين ، وخرجوا من عنده ، ثم عادوا إليه لحزّ رأسه ، فوجدوه قد جمع حشوة بطنه وردّها وقبض عليها بشماله ، وقاتلهم بكرنيب في يده ساعة ، ثم تغلّبوا عليه فحزّوا رأسه . (تجارب الأمم ١/١٦١ و١٦٢و ٢١٣ و٣١٣ و٣١٤ و٣١٧ و٣١٨) .

واجتاز بدر بن حسنويه (ت ٤٠٥) في بعض مرتحلاته برجل متحطّب ، قد حطّ حمله عن ظهره ، وكان أحد فرسان بدر أخذ منه رغيفين كانا معه ، فشكا المتحطّب حاله إلى بدر ، وقال له : أيّها الأمير ، لقد غصبني أحد فرسانك رغيفين من الخبز كنت أعددتهما لأتغدّى بهما في البلد ، حيث أبيع حطبي وأعود بثمنه على عيالي ، فقال له : هل تعرف الرجل ؟ قال : نعم ، بوجهه ،فجاء به إلى مضيق جبل ، وأوقفه ووقف معه وأمر العسكر بالاجتياز ، وعرف المتحطب صاحبه ، فأنزله بدر وحطّه عن فرسه ، وأمره بأن يحمل الحطب على ظهره إلى البلد ، وأن يدخل به السوق ، إلى أن يباع ويتسلّم صاحبه ثمنه ، وكان الفارس موسراً فحاول أن يفتدي نفسه بمال ، فأبى إلاّ أن يحمل الحطب إلى البلد على ظهره . (ذيل تجارب الأمم ٢٨٩) .

وفي السنة ٥٥٠ فتح علاء الدين الغوري غزنة ، وكان أهلها قد ثاروا على سلطانهم ، أخيه سيف الدين ، وأسروه ، وصلبوه ، فانتقم منهم ، وكان من جملة ما صنعه بهم ، أن أخذ منهم جماعة كثيرة ، وحمّلهم مخالي ملئت تراباً ، وأخذهم إلى فيروزكوه ، حيث بنى بذلك التراب قلعة في فيروزكوه . (ابن الأثير ١١/٢٦٦).

وفي السنة ٧٨٥ رسم السلطان برقوق ، سلطان مصر ، بالقبض على والي اطفيح علي بن بدر ، وتقييده ، وأن يكون مع المقيّدين بنقل التراب ، ففعل به ذلك ، وسجن بالقلعة . (نزهة النفوس والابدان ٧٢) .

البحث الثالث

المساهرة

وفي السنة **٢٣٤** قبض المتوكّل على وزيره محمد بن عبد الملك الزيات ، وعذّب أوّل الأمر ، بأن سوهر ، ومنع من النوم ، وكلّما أغفى نخس بمسلّة ، وكان قد اتّخذ تنّوراً من خشب ، فيه مسامير حديد قيام ، وكان عذّب به ابن أسباط المصري ، ثم ابتلي هو به ، فعذّب فيه حتى مات . (تجارب الأمم ٦/٥٣٩) .

ومارس المعتضد ، التعذيب بالمساهرة ، مع أحد اللصوص ، اتّهمه بسرقة من بيت المال ، فأمر بإحضار ثلاثين أسود ، وأمرهم بأن يتناوبوا في ملازمته ، بحيث لا يمكّن من الإتّكاء ، ولا الإستناد ، ولا الإستلقاء ، ولا الإضطجاع ، فإذا خفق خفقةً وجيء فكّه ، وقمع رأسه ، فداموا على ذلك أيّاماً حتى قارب الرجل التلف ، راجع تفصيل القصة في مروج الذهب ٢/٥٠٧ ـ ٥٠٩ .

وكان من جملة العذاب الذي عذّب به بكر الصوباشي ، ببغداد ، في السنة **١٠٣٢** أن سوهر سبعة أيّام ، كوي خلالها بالنار ، ثم أحرق هو وأخوه ، راجع التفصيل في هذا الكتاب ، في الباب الرابع عشر : التعذيب بالنار والماء المغليّ ، الفصل الأول : التعذيب بالنار .

البحث الرابع

إرسال السباع والحشرات

إنّ هـذا اللون من العذاب ، كـان يمارس لإيـذاء الأسير وإرهـابه ، ولم يكن المقصود به قتله .

وأوّل من مارسه عبد الله بن الزبير ، فإنّه حبس أخاه عمـرو بن الزبيـر ، وضـربه أشـدّ ضرب ، ثم أرسـل عليه الجعـلان ، فكـانت تـدبّ عليـه فتثقب لحمـه ، وهـو مقيّـد مغلول ، يستغيث فـلا يغـاث ، حتى مـات . (الاغـاني ٥/ ٧٤ و٧٥ و١٤/ ٢٣٧) .

أقول : كان عمرو بن الزبير ، يلي شرطة المدينة للأمـويّين ، فهدم دور بني هـاشم ، ودور بني الـزبيـر (بني أبيـه) وبلغ منهم كـلّ مبلغ ، وضـرب محمـد بن المنذر بن الـزبير مـائة سـوط ، ثم دعا بعـروة بن الـزبيـر (أخيـه) ليضربه ، فقـال له محمـد : أتضرب عـروة ؟ فقال لـه : نعم ، إلاّ أن تحتمل ذلك عنه ، فقال : أنا احتمله، فضربه مائة سوط أخرى ، وضرب عمرو الناس ضرباً شديداً ، فهربوا من المدينة إلى عبد الله بن الزبيـر بمكّة ، ثم إنّ عَمْـراً قاد جيشاً لحرب أخيه عبد الله ، وقصده في مكّة ، وأعدّ لـه جامعـة ، ليجمع فيها يديه إلى عنقه ، ولما وقعت المعركة انفل جيش عمـرو ، ووقع أسيـراً في يد أخيه ، فأقاد الناس منه ، وضربه ضرباً شديداً ، حتى قاح جسده ، فـأرسل عليـه الجعلان تـدبّ عليه فتثقب لحمـه حتى مات ، فـأمـر بـدفنـه في مقـابـر

المشـركين (الاغـاني ٥/ ٧٤ و٧٥ و١٤/ ٢٣٧ والـطبـري ٥/ ٣٤٤ و٣٤٥ وأنساب الأشراف ٤/ ٢/ ٢٣ ـ ٢٥ و٢٨) .

ولما عزل عمر بن هبيرة ، سعيداً الحرشي عن خراسان ، عذّبه بأن نفخ في دبره النمل ، (العيون والحدائق ٣/ ٨٤ والحيوان للجاحظ ٤/ ٣٣) .

وقال القاسم بن الرشيد ، (١٧٣ ـ ٢٠٨) لقوّام حمّامه ، نوّروا النـاس بـالمجّان ، ففعلوا ذلـك ، فلم يبق محتاج إلاّ جـاء يتنوّر ، فلمـا علم أنّهم قد كثروا ، أخرج عليهم الأسد ، من باب كـان يدخـل منه إلى الحمّـام ، فخرج الناس عراة ، مغمى عليهم ، مـع ما عليهم من النـورة ، هاربين من الأسـد ، فصـاروا إلى شـارع قصـره ، وأشـرف عليهم وهـو يضحـك . (المحـاسن والمساوىء ١/ ١٣٤) .

كان محمد بن مناذر الشاعـر ، يرسـل العقارب في المسجـد بالبصـرة ، حتى تلسع الناس ، وكـان يصبّ المداد بـالليل في أمـاكن الوضـوء حتى يسوّد وجوههم . (معجم الأدباء ٧/ ١٠٨) .

وكان المتوكّل ، يرسل الحيّات والعقارب والأسود على نـدمائـه ليفزّعهم ويضحـك هـو منهم . (العيـون والحـدائق ٣/ ٥٥٦ وتجـارب الأمم ٦/ ٥٥٦ والطبري ٩/ ٢٢٨) .

وروى إبراهيم النظام ، إنّه أبصر صاحب مسلحة ، في أجمـة البصرة ، غضب على ملّاح نبطيّ ، فشدّه قماطاً ، ورمى به في الأجمة حيث البعوض ، فصـاح المـلّاح ، اقتلني أيّ قتلة شئت ، وأرحني ، فـأبى ، وطـرحـه ، فـظلّ المـلّاح يصيح ، ثم عـاد صياحـه أنيناً ، ثم خفت ، فجـاء إلى المقموط وقت العتمة ، فإذا هـو ميت ، وإذا هو أشـدّ سواداً من الـزنجي ، وأشدّ انتفـاخاً من الزقّ المنفوخ (الحيوان الجاحظ ٦/ ٣٩٩ و٤٠٠) .

وذكر المقريزي في خططه ، لوناً من ألوان العقوبة ، كان يمارس بمصر ، وهو أن يحلق رأس الإنسان ، وتشدّ عليه خنافس، وقال : إنّ هذا اللون من العذاب لا يصبر عليه الإنسان ساعة . (خطط المقريزي ٤٢٧/١) .

وكان أحمد باشا الجزّار (ت ١٢١٩) يعذّب النساء ، بوضع السنانير في سراويلهنّ (مجلة العرفان ، المجلد ٢٦ ج ١٠ ص ١١٩٧ كانون الأول ١٩٧٤ نقلاً عن العقد المنضّد في شرح قصيدة علي الأسعد) .

البحث الخامس

شق لحم البدن بالقصب الفارسي

أمر الحجّاج بن يوسف الثقفي ، بفيروز ، فعذّب ، ثم أمر بأن يشدّ عليه القصب الفارسي المشقوق ، ثم يجرّ عليه حتى يجرّح بدنه ، ثم ينضح عليه الخلّ ، ثم قتله (الكامل لابن الأثير ٤/٤٨٨ و٤٨٩) .

وعذّب أبو القاسم البريدي ، بالبصرة ، أبا جعفر الكرخي ، المعروف بالجرو ، بأن سمّر يديه في حائط ، وسلّ أظافيره ، وضرب لحمه بالقصب الفارسي . (القصة ٤/١٢٤ من نشوار المحاضرة) .

البحث السادس

العصـــر

ويتمّ بعصـر البدن بين لـوحين ، أو بين خشبتين ، أو بعصـر الصـدغين بالجوزتين ، بأنّ تشد كرتان ، تشبهان الجوزتين على الصدغين .

وممن عُـذّب بالعصـر ، خالـد بن عبد الله القسـري ، أمير العـراقين ، عـذّبه بـه خلفـه يـوسف بن عمـر الثقفي ، فقـد وضـع قـدميـه بين خشبتين ، وعصـرهما ، حتى انقصفـا ، ثم رفع الخشبـة إلى سـاقيـه ، وعصـرهمـا حتى انقصفـا ، ثم إلى وركيـه ، ثم إلى صلبــه ، فلمـا انقصف صلبــه ، مـات . (وفيات الأعيان ٢ / ٢٢٩) .

وعـذّب يعقـوب الصفّـار ، علي بن الحسين ، في فـارس ، لمــا فتـح شيراز ، بأنواع العذاب ومنها أنّه شدّ الجوزتين على صدغيه . (وفيات الأعيان ٤٥٢/٥) .

ومن طـريف أخبار العـذاب بالعصـر ، ما أورده صـاحب فوات الـوفيات ١٩٤/٢ و١٩٥ عن الوزير المصري الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي ، المعروف بابن شكر ، المتوفّى سنة ٦٢٢ فإنّه عرض لـه إسهال وزحير أنهكه ، حتى أيس الأطباء منه ، فـدعا من حبسـه عشرة من شيـوخ الكتّاب والعمّـال ، وقال لهم : أنتم تشمتون بي ، وركب عليهم المعـاصير ، فكـان يزحـر ، وهم يصيحون .

أقول : مما هجي به الوزير ابن شكر ، قول ابن عنين فيه :

ضاق صدري ، وضاع في الناس قدري ... من حضوري باب اللئيم آبن شكر
لو أتته حوالةٌ بخراءٍ ... قال سدّوا بلحيتي باب جحري

وقال فيه ابن شمس الخلافة :

مَدَحَتْكَ ألسنة الأنام مخافةً ... وتقارضت لك بالثناء الأحسن
أترى الزمان مؤخّراً في مدّتي ... حتى أعيش إلى آنطلاق الألسن

وفي السنة ٦٨٥ قتل الأمير علم الدين سنجر اشجاعي ، بأن عصر بالمعاصير ، وكسرت رجلاه حتى مات (بدائع الزهور ١/١١٧) .

وفي السنة ٦٩٣ ضرب الصاحب شمس الدين بن السلعوس ، وعصر حتى مات (بدائع الزهور ١/١٣٠ والوافي بالوفيات ٤/٨٧) .

وفي السنة ٧٧٠ قبض السلطان الاشرف بمصر ، على الأمير بيدمر الخوارزمي نائب الشام ، وألزمه بحمل ثمانمائة ألف دينار ، وعصره (بدائع الزهور ١/٢/٨٧) .

وفي السنة ٧٧١ توفّي الصاحب شمس الدين بن موسى ، وكان قد صودر ، وعصر ، وعذب بأنواع العذاب ، وضربه والي القاهرة أوّل يوم مائتي شيب (سوط) وسعطه بالماء والملح والخلّ والجير ، وعقّد له المقرعة ، حتى كانت إذا نزلت على جنبه أحدثت فيه ثقوباً ، وكان بعد المعاقبة يرمى عرياناً في الشتاء على البلاط ، فيتمرّغ عليه وهو لا يعي ، ثم عصروه في كعبه واصداغه ، وقيل إنّه احصي مقدار ما ضرب فكان ستّة عشر ألف شيب ، وقد ضرب مرّة فسقط من ظهره قطعة لحم بقدر الرغيف ، ومن أعجب العجب ، إنّ هذا الرجل ، كان قبل العذاب مريضاً ، ضعيف البنية ، نحيف البدن ، قليل الأكل ، مصاباً بالربو ، وضيق النفس ، وكانت الحمى الصالبة تلازمه ،

ولا يبرح محتمياً ، يلبس الفراء صيفاً وشتاء، فلما عذب هذا العذاب وأطلق ، تعافى من جميع أمراضه وصار صحيح البدن ، ومن العجائب ايضاً ان امرأته عذّبت كذلك بألوان العذاب ، وكانت ضعيفة وحاملاً ، وولدت وهي تعصر بالمعصرة ، وعاش ولدها حتى كبر (النجوم الزاهرة ١١/ ١١٠ ـ ١١٢) .

وفي السنة ٧٨٩ أرسل الملك الظاهر ، صاحب مصر والشام ، إلى الأمير جمال الدين محمود ، شادّ الدواوين ، يأمره بالعودة من الشام ، بعد أن أوقع الحوطة على الأمير بيدمر ملك الأمراء بدمشق ، وعلى أهله ، وحاشيته ، وأصحابه ، حتى آحتاط على موجوده ، وعصره ، وعصر جواريه ، وأصحابه ، وحاشيته (تاريخ ابن الفرات ٩/٣) .

وفي السنة ٧٩١ قبض الأمير الكبير تمربغا منطاش ، بالقاهرة ، على الأمير سيف الدين أرغون العثماني الجمقدار ، واتّهمه بالمخامرة عليه ، وعصره مراراً كثيرة (تاريخ ابن الفرات ٩/١٣٣ و١٣٤) .

وفي السنة ٧٩١ عوقب الطواشي صندل المنجكي ، وقرّر على ذخائر السلطان الملك الظاهر ، وعصر مراراً بالقاهرة (نزهة النفوس ٢٤٢) .

وفي السنة ٧٩٢ لما تحرّك أنصار الظاهر برقوق بالقاهرة ، اعتقلوا والي القاهرة الأمير حسام الدين حسين الكوراني ، لأنّه كان قد شتم الظاهر ، وأهان أفراد عائلته إهانة بالغة ، فنهبت داره ، وقيّد بقيد زنته ثمانون رطلاً ، وفي ثاني يوم تسلّمه الوالي الجديد ، وقيّده في باشة وزنجيل ، وأنزله إلى بيته ، فضربه مقترحاً ، وعصره ، ثم عصر ركبتيه ، ثم أحضره بعد ذلك وعصره عصراً شديداً ، وفي السنة ٧٩٣ أمر الظاهر بتوسيطه ، فقام والي القاهرة بتوسيطه (تاريخ ابن الفرات ٩/١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٥٧) .

أقول : ذكر صاحب بدائع الزهور ١/٢/٤٤٥ انّ الكوراني بعد ضربه وعصره قتل خنقاً .

وفي السنة ٧٩٣ أمر سلطان مصر ، بقاضي قضاة الشام ، شهاب الدين القرشي ، فأحضر من السجن وضرب بالمقارع ، ثم سلّم إلى والي القاهرة ، فضربه وعصره مراراً حتى مات . (نزهة النفوس ٣٢٦ - ٣٢٩) .

وفي السنة ٧٩٥ قبض على الأمير منطاش، وأخذ إلى حلب، فسافر إليه الأمير طولومن علي باشاه ، فعاقبه ، وقرّره ، وعصره ، وأهلكه بالعقوبة ، ثم ذبحه . (نزهة النفوس ٣٦١) .

وفي السنة ٧٩٨ رسم بمصر لشادّ الدواوين ، أن يحضر محمود الاستادار ، فأحضر ، وعصره من ليلته ، حتى كاد أن يهلكه (نزهة النفوس والابدان ٤٢٨) .

وفي السنة ٧٩٨ قبض على الأمير محمد بن جمال الدين ، وسجن ، وعوقب ، وعصر ، ثم خنق (بدائع الزهور ١/٢/٤٧٩) .

أقول : الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جمال الدين محمود ، كان أبوه الأمير محمود استاداراً للسلطان الظاهر برقوق ، أما الأمير محمد ، فقد نصبه السلطان الظاهر في السنة ٧٩٤ نائباً للسلطان في الإسكندرية ، وفي السنة ٧٩٧ قدم الأمير محمد من الاسكندرية وقدّم للسلطان تقدمة (هدية) عظيمة ، اشتملت على الذهب والحرير والخيل ، فقبلها السلطان وشكره على هديّته ، وفي السنة ٧٩٨ اعتقل الأمير محمد مع أبيه الأمير محمود ، وأسلم الأمير محمد إلى ابن الطبلاوي الوزير « ليخلّص » منه مائة ألف دينار ، فأهانه الوزير ، وأخرق به ، وبالغ في تنقيصه ، وجرّده من ثيابه ليضربه بحضور الخاصّ والعامّ ، فقال له : يا أمير ، قد رأيت عزّنا ، وما كنّا فيه ، وقد زال ، وعزّك أيضاً ما يدوم ، فترك ضربه لما سمع هذا الكلام (نزهة النفوس ٣٤٢ ، ٤٠٤ ، ٤٢٤) ، ويتّضح ممّا أورده صاحب بدائع الزهور إنّ محمداً عذّب وخنق في السنة ٧٩٨ أما أبوه فقد أوردنا في موضع آخر من هذا

الكتاب إنّه عذّب ، وصودر ، ومات في سجنه في السنة ٧٩٩ فأحضروا إليه جماعة ليطّلعوا على أنّه « سالم من الخنق والسقي وغيرهما » ويكاد المريب أن يقول خذوني .

وفي السنة ٨٠٠ اتّهم السلطان بمصر ، الأمير علي باي ، بالتآمر عليه ، فاعتقله ، وأحضره ، وأحضر المشاعلي (الجلّاد) ، وأمر بإحضار المعاصير ، فأحضرت ، وعصر بحضرته ، وفي اليوم التالي عذّب كذلك بحضور السلطان عذاباً شديداً حتى كسرت رجلاه وركبتاه ، ثم إنّ السلطان ضربه بعكّاز كان في يده من الفولاذ ، فخسف صدره ، فأخذ إلى الخارج وخنق (بدائع الزهور ١/٢/٥٠٦ و٥٠٧) .

أقول : أنا أوردنا هذا الخبر ، في موضعه من الباب الثاني عشر : القتل بكتم النفس ، الفصل الأول : الخنق ، وإنّما أثبتناه هنا ، لأنّ تعذيب هذا الأسير بالعصر ، جرى على خلاف المعتاد ، لأنّ التعذيب بالعصر يجري عادة حيث توجد المعصرة ، وهي أغلب ما يكون موضعها في السجن ، ولكن العصر ها هنا ، جرى بحضور السلطان ، إذ أوعز بإحضار آلة العصر ، فأحضرت ، وجرى عصر الأسير وتعذيبه بمحضر من السلطان ، حتى كسرت ساقاه وركبتاه ، ولم يشتف السلطان بما حصل لأسيره ، حتى نهض إليه وضربه بعكّاز من الفولاذ ، فخسف صدره ، الأمر الذي يدلّ على أنّ السلطان كان شديد الغضب عليه ، وقد أوضح لنا صاحب نزهة النفوس (ص ٤٧٠) سبب هذا الغضب ، فإنّه هو الذي اشترى علي باي ، وكان إذ ذاك صبيّاً صغيراً ، فأدّبه ، وربّاه مثل ولده في حجره ، ونصبه دواداراً ، ومنحه إقطاعاً ثقيلاً ، ثم ولّاه الخازاندارية ، وكان عنده بمنزلة عظيمة ، وكان لا يردّ له طلباً ، ويركن إليه في جميع أموره ، فكان جزاء السلطان منه ، أن رتّب مؤامرة لقتله ، لا عجب أن غضب السلطان عليه هذا الغضب .

وفي السنة ٨٠٠ قبض السلطان بمصر ، على الأمير علاء الدين بن

الطبلاوي ، وعلى أخيه ، وآبن عمّه ، وعلى جميع عياله ، وحاشيته ، وأصحابه ، فضرب بين يدي السلطان ، وسجن ، ثم تسلّمه الاستادار ، فعذّبه ، وعصره بالمعاصير في كعابه ، وسقاه الماء بالجير والملح ، وضربه كسارات ، وأذاقه ما كان يفعله بالناس ، ثم ألبسه خوذة حديد محميّة بالنار ، ولما استصفيت أمواله ، أعيد إلى السجن . (بدائع الزهور ١/٢/٤٩٩) .

وفي السنة ٨٠١ أحضر السلطان ، الوزير ابن الطوخي ، وطالبه مشافهة بمال ، فذكر أنّه ليس لديه مال ، فسلّمه إلى الوزير تاج الدين ، فأخذه إلى داره ، وعصره . (بدائع الزهور ١/٢/٥١٩) .

وفي السنة ٨٠٣ قبض الأمير شهاب الدين أحمد شادّ الدواوين ، على يلبغا السالمي وضربه ضرباً مبرّحاً ، وبالغ في عصره وتعذيبه (بدائع الزهور ١/٢/٦٣٠) .

ولما فتح تيمورلنك دمشق في السنة ٨٠٣ كان من جملة ما عذّب به الدمشقيّون العصر (النجوم الزاهرة ١٢/٢٤٤ و٢٤٥) .

وفي السنة ٨٢٤ هلك تحت العذاب الأمير الحسن بن عبد الله البدر الطرابلسي ، وكان قد ولي الاستادارية ، فظلم الناس ، فقبض عليه المؤيّد ، وشتمه ، وهمّم بقتله ، وأمر به فعصر ، وعذّب ، وعوقب أتباعه ، حتى إنّ زوجته الشريفة عذّبت معه أيضاً ، ثم أفرج عنه ، واستقرّ في كشف الوجه القبلي ، فظلم وجار ، فصودر وأهين ، ثم ولي الوزارة في أيّام المؤيّد ، ثم أعطي تقدمة طرابلس ، فلما عصى جقمق انتمى إليه ، فاعتقله الأمير ططر ، وضربه ، وعصره ، واستمر تحت العقوبة (العذاب) حتى هلك (الضوء اللامع ٣/١٠٢) .

وفي السنة ٨٥٧ تسلطن الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر ، فقبض على الأمير زين الدين الاستادار ، وأحضر له المعاصير ، وعصر في

أركابه (يريد ركبه) حتى كسرها . (بدائع الزهور ٢/١٧) .

ولما عصى الأمير تغري ورمش على السلطان ، عذّب بأن عُصِرَ بين أبواب القلعة . (اعلام النبلاء ٣/٣٨) .

وعذّب السلطان الغوري ، جمال الدين الحلبي ، بوضعه بالمقشرة . (اعلام النبلاء ٥/٥٣٠ و٥٣١) .

وكان من جملة ما عذّب به السلطان الغوري ، القاضي بدر الدين بن مزهر ، كاتب أسرار القاهرة ، في السنة ٩١٦ ، أن عصر بدنه ورأسه (شذرات الذهب ٨/٧٤) .

وفي السنة ١٢٥٥ أحضر شريف باشا ، متسلّم دمشق ، وحقّق معه ، فلم يقرّ ، وعذّب ، فلم يقرّ ، فوضعوا له الكعاب على مصادغه ، فلم يقرّ فعقدوا المرسة ، وصاروا يبرمونها على أصداغه ، فلم يقرّ ، فقام الوزير ، وجرّد سيفه ، بحمق (بغضب) لأجل أن يقرّ ، فما أقرّ ، بل مدّ رقبته لأجل (أن) يقتله ويستريح (مذكرات تاريخية ٢٠٠) .

وفي السنة ١٢٥٥ أجرى التحقيق بدمشق ، مع حلّاق يهودي ، اسمه سليمان ، وأحضره المتسلّم شريف باشا أمامه ، وقرّره ، وضرب فلم يقرّ ، فوضعوا له الكعاب على مصادغه (أصداغه) وصار القوّاص باشي يبرم بند السيف على الكعاب ، والضرب « عمّال » على ظهره ، وعلى كعب رجليه (مذكرات تاريخية ١٩٣) .

البحث السابع

الدهق

الـدَهَقُ : آلة تعـذيب ، تشتمل على خشبتين ، يضيّق بهمـا على ساقي المعذّب ، أو على أحد أجزاء بدنه .

وقـد عذّب الحجّـاج بن يـوسف الثقفي ، آزادمـرد ، بـأن دقّ يـده على رجله ، ودهقه ، ودقّ ساقه .

راجع التفصيل في القصـة ١/ ٦٩ من كتاب نشـوار المحاضـرة ، وأخبار المذاكرة ، للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف .

وحبس الحجّاج ، يزيـد بن المهلّب ، وأخويـه المفضّل وعبـد الملك ، وأخذ يعذّبهم ، وكان يزيد يصبر على العـذاب ، فيغتاظ الحجّـاج من صبره ، فقيل له : إنّه رمي بنشّابة فثبت نصلها في ساقه ، فلا يمسّها شيء إلاّ صـاح ، فأمر أن يعذب بدهق ساقه ، فدهقت ، فصاح ، وكانت أخته هند بنت المهلّب عنـد الحجّـاج ، فلمـا سمعت صيـاح يـزيـد صـاحت ، فـطلّقهـا الحجّـاج . (الطبري ٦/٤٤٨) .

وكـان من جملة العذاب الـذي عذّب بـه بـلال بن أبي بـردة ، أن دهق حتى دقّت ساقه ، وجعل الوتر في خصيتيه . (البيان والتبيين ١/ ٢٢٠) .

وروى لنا صاحب المحاسن والمساوىء ، أنّ المنصور العباسي ، حضر

تعذيب جارية مدنيّة ، وأنّها دهقت بأمر منه ، وبحضوره ، حتى أغمي عليها . (المحاسن والمساوىء ١/ ١١٤) .

وقبض المأمون ، على أحد عمّاله ، وهو عمرو بن بهنوي ، فأسلمه إلى الفضل بن مروان ، فطالبه ، ودهقه ، راجع القصة ١/ ٦٨ من نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي .

وكان الوزير أبو علي بن مقلة ، يشكو طول حياته من ضيق النَفَس لأنّ الدستوانيّ دهقه على صدره . (التكملة ٩٤) .

ولما قبض محمد بن خلف النيرماني ، على آل البريدي الثلاثة ، رفّه أبا عبد الله وأوقع بأخويه أبي يوسف وأبي الحسين ، ودهقهما (تجارب الأمم ١/ ٢٤٧) .

وفي السنة ٣٤٤ تعرّض عمران بن شاهين ، صاحب البطائح ، لكارٍ كبيرٍ فيه أموال لمعزّ الدولة والتجّار ، فأخذه ، وقبض على المرعبل ، ملّاح معزّ الدولة ، فصادره ، وضربه ضرباً عظيماً ، ودهقه إلى أن أزمنه . (تجارب الأمم ٢/ ١٥٩) .

البحث الثامن

التعذيب بالزمّارة

الزمّارة : ساجور يعلّق في العنق ، مثل القلادة أو الخشبة التي تعلّق في عنق الكلب .

ولما أحضر الحجّاج بن يوسف الثقفي ، سعيد بن جبير ليقتله ، جيء به إليه ، وفي عنقه زمّارة (لسان العرب ، مادة : زمر والبيان والتبيين ٣/٧٤) .

ولما حمل محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، مع بني الحسن ، إلى العراق بأمر المنصور ، كان في عنق محمد زمّارة ، وحدث أن انبعث بعير محمد وهو غافل لم يتأهّب له ، وفي رجليه سلسلة ، وفي عنقه الزمّارة ، فهوى ، وعلقت الزمّارة بالمحمل ، فظلّ منوطاً بعنقه يضطرب ، فبكى عبد الله بن الحسن وجزع جزعاً شديداً (مقاتل الطالبيين ٢٢٢) .

البحث التاسع

التعذيب بالمضرّسة

المضرّسة : آلة تعذيب فيها من باطنها نتوءات تشبه الأضراس.

وقد قتل يوسف بن عمر، خالد بن عبد الله القسري، بأن نقله من الشام إلى العراق، لابساً عباءة، على محمل ليس تحته وطاء، ثم وضع المضرّسة على صدره، فقتله، وكان ذلك في السنة ١٢٦ فإنّ الوليد بن يزيد لما استخلف، أمر بحمل خالد إليه، وكان لا يطيق المشي، وإنّما يحمل في كرسي، فلما حمل إليه، أمره بالكشف عن موضع ولده يزيد، وتهدّده، فغضب خالد، وقال له : إنّه لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما، فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه، بأن يبسط عليه العذاب، وقال له : أسمعني صوته، فعذّبه غيلان بالسلاسل، ثم حبسه عنده، حتى قدم يوسف بن عمر من العراق، وكان يحقد على خالد، فاشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف درهم، فدفعه إلى يوسف، فنزع يوسف عنه ثيابه، ودرّعه عباءة، وألحفه بأخرى، وحمله في محمل بغير وطاء، وزميله أبو قحافة المريّ بن أخي الوليد بن تليد، وكان عاملاً لهشام على الموصل، وبدأ يوسف يعذّب خالداً وهو في طريقه إلى العراق، ولما قدم يوسف الحيرة، بسط العذاب على خالد، بأن أمر بعود فوضع على قدميه، ثم قامت عليه الرجال حتى كسرت قدماه، ثم على ساقيه حتى كسرتا، ثم على حقويه، ثم وضع المضرّسة على صدره فقتله (الطبري ٢٥٩/٧ و٢٦٠).

أقول : كان يوسف بن عمر ، كثير المساوىء ومن جملة مساوئه انّه كان لئيم القدرة ، ولما حمل خالداً إلى العراق بلغه أنّ زيد بن تميم القيني ، بعث إلى خالد بشربة سويق حبّ رمّان مع مولى له اسمه سالم فضرب زيداً خمسمائة سوط ، وضرب سالماً ألف سوط ، وبلغه أنّ عامر بن سهلة الأشعري مرّ بقبر خالد ، فعقر فرسه على القبر ، فأخذ عامراً وضربه سبعمائة سوط (الطبري ٧/٢٧) .

البحث العاشر

التعذيب بالدوشاخة

واستحدث في أيّام المغول ، التعذيب بالدوشاخة ، وهي خشبة ذات شعبتين ، تعلّق في رقبة المراد تعذيبه (القاموس الذهبي ٢٨٣) . فاذا شدّد ضغطها على العنق ، انقصف ، ومات المعذّب .

وبهذه الآلة عذّب مجد الدين ، ملك واسط ، لما قبض عليه في السنة ٦٦٠ وضرب ، وشهر ، ودوشخ (الحوادث الجامعة ٣٤٩) .

وفي السنة ٦٨٠ رفع على الصاحب علاء الدين ، صاحب الديوان ، ببغداد ، فاعتقل ، وصودر ، ودوشخ ، وألقي تحت دار المسناة التي بأعلى بغداد ، على شاطىء دجلة مكتوفاً ، عليه قميص واحد ، وكان البرد شديداً جدّاً (تاريخ العراق للعزاوي ١/ ٢٩٩ و٣٠٠) .

وفي السنة ٦٨٣ لما تسلطن أرغون ، قبض على الخواجة هارون ، صاحب الديوان ، وعلى شمس الدين نائبه ، وعزّ الدين جلال المشارك في كتابة السلّة ، ونظام الدين عبد الله بن قاضي البندنيجين ، فأخذوا ، ووكّل بهم ، ودوشخوا ، وطوّق خواجه هارون ، وحملوا جميعاً إلى العصمتية ، المجاورة لمشهد عبيد الله ، وحبسوا هناك ، ثم أخرج نظام الدين بن قاضي البندنيجين ، من الغد ، في دوشاخة ، وقد سوّد وجهه ، وأركب على بهيم ، وشهر في بغداد ، والعوام يطرّقون بين يديه استهزاء به (أي يصيحون بين يديه

الطريق ، الطريق) ثم أعيد إلى موضعه ، وقبض على شرف الـدين محمد بن يصلا وكيل الديوان ، ودوشخ أيضاً ، وضرب ، وطولب بمال كثير ، أمّا النظام (أي نـظام الدين ابن قـاضي البندنيجين) فقـد أدّى مالاً عـظيمـاً ، وعـوقب معاقبة عظيمة ، وقصفت رقبته بدوشاخة فمات ، وأما خواجه هـارون ، فحمل فحمل إلى الأمير أروق ، والطوق في حلقه (الحوادث الجامعة ٤٣٧) .

وفي السنـة ٦٨٦ ضرب جمـاعة من حكّـام العراق ، ودوشخـوا ، منهم زين الـدين الحظائـري ، ونجم الدين أحمـد كاتب الجـريد (تـاريـخ العـراق للعزاوي ١ / ٣٤٠) .

وفي السنـة ٦٩٤ اعتقل صـدر واسط والبصرة ، فخـر الدين مـظفّـر ابن الطراح ، ودوشخ ، وطوّق ، وضرب ، وعـوقب ، ثم قتل ، وحمـل رأسه إلى واسط ، وعلّق على الجسـر بعد أن طيف بـه في شوارعهـا وسـوقهـا (تـاريـخ العراق للعزاوي ١ / ٣٦٩) .

البحث الحادي عشر

ثقب الكعاب

ويحصل بثقب مؤخّر القدم ، بمثقب من الحديد ، ويضرب فيها الرزز والحلق . وقد حصل هذا اللون من العذاب في حلب ، مارسه رضوان بن تتش السلجوقي في السنة ٤٨٩ على أحد المتزعّمين في حلب واسمه بركات بن فارس الفوعي ويلقب بالمجنّ ، وكان في أوّل أمره من قطّاع الطريق ، ثم تقدّم ورأس أهالي حلب ، ثم عصى على الملك رضوان ، فقبض عليه ، وسجنه ، وعذّبه عذاباً شديداً ، ومما عذّبه به أن أحمى الطشت حتى صار مثل النار ووضعه على رأسه ، ونفخ في دبره بكير الحدّاد ، وثقب كعابه ، وضرب فيها الرزز والحلق ، ولما وضع النجّار المثقب على كعبه ، قطع الجلد واللحم ووقف المثقب ، لطم المجنّ النجّار ، وقال له : ويلك لا تعرف صنعتك ، أحضر خشبة وضعها على الكعب ، وأظهر عند العذاب جلداً عظيماً . (إعلام النبلاء ١/٣٧٥) .

وفي السنة ٥٢١ خلف الأمير مسعود أباه الأمير آقسنقر ، على حلب والموصل ، ثم توفي فجأة ، فقيل انّه سمّ ، وقصد الأمير ختلغ آبه حلب ، فتسلّمها ، وصعد إلى قلعتها ، فطمع في أموال أهلها ، وصادر قسماً منهم ، وقبض على شرف الدين أبي طالب ابن العجمي ، وعمّه أبي عبد الله ، واعتقلهما بقلعة حلب ، وثقب كعاب أبي طالب ، وصادره ، فقام عليه أهل حلب ، وحصروه ، وأخرجوه من القلعة ، واستولى عمّاد الدين زنكي على حلب (اعلام النبلاء ١/٤٧٤) .

البحث الثاني عشر

تنعيل الناس بنعال الدواب

ومن ألوان العذاب ، هذا اللون العجيب ، وهو تنعيل الناس بنعال الدوابّ ، وذلك بأن تلصق القطعة الحديد التي تنعّل بها الدواب ، على باطن قدم الأسير ، وتدقّ فيها المسامير ، فتخرق باطن القدم .

وقد سجّل التاريخ ، أنّ أبا عبد الله البريدي ، وإخوته ، كانوا يمارسون تنعيل الناس بنعال الدواب ، من جملة ألوان العذاب الذي كانوا يصبّونه على الناس (تجارب الأمم ٢ / ١٤) .

وفي السنة ٧٤٠ هلك الأمير علاء الدين علي بن حسن البرواني ، والي القاهرة ، بعدما قاسى أمراضاً شنيعة مدّة سنة ، وكان ظالماً عسوفاً سفّاكاً للدماء ، وكان ينعل الرجل في رجليه بالحديد كما تنعل الخيل (النجوم الزاهرة ٩/٣٢٣) .

البحث الثالث عشر

قطع أجزاء من لحم البدن

ومن ألوان العذاب الذي يدلّ على أشدّ القسوة ، قطع أجزاء من لحم البدن ، وهذا اللون من العذاب ، قليل الممارسة .

وأوّل ما بلغنا عنه ، أنّ نصرانياً اسمه شمعلة ، دخل على أحد الخلفاء الأمويّين ، فقال له : أسلم يا شمعلة ، فأبى ، فغضب ، وأمر فقطعت بضعة من فخذه ، وشويت بالنار ، فأطعمها (الاغاني ١١/٢٨٢) .

وفي السنة ٨٥٠ حاصر جهان شاه بغداد ، وفتحها ، وقبض على الأمير شيخي بك ، وقرن مع ابن العرية الجلّاد ، وأسلما إلى نساء الأمير با يزيد ، الذي سبق أن قتله شيخي بك ، فسحبنهما على الشوك ، وقطعن لحم جسديهما بالسكاكين ، حتى ماتا (تاريخ العراق للعزّاوي ٣/١٣٣ و١٣٥) .

وكان الأمير محمد أغا بن محمد كتخدا أباظة ، المتوفّى سنة ١٢٠٩ قد تولّى الحسبة بمصر ، وعاقب عقوبات شديدة ، منها إنّه وزن مرّة جانباً من اللحم وجده مع من آشتراه ، فوجده ناقصاً ، فأكمل الوزن بقطعة من جسد الجزّار (الجبرتي ٢/١٧١ و١٧٢) .

وفي السنة ١٢٣٢ لما دخل داود باشا بغداد ، وتولّى إدارتها ، أخذ حمّادي بن أبي عقلين ، وكان أثيراً عند سعيد باشا ، سلف داود باشا في حكم بغداد ، فعذبه بتقطيع لحمه حيّاً ، فكان يلتمس أن يعجّل بقتله فلا يجاب (تاريخ العراق للعزّاوي ٦/٢٤٤) .

البحث الرابع عشر

قرض لحم البدن بالمقاريض

ومن ألوان العذاب التي عرفت في العهد العباسي ، قرض لحم البدن بالمقاريض .

وأوّل ما بلغنا عن هذا اللون من العذاب ، ما ذكر أنّه في السنة ٣٣٢ قُتِلَ أبو طاهر القرمطي ، وبعض قواده ، قتلهم خادم له أصبهانيّ ، فقبض عليه ، وقرض لحمه بالمقاريض إلى أن مات (تجارب الأمم ٢/٥٥ - ٥٧) .

وفي السنة ٣٣٣ اتّهم ابن شيرزاد ، أبا الحسين البريدي ، بأنّه يخطب كتابة توزون ، فقبض عليه ، وضربه ضرباً مبرّحاً ، وقرض لحم فخذيه بالمقاريض ، وانتزعت أظفاره ، ثم جلس له المستكفي ، وأحضر الفقهاء والقضاة ، وأحضر البريدي ، وبسط النطع ، وجرّد السيف ، وتليت فتوى سابقة كانت قد صدرت بإباحة دمه ، وأبو الحسين يسمع ، ورأسه مشدود ، فأمر المستكفي بضرب عنقه ، من دون أن يحتجّ لنفسه بحجّة . (تكملة تاريخ الطبري ١٤٥) .

وفي السنة ٥٤٩ قتل نصر بن عباس ، الخليفة الفاطمي ، الظافر ، فقصد الصالح بن رزّيك ، والي منية بن خصيب ، القاهرة ، وفرّ نصر ، وأبوه ، وأصحابه ، وقصدوا طريق الشام ، فخرج عليهم الإفرنج ، وقتلوا عباساً ، وأسروا نصراً ، فجعلوه في قفص من حديد ، وأعادوه إلى القاهرة ، فقطعوا يديه ، وقرضوا جسمه المقاريض ، وصلبوه على باب زويلة ، وبقي سنة ونصفاً مصلوباً . (شذرات الذهب ٤/١٥٣ ووفيات الأعيان ٣/٤٩٢) .

البحث الخامس عشر

قتل الأسير ووضع رأسه في حجر أقرب الناس إليه

وثمة لون من ألوان العذاب ، دلّت ممارسته على قسوة بالغة ، وهو قتل الأسير ، وقطع رأسه ، ووضعه في حضن زوجه أو أبيه .

وأوّل من مارس هذا اللون من العذاب ، معاوية بن أبي سفيان ، فإنّه لما قتل الإمام علي بن أبي طالب ، واستولى معاوية على السلطة ، أخذ معاوية يحاسب أصحاب عليّ على تصرّفاتهم السابقة ، ويطالبهم بالبراءة من علي ، فإن لم يبرأوا ، جرّد لهم السيف ، وأعدّ لهم أكفانهم ، وحفر لهم قبورهم ، وقتلهم أمام قبورهم المحفورة ، وأكفانهم المنشورة (العقد الفريد ٣/٢٣٤) .

ولما استتبّ له الأمر ، فرّ منه من عمرو بن الحمق الخزاعي ، وكان من أنصار علي ، فأذكى عليه العيون والأرصاد ، واعتقل آمرأته ، وحبسها في سجن من سجون دمشق ، ثم أمسك بعمرو ، فقتله ، وقطع رأسه ، وأمر أحد أعوانه ، بأن يدخل على المرأة في سجنها ، وأن يضع رأس زوجها في حجرها (بلاغات النساء ٦٤ والديارات ١٧٩ و١٨٠) .

وسار من بعده بهذه السيرة هشام بن عبد الملك ، إذ أمر برأس الإمام زيد بن علي بن الحسين ، فوضع في حجر والدته ، ريطة بنت عبد الله بن محمد بن الحنفية .

وقابل عامر بن إسماعيل، قائد الجيش العباسي، صنع هشام ، بأن أمر أن يوضع رأس مروان الحمار ، آخر الحكام الأمويين ،في حجر آبنته (بلاغات النساء ١٤٥) .

ولما قتل المنصور إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، قتيل باخمرى ، بعث برأسه إلى أبيه عبد الله بن الحسن ، وهو مسجون عنده ، فلما وضع الرأس بين يديه ، قال : أهلاً وسهلاً ، يا أبا القاسم ، والله ، لقد كنتَ من الذين يوفون بعهد الله إذا عاهدوا ، ولا ينقضون الميثاق ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب ، ثم تمثّل : (مروج الذهب ٢/٢٣٧ وزهر الاداب ١/٧٦) .

فتى كان يحميه من الذلّ سيفه ويكفيه سوءات الأمور اجتنابها

ولما قتل المستعين ، أمر المعتزّ برأسه ، فوضع بين يدي جاريته التي كان يتحظّاها ، فأخذت تصرخ : يا قوم ، أخذتموني غصباً ، ثم تجيئوني برأس مولاي ، فتضعونه بين يديّ (الديارات ١٧٠) .

ولما أصدر المقتدر أمره إلى نازوك ، بقتل الوزير ابن الفرات ، وولده المحسّن ، جاء نازوك إلى الحجرة التي كان ابن الفرات معتقلاً فيها ، وجلس ، وبعث عجيباً خادمه ، ومعه جماعة من السودان ، فضرب عنق المحسّن ابنه ، وجاءوا برأسه إلى أبيه ، فوضعوه بين يديه ، فارتاع لذلك آرتياعاً شديداً ، ثم عرض هو على السيف فضربت عنقه (الوزراء للصابي ٧١) .

وفي السنة ٣٢١ اعتقل القاهر كلًّا من القائد علي بن يلبق ، وأبيه القائد يلبق ، والقائد مؤنس المظفّر ، ودخل القاهر إلى موضع اعتقالهم ، فذبح علي بن يلبق بحضرته، وأخذ الرأس إلى أبيه ، فوضع بين يديه ، فلما رآه جزع ، وبكى بكاءً عظيماً ، ثم ذبح يلبق ، وأخذ الرأسين إلى مؤنس ، ثم

أمر القاهر ، فجرّ برجل مؤنس إلى البالوعة ، وذبح كما تذبح الشاة ، والقـاهر يراه (تجارب الأمم ١/٢٦٧ و٢٦٨) .

وفي السنة ٥٣٤ قتل الحـافظ الفاطمي ، وزيـره رضوان ، وبعث بـرأسه إلى زوجته ، وكانت في حبسه ، فوضـع الرأس في حجـرها ، فنـظرت المرأة إلى الرأس ، وقالت : هكذا يكون الرجال (ابن الأثير ١١/٤٩) .

وأسر الأمير قماج ، صاحب بلخ ، الأمير زنكي ، صاحب طخارستان ، وولده ، فقتل الولد ، وجعل يطعم أباه لحمه ، ثم قتل الأب أيضاً (ابن الأثيـر ١١/١٧٩) .

وفي السنــة ٨١٨ عصى بعض النـواب ، على الملك المؤيــد شيـخ ، فخـرج إليهم بنفسه ، ولمـا قبض على نائب حلب ، إينـال الصصلاني ، قتله على صدر أبيه ، ثم قتل الأب بعد ذلك (بدائع الزهور ٢/٥) .

الفصل الثالث

التعذيب في قصص الاضطهاد الديني

بدأ الإضطهاد الديني ، منذ أن نشأت العقيدة عند الإنسان ، إذ آختلفت العقائد باختلاف الناس ، وتعاقب الأيّام ، وقد نال الأنبياء ، ومن آتّبعهم ، من الأذى من جرّاء الدعوة إلى دياناتهم ، ما قدّ سطّر في صحائف التاريخ .

وأخبار الإضهاد الديني ، من القدم والكثـرة ، بحيث لا يمكن أن تجمع في مؤلّف ، وقد رأيت أن أوجز في هـذا الفصل بحثـاً عمّا لاقى النبيّ صلوات الله عليه ، والمسلمون الأوّلون من مشركي قـريش ، وبحثاً عمّـا لاقى المسيح عليه السلام ، وأتبـاع الدين المسيحي من آضـطهاد ، وأتبعت هـذين البحثين ببحث ثالث عن ألوان العـذاب التي مارستهـا محاكم التفتيش على من اتّهمت أو أدانت ، أمـا ألوان الاضـطهاد الـديني الأخرى ، فقـد أوردتهـا متفـرّقـة في مواضعها ، عند البحث عن أصناف العذاب .

البحث الأول

اضطهاد أتباع الديانة الاسلامية

أوّل من عذّب في سبيل الإسـلام ، رسول الله صلوات الله عليـه ، فإنّـه لما جهر بدعوة الإسلام ، لاقى ، ومن اتّبعه من المسلمين الأوّلين ، ألـواناً من الإضطهاد ، من مشركي قريش ، بدأ بالسخريّة ، وآرتفع إلى ما فوق ذلك من ألوان الاضطهاد ، فآتّهموه بالسحر مرّة ، وبالكذب أخرى وبالكهانة تـارة (نور اليقين ٥٥) .

ولما باشر النبيّ صلوات الله عليه ، بالدعـوة إلى الإسلام ، بـدأ بدعـوة بني عبد المطّلب ، فأعدّ لهم مأدبة ، فـأكلوا ، ثم تكلّم ، فقال : يـا بني عبد المطّلب ، إنّي ـ والله ـ ما أعلم أحداً من العرب ، جاء قومه ، بأفضل مما قـد جئتكم به ، إنّي قد جئتكم بخير الدنيـا والآخرة ، وقـد أمرني الله تعـالى ، أن ادعوكم إليه ، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر ، على أن يكون أخي ، ووصيّتي وخليفتي فيكم ؟ فـأحجم القـوم بـأجمعهم ، ونهض ابن عمّـه علي بن أبي طالب ، وكان أحدثهم سنّاً ، وقال : يا نبيّ الله ، أنا أكون وزيرك عليه ، فقال له النبي : إجلس ، ثم كرّر قوله ثلاث مرات ، وفي كلّ مرة ، كـان عليٌّ يقوم إليـه ، فلما قـام في الثالثـة ، أخذ النبيّ بعنق عليّ ، وقـال : إنّ هـذا أخي ، ووصيّتي ، وخليفتي فيكم ، فقـام القوم يضحكـون ، ويقولـون لأبي طـالب : أمرك ابن أخيك ، أن تسمع لابنك وتطيع (الطبري ٢ / ٣٢٠ و٣٢١) .

ولما أعيت مشركي قريش الحيل ، جـاءوا إلى أبي طالب ، وطلبـوا منه

أن يسلم إليهم النبيّ صلوات الله عليه ، يقتلونه ، وأن يأخذ من أولادهم من شاء يتبنّاه ، ويكون له ولداً ، فقال لهم : عجباً لكم ، تعطوني إبنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم إبني تقتلونه ؟ فلما أجابهم بذلك ، أجمعوا أمرهم على منابذة بني هاشم وبني المطّلب ولدي عبد مناف ، وإخراجهم من مكّة ، ومقاطعتهم فلا يبيعونهم شيئاً ولا يبتاعون منهم ، حتى يسلموا محمداً للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في جوف الكعبة ، فانحاز بنو هاشم بسبب ذلك في شعب أبي طالب ، ودخل معهم بنو المطّلب ، سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم ، ما عدا أبا لهب ، وجهد القوم في الشعب من جراء المقاطعة ، حتى كانوا يأكلون أوراق الأشجار ، وكان مشركو قريش يمنعون التجار من مبايعتهم (الطبري ٢/٣٣٣ ونور اليقين ٥٣) .

ولما اشتدّ اضطهاد قريش للمسلمين ، هاجر جماعة منهم إلى الحبشة ، فبعثت قريش في اثرهم عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد ، وبعثوا معهما هدايا للنجاشي ، صاحب الحبشة ، لكي يطرد المسلمين من أرضه ، فأعادهما النجاشي خائبين (نور اليقين ٥٤) .

مرّ أبو جهل بن هشام ، بالنبيّ صلوات الله عليه ، وهو جالس عند الصفا ، فآذاه وشتمه ، فلم يكلّمه رسول الله ، وكانت امرأة تتسمّع الحديث ، ولما رأت حمزة ، عمّ النبي ، عائداً من الصيد ، حدّثته المرأة بالقصّة ، وقالت له : يا أبا عمارة ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم بن هشام ، وجده ها هنا جالساً ، فسبّه وآذاه ، فامتلأ حمزة غضباً لما أصاب ابن أخيه ، وذهب ، وهو في فورة غضبه ، إلى حيث وجد أبا جهل في مجلسه ، ورفع قوسه ، وضربه بها ضربة ، فشجّه بها شجّة منكرة ، وقال له : أتشتم ابن أخي وأنا على دينه ، فردّ عليّ إن آستطعت (الطبري ٢/٣٣٣ و٣٣٤) .

وكان أبو لهب بن عبد المطّلب ، عمّ النبي ، عظيم الإيذاء للنبيّ ،

وكان يرمي القذر على بابه ، فكان النبيّ يميطه ويطرحه ، ويقول : يا بني عبد مناف ، أي جوار هذا ؟ وكانت تشاركه في قبيح عمله هذا ، زوجته أمّ جميل بنت حرب بن أميّة ، وهي عمّة معاوية ، وكانت كثيراً ما تسبّ رسول الله صلوات الله عليه (نور اليقين ٣٧) .

أقول : دخل عقيل بن أبي طالب ، على معاوية ، في مجلسه بالشام ، فقال معاوية لجلّاسه : هل تعلمون من هو الذي أنزلت فيه الآية : ﴿ تبّت يدا أبي لهب وتبّ ﴾ ، إنّ أبا لهب هو عمّ هذا ، وأشار إلى عقيل ، فقال عقيل : وهل تعلمون أنّ امرأته حمالة الحطب ، هي عمة هذا ، وأشار إلى معاوية (وفيات الأعيان ٦/١٥٦) .

وكان عقبة بن أبي معيط ، من أشدّ الناس على رسول الله صلوات الله عليه ، لقيه مرّة فوجأ عنقه ، وبزق في وجهه ، ولطم عينه ، ولقيه مرة أخرى فوضع ثوبه في عنق رسول الله ، فخنقه خنقاً شديداً ، وجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ، حتى دفعه عن رسول الله (نور اليقين ٣٨) .

وحدث مرة أن كان النبي النبي صلوات الله عليه ، يصلّي في المسجد ، فقام إليه عقبة بن أبي معيط ، وأخذ فرث جزور ، فألقاه على النبيّ وهو ساجد ، وظلّ النبي في سجوده ، حتى جاءت ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام ، فأماطت عنه الفرث (نور اليقين ٣٧) .

ولما قصد النبيّ الطائف ، ودعا ثقيف الى الإسلام ، رجموه بالحجارة ، حتى أدموا رجله ، وقال رسول الله : ما كنت أرفع قدماً وأضعها إلّا على حجر (الفرج بعد الشدة ج ١ ص ١٩١ ، واليعقوبي ٢/٣٦) .

ولما توفّيت أمّ المؤمنين خديجة ، ثم توفّي أبو طالب ، نال مشركو قريش من النبيّ ، ما لم يمكنهم نيله منه في حياة أبي طالب ، فكانوا ينثرون التراب على رأسه وهو سائر ، ويضعون أوساخ الشاة عليه في صلاته ،

ويتعلّقون به يتجاذبونه ، ويصرخون في وجهه (نور اليقين ٥٧ والطبري ٢/٣٤٤) .

ولما أسلم قوم من الأنصار ، من أهل المدينة ، وأعلنوا إسلامهم ، غاظ ذلك مشركي قريش في مكّة ، وتشاوروا ما يصنعون برسول الله ، فقال قوم : نخرجه من أرضنا ، ونستريح منه ، فرفض هذا الرأي ، وقالوا : إذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما يرونه من حلاوة منطقه وعذوبة لفظه ، وقال قوم : نوثقه ونحبسه حتى يموت ، فرفض هذا الرأي ، وقالوا : إنّ أتباعه سوف يتفانون في تخليصه ، ويجرّ ذلك علينا حرباً نحن في غنى عنها ، وقال قوم : نأخذ من كلّ قبيلة شاباً جلداً ، يجتمعون أمام داره ، فإذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد ، فيفترق دمه في القبائل ، ولا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلّها ، فأقرّوا هذا الرأي ، وعيّنوا ليلة لتنفيذ مؤامرتهم ، وبلغ رسول الله خبرهم ، فبارح مكّة ، مهاجراً إلى المدينة ، وامر ابن عمّه عليّاً أن يبيت في فراشه تلك الليلة ، كي لا يشكّ المتآمرون في وجوده اثناء الليل ، وكانوا يردّون النظر من شقوق الباب ، فيرون عليّاً مسجّى ببردة النبيّ ، فيحسبونه النبيّ ، ولما نهض عليّ في الصباح ، ورآه المتآمرون ، علموا بفساد مكرهم ، وانتهروا عليّاً ، وضربوه ، وأخرجوه إلى المسجد ، فحبسوه ساعة ، ثم تركوه ، وأرسلوا الطلب في كلّ جهة ، وجعلوا الجوائز لمن يأتي بمحمد أو يدلّ عليه (الطبري ٢/٣٧٣ و٣٧٥ ونور اليقين ٦٩ و٧٠) .

ولما هاجر رسول الله إلى المدينة ، ومعه أبو بكر ، جاء إلى دار أبي بكر نفر من قريش فخرجت إليهم إبنته أسماء ، فقال لها أبو جهل بن هشام ، أين أبوك يا بنيّة ؟ فقالت : لا أدري فرفع أبو جهل يده ، فلطم خدّها لطمة طرح منها قرطها (الطبري ٢ / ٣٧٩ و٣٨٠) .

ولما أرادت زينب ، ابنة رسول الله ، الهجرة إلى المدينة ، لتلحق بأبيها صلوات الله عليه ، حملها أخو زوجها ، في هودج على بعير ، وحمل سلاحه

ورافقها ، قاصدين المدينة ، فقصدها قوم من مشركي قريش ، وسبق إليها هبّار بن الاسود ، فردعها بالرمح وهي في هودجها ، وكانت حاملاً ، فطرحت حملها (الطبري ٢/٤٦٩ و٤٧٠) .

وقبض مشركوا قريش على سعد بن عبادة ، لما أسلم ، وربطوا يديه إلى عنقه ، بنسع نعله ، وأقبلوا به حتى أدخلوه إلى مكّة ، يضربونه ، ويجذبونه بجمّته ، وكان ذا شعر كثير ، وتقدّم منه سهيل بن عمرو ، فلطمه لطمة شديدة (الطبري ٢/٣٦٧ و٣٦٨) .

وكان بلال بن رباح ، مؤذّن النبي صلوات الله عليه ، ممن أوذي في سبيل الإسلام ، وكان مملوكاً لأميّة بن خلف الجمحي القرشي ، فكان أميّة يجعل في عنقه حبلاً ، ويدفعه إلى الصبيان يلعبون به ، وكان أميّة يخرج به في وقت الظهيرة إلى الرمضاء ، أي الرمل الشديد الحرارة ، لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة ، فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد ، فيقول : أحد ، أحد ، وظلّ بلال في العذاب ، حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه (نور اليقين ٤١ و٤٢) .

وعذّب خباب بن الأرت عذاباً شديداً ، وكانوا يعرّونه ويلصقون ظهره بالرمضاء ، ثم بالرضف ، وهي الحجارة المحماة بالنار ، ويلوون عنقه (ابن الأثير ٢/٦٧ و٦٨) . .

ومن الذين عذّبوا في سبيل الإسلام ، صهيب بن سنان ، وحمامة بن بلال ، وعامر بن فهيرة ، الذي كان يعذب حتى لا يدري ما يقول ، وأبو فكيهة الذي لما أسلم ، أخذه أميّة بن خلف ، وربط في رجله حبلاً ، وأمر به فجرّ ، ثم ألقاه في الرمضاء ، وخنقه خنقاً شديداً حتى حسبوه قد مات ، ثم اشتراه أبو بكر وأعتقه (ابن الأثير ٢/٦٨ و٦٩ ونور اليقين ٤٢) .

وممن عـذّب في سبيـل الإسـلام من النسـاء أم عنيس ، كـان يضـربهـا الأسود بن عبديغوث ، ومولاة لبني نهد ، ولبيبة وزنيرة ، جاريتان لبني عديّ ، وقد عذّبت زنيرة حتى عميت (ابن الأثير ٢ / ٦٩ و٧٠ ونور اليقين ٤٢) .

وممن عـذّب في سبيل الإسـلام ، أبو ذرّ الغفـاري ، فإنّـه لمـا أسلم ، خـرج إلى الكعبـة ، فصـاح بـأعلى صـوتـه : أشهـد أن لا إلّـه إلاّ الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، فقام إليه مشركوا قريش ، فضربوه حتى أضجعوه ، وعـاود الإعلان بالشهادة في اليوم الثاني ، فعادوا إلى ضربه (نور اليقين ٣١) .

وممن عـذّب في سبيل الإسـلام ، عمّار بن يـاسر ، وأبـوه ياسـر ، وأمّه سميّة ، وكان مشـركوا قـريش يأخـذونهم إلى الأبطح ، إذا حميت الـرمضاء ، يعذّبونهم بحرّ الرمضاء ، وكان أبو جهل يحمي لعمّـار دروع الحديـد في اليوم الصائف ، ويلبسه إيّاها ، وشدّدوا عليه العذاب بالحـرّ تارة ، وبـوضع الصخـر على صدره أخرى ، وبالتغريق تارة أخرى ، ومـات ياسـر تحت العذاب ، أمّـا سميّـة فإنّ أبـا جهل طعنهـا في قُبُلها بحـربة فمـاتت ، وكانت أوّل شهيـدة في الإسلام (ابن الأثير ٢ / ٦٧ ونور اليقين ٤٢ و٤٣) .

البحث الثاني

اضطهاد اتباع الديانة المسيحية

أوّل من اضطهد من أجل الديانة المسيحية ، المسيح عليه السلام ، وأخذ إلى ساحة الإعدام في ظاهر بيت المقدس ، وهو يضرب ، وقد لفّ على رأسه إكليل من الشوك ، يحمل صليبه الذي سمّر مصلوباً عليه ، حتى إذا وصل إلى موضع إعدامه ، سمّر إلى الصليب بمسامير خرقت كفّيه وقدميه .

وممّن اضطهد من تلامذة المسيح عليه السلام وحواريه ، القديس بطرس (١٠ ق ـ ٦٧) وكان سمّاكاً في بحيرة طبريّة ، واسمه سمعان ، فسمّاه المسيح بطرس ، وجعله رئيس الرسل ، وقد قتل مصلوباً في رومه .

وممن اضطهد أيضاً القديس أندراوس ، أخو القديس بطرس ، وقد قتل مصلوباً على خشبتين ، بشكل علامة الضرب في الحساب ، فسميت صليب القديس أندراوس .

وممن مات شهيداً من تلامذة المسيح عليه السلام ، يوحنا الإنجيلي الملقّب يوحنا الحبيب ، ويعقوب المسمّى بالأصغر ، وفيليبوس ، ومتّى العشّار .

كان أوّل مظاهر الإضطهاد الدامي ضدّ المسيحيّين ، حصل في السنة ٦٤ م في عهد الطاغية نيرون ، محرق روما ، فإنّه أحرق روما ، وألقى التهمة

على المسيحيّين ، فأخذهم ، وألقى بعضهم للكلاب تنهش جسمه ، وطلى أجساد بعضهم بالقار والشمع ، وأشعل فيهم النار ، فأحرقهم أحياء ، وأقام حفلة ألعاب في بستانه ، وأخذ قسماً من المسيحيين ، فاتّخذهم مشاعل ، بأن ربطهم ، وأشعلهم ، لينير بهم الملعب . (قصة الاضطهاد الديني ٣٤) .

وجرى ، في روما ، ما بين السنتين ١٦١ - ١٨١ اضطهاد المسيحيين ، فكانوا يجمعونهم في مدرج عام ، ويلقى بهم إلى الوحوش الضارية ، فتفترسهم أمام المتفرّجين الذين يحضرون للتلهّي بمشاهدتهم ، وهم يتعذّبون . (قصة الاضطهاد الديني ٣٥) .

وفي عهد قسطنطين الكبير ٢٧٤ - ٣٣٧ كان يعاقب بالإحراق ، كل مسيحيّ يتهوّد ، وكلّ يهودي ألقى على مسيحيّ حجراً ، ويعاقب بالاعدام كلّ مسيحيّ تزوج بيهودية (قصّة الاضطهاد الديني ٤٩) .

وفي السنة ٣٠٥ أمر دقلد يانوس ، باضطهاد المسيحيّين ، فهدم كنائسهم ، وأعدم كتبهم المقدّسة ، وقبض على الكهّان ، وسائر رجال الدين ، وعذّبهم بأن مزّق أجسادهم بالسياط ، وكلاليب الحديد ، وأحرقهم بالنار ، وقطّع أجسادهم بالسيوف ، وطرح قسماً منهم للسباع ، وأراد من المسيحيّين بمصر ، أن يؤلّهوه ، فلما أبوا ، اعتقلهم ، وعذّبهم بإحراقهم على نار بطيئة ، حتى سمّي عصره : عصر الشهداء . (قصة الاضطهاد الديني ٤٠) .

وظهر في القرن الرابع والقرن الخامس الميلادي ، طائفة من المسيحيّين ، يسمّون الدوناتست ، قام المسيحيّون الآخرون باضطهادهم ، وهدم كنائسهم ، وإحراق كتبهم ، ونفي كهّانهم ، ومصادرة اجتماعاتهم . (قصة الاضطهاد الديني ٥٢) .

وفي السنة ٣٨٥ أعدم الامبراطور ماكسيموس ، بمعونة رجال

الاكليـروس ، بـريسكليـان الأسبـاني ، وأتبـاعـه ، بتهمـة الإلحـاد . (قصـة الاضطهاد الديني ٥٥) .

وفي مصر ، قبيل الفتـح العربي ، فكّـر هرقـل ملك الروم ، في تـوحيد المذاهب المسيحيّة ، وأقرّ ذلك مجمع خلقيدونيه ، وتولّى قيرس بمصر تطبيق ذلك ، وعندما أخفق في إقناع المصريّين ، أخذ بنيـامين كبير أسـاقفة مصـر ، وسلّط على جسمه نيران المشاعل ، فأخذ جسمه يحترق حتى سـال دهنه على الأرض ، ثم أمر به فقلعت أسنانه ، ثم أغـرقه في البحـر . (قصة الاضـطهاد الديني ١٧ و١٨) .

وفي السنة ١٢١٥ م اتّهمت الكنيسة ، الألبيّين ، من رعايا أمير تولـوز ، بفرنسا ، بالهرطقة (تهمة عامّة ، تتّخـذ حجّة للقتـل ، مثل تهمـة الزنـدقة في الـدولة العبّـاسيّة) . فتعقّبتهم رجـالاً ، ونساءً ، وأطفـالاً ، شنقاً ، وإحـراقاً ، وأعداماً (قصة الاضطهاد الديني ٦٧) .

وفي السنة ١٤٧٨م أصدر البابا سكستوس الرابع ، مرسوماً بإنشاء محكمة التفتيش في أسبـانيـا ، فـأنشئت أوّل محكمـة في قشتـالـة ، ثم إشبيليـة ، وغـرناطـة ، وغيرهـا من مدن أسبـانيـا ، وصبّت هـذه المحـاكم عـذابهـا على اليهود ، وعلى المسلمين ، وكان أسلوب المحـاكمة فيهـا ، انّ كلّ من يسـاق إليها يعتبر مجرماً إلّا إذا اثبتت براءته ، وكـان مبدأ المحكمـة : لأن يدان مـائة بريء ، زوراً وبهتاناً ، ويعانون العذاب ألواناً ، خيـر من أن يفلت من العقاب مذنب واحد . (قصة الاضطهاد الديني ٧١ و٧٣) .

وذكـر المؤرخ لورنتي ، وكـان سكرتيـراً لديـوان التحقيق ، إنّ محكمـة التفتيش في أسبـانيا ، قـدّمت إلى النار أكثـر من واحد وثـلاثين ألف إنسـان ، وحكمت على أكثـر من مائتين وتسعين ألف إنسـان ، بعقـوبـات تلي الإعـدام صرامتها ، وهذا الرقم ، لا يشمل الدين أودت بحياتهم فروع هذه المحكمة ،

في مكسيكو ، وليما ، وقرطاجنة ، وجزر الهند الغربيّة ، وصقلية ، وسردينيا ، ووهران ، ومالطة .

وحدّد بعض المؤرخين عدد الذين أعدموا في عهد شارل الخامس (شارلكان) في الأراضي الواطئة (بلجيكا وهولاندة) وحدها بخمسة آلاف نسمة .

وفي عهد ولده فيليب الثاني ، لاقى خمسون ألفاً حتفهم ، وعندما أصدر الديوان المقدّس قراراً بإدانة جميع سكّان الأراضي الواطئة والحكم عليهم بالإعدام ، بتهمة الهرطقة ، واستثنى من هذا القرار بضعة أفراد ، ذكرت أسماؤهم نصّاً في القرار ، وصادق الملك على القرار ، قدم للإعدام ملايين من الرجال والنساء والأطفال . (قصة الاضطهاد الديني ٧٨ ـ ٨٠) .

وكان العذاب الذي يصيب المحكوم عليهم في محاكم التفتيش ، بطيئاً ، فإنّ الذي يحكم عليه بالإحراق بالنار ، كانت النار التي يحرقون بها ، بطيئة لا تأتي عليهم دفعة واحدة ، وكان يسبق الإحراق مراحل من الكيّ بالنار ، وكان اعتراف الشخص بالإلحاد لا يكفي ، بل يواصل تعذيبه بحجّة انّ مواصلة التعذيب تؤدّي إلى اكتشاف شركائه في الجريمة . (قصة الاضطهاد الديني ٧٥) .

وكانت محاكم التفتيش ، تصدر أحكامها على الماثلين أمامها ، بأنّهم مرقوا من الدين ، فتتولّى السلطات تعذيبهم ، وإعدامهم حرقاً ، ويجري إحراقهم في محارق تقام في ميادين عامّة في المدن الكبيرة ، وتنظّم لذلك احتفالات تشهدها الجماهير ، والأحبار ، وأحيانا الملوك . (قصة الاضطهاد الديني ٢٧ و٢٨) .

وفي حركة الإصلاح الديني ، في أوربا ، في القرن السادس عشر الميلادي ، كان أتباع المذهب البروتستنتي ، يتّقدون حماسة ، فكان

الكاثوليك يوقدون لهم النار لإحراقهم ، وهم يتقدّمون إليها من دون خوف ، وهم ينادون بالدعاية للمذهب البروتستنتي ، فاضطر معذّبوهم إلى قطع ألسنتهم ، قبل إحراقهم (قصة الاضطهاد الديني ١٩ و٢٠) .

وفي السنة ١٥٧٢ دبّر الكاثوليك بفرنسا ، مذبحة الهيجونوت (البروتستانت) ، فذبح منهم عشرة آلاف نسمة ، منهم ألفا نسمة في باريس (قصة الاضطهاد الديني ٩٠) .

وفي السنة ١٦٢٥ تآمر بعض الكاثوليك على نسف البرلمان الانكليزي ، أثناء افتتاحه ، وافتضحت المؤامرة ، وأعدم مدبّروها بعد عذاب مرير جسيم . (قصة الاضطهاد الديني ٩٤) .

وفي السنة ١٥٥٣ اعتقل في سويسره ، سرفيتوس الاسباني لأنّه كان لا يقول بعقيدة التثليث ، فحاكمته حكومة كلفن وأدين ، وأعدم إحراقاً . (قصة الاضطهاد الديني ١٠٥) .

وأصدر البابا في العام ١٦٧٠ قراراً بحرمان أليزابيت ، ملكة انكلترا البروتستانتية ، وأباح لرعاياها حقّ التمرّد عليها ، فقابلت أليزابيت ذلك ، بالتخلّص من وريثة عرشها الكاثوليكيّة ، ماري ، بأن دبّرت ضدّها تهمة بأنّها أئتمرت بأليزابيت ، وحاكمتها ، وأعدمتها (قصة الاضطهاد الديني ٨٨) .

البحث الثالث

العذاب الذي مارسه ديوان التفتيش في اسبانيا واوربا

كان من جملة ألوان العذاب ، التي مارسها ديوان التفتيش :

١ ـ الاحراق بالنار .

٢ ـ الدفن حيّاً .

٣ ـ سمل العيون

٤ ـ سحب الأظافر

٥ ـ سلّ الالسنة .

٦ ـ قلع الأثداء .

٧ ـ فسخ الفكّ .

٨ خلع الأطراف .

٩ ـ تمزيق الأرجل .

١٠ ـ سحق العظام .

١١ ـ التعذيب بالماء ، سقياً وتقطيراً .

١٢ ـ التعذيب بالجاروكا .

١٣ ـ التعذيب بالأسياخ المحماة .

١٤ ـ التعذيب بالقوالب الحديد المحماة .

للتفصيل راجع كتاب محاكم التفتيش للدكتور علي مظهـر ص ٩١ ـ ٩٣ و١١٥ ، وكتاب نهاية الأندلس لعبد الله عنان ص ٢٤٤ .

وكان من جملة الآلات التي احتوت عليها قاعات التعذيب في ديوان التفتيش :

١ ـ أسواط بها قطع من الحديد الشائك .

٢ ـ كلاليب لانتزاع اللحم من العظم .

٣ ـ قدور من الحديد لصهر الرصاص وصبّه على المعذّبين .

٤ ـ قدور لغلي الزيت والماء وصبّه على المعذّبين .

٥ ـ دواليب وسحّابات ذات مسامير حادّة لتمزيق الأجساد .

٦ ـ عضّاضات حديد لعضّ اللحم .

٧ ـ أكاليل حديد ذات مسامير حادة ناتئة من الداخل ، تطوّق بها جبهة المعذّب ، وتضيّق بمفتاح يدور بلولب يغرز المسامير في الجبين .

٨ ـ كلاليب ذات رؤوس حادّة لقلع أثداء النساء من صدورهنّ .

٩ ـ آلات لسلّ الألسنة .

١٠ ـ آلات لتكسير الأسنان .

١١ ـ أحذية حديد تعرض على النار ، فإذا حميت وآحمرّت حشرت فيها قدم المعذّب .

١٢ ـ أحذية فيها مسامير من داخلها .

١٣ ـ سفافيد حديد ، توضع في النار ، ويكوى بها البدن .

١٤ ـ مشنقة معلّقة في السقف تخنق المعذّب ، ولا تقتله ، ليكون ذلك أطول لعذابه .

١٥ ـ سلاسل غليظلة أنيطت بها أثقال حديد ، معلّقة بالسقف ، تعلّق بأطراف السجين ، فتجذبه الأثقال ، وتمزّق أعضاءه .

١٦ ـ توابيت من الحديد ، يحشر المعذّب في باطنها ، وفي بابها سكاكين حادّة ، فإذا أطبق باب التابوت ، اخترقت عيني المعذب سكّينان ، ونفذتا إلى باطن الدماغ ، وثالثة إلى قلبه ، وأخرى إلى معدته .

١٧ ـ آلات لطيّ بدن المعذّب ، وكسر عظام ظهره .

١٨ ـ مطارق ثقيلة لسحق الرؤوس .

١٩ ـ صليب ، يدعى : صليب أندراوس ، لصلب الضحايا .

٢٠ ـ آلة تسمّى : الجحش الخشبي ، يربط إليها الأسير ، ويطوّق صدره بآلة من حديد ، تضيّق بلوالب ، حتى تنقطع أنفاسه .

٢١ ـ آلة من الحديد توضع في فم الأسير ، كي لا يتمكّن من الصراخ ، إذا بوشر بتعذيبه .

لزيادة التفصيل راجع كتاب محاكم التفتيش للدكتور علي مظهر ، ص ٥٠ و٥١ و٧٩ ـ ٨١ .

الباب الحادي عشر

القتل

القتل : بفتح القاف : الإماتة ، وإزهاق الروح .

والقتل ، في جميع الشرائع ، من اعظم الجرائم ، والقاتل ، في شريعة الإسلام ، مخلّد في جهنم ، قال تعالى : ومن يقتل مؤمناً متعمّداً ، فجزاؤه جهنم خالداً فيها (٩٣ م النساء ٤) ، وقال : ومن قتل نفساً بغير نفس ، أو فساد في الأرض ، فكأنّما قتل الناس جميعاً (٣٢ م المائدة ٥٥) .

ومما جاء في عهد الإمام علي عليه السلام ، للاشتر : إيّاك والدماء ، وسفكها بغير حلّها ، فإنّه ليس شيء أدعى لنقمة ، ولا أعظم تبعة ، ولا أحرى بزوال نعمة ، وانقطاع مدّة ، من سفك الدماء بغير حقّها ، فلا تقوّينّ سلطانك بسفك دم حرام ، فإنّ ذلك مما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله (نهاية الارب ٣١/٦) .

وقد أورد الثعالبي في لطائف المعارف (ص ١٤١) : إنّ أربعة في الإسلام قتل كلّ واحد منهم أكثر من ألف ألف رجل ، وهم الحجّاج بن يوسف الثقفي ، وأبو مسلم الخراساني ، وبابك الخرّمي ، والبرقعيّ ، وأحسبه يريد بالبرقعي ، المقنّع الخراساني ، الثائر سنة ١٥٩ بخراسان .

وإذا كان هؤلاء ، قتل كلّ واحد منهم ـ طول حياته ـ ألف ألف رجل ، فإنّ هولاكو ـ على ما يقول الذهبي ، قد قتل في السنة ٦٥٦ ، في موقعة

واحدة ، عند احتلاله بغداد أكثر من ألف ألف رجل (فوات الوفيات ٢/ ٢٣٣) .

وقد كانت الدماء التي أراقها يزيد بن معاوية ، في وقعة الطفّ بكربلاء ، وفي وقعة الحرّة بالمدينة ، ممّا كرّه الناس في آل أبي سفيان ، فانقرض ملكهم بهلاكه ، كما إنّ ما أراقه الحجّاج من الدماء ، كان السبب الأقوى في زوال ملك بني مروان (السيادة العربيّة لفان فلوتن ٤٤) إذ تألّب عليهم الناس في كلّ مكان ، حتى إذا باد ملكهم ، عاد عليهم العبّاسيّون بالسيف ، قتلاً واستئصالاً ، فلم يسلم منهم حتى الصبيان ، بل لم يسلم منهم حتى الموتى في قبورهم ، حيث نبشت قبور آل مروان ، وأحرقت عظامهم .

وقد أفردنا هذا الباب الحادي عشر ، لأخبار القتل بآلة من الآلات ، وقسمناه إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : القتل بالسيف .
الفصل الثاني : القتل بآلة من الآلات المعدّة للقتل غير السيف .
الفصل الثالث : القتل بأداة من الأدوات غير المعدّة للقتل .

الفصل الأول

القتل بالسيف

كان القتل بالسيف أوّل الأمر، مقصوراً على قطع العنق بـالسيف، ثم تنوّق المعذِّبون في تحويره، فابتكروا التوسيط، وهـو قطع الـوسط بالسيف، ثم زاد فيـه جلّادوا السلطان محمد بن تغلق، سلطان الهنـد (٧٢٥ ـ ٧٥٢) فـابتكروا قـطع البدن حمـائل، ويعني ذلـك، أن يسري السيف في البـدن، على الموضع الـذي تعلّق عليه حمـالة السيف، فيقـطع العنق، والكتف وفيه الـذراع، وجـزءاً من الصـدر، كمـا ابتكـروا قـطع البـدن إلى ثـلاث قـطع، الرأس، والصدر مع الذراعين، والجذع مع الساقين.

والقتل بالسيف، بالنسبة لأصنافه، ينقسم إلى أقسام خمسة:

القسم الأوّل: القتـل صبـراً، ويعني قتـل الإنسـان، وهـو مجـرّد من أسباب الدفاع.

القسم الثاني: القتل في المعـركة، وهـذا اللون من القتل، لا يحتـاج إلى تفصيـل، وهو من الكثـرة بحيث لا يتّسع الكتـاب، إلّا لإيراد مـا آشتهـر منه.

القسم الثالث: القتل غدراً، ويعني قتل الإنسان بعد إعـطائه الأمـان، أو ما هو في حكم الأمان، كما لـو كان قـد دخل إلى بيت القـاتل، أو تحـرّم بطعامه.

القسم الرابع : القتل غيلة ، وهو مهاجمة الإنسان تسلّلاً ، أو خفية ، وقتله .

القسم الخامس : القتل في سبيل الاستئثار بالسلطان ، ويختصّ بقتل الانسان أخاه أو أباه ، رغبة في التفرّد بالسلطان ، وقد شاع هذا اللون من القتل ، ما بين القرنين الخامس والعاشر للهجرة .

القسم السادس : التوسيط .

القسم الأول

القتل صبراً

الصبر : الحبس ، ومن حبس شيئاً فقد صبره (لسان العرب) .

والقتل صبراً : نصب الانسان للقتل .

وقد نهى النبي صلوات الله عليه عن صبر ذي الروح ، وكل ذي روح يصبر حيّاً ثم يرمى حتى يقتل ، فقد قتل صبراً ، ومنه قيل للرجل يقدّم فيضرب عنقه ، قتل صبراً يعني أنه أمسك على الموت .

وحوادث القتل صبراً في التاريخ لا يمكن الاحاطة بها ، لكثرتها ، وقد اقتصرنا في هذا البحث على ايراد المشهور منها ، مما تيسّر لنا اثباته .

وقد اضفنا إلى اخبار القتل صبراً ، اخبار القتل فتكاً ، والفتك : القتل مجاهرة (لسان العرب) والفاتك : الجريء الشجاع ، قال شاعر العربية احمد شوقي رحمه الله من قصيدة :

لم تبق فينا يا فؤاد بقيّة ... لفتوة أو نهزة لعراك

كنا إذا صفّقت نستبق الهوى ... ونشدّ شدّ العصبة الفتّاك

واليوم تبعث فيّ حين تهزّني ... ما يبعث الناقوس في النسّاك

في السنة ٢ أسر المسلمون ، النضر بن الحارث بن علقمة ، من بني عبد الدار من قريش ، فأمر النبي صلوات الله عليه بقتله ، فقتل ، فرثته إبنته بأبيات من عيون الشعر ، قالت : (الاعلام ٦/٢٨) .

يـا راكبـاً إنّ الأثيـل مـظنّـةٌ | من بعـد خامسـة وأنت مـوفّق
أبـلغ بهـا ميتـاً بـأنّ تـحيّـةً | مـا أن تزال بهـا الـركـائب تخفق
منّي إليـك وعبـرة مسفـوحـة | جـادت بـوابلهـا وأخـرى تخنق
أمست رمـاح بني أبيـه تنـوشـه | لله أرحـام هـنـاك تـمـزّق
أمحمـدٌ ولأنت نجـل نـجيبـةٍ | في قـومها والفحـلُ فحـلٌ معـرق
مـا كـان ضـرّك لـو مننتَ وربّمـا | منّ الفتى وهـو المغيظ المحنـق

وفي السنة ٢ ، في موقعة بدر ، أسر عقبة بن أبي معيط ، وكـان شديـد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة ، فقتله المسلمون ، ثم صلبوه ، وهـو أوّل مصلوب في الإسلام . (الاعلام ٥/٣٦) .

وفي السنة ٣ هـ ، في موقعة أحد ، أمر النبي صلوات الله عليه ، بقتـل أبي عزّة عمرو بن عبد الله الجمحي ، الشاعـر ، وكان النبيّ قـد أسره مشـركاً يـوم بدر ، فقـال له : يـا رسول الله ، لقـد علمتَ مالي من مـال ، وإنّي لـذو حاجة ، فامنن عليّ ، ولك أن لا أظاهر عليـك أحداً ، فـأطلقه ، فلمـا تأهّب المشركون لموقعة أحد ، أغراه صفوان بن أميّة ، فخرج مع المشركين يحارب النبيّ والمسلمين ، فأسره المسلمـون ، فقال : يـا رسول الله منّ عليّ ، فقـال النبيّ : لا يلدغ المؤمن من جحـر مـرّتين ، لا تـرجـع إلى مكّـة تمسـح عارضيك ، وتقول خدعت محمـداً مرتين ، وأمـر به فضـربت عنقه (الاعـلام ٥/٢٥١) .

وفي السنة ٨ عند فتح مكة ، قتل مقيس بن صبابة بن حزن ، الشـاعر ، وكان له أخ اسمه هشام ، أسلم ، فقتله رجل من الأنصار خـطأً ، وقدم مقيس مـظهـراً الإسـلام ، فـأسلم ، وأمـر لـه النبي صلوات الله عليـه ، بـديـة أخيـه فقبضها ، ثم تربّص بقـاتل أخيـه ، فقتله ، وأرتدّ ، ولحق بقـريش ، وقال في ذلـك شعراً ، فـأهدر النبي دمـه ، فلما كـان يوم فتـح مكّة ، قتـل بين الصفـا والمروة . (الاعلام ٨/٢١٠) .

وفي السنة ١١ هاجم خالد بن الوليد ، مالك بن نويرة ، اتّهمه بأنه قد ارتدّ عن الإسلام ، وقتله ، واختلف أصحاب خالد ، فقال بعضهم : سمعنا الأذان من جماعة مالك ، فلم يكن لخالد أن يقتله ، واشتدّ عمر على أبي بكر في طلب عزل خالد ومحاكمته ، فأبى أبو بكر ، وأدّى لورثة مالك ديته . (ابن الأثير ٢/٣٥٧ - ٣٦٠) .

وفي السنة ١١ قتل الأسود العنسي ، وهو الأسود ذو الخمار عبهلة بن كعب ، العنسي ، وكان كاهناً شعباذاً ، فتنبّأ باليمن ، واتّبعه أقوام من العرب ، وغلب في السنة ١٠ على اليمن ، فانسلّ اليه في السنة ١١ بعض المسلمين من الأبناء ، وتقدّم أحدهم فأخذ برأسه فوق عنقه ، ثم وضع ركبته على ظهره فدقّه ، ثم أراد أن يحزّ عنقه ، فاضطرب ، وحاول أن يقوم ، فجلس اثنان على صدره ، وأخذ ثالث بشعره ، وأغلق فاه بخرقة من القماش ، ثم أمّر الشفرة على حلقه ، فخار خوار الثور ومات (الطبري ٣/١٤٧ ، ١٨٥ ، ٢٣٥) .

وفي السنة ٣٥ هجم الثائرون على دار الخليفة عثمان بن عفّان ، واقتحموها ، دخلوا إليها من دار مجاورة ، حتى ملؤوها ، وكان كلّ من ينتدب لقتله ، يدخل ، ثم يعود ناكصاً ، وكان ممّن دخل عليه محمد بن أبي بكر ، ثم عاد منكسراً ، فثار ثلاثة من الناس ، ودخلوا عليه وضربوه ، فقتلوه . (ابن الأثير ٣/١٧٨) .

وفي السنة ٣٦ لما قدم الزبير وطلحة البصرة ، لمحاربة الإمام علي ، أخذا عثمان بن حنيف ، عامل عليّ على البصرة ، فضربوه ضرب الموت ، ونتفوا كلّ شعرة في رأسه ووجهه ، حتى حاجبيه وأشفار عينيه ، وأرادوا الإستيلاء على بيت المال ، فحفظه السبابجة وكان منوطاً بهم حراسة بيت المال ، فأسروا منهم سبعين ، ذبحهم عبد الله بن الزبير كما تذبح الغنم ، وبقيت منهم طائفة متمسّكة بحفظ بيت المال ، فأوقع بهم الزبير ليلاً ، وأخذ

منهم خمسين أسيراً ، فقتلهم صبراً أيضاً ، والسبابجة قوم من السند ، كانوا بالبصرة جلاوزة وحرّاس السجن وبيت المال (شرح نهج البلاغة ٣٢١/٩) .

وفي السنة ٣٧ قتل قوم من خوارج البصرة عبد الله بن خباب بن الأرتّ ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لاقوه يسوق حماراً ، وكانت امرأته معه ، فسألوه عن الخلفاء الأربعة الراشدين ، فأثنى عليهم ، فأمسكوا به ، وأضجعوه ، وذبحوه ، ثم أخذوا امرأته وهي حبلى متمّ فبقروا بطنها (الطبري ٨١/٥ و٨٢) .

وفي السنة ٣٨ قتل محمد بن أبي بكر الصديق ، عامل مصر للإمام عليّ ، وهو ابن ٢٨ سنة ، قتله معاوية بن حديج ، من أصحاب معاوية بن أبي سفيان ، ووضعه في جيفة حمار ، ثم أحرقه ، فجزعت عليه أخته أمّ المؤمنين عائشة ، جزعاً شديداً ، وأخذت عياله إليها ، ولم تأكل منذ ذلك الوقت شواءً ، حتى ماتت . (ابن الأثير ٣٥٧/٣) .

وأوّل من سنّ قتل الأطفال والنساء ، في الإسلام ، معاوية بن أبي سفيان ، فإنّه بعث بسر بن أرطأة ، وبعث معه جيشاً ، وأمره أن يسير في البلاد ، فيقتل كلّ من وجده من شيعة علي بن أبي طالب وأصحابه ، ولا يكفّوا أيديهم عن النساء والصبيان ، فاجتاح المدينة ، ومكّة ، والسراة ، واليمن ، قتلاً ، وهدماً ، ووجد ابنين صبيّين لعبيد الله بن العباس في اليمن ، فأخذهما ، وذبحهما بيده ، بمدية كانت معه ، ثم انكفأ راجعاً إلى معاوية (الاغاني ٢٦٦/١٦) .

أقول : لما أخذ بسر الصبيّين ليذبحهما ، قام أمامه رجل من بني كنانة ، فحامى عنهما ، فقال له بسر : ثكلتك أمّك ، لِمَ عرّضت نفسك للقتل ، فقال : أقتل دون جاري ، فقتله بسر ، ثم قدّم الغلامين فذبحهما ، فخرج نسوة من بني كنانة ، فقالت إحداهنّ لبسر : هذه الرجال تقتل ، فبما

بال الولدان، والله ، ما كانوا يقتلون في جاهلية ولا إسلام ، والله ، إنّ سلطاناً لا يشتدّ إلّا بقتل الضرع الضعيف ، والشيخ الكبير ، ورفع الرحمة ، وقطع الأرحام ، لسلطان سوء ، فقال بسر : والله ، لهممت أن أضع فيكنّ السيف ، قالت : والله ، إنّه لأحبّ إليّ ان فعلت ، ثم إنّ بسراً قتل مائة شيخ من أبناء فارس باليمن ، لأنّ ابني عبيد الله بن العباس ، كانا مستترين في بيت امرأة من أبنائهم ، (شرح نهج البلاغة ٣/١٤ و١٦) .

وخاطر رجل ، أن يقوم إلى زياد بن أبيه ، وهو يخطب ، فيقول له : أيّها الأمير من أبوك ؟ ففعل ، فقال له زياد : هذا يخبرك ، وأشار إلى صاحب الشرطة ، فقدّمه ، فضرب عنقه (العقد الفريد ١/٥٤) .

وفي السنة ٤٠ ثاور الجرّاح بن سنان الأسدي ، الإمام الحسن بن علي ، بالمدائن ليغتاله ، فأصابته الضربة في فخذه ، وقطع الجرّاح بالسيوف (الطبري ٤/١٢١) وفي تاريخ اليعقوبي ٢/٢١٥ إنّه قبض على لحية الجرّاح ولويت فاندقّت عنقه .

وفي السنة ٤١ خرج يزيد بن مالك الباهلي ، الملقب بالخطيم ، وسهم بن غالب الهجيمي ، فأصبحوا عند الجسر ، فوجدوا عبادة بن قرص الليثي ، من الصحابة ، وهو يصلّي عند الجسر ، فقتلوه ، ثم خرج سهم إلى الأهواز ، وعاد ، فظفر به زياد أمير البصرة فقتله ، وصلبه على بابه ، وأمّا الخطيم فإنّ زياد نفاه إلى البحرين ، ثم أذن له فقدم البصرة وأمره بملازمة بيته ، ثم شكّ في أمره ، فأمر به ، فقتل ، وألقي في باهلة (الطبري ٥/١٧١ و٢٢٨) .

وفي السنة ٤١ قتل المغيرة بن شعبة ، عامل معاوية على الكوفة ، معين بن عبد الله المحاربي ، أحضره ، وسأله : أتشهد أنّ معاوية خليفة ، وأنّه أمير المؤمنين ، فقال : أشهد أنّ الله عزّ وجلّ حقّ ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها : وأنّ الله يبعث من في القبور ، فأمر به فقتل . (الاعلام ٨/١٩٥) .

وفي السنة ٤٥ قتل خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ، الطبيب ابن أثال النصراني طبيب معاوية ، وسبب ذلك إنّ معاوية لما رغب في نصب ولده يزيد لولاية العهد ، خطب في أهل الشام ، وقال لهم : إنّ أمير المؤمنين قد كبرت سنّه ، ورقّ جلده . ودقّ عظمه ، واقترب أجله ، ويريد أن يستخلف عليكم ، فمن ترون ؟ فقالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ذلك لأنّ عبد الرحمن ، كان قد عظم شأنه بالشام ، ومال إليه أهلها ، لما كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد ، ولغنائه عن المسلمين في أرض الروم ، وبأسه ، فلما سمع معاوية منهم ذلك ، سكت ، ودسّ إلى عبد الرحمن ، الطبيب ابن أثال ، فسقاه شربة مسمومة فمات ، وقدم ولده خالد المدينة ، فجلس يوماً إلى عروة بن الزبير ، فسلّم عليه ، وانتسب له ، فلما عرف انه ابن عبد الرحمن ، قال له : ما فعل آبن أثال ؟ فقام خالد من عنده متوجّهاً إلى حمص ورصد بها ابن أثال ، فاعترضه بالسيف ، فقتله ، ثم عاد إلى الحجاز ، فأتى عروة ، فقال له عروة : ما فعل ابن أثال ؟ فقال : قد كفيتك ابن أثال ، ولكن ما فعل ابن جرموز ؟ (يريد قاتل الزبير) فسكت عروة (الاغاني ١٦/١٩٧ والطبري ٥/٢٢٧ و٢٢٨ وكتاب اسماء المغتالين ١٦٨ و١٦٠) .

أقول : الذي في الأغاني إنّ الذي فتك بابن أثال هو خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد ، غضب لعمّه عبد الرحمن . ولما فتح مصعب بن الزبير العراق ، قبض على ابن جرموز قاتل أبيه الزبير ، واعتقله ، وكتب إلى أخيه عبد الله يسأله عما يفعل به ، فكتب إليه عبد الله : إني لا اقتل ابن جرموز بالزبير ، وأمره باطلاقه .

وأحضر عروة بن أدية ، من نسّاك الخوارج ، أمام زياد بن أبيه ، فسأله عن قوله في أبي بكر وعمر ، فقال خيراً ، فقال له : ما تقول في عثمان وعلي ، فتولّى عثمان ستّ سنين من خلافته ، ثم شهد علىه بالكفر ، وتولّى

عليّاً مثل ذلك إلى أن حكّم ، ثم شهد عليه بالكفر ، ثم سأله عن معاوية ، فسبّه سبّاً قبيحاً ، ثم سأله عن نفسه ، فقال له : أوّلك لزنية ، وآخرك لدعوة ، وأنت بعد ذلك عاصٍ ربّك ، فأمر به فقتل (شرح نهج البلاغة ٥/ ٨٠) .

وفي السنة ٥١ قتل معاوية بن أبي سفيان ، حجر بن عديّ ، الصحابي ، الناسك ، الزاهد ، مع ستّة من أصحابه ، وهم شريك بن شداد الحضرمي ، وصيفي بن فسيل ، وقبيصة بن ضبيعة ، وكدام بن حيان ، ومحرز بن شهاب وعبد الرحمن بن حسان ، وكانت التهمة التي استوجبوا بها القتل ، أنّهم من شيعة الإمام علي ، وأنّهم أبوا أن يتبرّؤا منه ، وكان مقتل الستّة الأوّلين في وضع بالغ القسوة ، فإنّ معاوية أمر أن يطالبوا بالبراءة من علي ، فإن أبوا ، فتحفر قبورهم أمامهم ، وتهيّأ لهم أكفانهم ، ثم يقتلون من بعد ذلك ، ولما مشوا إلى حجر بالسيف ، ارتعد ، فقيل له : إنّك زعمت أنّك لا تجزع من الموت فقال : وكيف لا أجزع ، وأنا أرى قبراً محفوراً ، وكفناً منشوراً ، وسيفاً مشهوراً .

أمّا السادس ، عبد الرحمن بن حسان ، فإنّه أحضر أمام معاوية ، فسأله عن قوله في علي ، فأثنى عليه ، فردّه معاوية ، إلى زياد ، وأمره أن يقتله شرّ قتلة ، فدفنه حيّاً (الطبري ٥/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧ وابن الأثير ٣/ ٤٧٢ ـ ٤٨٨) .

وكان سعيد بن عثمان بن عفّان ، ولي خراسان ، لمعاوية بن أبي سفيان ، وناهضه الصغد ، فقاتلهم ، وهزمهم ، وحصرهم في مدينتهم ، فصالحوه ، وأعطوه رهناً ، خمسين غلاماً ، من أبناء عظمائهم ، فلما عزل عن خراسان ، لم يعد الغلمان الرهائن إلى اهليهم ، وإنّما أخذهم معه عبيداً أرقّاء إلى المدينة ، وخلع عنهم كسوتهم ومناطقهم ، وألبسهم جباب صوف ، وألزمهم السواني والعمل الصعب ، فدخلوا عليه ، وفتكوا به ، ثم قتلوا أنفسهم (الطبري ٥/ ٣٠٦ والمعارف لابن قتيبة ٢٠٢ وانساب الأشراف ٥/ ١١٧ و١١٩) .

وجيء الى عبيد الله بن زياد ، بأحد الخوارج النسّاك ، ويعرف بابن سعاد ، وسعاد أمّه ، فسأله ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما ، فقال له : ما تقول في عثمان ومعاوية ، ألا تتولّاهما ؟ فقال : إن كانا وليّين لله ، فلست معادياً لهما ، فأعجزه ، وأمر بإخراجه إلى رحبة البصرة ليقتل هناك ، فلما وافى الرحبة ، جعل الشرط يروغون عن قتله ، لأنّه كان زاهداً متقشّفاً ، فأقدم المثلم بن مسروح الباهلي ، فقتله ، فائتمر به الخوارج أن يقتلوه ، وكان المثلّم مغرماً باللقاح (النوق الغزيرة اللبن) فدسّوا إليه فتى لقيه بالمربد ، وأخبره بأنّ لديه لقحة صفيّ ، فجاء معه ، حتى أدخله إلى دار ، وأغلق عليه بابها ، وثار به الخوارج فقتلوه ، وكان يحمل دراهم ، فشقّوا بطنه ، ووضعوا دراهمه في داخل بطنه ، وأطلقوا فرسه في الليل ، فذلك حيث يقول أبو الأسود الدؤلي من أبيات : (شرح نهج البلاغة ٥/٨٧ و٨٨) .

وآليت لا أغدو إلى ربّ لقحة أساومه حتى يؤوب المثلّم

وفي السنة ٦٠ قدم الكوفة ، مسلم بن عقيل ، داعياً للحسين بن علي عليه السلام وهو في طريقه إلى العراق ، فنزل على هانيء بن عروة ، ولما أحسّ به عبيد الله بن زياد ، عامل يزيد على الكوفة ، حارب مسلماً ، وأسره ، ثم أحضر هانيء بن عروة ، وقال له : جئت بمسلم ، فأدخلته دارك ، وجمعت له السلاح والرجال ، فقال : جاء على بابي ، ونزل عليّ ، فاستحييت من ردّه ، ولزمني من ذلك ذمام ، فأمر ابن زياد بمسلم ، فأصعد إلى أعلى القصر ، ورمي به إلى الأرض ، وأمر بهانيء ، فأخرج إلى السوق ، فقتل ، فقال الفرزدق : (ابن الأثير ٤/٣٥ و٣٦) .

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانيءٍ في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشّم السيف وجهه وآخر يهوي من طمارِ قتيل

وفي السنة ٦٠ لما قتل عبيد الله بن زياد ، مسلم بن عقيل ، وهانيء بن عروة ، دعا بعبد الأعلى الكلبي ، وكان قد قبض عليه ، وهو يريد أن يمضي

إلى مسلم بن عقيل لينصره ، فقال له : أخبرني بأمرك ، فقال : أصلحك الله ، إنّما خرجت لأنظر ما يصنع الناس ، فاستحلفه يميناً إنّه صادق في قوله ، فأبى أن يحلف ، فأمر به ، فضربت عنقه (الطبري ٥/ ٣٧٠ و٣٧٩) .

وكان عمارة بن صلخب الأزدي ، استعدّ لنصرة مسلم بن عقيل ، فلما قتل ، أحضره عبيد الله بن زياد ، قال له : ممن أنت ؟ قال : من الأزد ، قال : انطلقوا به إلى قومه ، فضربت عنقه فيهم (الطبري ٥/ ٣٧٩) .

وأخذ عبيد الله رجلاً يقال له مالك بن نمير ، فأمر أبا عزّة النميري الشرطي أن يقتله ، فأبى ، وقال : دمي دون ديني ، فأمر غيره فقتل مالكاً (أنساب الأشراف ٤/ ٢/ ٨٩) .

وخطب عبيد الله بن زياد ، بعد معركة الطفّ ، فقال : الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله ، ونصر أمير المؤمنين يزيد وجنده ، وقتل الكذّاب بن الكذّاب الحسين بن علي وشيعته ، فوثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ، وكان قد أضرّ ، فقال له : يا ابن مرجانة ، إنّ الكذّاب بن الكذّاب هو أنت وأبوك ، والذي ولّاك وأبوه ، فقال عبيد الله بن زياد : عليّ به ، فوثب فتية من الأزد فانتزعوه من الشرط ، وأخذوه إلى أهله ، فأرسل إليه عبيد الله ، من أتاه به ، فقتله ، وصلبه في السبخة (الطبري ٥/ ٤٥٨ و٤٥٩) .

وفي السنة ٦٢ لما انتهت معركة الحرّة ، التي استباح فيها جيش يزيد بن معاوية ، مدينة الرسول صلوات الله عليه ، قتلاً ، ونهباً ، وسلباً ، وسبياً ، وانتهاك حرمات ، جلس قائد الجيش مسلم بن عقبة ، لأهل المدينة ، وطلب منهم أن يبايعوه على أنّهم عبيد قنّ ليزيد بن معاوية ، إن شاء استرقّ ، وإن شاء عفا ، وجاء يزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود ، ومحمد بن أبي الجهم العدوي ، فقالا له : نبايعك على كتاب الله وسنّة نبيّه ، فقدّمهما ، فضرب عنقيهما ، فقال له مروان بن الحكم : سبحان الله ، أتقتل رجلين أتيا

ليؤمنا ؟ فنخس خاصرته بالقضيب ، وقال : وأنت ـ والله ـ لـو قلتَ مقالتهما ، ما رأيت السماء إلّا برقة .

وجاء معقل بن سنان ، وكان صديقاً لمسلم بن عقبة من قبل ، فقال له مسلم : أيّ الشراب أحبّ إليك ؟ قال : العسل ، قال : آسقوه ، فشرب حتى آرتوى ، ثم قال له : والله ، لا تشرب بعده شراباً إلّا الحميم في نار جهنّم ، وقدّمه ، فضرب عنقه . (الطبري ٥/٤٩١ ـ ٤٩٥) .

وفي السنة ٦٤ لما هلك يزيد بن معاوية ، دعا عبيد الله بن زياد ، أهل البصرة لأن يبايعوه ، على أن يقوم بأمرهم حتى يصطلح الناس على إمام ، فبايعوه ، ثم خافهم ، فالتجأ إلى دار مسعود بن عمرو ، رأس الأزد ، على كره من مسعود ، ونصب البصريّون عبد الله بن الحارث المعروف باسم : ببّه ، رأساً عليهم ، إلى أن يجتمع الناس على إمام ، وتحرك مسعود لإصلاح حال عبيد الله بن زياد مع أهل البصرة ، فجاء إلى الجامع وصعد المنبر ، واعتدى أصحابه في طريقهم على الناس ، فهاجت تميم ، ودخلوا المسجد ومسعود على المنبر ، فقتلوه ، فوداه الأحنف عشر ديات (الطبري ٥/٥١٠ ـ ٥٢٨) .

وبعث مروان بن الحكم جيشاً بقيادة حبيش بن دلجة ، فقاتلهم أهل المدينة ، وأهل البصرة من أتباع ابن الزبير ، وانتصروا عليهم ، ونزل منهم خمسمائة على حكم عباس بن سهل ، أمير المدينة لابن الزبير ، فأمر بهم فضربت أعناقهم جميعاً (الامامة والسياسة ٢/١٥) .

وفي السنة ٦٥ قتل النعمان بن بشير الأنصاري ، وهو الأنصاري الوحيد الذي كان في صفّ معاوية ، في معارك صفّين ، ولما هلك يزيد ، كان النعمان على حمص ، وبايع لابن الزبير ، وأعان الضحّاك في معركته مع الأمويّين ، فلما بلغه خبر انكسار الضحاك ، خرج من حمص فارّاً بأهله ، فخرج بعض أهل حمص في طلبه ، ولحقه منهم عمرو الكلاعي ، فقتله (ابن الأثير ٤/١٥١) .

وفي السنة ٦٦ وقعت حرب بين **فئات متنازعة بالبصرة** ، فقتل رجل من تميم عقبةَ بن عشيرة الشنّي ، ثم قتل التميمي ، فجاء أخو عقبة ، فولغ في دم التميمي (الطبري ٦/٦٨) .

وفي السنة ٦٦ كان على الكوفة إبراهيم بن مطيع ، يليها لعبد الله بن الزبير ، وعلى شرطته إياس بن مضارب ، وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي يدبّر للإستيلاء على الكوفة ، وقد بايعه إبراهيم بن الاشتر ، ومرّ إبراهيم بعد المغرب ، بإياس بن مضارب ، ومعه شرطة ، فأراد إياس أن يعتقل إبراهيم ، فقال له إبراهيم : لا أبالك ، خلّ سبيلنا ، فأبى ، وكان مع إياس رجل يحمل رمحاً ، فأخذ إبراهيم منه الرمح ، وطعن به إياساً في ثغره نحره ، فصرعه ، وقال لرجل من أصحابه : انزل إليه فاحتزّ رأسه ، فنزل إليه فاحتزّ رأسه ، وتفرّق أصحابه (الطبري ٦/١٩ و٢٠) .

وفي السنة ٦٦ اشتبك المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وإبراهيم بن مطيع ، والي الكوفة لابن الزبير ، في معركة انتهت بظفر المختار ، وأحضر إليه خمسمائة أسير ، فأمر المختار بأن يعرضوا عليه ، وأن يدلّوا على من حضر منهم مقتل الحسين ، فعرضوا عليه ، فقدّم منهم مائتين وثمانية وأربعين ، ممن شهد مقتل الحسين ، فضرب أعناقهم ، وأمر المختار فنودي في الكوفة : كلّ من أغلق بابه فهو آمن ، إلاّ رجلاً أشرك في دم آل محمد (الطبري ٦/٥٠ ـ ٥٢) .

وفي السنة ٦٦ لما ظهر المختار بالكوفة ، واحتلّ قصر الإمارة ، جلس يبايع الناس ، فجاء إليه المنذر بن حسان بن ضرار الضبي ، فسلّم عليه وبايعه ، ومعه ولده حيّان بن المنذر ، فرآه الناس عند الباب ، فقال أحدهم : هذا ـ والله ـ من رؤوس الجبّارين ، وشدّوا عليه وعلى ابنه ، فقتلوهما (الطبري ٦/٣٢) .

وفي السنة ٦٦ لما استقرّ المختار بالكوفة ، أخذ في طلب قتلة الحسين ، ففرّ منه شمر بن ذي الجوشن ، يريد البصرة ، وفيها مصعب بن الزبير ، فعرف أبو عمرة صاحب شرطة المختار مكان شمر ، وكان أبو عمرة في موضع يبعد عن موضع شمر ثلاثة فراسخ ، فقصده وحصره بأصحابه ، فخرج شمر يحاربهم ، وقد أعجلوه عن لبس سلاحه وثيابه ، فقتلوه (الطبري ٦/٥٣) .

وفي السنة ٦٦ أحضر المختار الثقفي بالكوفة ، عبد الله بن أسيد الجهني ، ومالك بن النسير البدي ، وحمل بن مالك المحاربي ، وهؤلاء ممن اشترك في قتل الحسين ، في معركة الطفّ ، فقال المختار لهم : يا أعداء الله ، وأعداء كتابه ، وأعداء رسوله ، أين الحسين بن علي ؟ أدّوا إليّ الحسين ، قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه ، فقالوا : رحمك الله ، بعثنا ونحن كارهون ، فامنن علينا وآستبقنا ، فقال المختار ، هلّا مننتم على الحسين ابن بنت نبيّكم ، وآستبقيتموه وسقيتموه ، ثم قال المختار للبدي : أنت صاحب برنسه ، فقال عبد الله بن كامل : نعم ، هوهو ، فقال المختار : إقطعوا يدي هذا ورجليه ، ودعوه يضطرب حتى يموت ، ففعل به ذلك ، وترك ، فلم يزل ينزف الدم حتى مات ، وأمر بالآخرين ، فقدما فقطع عنقاهما (الطبري ٦/٥٧ و٥٨) .

وفي السنة ٦٦ دلّ المختار على جماعة ممن شارك في موقعة الطفّ وحضر مقتل الحسين ، فأحضرهم ، ومنهم زياد بن مالك ، وعمران بن خالد ، وعبد الرحمن بن أبي خشكارة الجبلي ، وعبد الله بن قيس الخولاني ، وكانوا قد أصابوا من الورس الذي كان مع الحسين ، فقال لهم المختار : يا قتلة الصالحين ، وقتلة سيّد شباب أهل الجنة ، ألا ترون الله قد أقاد منكم اليوم ، لقد جاءكم الورس ، بيوم نحس ، ثم أمر بهم فأخرجوا إلى السوق ، فضربت أعناقهم (الطبري ٦/٥٨) .

وفي السنة ٦٦ بعث المختار ، فأحضر عبد الله وعبد الرحمن ابني

صلخب ، وعبد الله بن وهب ، وهم ممن حضر معركة الطفّ ، وقاتل الحسين ، فأمر بهم فقتلوا في السوق (الطبري ٦/٥٨) .

وفي السنة ٦٦ بعث المختار عبد الله بن كامل ، إلى عثمان بن خالد بن أسير الجهني ، وإلى أبي أسماء بشر بن سوط القابضي ، وكانا ممن شهد قتل الحسين، واشتركا في دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب ، وفي سلبه ، فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجد بني دهمان ، ثم قال : عليّ مثل خطايا بني دهمان منذ خلقوا إلى يوم يبعثون ، إن لم أوت بعثمان بن خالد بن أسير ، إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم ، فقالوا له : أمهلنا نطلبه ، وخرجوا مع الخيل في طلبه ، فوجدوه وأبا أسماء القابضي جالسين في الجبّانة ، يريدان أن يخرجا إلى الجزيرة ، فحملوهما إلى ابن كامل ، فقال : الحمد لله الذي كفى المؤمنين القتال ، لو لم يجدوا هذا مع هذا ، لعنّانا إلى منزله في طلبه ، فالحمد لله الذي حيّنك حتى أمكن منك ، وخرج بهما إلى بئر الجعد ، فضرب عنقيهما ، ثم عاد فأخبر المختار بخبرهما ، فأمره ان يرجع فيحرقهما بالنار ، فعاد وأحرقهما (الطبري ٦/٥٩) .

وفي السنة ٦٦ بعث المختار ، أبا عمرة صاحب شرطته ، ومعاذ بن هانىء بن عديّ الكندي ، ابن أخي حجر بن عديّ ، فأحاطا بدار خولّى بن يزيد الاصبحي ، صاحب رأس الحسين ، الذي جاء به ، فاختبأ خولّى في المخرج (الكنيف) فأمر معاذ أبا عمرة أن يطلبه في الدار ، فخرجت امرأته إليهم ، فقالوا لها : أين زوجك ؟ فقالت : لا أدري أين هو ، وأشارت بيدها إلى المخرج ، فدخلوا ، فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة ، فأخرجوه ، وقتلوه إلى جانب أهله ، ثم أحرقوه (الطبري ٦/٥٩ و٦٠) .

وفي السنة ٦٦ بعث المختار أبا عمرة ، صاحب شرطته ، إلى عمر بن سعد ، قائد الجيش الذي قتل الحسين وأهل بيته ، فدخل عليه ، وقال له : أجب الأمير ، فنهض عمر ، فعثر في جبّة له ، وضربه أبو عمرة بسيفه ،

فقتله ، وجاء برأسه في أسفل قبائه ، حتى وضعه بين يدي المختار ، وكان حفص بن عمر بن سعد في مجلس المختار ، فقال المختار لحفص : أتعرف هذا الرأس ؟ فقال حفص : نعم ، ولا خير في العيش بعده ، فقال له المختار : صدقتَ ، فإنّك لا تعيش بعده ، وأمر به ، فضربت عنقه ، وقال المختار ، هذا بحسين ، وهذا بعليّ بن الحسين ، ولا سواء (الطبري ٦/ ٦٠ و٦١) .

وفي السنة ٦٦ طلب المختار ، عمرو بن الحجاج الزبيدي ، أحد من شارك في قتل الحسين في موقعة الطفّ ، ففرّ حتى صار بواقصة ، فأدركه أصحاب المختار ، وقد سقط من العطش ، وبه رمق ، فذبحوه (انساب الأشراف ٥/ ٢٤٠) .

وفي السنة ٦٧ قتل مصعب بن الزبير كلّاً من عبد الرحمن وعبد الربّ ابني حجر بن عديّ الذي قتله معاوية لأنّه أبى أن يبرأ من الإمام علي ، وقتل عمران بن حذيفة بن اليمان من التابعين ، قتلهم كلّهم صبراً ، بعد قتله المختار الثقفي ، وقتل أصحابه (ابن الأثير ٤/ ٢٥٠ والاعلام ٥/ ٢٣٢) .

وفي السنة ٦٧ عزل عبد الله بن الزبير ، أخاه المصعب عن البصرة ، وولّاها ابنه حمزة ، وكانت فيه خفّة وضعف ، ومن جملة ما صنع إنّه بعث إلى مردان شاه ، فاستحثّه بالخراج ، فأبطأ به ، فقام إليه بسيفه فضربه ، فقتله ، فقال الأحنف : ما أحدّ سيف الأمير (الطبري ٦/ ١١٧) .

وفي السنة ٦٩ قتل نجدة الحروري الحنفي ، وكان قد تسمّى بأمير المؤمنين ، نقم عليه أصحابه أموراً ، فقتلوه . (الاعلام ٨/ ٣٢٤ و٣٢٥) .

وفي السنة ٧٢ قتل عبد الله بن خازم السلمي ، أمير خراسان ، كان يلي خراسان لبني أميّة عشر سنين ، ولما أعلن ابن الزبير خلافته ، كتب إليه بطاعته ، ولما قتل عبد الملك ، المصعب بن الزبير ، بعث إليه برأسه ،

فغسله ، وصلّى عليه ، ودفنه ، ولم يعط للأمويّين طاعة ، فانتقض عليه بعض أهل خراسان وقتلوه ، وبعثوا برأسه إلى عبد الملك . (الاعلام ٤/٢١٥) .

وفي السنة ٧٦ لما خرج شبيب ، من رؤساء الخوارج ، ارتفع إلى أرض الموصل ، فلقي سلامة بن سيّار بن المضاء التيمي (تيم شيبان) ، فدعاه للخروج معه ، فاشترط عليه سلامة ، أن يعيره ثلاثين فارساً من أصحابه ينتخبهم ، ثم لا يغيب عنه إلّا ثلاث ليال ، ففعل ، وانتخب ثلاثين فارساً وانطلق بهم نحو عنزة ، أرادهم ليشفي نفسه منهم ، لقتلهم أخاه فضالة ، وذلك إنّ فضالة كان قد خرج قبل ذلك في ثمانية عشر فارساً ، فلما رأته عنزة قتلوهم ، وأتوا برؤوسهم إلى عبد الملك بن مروان ، فأكرمهم ، وأنزلهم بانقيا ، وفرض لهم ، فخرج سلامة في أصحابه الثلاثين ، حتى انتهى إلى عنزة ، فجعل يقتل المحلّة بعد المحلّة ، حتى انتهى إلى فريق منهم فيهم خالته وقد أكبّت على ابن لها ، وهو غلام حين احتلم ، فأخرجت ثديها لسلامة ، وقالت : أنشدك برحم هذا يا سلامة ، فأبى إلّا أن يقتله ، وقتله (الطبري ٦/٢٢٤ و٢٢٥) .

وفي السنة ٧٧ قتل أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، عامل خراسان ، بكير بن وشاح السعدي ، عامل طخارستان ، وذلك إنّ أميّة كان قد ولّى بكيراً غزو ما وراء النهر ، ثم بدا له فأمره بالمقام ، ثم نهض أميّة يريد بخارى ، وولّى بكيراً مرو ، فعاد بكير ، وخلع أميّة ، وتحصّن في مرو ، وبلغ أميّة ذلك ، فعاد من بخارى ، وحصر بكيراً في مروٍ ، ثم تصالحا ، وعاد بكير للطاعة ، ثم بلغه أنّه يريد أن يعاود الخروج ، فحبسه وابني أخيه بدلاً وشمردل ، ثم قتل بكيراً وقتل ابني أخيه معه (الطبري ٦/٣١١ - ٣١٧) .

وكانت لبكير ، جارية أثيرة عنده ، إسمها العارمة ، ولما قاتل بكير أميّة ، جعل على شرطته أبا رستم العبشمي ، فنادوه : يا صاحب شرطة عارمة ، فغضب ، وأحجم ، فهدّأه بكير ، ثم أنّ أميّة ، لما قتل بكيراً ،

اعتقل العارمة ، وأهداها إلى بحير ، خصم بكير (الطبري ٦/٣١٤-٣١٧) .

وفي أثناء المعارك بين أميّة ، وبكير بن وساج ، نادى رجل من تميم : يا أميّة ، يا فاضح قريش ، فآلى أميّة إن ظفر به ، أن يذبحه بين شرفتين من سور المدينة ، وظفر به ، فذبحه (الطبري ٦/٣١٤) .

وفي السنة ٧٥ قتل الحجّاج ، عمير بن ضابىء البرجمي ، جاء يستأذن منه في التخلّف عن البعث لشيخوخته ، فقتله . (الاعلام ٥/٢٦٥) .

أقول : إنّ قتلى الحجّاج يزيد على الألف ألف شخص ، وإنّما ذكرت هذا الرجل ، لأنّه أوّل شخص قتله الحجّاج عند قدومه الكوفة .

ووافي الحجاج بن يوسف الثقفي البصرة ، فأمر الناس بالخروج لحرب الخوارج ، فجيء إليه بشيخ أعور ، يضع على عينه العوراء صوفة ، فكان يلقّب ذا الكرسفة ، فقال : أصلح الله الأمير ، إنّ بي فتقاً ، وقد عذرني بشر بن مروان ، وقد رددت العطاء ، فقال له الحجّاج : إنّك عندي لصادق ، ثم أمر به فضربت عنقه ، وجيء إليه بآخر ، فقال : أنشدك الله أيّها الأمير في دمي ، فوالله ، ما قبضت ديواناً قط ، ولا شهدت عسكراً قط ، وأنا حائك ، أخذت من تحت الجفّة ، فقال : اضربوا عنقه ، فقتل (شرح نهج البلاغة ٤/١٨٣ و١٨٤) .

ولما قاتل المهلّب الخوارج ، في يوم سلّى وسلّبرى ، وقتل رأس الخوارج عبيد الله بن بشير بن الماحوز ، وجّه المهلّب ، أحد الأزد ، برأسه إلى الحارث بن عبد الله عامل البصرة لابن الزبير ، فلما وصل الأزدي حامل الرأس إلى كربج (موضع قرب سوق الأهواز) لقيه إخوة عبيد الله ، وهم حبيب وعبد الملك وعلي أولاد بشير بن الماحوز ، فسألوه : ما الخبر ؟ فقال لهم ، وهو لا يعرفهم : قتل الله ابن الماحوز ، وهذا رأسه معي ، فوثبوا عليه

فقتلوه ، وصلبوه ، وأخذوا رأس أخيهم فدفنوه ، فلما ولي الحجّاج ، دخل عليه علي بن بشير ، وكان وسيماً جسيماً ، فقال : من هذا ؟ فأخبروه ، فأمر به فضربت عنقه ، وأخذ ولدين له ابنه الأزهر وابنته ، فوهبهما لأهل الأزدي المقتول (شرح نهج البلاغة ٤/١٥٨ و١٥٩) .

وفي السنة ٨٢ ، دعا الحجّاج ، بكميل بن زياد ، أحد شيعة عليّ ، فقال له : أنت المقتصّ من أمير المؤمنين عثمان ؟ قد كنت أحبّ أن أجد عليك سبيلًا ، فقال له : على إيّنا أنت أشدّ غضباً ، عليه حين أقاد من نفسه ، أو عليّ حين عفوت عنه ؟ ثم قال له : يا أيّها الرجل من ثقيف ، لا تصرّف عليّ أنيابك ، ولا تكشّر عليّ كالذئب ، فما بقي من عمري إلّا ظمء الحمار ، إقض ما أنت قاض ، فإنّ الموعد الله ، والقتل بعده الحساب ، فأمر به فقتل . (ابن الأثير ٤/٤٨١) .

أقول : كان كميل بن زياد النخعي ، برح الكوفة ، وقصد الخليفة عثمان بن عفان بالمدينة ، فناقشه في أمور ، فأغضب عثمان ، فوجأ عثمان وجهه ، فوقع على استه ، فقال : أوجعتني يا أمير المؤمنين ، فندم عثمان على ما صنع ، وقال لكميل : اقتد منّي ، فقال كميل : قد عفوتُ ، فلما قدم الحجّاج العراق ، طلب كميل ، فاستتر منه ، فأخذ به عشيرته النخع ، فقال الأسود بن الهيثم للحجّاج ، ما تريد من شيخ قد كفاكه الكبر ، فقال له الحجّاج : أما والله لتحبسنّ عنّي لسانك ، أو لأحسّنّ رأسك بالسيف ، فلما رأى كميل ما لقي قومه من الخوف ، وهم ألفا مقاتل ، قال : الموت خير من الخوف ، إذا أخيف بسببي ألفان وحرموا ، فخرج حتى أتى الحجّاج ، فقتله (الطبري ٤/٤٠٣ و٤٠٤) .

وفي السنة ٨٣ بعد انتهاء معركة دير الجماجم ، التي انتصر الحجّاج فيها على عبد الرحمن بن الأشعث ، جلس الحجاج يبايع الناس من أصحاب ابن الأشعث ، وكان لا يبايعه أحد ، إلّا سأله : أتشهد إنّك كفرت بخروجك

عليّ ، فإذا قال نعم بايعه ، وإلاّ قتله ، فجاء إليه رجلٌ من خثعم ، كان معتزلاً الناس جميعاً من وراء الفرات ، فسأله عن حاله ، فقال : ما زلتُ معتزلاً وراء هذه النطفة ، فقال : متربّص ، أتشهد أنّك كافر ؟ قال : بئس الرجل أنا إن كنتُ عبدت الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر ، قال : إذن أقتلك ، قال : وإن قتلتني ، فوالله ، ما بقي من عمري إلاّ ضمء حمار ، فقال : اضربوا عنقه ، فضربت عنقه (الطبري ٦/٣٦٥) .

وفي السنة ٨٣ في معركة مسكن ، قتل زياد بن غنيم الطائي من أصحاب الحجّاج ، وقتل من أصحاب ابن الأشعث أبو البختري الطائي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، ومشى بسطام بن مصقلة الشيباني في أربعة آلاف من أهل الحفاظ من أصحاب ابن الأشعث ، فكسروا جفون السيوف ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، فقتل قسم عظيم منهم ، وأخذ منهم بكير بن ربيعة أسيراً ، فقتله الحجّاج صبراً (الطبري ٦/٣٦٦ و٣٦٧) .

وفي السنة ٨٣ في يوم مسكن ، قتل الحجاج من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث ، أربعة آلاف رجل ، بعد انتهاء المعركة ، سوى من قتل في المعركة ، وكان ممن قتل من الأشراف ، مع ابن الأشعث ، عبد الله بن شدّاد الهاد ، وبسطام بن مصقلة بن هبيرة ، وعمر بن ضبيعة الرقاشي ، وبشر بن المنذر بن الجارود ، والحكم بن مخرمة ، وبكير بن ربيعة الضبّي ، وأحضرت رؤوسهم إلى الحجّاج على ترس ، فنظر إليهم ، ثم قال : ضع هذا الترس بين يدي مسمع بن مالك بن مسمع ، فوضع بين يديه ، فبكى ، فقال له الحجّاج : ما أبكاك ، أحزناً عليهم ؟ قال : بل جزعاً لهم من النار (الطبري ٦/٣٨٢ و٣٨٣) .

وفي السنة ٨٣ أحضر الحجّاج ابن القريّة ، أيوب بن زيد الهلالي ، أحد بلغاء الدهر ، وكان قد لحق بابن الأشعث ، فاعتذر إليه ابن القريّة ،

فقال له الحجّاج : كلا والله ، لأرينّك جهنّم ، ثم قال : قدّمه يا حرسي ، فاّضرب عنقه ، فضرب عنقه (الطبري ٦/ ٣٨٥ و٣٨٦) .

أقول : في الاخبار الطوال ٣٢٢ و٣٢٣ إنّ الحجاج قتل ابن القرية بيده ، وإنّه طعنه عندما قتله بحربة ، راجع الخبر في كتابنا هذا في الفصل الثاني من الباب الحادي عشر (القتل بأنواع السلاح غير السيف) القسم الرابع (القتل قعصاً بالرماح) .

وفي السنة ٨٣ جيء إلى الحجّاج ، بعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، صاحب شرطة عبد الرحمن بن الأشعث ، فقال له : يا عبد المرأة ، تقوم بالعمود على رأس ابن الحائك (يريد ابن الأشعث) ، فقال له : أصلح الله الأمير ، كانت فتنة شملت البرّ والفاجر ، فدخلنا فيها ، وقد أمكنك الله منّا ، فإن عفوتَ فبحلمك ، وفضلك ، وإن عاقبتَ عاقبتَ ظلمة مذنبين ، فقال الحجاج : أمّا قولك إنّها شملت البرّ والفاجر ، فكذبت ، ولكنّها شملت الفجّار ، وعوفي منها الأبرار ، واما اعترافك بذنبك ، فعسى أن ينفعك ، فرجا الناس له العافية ، ثم نظر إليه وقد نحّي عنه ، فقال : اضربوا عنقه ، فضربت عنقه (الطبري ٦/ ٣٧٤) .

وفي السنة ٨٣ دعا الحجّاج بالهلقام بن نعيم ، وقال له : إجعل ابن الأشعث طلب ما طلب ، ما الذي أمّلتَ أنتَ معه ؟ قال : أمّلتُ أن يملك فيولّيني العراق ، كما ولّاك عبد الملك ، فقال الحجاج : يا حوشب ، قم فاّضرب عنقه ، فقام إليه ، فقال الهلقام : يا ابن لقيطة ، أتنكأ الجرح ، فضرب عنقه .

ثم أتي بعبد الله بن عامر ، فلما قام بين يديه ، قال له : لا رأت عيناك يا حجّاج الجنّة ، إن أقلتَ ابن المهلّب بما صنع ، قال : وما صنع ؟ قال :

لأنّه كاس في إطلاق أسرته وقاد نحوك في أغلالها مضرا

وقى بقومك ورد الموت أسرته وكان قومك أدنى عنده خطرا

فأطرق الحجاج مليّاً ، ووقرت في قلبه ، ثم قال له : وما أنت وذاك ؟ إضرب عنقه ، فضربت عنقه .

ثم جيء بفيروز ، فقال له الحجّاج : يا أبا عثمان ، ما أخرجك مع هؤلاء ، فوالله ما لحمك من لحومهم ، ولا دمك من دمائهم ، فقال : فتنة عمّت الناس فكنّا فيها ، فقال : فاكتب لي أموالك ، قال : ثم ماذا ؟ قال : أكتبها أوّلاً ، قال : ثم أنا آمن على دمي ؟ قال : أكتبها ثم أنظر ، قال : اكتب يا غلام ، ألف ألف ، ألفا ألف ، فذكر مالاً كثيراً ، فقال الحجّاج : أين هذه الأموال ؟ قال : عندي ، قال : أدّها ، قال : وأنا آمن على دمي ؟ قال : والله ، لتؤدينّها ثم لأقتلنّك ، قال : لا تجمع مالي ودمي ، فأمر بفيروز فعذّب ، وكان مما عذّب به ، إنّه كان يشدّ على بدنه القصب الفارسي المشقوق ، ثم يجرّ عليه حتى يخرّق جسده ، ثم ينضح عليه الخلّ والملح ، فلما أحسّ بالموت ، قال لصاحب العذاب ، إنّ الناس لا يشكّون أنّي قتلت ، ولي ودائع وأموال عند الناس ، فأظهروني ليعلموا أنّي حيّ فيؤدّوا المال ، فأعلم الحجّاج ، فقال : أظهروه ، فأخرج إلى باب المدينة ، فقال للناس : أنا فيروز حصين ، إنّ لي عند أقوام مالاً ، فمن كان لي عنده شيء فهو له ، وهو منه في حلّ ، فلا يؤدّين منه درهماً واحداً ، ليبلغ الشاهد الغائب ، فأمر الحجّاج به فقتل (الطبري ٦/٣٧٨ ـ ٣٨٤) .

وفي السنة ٨٣ جيء للحجّاج ، بأعشى همدان ، وكان قد ناصر ابن الأشعث بيده ولسانه ، آزره بسلاحه ، ومدحه بشعره ، فقال له الحجّاج : إيه يا عدوّ الله أنت القائل في مدح ابن الأشعث .

بين الأشجّ وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللمولود

لا والله ، لا تبخبخ بعدها لأحد أبداً ، وقدّمه فضرب عنقه (الطبري ٦/٣٧٨) .

وفي السنة ٨٣ جيء للحجّاج بمحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وكان من أصحاب ابن الأشعث ، فقال له الحجّاج : إيها يا ظلّ الشيطان ، أعظم الناس تيهاً وكبراً ، تأبى بيعة يزيد بن معاوية ، وتتشبّه بحسين وابن عمر ، ثم صرت مؤذناً لابن كناز ، وجعل يضرب رأسه بعود في يده حتى أدماه ، ثم أمر بضرب عنقه ، فقتل (الطبري ٦/٣٧٩) .

وبلغ الحجاج ، أنّ عمرو بن يزيد النهدي ، رثى مصعب بن الزبير ، فقال :

ألم تر أنّ الجود إذ مات مصعب دفنّاه واسترعى الأمانة ذيب
فهبنا أناساً أوبقتنا ذنوبنا أما لثقيفٍ حوبةٌ وذنوب

فأحضره الحجّاج ، وقال له : أنت القائل ما قلت ؟ فقال : فقدنا مصعباً ، ففقدنا به عدلاً شاملاً ، وعطاءً جزلاً ، فأمر به الحجّاج ، فضربت عنقه . (انساب الأشراف ٥/٢٨١) .

وفي السنة ٨٥ قتل الحجّاج ، مثجور بن غيلان الضبّي ، من أشراف أهل البصرة ، وكان خطيباً ، نسّابة (الاعلام ٦/١٥٦) .

وفي السنة ٨٥ قتل الحجّاج قيس بن عباد ، من ثقات التابعين ، ومن كبار صالحيهم ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث (الاعلام ٦/٥٧) .

وفي السنة ٩١ اتّفق المهاجر بن ابي المثنّى التجيبي ، بالإسكندرية ، مع مائة من المصريّين ، على أن يفتكوا بقرّة بن شريك ، أمير مصر ، وكان أحد الظلمة ، فاطّلع عليهم رجل يكنى أبا سليمان ، فأخبر قرّة ، فأخذهم ، وقتلهم بأجمعهم ، فكان يزيد بن حبيب مفتي مصر ، إذا أراد أن يتكلّم

بشيء ، قال : إحذروا أبا سليمان ، ثم قال : الناس كلّهم أبو سليمان (الاعلام ٨/٢٥٤) .

أقول : كان قرّة بن شريك من شرار الخلق ، وكان أمير مصر للوليد بن عبد الملك ، وهلك في أيّامه ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول : الوليد بالشام ، وقرّة بمصر ، والحجّاج بن يوسف بالعراق ، ومحمد بن يوسف باليمن ، امتلأت الأرض ظلماً وجوراً .

وفي السنة ٩٣ غزا عبد الرحمان بن مسلم ، ملك خام جرد ، وقاتله ، فقتله عبد الرحمان ، وقدم على قتيبة بأربعة آلاف أسير فقتلهم ، أمر قتيبة بسريره فأخرج ، وبرز للناس ، وأمر بقتل الأسرى ، فقتل بين يديه ألف ، وعن يمينه ألف ، وعن شماله ألف ، وخلف ظهره ألف (الطبري ٦/ ٤٧٠) .

وفي السنة ٩٥ قتل الحجّاج بالعراق سعيد بن جبير التابعي الفقيه الزاهد ، وكان قد خرج مع عبد الرحمان بن الأشعث، ولما انكسر عبد الرحمان تنقّل في البلاد ثمّ لجأ إلى مكّة ، فاعتقله خالد القسري ، وبعث به إلى الحجّاج فقتله (ابن الأثير ٤/ ٥٧٩ و٥٨٠) .

أقول : كان أوّل من قتل الحجّاج في إمارته على العراق عمير بن ضابيء البرجمي ، وقد أسلفنا إيراد ذلك في موضعه ، وكان سعيد بن جبير آخر من قتله الحجاج ، قتله في شعبان سنة ٩٥ وهلك الحجّاج في رمضان من تلك السنة ، وكان سعيد أعلم الناس ، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر ، ولما خرج ابن الأشعث على الحجّاج خرج معه العدد العديد من العلماء والقرّاء والزهّاد ، حسبة وديانة ، يريدون الخلاص من ظلم الحجّاج ، وظلم عبد الملك بن مروان ، ولما انتصر الحجّاج ، وتشتّت جيش ابن الأشعث ، التجأ سعيد إلى إصبهان ، فطلبه الحجاج من عامله عليها ، فتحرّج من إرساله ، وأرسل إلى سعيد أن تحوّل عنّي ، فتنحّى عنه ولجأ آلى أذربيجان ،

ومكث زماناً ، ثم خرج إلى مكّة ، فلما وليها خالد القسري ، قبض على سعيد ، وبعث به إلى الحجّاج مقيّداً ، فلما حضر أمام الحجّاج ، أخذ يتشفّى منه ، وقال له ما اسمك ؟ قال : سعيد بن جبير ، فقال : بل أنت شقيّ بن كسير ، قال : أمّي أعلم باسمي منك ، فقال له : شقيتَ أنت وشقيَتْ أمّك ، ثم أمر به فقتل (الطبري ٦/٤٨٧ ـ ٤٩١ ووفيات الأعيان ٢/٣٧١ ـ ٣٧٤) .

أقول : كان الحجّاج يقول : إنّي ـ والله ـ لا أعلم على وجه الأرض خلقاً هو أجرأ على دمٍ منّي (العقد الفريد ٢/١٧٦) وقيل لعبد الله بن المبارك : أبو مسلم كان خيراً أو الحجّاج ؟ فقال : لا أقول إنّ أبا مسلم كان خيراً من أحد ، ولكنّ الحجّاج كان شرّاً منه (ابن الأثير ٥/٤٧٩) وبلغ من شنيع سمعة الحجّاج ، واشتهاره بالظلم ، أنّ أبا مسلم الخراساني ، الذي اشتهر بقسوته ، وضراوته على الدم الحرام ، قيل في حقّه : إنّه حجّاج زمانه (مرآة الجنان ١/٢٨٥) .

راجع ترجمة حياة الحجاج بن يوسف الثقفي في كتابنا هذا ، في الباب الحادي عشر : القتل ، في القسم الثاني من الفصل الأول : (القتل في المعركة) .

وفي السنة ٩٦ لما قتل وكيع بن حسان بن أبي سود ، قتيبة بن مسلم ، نادى : لا يسلبن قتيل ، فمرّ عبيد الهجري ، على أبي الحجر الباهلي وهو قتيل ، فسلبه ، فبلغ ذلك وكيعاً ، فضرب عنقه (الطبري ٦/٥١٩) .

وجيء إلى وكيع بسكران ، فأمر به فقتل ، فقيل له : ليس عليه القتل وإنّما عليه الحدّ ، فقال : أنا لا أعاقب بالسياط ، وإنّما أعاقب بالسيف الطبري ٦/٥١٩) .

أقول : وفي أيّام الملك الظاهر بمصر ، قبض على ابن الكازروني وهو

سكران فصلب ، وفي عنقه جرّة خمر ، فقال الحكيم ابن دانيال الموصلي : (الوافي بالوفيات ٣/ ٥٤) .

لقد كان حدّ الخمر من قبل صلبه خفيف الأذى إذ كان في شرعنا جلدا
فلما بدا المصلوب قلت لصاحبي : ألا تب فإن الحدّ قد جاوز الحدّا

وجلس الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦) على المنبر في يوم جمعة ، حتى اصفرت الشمس ، فقام إليه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الوقت لا ينتظرك ، وإنّ الربّ لا يعذرك ، قال : صدقت ، ومن قال مثل مقالك ، لا ينبغي له أن يقوم مقامك ، من هنا من أقرب الحرس إليه ، يقوم فيضرب عنقه ، فضربت عنقه (العقد الفريد ١/ ٥٣) .

وفي السنة ٩٨ غزا يزيد بن المهلّب ، أمير خراسان ، دهستان ، فبعث إليه صول دهقان دهستان ، يسأله الأمان على نفسه وماله وأهل بيته ، على أن يدفع إليه المدينة ، وما فيها ، وأهلها ، فقبل منه ، ودخل المدينة ، وأخذ ما كان فيها من أموال وكنوز ، ومن السبي ما لا يحصى ، وقتل أربعة عشر ألف تركي صبراً (الطبري ٦/ ٥٣٤) .

ولما كان يزيد بن المهلّب في غزو طبرستان ، غدر أهل جرجان ، وخلعوا ، وقتلوا من كان عندهم من المسلمين ، وعددهم أربعة آلاف ، أميرهم عبد الله بن المعمر ، قتلوا جميعاً في ليلة واحدة ، فحلف يزيد بن المهلّب ، إنّه إن ظفر بهم ، لا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم ، ويختبز ذلك الطحين ، ويأكل منه ، ثم قصد جرجان ، فتحصّنوا منه ، فأقام عليها سبعة أشهر ، لا يجد إلى مناجزتهم سبيلاً ، حتى عثر على موضع ينفذ منه إلى عسكرهم ، فبعث ولده خالداً ، في ثلثمائة أنجاد ، وقال له : إن غلبت على الحياة ، فلا تغلبن على الموت ، وإيّاك أن أراك عندي منهزماً ، ثم ناجزهم في اليوم الثاني ، وجاءهم بعث خالد بن يزيد من ورائهم ، فانفلّ

جيشهم ، وأعطوا بأيديهم ، ونزلوا على حكم يزيد ، فسبى ذراريهم ، وقتل مقاتلتهم ، وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره ، وقاد منهم اثنى عشر ألفاً إلى الأندرهز ، وادي جرجان ، فقتلهم هناك ، وأجرى الماء في الوادي على الدم ، وعليه أرحاء ، ليطحن بدمائهم ، لتبرّ يمينه ، فطحن ، واختبز ، وأكل (الطبري ٦/٥٤١ ـ ٥٤٣) .

وخطب يوسف بن عمر ، في مسجد الكوفة ، فتكلّم إنسان مجنون ، فقال : يا أهل الكوفة ، ألم أنهكم أن يدخل مجانينكم المسجد ، اضربوا عنقه ، فضربت عنقه (المحاسن والمساوىء ١/١٤٣) .

وفي السنة ١٠٢ خرج يزيد بن المهلّب بالبصرة ، على يزيد بن عبد الملك بن مروان ، ومعه جميع آل المهلّب ، فحاربه الجيش الأموي بقيادة مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، فقتل يزيد وقتل معه أخواه حبيب ومحمد وآنسحب الباقون من آل المهلّب ، وتحمّلوا ومعهم نساؤهم وأولادهم إلى السند ، فبعث إليهم مسلمة بن عبد الملك ، جيشاً تعقّبهم ، وحاربهم بقندابيل فقتل أكثرهم ، وأسر الباقين وهم أحد عشر رجلاً ، وحملوا إلى يزيد بن عبد الملك بالشام ، فأمر بهم فقتلوا بين يديه صبراً ، وبقي منهم صبيّ صغير ، فقال لهم : اقتلوني فلست بصغير ، ولا خير في العيش بعد أهلي ، فأمر يزيد به فقتل (فقيل ضحى بنو أميّة بالدين يوم الطفّ ، وبالكرم يوم العقر ، ففي يوم الطفّ قتل الحسين عليه السلام وأصحابه ، وفي يوم العقر قتل يزيد بن المهلّب وأصحابه (في التراث العربي ٥٣٨ و٥٣٩ وشرح نهج البلاغة ٣/٢٥٤) .

وفي السنة ١٠٢ لما خرج يزيد بن المهلّب ، على يزيد بن عبد الملك أصعد من البصرة إلى واسط ، وحبس في واسط اثنين وثلاثين رجلاً منهم عديّ بن أرطأة ، عامل البصرة للأمويين ، وآبنه محمد ، ومالك وعبد الملك

ابن مسمع ، فلما قتل يزيد في المعركة ، أخرج معاوية ابنه جميع المحبوسين ، فضرب أعناقهم ، وانحدر الى البصرة (ابن الأثير ٨٤/٥ و٨٥) .

ولما قتل يزيد بن المهلّب ، في موقعة العقر ، في السنة ١٠٢ أمر يزيد بن عبد الملك بقتل الأسرى ، فأخرج العريان بن الهيثم جماعة منهم ليقتلهم ، فقام نحو من ثلاثين رجلاً من تميم ، وقالوا : نحن الذين آنهزمنا بالناس ، فابدأوا بنا ، فقال لهم العريان : أخرجوا على آسم الله ، فقطع أعناقهم ، فما فرغ منهم حتى جاء أمر الأمير مسلمة بن عبد الملك ينهى عن القتل (الطبري ٥٩٨/٦) .

وفي السنة ١٠٣ قتل يزيد بن عمر بن هبيرة ، أمير واسط للأمويين ، صالح بن عبد الرحمن التميمي ، الكاتب الذي نقل دواوين الخراج في العراق من الفارسية إلى العربية ، كان يلي الديوان للحجّاج ، وولاّه سليمان بن عبد الملك خراج العراق ، وأقرّه عمر بن عبد العزيز سنة واحدة ، ثم عزله ، ولما ولي يزيد بن عبد الملك ، كان صالح بالشام ، فكتب يزيد بن عمر بن هبيرة ، إليه ، يطلب أن يبعث إليه صالحاً ، فبعثه إليه ، فقتله . (الاعلام ٢٧٧/٣) .

وفي السنة ١٠٩ قُتِلَ عمر بن يزيد بن عمير الأسيّدي ، ذكره يزيد بن عبد الملك مرّة ، فقال : هذا رجل العراق ، ولعلّ ذلك استقرّ في ذهن خالد القسري ، فإنّه لما ولي البصرة ، أمر صاحب شرطته ، أن يحتجّ بحجّة فيقتل عمر بن يزيد ، فقتله . (الاعلام ٢٣١/٥) .

وفي السنة ١١٠ أسر الترك بخراسان ، الحجّاج بن حميد النضري ، وكان مرابطاً في قلعة كمرجة بخراسان ، وطالبوه بأن يأمر أتباعه بإسلام القلعة ، فلما أبى ، قتلوه صبراً . (الاعلام ١٧٤/٢) .

وفي السنة ١١٢ قتل أحد رجال المسلمين ، في موقف من مواقف الشهامة والنبل ، والتضحية ونكران الذات ، وذلك إنّ الخزر والترك ، اشتبكوا مع الجراح بن عبد الله الحكمي وجنده ، في مرج أردبيل ، فقتلوه ، وكثيراً ممن كان معه ، ثم انتشروا ، وأوغلوا في بلاد الإسلام ، فسيّر إليهم هشام بن عبد الملك جيشاً بقيادة سعيد الحرشي ، وكان الخزر قد حصروا مدينة ورثان ، وأوشك أهلها على الإستسلام ، فخاف الحرشي أن تضعف مقاومة أهلها ، فبعث إليهم رسولاً من أصحابه ، يأمرهم بالصبر ، ويخبرهم بأنّه قادم إليهم ، فسار القاصد ، ولقيه بعض الخزر في الطريق ، فأخذوه ، وسألوه عن حاله ، فأخبرهم ، وصدقهم ، فقالوا له : إن فعلت ما نأمرك به أحسنّا إليك وأطلقناك ، وإلّا قتلناك ، قال : فما الذي تريدون ؟ قالوا : تقول لأهل ورثان إنّكم ليس لكم مدد ، ولا من يكشف ما بكم ، وتأمرهم بتسليم البلد ، فأجابهم إلى ذلك ، فلمّا قارب المدينة ، وقف بحيث يسمع أهلها كلامه ، فقال لهم : أتعرفونني ؟ قالوا : نعم ، قال : قال فإنّ الحرشيّ قد وصل إلى مكان كذا في عساكر كثيرة ، وهو يأمركم بحفظ البلد والصبر ، ففي هذين اليومين يصل إليكم ، فرفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ، وقتلت الخزر الرجل ، ورحلوا عن ورثان (ابن الأثير ٥/١٥٩ ـ ١٦٢) .

وفي السنة ١١٧ خرج بإفريقية ميسرة السقّاء ، وقتل القائد عمر بن عبد الله المرادي بطنجة ، وسبب ذلك : إنّ ميسرة وجماعة معه من البربر ، بضعة عشر إنساناً ، قصدوا الخليفة هشام بن عبد الملك بدمشق ، فلما قدموا عليه طلبوا الإذن ، فصعب عليهم ، فأتوا الأبرش ، فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين ، إنّ أميرنا يغزو بنا وبجنده ، فإذا أصاب نفّلهم دوننا ، وقال : هم أحقّ به ، فقلنا : هو أخلص لجهادنا ، لأنّا لا نأخذ منه شيئاً ، فإن كان لنا فهم منه في حلّ ، وإن لم يكن لنا لم نرده ، وقالوا : إذا حاصرنا مدينة قال : تقدّموا ، وأخّر جنده ، فقلنا : تقدّموا ، فإنّه إزدياد من الجهاد ، ومثلكم كفى أخوانه ،

فوقيناهم بأنفسنا ، وكفيناهم ، ثم إنّهم عمدوا إلى ماشيتنا ، فجعلوا يبقرونها على السخال ، يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين ، فيقتلون ألف شاة في جلد ، فقلنا : ما أيسر هذا لأمير المؤمنين ، فآحتملنا ذلك ، وخلّيناهم وذلك ، ثم إنّهم سامونا أن يأخذوا كلّ جميلة من بناتنا ، فقلنا : لم نجد هذا في كتاب ولا سنّة ، ونحن مسلمون ، فأحببنا أن نعلم أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا ؟ فقال الأبرش : نفعل ، فلما طال عليهم ، ونفدت نفقاتهم ، كتبوا أسماءهم في رقاع ، ورفعوها إلى الوزراء ، وقالوا : هذه أسماؤنا وأنسابنا ، فإن سألكم أمير المؤمنين عنّا ، فأخبروه ، ثم كان وجههم إلى إفريقية ، فخرجوا على عامل هشام ، فقتلوه ، واستولوا على إفريقية ، وبلغ هشاماً الخبر ، وسأل عن النفر ، فرفعت إليه أسماؤهم ، فإذا هم الذين جاء الخبر إنّهم صنعوا ما صنعوا (الطبري ٤/٢٥٤ و٢٥٥ .

أقول : ميسرة هذا ، ويسمّى ميسرة السقّاء ، خارجيّ صفري ، وقد خرج هو وأصحابه في السنة ١١٧ وقتلوا عمر بن عبد الله المرادي ، القائد في طنجة ، واستولوا على طنجة ، وبويع ميسرة بالخلافة ، وتسمّى بأمير المؤمنين ، وكثر جمعه من البربر ، ثم إنّ أصحاب ميسرة أنكروا أشياء من سيرته فقتلوه ، وولّوا عليهم خالد بن حميد الزناتي ، ووجّه إليهم جيش ، فاستقتلوا فقتل خالد وأصحابه ، وقتل في الوقعة حماة العرب وفرسانها ، وآستمرّت القلاقل والحروب إلى السنة ١٢٣ فوجّه هشام والياً جديداً على إفريقية ، هو كلثوم بن عياض القشيري ، فقتله البربر ، فوجّه بأمير جديد هو حنظلة بن صفوان الكلبي ، فخاض عدّة معارك ضارية انتصر فيها على البربر ، راجع التفصيل في الكامل لابن الأثير ٥/١٩٠ ـ ١٩٤ .

وفي السنة ١٢١ قتل عبد الملك بن قطن الفهري ، المتغلّب على الأندلس ، زياد بن عمرو اللخمي ، والسبب في ذلك إنّ البربر هاجوا بإفريقية ، وحصروا عامل إفريقية وجنده بمدينة سبتة ، فاستغاثوا بعرب

الأنـدلس ، فمنـع عبـد الملك من معـونتهم ، وأشفق عليهم زيـاد بن عمـرو اللخمي ، فـأرسل إليهم مـركبين مملوءين ميرة ، فـأمسكت الميرة أرمـاقهم ، وبلغ عبد الملك ما صنع زياد ، فـأحضره ، وضـربه سبعمـائة سـوط ، وسمل عينيه ثم قتله ، وصلبه ، وصلب معه كلباً (نفح الطيب ١/ ٢٠) .

وفي السنة ١٢١ غزا نصر بن سيّار ، ما وراء النهر ، فأسر كـورصول ، عظيم الترك ، فقال له نصر : الحمد لله الـذي أمكن منك يـا عدوّ الله ، فقـال له : ما ترجو من قتل شيخ مثلي ، أنا أعطيك أربعة آلاف بعير من إبل الترك ، وألف برذون ، فسأله : كم غزوت ؟ (يريد غـزوه للمسلمين) ، فقال : اثنين وسبعين غـزوة ، فقال لـه : أشهدت يـوم العـطش ؟ قـال : نعم ، قـال : لـو أعــطيتني مـا طلعت عليــه الشمس ، ما أفلتّ من يــدي بعـدمــا ذكـرتَ من مشاهدك ، وقال لعاصم بن عمير السعدي ، أحد كبار قوّاده ، وهو الـذي أسر كورصول : قم إلى سلبه فخذه ، فقال كورصول : من أسرني ؟ فقـال له وهـو يضحك : أسرك يزيد بن قران الحنظلي ، وأشار إليه ، فقال كورصـول : هذا لا يستـطيع أن يغسـل استه ، فكيف يـأسرني ، أخبـرني من أسـرني ، قـال : أسرك عاصم بن عمير ، وكان بـطلاً ، يلقب : هزار مـرد ، فقال : لستُ أجـد ألم القتل ، إذا كان الـذي أسرني فـارساً من فـرسان العـرب ، فقتله ، وصلبه على شاطىء النهر ، فلما قتل كورصول أحرقت الترك أبنيته (خيامـه) وقطعـوا آذانهم ، وقصّـوا شعـورهم ، وأذنـاب خيلهم حـزنـاً عليـه ، فلمـا أراد نصـر الـرجـوع ، أحـرقـه ، لئـلا يحملوا عـظامـه (ابن الأثيـر ٥ /٢٣٧ والـطبـري ٧/ ١٧٥) .

وفي السنـة ١٢٦ قُتِلَ الـوليد بن يـزيـد بن عبـد الملك ، قتله ابن عمّـه يـزيد بن الـوليد الـذي لقّب بالنـاقص ، خرج عليـه بدمشق ، وبـايع لـه أهلها سرّاً ، ثم احتلّ دمشق ، وبعث من يحـارب الوليـد ، وكان الـوليد بـالبخراء ، فحصروه ، وتسوّروا عليه الحائط ، وقتلوه . (ابن الأثير ٥/ ٢٨٠ ـ ٢٨٩) .

وفي السنة ١٢٦ لما قتل الوليد بن يزيد ، وبايع الناس يزيد بن الوليد ، ثار أهل حمص ، وأغلقوا أبوابها ، وأقاموا النوائح والبواكي على الوليد ، وهدموا دار العباس بن الوليد ، لأنّه أعان يزيداً على الثورة على الوليد ، وسلبوا حرم العباس ، وأخذوا بنيه فحبسوهم ، وكان عامل حمص مروان بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، فتابع أهل حمص على ما أرادوا ، وخرج الحمصيّون لمحاربة يزيد بن الوليد في دمشق ، وبعث إليهم يزيد جنداً يقودهم عبد العزيز بن الحجّاج ، فطلب عاملهم مروان منهم أن يرصدوا البعث الذي قصدهم ، وأن يتركوا محاربة يزيد الآن ، فاتّهمه الحمصيون بالخيانة ، وقتلوه ، وقتلوا ولده ، واشتبك الحمصيّون في معركة مع جيش يزيد ، فتصدّع جيش الحمصيّين ، وانفلّ ، بعد ان قتل منهم ثلثمائة رجل (الطبري ٧/٢٦٢ - ٢٦٦) .

وفي السنة ١٢٦ لما ولي يزيد بن الوليد الخلافة ، دعا الناس إلى بيعته ، فبايعه قيس بن هانيء العبسي ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، اتّق الله ، ودُمْ على ما أنت عليه ، فما قام مقامك أحد من أهل بيتك ، وإن قالوا عمر بن عبد العزيز ، فأنت أخذتها بحبل صالح ، وأخذها عمر بحبل سوء ، فبلغ مروان بن محمد قوله ، فقال : ما له قاتله الله ، ذمّنا جميعاً ، وذمّ عمر ، فلما ولي مروان في السنة ١٢٧ بعث رجلاً ، وقال له : إذا دخلتَ مسجد دمشق ، فانظر قيس بن هانيء ، فاقتله ، فانطلق الرجل ، فدخل مسجد دمشق ، فرأس قيساً يصلّي ، فقتله (الطبري ٧/٢٦٩ و٢٧٠) .

وفي السنة ١٢٦ لما بويع يزيد بن الوليد بالخلافة ، ولّى منصور بن جمهور على العراق ، فاستتر يوسف بن عمر الثقفي ، الذي كان عاملاً على العراق ، ثم فرّ إلى البلقاء ، فبعث إليه يزيد أحد قوّاده لاعتقاله ، فوجدوه قد اختبأ بين نسائه تحت قطيفة خزّ قد أخفينه تحتها ، وجلسن على حواشيها حاسرات ، فجرّوا برجله ، وأقبلوا به إلى يزيد ، فلقيه في الطريق أحد

أصحاب الحرس ، فأخذ بلحيته فهزّها ونتف بعضها ، وكان من أعظم الناس لحية ، وأقصرهم قامة ، فأدخلوه على يزيد ، فقبض على لحية نفسه ، وكانت تجوز سرّته ، وجعل يقول : نتفت يا أمير المؤمنين لحيتي ، فما بقيت منها شعرة ، فأمر به يزيد فحبسه في الخضراء ، ثم نقل إلى سجن الشام ، فلما قدم مروان الشام ، قام يزيد بن خالد القسري بقطع عنق يوسف ، انتقاماً لأبيه (الطبري ٧/٢٧٤ ـ ٢٧٥) .

وفي السنة ١٢٧ شخص مروان الجعدي إلى الرقّة ، لتوجيه ابن هبيرة إلى العراق لمحاربة الضحّاك بن قيس الشيباني الخارجي ، فاستأذن سليمان بن هشام من مروان ، في المقام أيّاماً لإصلاح أمره ، فأذن له ، فأقبل قسم من الجند على سليمان ، ودعوه إلى خلع مروان ومحاربته ، وقالوا له : أنت أرضى منه عند أهل الشام ، وأولى بالخلافة ، فأجابهم ، وخرج إليهم بإخوته ومواليه ، وسار مع من اتّبعه من الجند إلى قنسرين ، وكاتب أهل الشام ، فانفضّوا إليه من كلّ جانب ، فواقعهم مروان ، فانكسر سليمان ، فأمر مروان بقتل الأسرى ، فكان مجموع من قتل في المعركة وبعدها من عسكر سليمان ، ما يزيد على الثلاثين ألفاً ، منهم إبراهيم بن سليمان ، أكبر ولده ، وأسر خالد بن هشام المخزومي ، أحد أخوال هشام بن عبد الملك ، وكان بادناً ، كثير اللحم ، فأدني إليه وهو يلهث ، فقال له مروان : أما كان لك في خمر المدينة وقيانها ، ما يكفّك عن الخروج مع الخرّاء تقاتلني ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه أكرهني ، فأنشدك الله والرحم ، فقال له : وتكذب أيضاً ، كيف أكرهك ، وقد خرجتَ بالقيان والزقاق والبرابط معك في عسكره ، ثم قتله ، ثم شخص مروان الى سليمان وقد تحصّن بحمص ، فلما دنا منهم ، تبايع قسم من عسكر سليمان ، سبعمائة فارس ، على الموت في حرب مروان ، ودخلوا في معركة ضارية مع جند مروان ، بقيادة معاوية السكسكي وثبيت البهراني ، فأسر السكسكي ، فقال لمروان : استبقني ، فإنّي فارس

العرب ، فقال له : كذبت ، الذي أسرك أفرس منك ، وأمر به فأوثق ، وقتل مروان من جند سليمان على حمص نحواً من ستّة آلاف ، ثم صالحوه على أن يمكّنوه من سعيد بن هشام (أخي سليمان) وابنيه عثمان ومروان ، ومن رجل كان يغير على عسكرهم ، ومن حبشيّ كان يشتمه وأمضى لهم الصلح (الطبري ٧/٣٢٣ - ٣٢٧) .

وفي السنة ١٢٨ التحق محارب بن موسى ، مولى بني يشكر ، بعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، وكان محارب عظيم القدر بفارس ، فجاء يمشي في نعلين إلى دار الإمارة باصطخر ، فطرد عامل عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عنها ، وطلب من الناس أن يبايعوه لعبد الله بن معاوية ، وخرج محارب إلى كرمان ، فأغار عليها ، وآنضمّ إلى محارب ، الأمراء والقوّاد من أهل الشام ، فقصد المسيّب ، عامل ابن عمر على شيراز ، فقتله ، ثم خرج إلى إصبهان ، ونافر ابن معاوية ، وقاتل جنده بسابور ، فانهزم محارب ، وأتى كرمان ، فأقام بها ، حتى قدم ابن الأشعث ، فصار معه ، ثم نافره ، فقتله ابن الأشعث ، وقتل معه أربعة وعشرين إبناً له (الطبري ٧/٣٧١ و٣٧٢) .

وفي السنة ١٢٩ بعث يزيد بن هبيرة ، عامل العراقين للأمويّين ، جيشاً لقتال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فالتقوا عند مرو الشاذان ، فآنفلّ جيش ابن معاوية ، وقتل جمع من أصحابه ، وأسر جماعة حملوا إلى يزيد بن هبيرة ، فأمر بالأسرى فأطلقوا ، إلّا حصين بن وعلة السدوسي ، فإنّه أمر بقتله ، فقال له : أقتل من بين الأسراء ؟ قال : نعم ، أنت مشرك ، لأنّك قلت : (الطبري ٧/٣٧٣) .

ولو أمر الشمس لم تشرقِ

وفي السنة ١٢٩ قتل نصر بن سيّار ، أمير خراسان ، جديع بن علي

الكرماني ، الأزدي ، فارس خراسان ، وكان قد خرج على نصر ، ثم صالحه ، ثم اتّفق مع أبي مسلم الخراساني ، فخافه نصر ، وبعث إليه ثلثمائة فارس ، فقتلوه (الاعلام ٢/١٠٤) .

ولما استولى أبو حمزة الخارجي على مكّة والمدينة ، سيّر إليه مروان الجعدي جيشاً على رأسهم عبد الملك بن عطيّة ، فالتقوا عند بئر ميمون ، فقتل أبو حمزة وكثير من أصحابه ، وأسر من أصحابه أربعمائة ، فقال لهم ابن عطيّة : ويلكم ما دعاكم إلى الخروج مع هذا ؟ فقالوا : إنّه ضمن لنا الكنّة ، يريدون الجنّة ، فقتلهم بأجمعهم ، ثم آمتدّ إلى اليمن ، واستخلف على المدينة ابن أخيه الوليد بن عروة ، وكتب مروان الجعدي ، الى عبد الملك بن عطية ، أن يحجّ بالناس ، فخرج من اليمن مخفّاً في نفر من أصحابه ، عددهم إثنا عشر رجلًا ، فلما نزل الجرف أحاط به وبأصحابه إبنا جمانة المراديان ، وقالا لعبد الملك وأصحابه : أنتم لصوص ، فأراهم كتاب الخليفة بتأميره على الموسم فقالا : هذا باطل ، وقتلوا عبد الملك ومن معه ، فلما أبطأ عبد الملك ، افتعل ابن اخيه الوليد بن عروة ، كتاباً من عمّه يأمره بالحجّ بالناس ، وحجّ بهم ، ولما بلغه قتل عمه ، مضى إلى الذين قتلوه ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبقر بطون نسائهم ، وقتل الصبيان ، وحرّق من قدر عليه منهم (الطبري ٧/٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤١٠ ، ٤١١) .

وفي السنة ١٣٠ بعث أبو مسلم الخراساني ، وهو بمرو ، لاهز بن قريظ التميمي ، يدعو نصر بن سيّار إليه ، فلما رأى لاهز نصراً ، قرأ له آية من القرآن « إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، فآخرج إنّي لك من الناصحين » ففطن نصر ، وقال لغلامه : ضع لي وضوءاً ، يعني ماءً للوضوء ، وقام كأنّه يريد الوضوء ، فدخل بستاناً ، وخرج منه فركب ، وهرب ، وعلم أبو مسلم بما صنع لاهز ، فقال له : يا لاهز ، أتدغل في الدين ؟ وضرب عنقه (الطبري ٧/٣٨٣ - ٣٨٥) .

وفي السنة ١٣٠ دخل أبو مسلم الخراساني مرو ، وبعث إلى نصر بن سيّار ، أمير خراسان ، ففرّ منه ، فأخذ أبو مسلم ثقات نصر ، وصناديدهم ، فكتّفهم ، وفيهم سلم بن أحوز صاحب شرطة نصر ، والبختري كاتب نصر ، وآبنان لنصر ، ويونس بن عبد ربه ، ومحمد بن قطن ، ومجاهد بن يحيى بن حصين ، والنصر بن إدريس ، ومنصور بن عمر ، وعقيل بن معقل الليثي ، وسيّار بن عمر السلمي ، مع رجال من رؤوس مضر ، فاستوثق منهم بالحديد ، وكانوا في الحبس عنده ، واستشار أبا طلحة بشأنهم فقال له : إجعل سوطك السيف ، وسجنك القبر ، فأمر بقتلهم جميعاً ، وكانوا أربعة وعشرين رجلاً (الطبري ٧/ ٣٨٤ و٣٨٥ وابن الأثير ٥/ ٣٨١ و٣٨٢) .

وفي السنة ١٣٠ قتل مروان الجعدي ، الشاعر عطية بن الأسود الكلبي لأنّه قال شعراً هجاه به ، وحرّض اليمانيّين على الثورة عليه (الاعلام ٥/ ٣٢) .

وفي السنة ١٣٢ قتل أبو مسلم الخراساني ، سليمان بن كثير ، أحد كبار الدّعاة العباسيّين ، وسبب ذلك إنّ سليمان ساير عبيد الله بن الحسين الأعرج العلويّ ، فقال سليمان للأعرج : يا هذا ، إنّا كنّا نرجو أن يتمّ أمركم ، فإن شئتم فآدعونا إلى ما تريدون ، فظنّ عبيد الله إنّه دسيس من أبي مسلم ، وخاف ذلك ، فجاء إلى أبي مسلم ، وحدّثه بما قال سليمان ، فبعث أبو مسلم إلى سليمان ، وقال له : أتحفظ قول الإمام لي ، من آتّهمته فآقتله ؟ قال : نعم ، قال : فإني قد آتّهمتك، قال : أنشدك الله ، قال : لا تناشدني الله وأنت منطوٍ على غشّ الإمام ، وأمر بضرب عنقه (الطبري ٧/ ٤٥٠) .

وفي السنة ١٣٢ كان في حبس مروان بحرّان ، سعيد بن هشام بن عبد الملك ، وابناه عثمان ومروان ، وإبراهيم بن علي بن عبد الله بن العباس ، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، والعبّاس بن الوليد ، وأبو محمد السفياني ، واسمه زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وكان يقال له

البيطار ، فهلك منهم بالوباء العباس بن الوليد ، وإبراهيم بن محمد ، وعبد الله بن عمر ، فلما كانت وقعة الزاب ، وانكسر مروان ، خرج سعيد بن هشام ومن معه من الحبس ، وقتلوا صاحب السجن ، وتخلّف أبو محمد السفياني في الحبس ، فاجتمع أهل حرّان ، وقتلوا سعيد بن هشام ، وشراحيل بن مسلمة بن عبد الملك ، وعبد الملك بن بشير التغلبي ، وبطريق ارمينية الرابعة ، واسمه كوشان ، رمياً بالحجارة ولم يخرج السفياني فيمن خرج ، ولم يلبث مروان بعد قتلهم إلا خمس عشرة ليلة ، وقدم حرّان منهزماً ، فأطلق أبا محمد ، وبقيّة من كان في حبسه (الطبري ٧/٤٣٦) .

وفي السنة ١٣٢ وجّه أبو مسلم محمدَ بن الأشعث على فارس ، وأمره أن يأخذ عمّال أبي سلمة ، فيضرب أعناقهم ، ففعل ذلك (الطبري ٧/٤٥٨) .

وفي السنة ١٣٢ قام العباسيون بمذبحة عامّة للأمويين ، فأبادوا منهم خلقاً ، وتولّى كبر ذلك عبد الله بن علي ، عمّ السفاح ، فإنّه قتلهم قتلاً ذريعاً في حران ، وفي دمشق ، والبلقاء ، وقتل على نهر أبي فطرس بضعاً وثمانين رجلاً ، فيهم الغمر بن يزيد بن عبد الملك ، وبعث قسماً ممن قبض عليهم من بني أميّة إلى أبي العبّاس السفّاح ، فقتلهم ، وصلبهم بالحيرة ، وكان ممن قتلهم عبد الله بن علي بدمشق يزيد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان ، وعبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، فإنّه قتلهما وصلبهما ، وقتل بالبلقاء سليمان بن يزيد بن عبد الملك ، وتتبّع عبد الله ، بني أميّة من أولاد الخلفاء وغيرهم ، ولم يفلت منهم إلاّ الرضيع ، أو من فرّ إلى الأندلس ، وقتل عبد الصمد بن علي نحواً مما قتل أخوه عبد الله ، وقتل داود بن علي من ظفر به من بني أميّة بمكّة والمدينة (مروج الذهب ٢/١٩٤ وابن الأثير ٥/٤٣١ و٤٤٨) وقال أبو سعيد مولى فائد ، يرثي من قتل من بني أميّة ، ويذكر مواضع مصارعهم : (معجم البلدان ٤/٣٣٦) .

أفـاض المـدامـع قتلى كـدا   وقـتـلى بـكـشـوة لـم تـرمس
وقـتلى بـوجّ وبـالـلابـتـين   وأخـرى بنهـر أبـي فـطرس
أولئـك قـومي أنـاخت بهم   نـوائـب مـن زمـن مـتـعس
هم أضرعوني لـريب الزمـان   وهم ألصقوا الرغم بـالمعطس

وفي السنة ١٣٢ دخل شبـل بن عبد الله الشـاعر ، مـولى بني هاشم ، على عبـد الله بن علي العباسي ، عمّ السفـاح ، وعنده نحـو تسعين رجلاً من بني أميّة على الطعام ، فأنشده :

أصبـح الملك ثابت الآسـاس   بـالبهـاليـل من بني العبّـاس
طلبـوا وتـر هـاشمٍ فشفـوهـا   بعـد ميـل من الـزمـان ويـاس
لا تقيلنّ عبـد شمسٍ عثـاراً   وآقـطعن كـلّ رقلة وغـراس
وآذكروا مصرع الحسين وزيداً   وقتيـلاً بجـانب الـمهـراس
والامـام الذي بحـرّان أضحى   ثـاويـاً بين غـربـة وتنـاسي

فـأمر بهم عبـد الله ، فضربـوا بالعمـد ، حتى قتلوا ، وبسط الأنطاع ، فأكل طعامه ، وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا . (ابن الأثير ٥/ ٤٣٠) .

أقـول : علّق ابن الأثير ٥/٤٣١ على القصّـة بقـولـه : قيـل إنّ سـديف الشاعر أنشد هذا الشعر أمام السفّاح ، ومعه كانت الحادثة وهو الـذي قتلهم ، وكـذلـك ذكـر البيهقي في المحـاسن والمسـاوىء ٢/٦٢ ، ويتـراءى لي أنّ الحـادثة كـانت أمام السفـاح ، أمّا الشـاعر فهـو شبـل بن عبـد الله مـولى بني هاشم ، وهو قد أثبت اسمه في البيت الأخير من المقطوعة حيث قال :

نعم كلب الهـراش مـولاك شبـلٌ   لـو نجـا من حبـائـل الإفـلاس

أمّا سديف ، فهو صاحب الأبيـات التي قتلت سليمان بن هشـام بن عبد الملك ، وكـان سليمان قـد بايـع مروان الجعـدي ، ثم خرج عليـه في السنـة ١٢٧ وجمع سبعين ألفاً وعسكر بقنسرين ، فحاربه مروان ، وفلّ جيشه ، فلجأ

إلى حمص ، ومني هناك بهزيمة ثانية ، فانصرف إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بالعراق ، حيث بايع الضحّاك بن قيس الشيباني الخارجي ، ولما هلك الضحّاك في السنة ١٢٩ انصرف سليمان إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وبايعه ، ولما فسد أمر عبد الله ، ركب سليمان ومن معه من أهله السفن وسار إلى السند ، ولما ولي السفّاح الخلافة ، قصده سليمان ، وحضر عنده ، فأكرمه ، وأعطاه يده فقبّلها ، فقام سديف وأنشد السفّاح أبياتاً منها :

لا يغرّنك ما ترى من رجالٍ إنّ تحت الضلوع داءً دويّا
فضع السيف وآرفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

فأقبل سليمان على سديف ، وقال له : قتلتني يا شيخ ، وقام السفّاح فدخل ، وأخذ سليمان ، فقتل (ابن الأثير ٥/٣٣٧ ، ٣٥٥ ، ٣٧١) .

وفي السنة ١٣٢ قتل سليمان بن علي ، أمير البصرة ، جماعة من بني أميّة ، كانت عليهم الثياب الموشّية ، وأمر بهم فجرّوا بأرجلهم ، وألقوا في الطريق ، فأكلتهم الكلاب (ابن الأثير ٥/٤٣١) .

وتقلّد شاب عراقي ، من موالى السفّاح ، مدينة حمص ، فلما وافاها ، عمد إلى دار رئيس من رؤسائها ، فذبحه وذبح جماعة من غلمانه .

ذكر مصقلة الحمصي ، عن مشايخ من أهل حمص ، قالوا : كان يسكن حمص ، شاب من أهل العراق حسن الصورة ، ليّن العريكة ، فأقام مدّة ، حتى صار الأمر لبني العباس ، فتقلّد ذلك الفتى حمص ، وكان مولى من موالي أبي العبّاس (السفّاح)، فلما دخلها ، قصد إلى دار رئيس كان بها من أصحاب بني أميّة ، فذبحه فيها ، وجماعة من غلمانه ، ثم خرج ، فأحسن السيرة ، وألان الجانب ، فقيل له : ليس يشبه ما أنت عليه ، ما فرط منك إلى الرجل الذي ذبحته وشمله ، فقال : اسمعوا منّي ما جرى على

علّته ، إجتزت به ، وقد نظّفت أثواباً لا أملك غيرها ، وقد دعيت لأمرٍ لا يسعني التأخّر عنه ، احتاج فيه إلى حسن الهيأة وإظهار التجمّل ، ومعي رسول من استحضرني ، وهو قاعد على الباب ، فراثت دابتي بحيث تقع عينه من رحبة مبلطة لداره ، فأمصّني (أي قال لي يا ماصّ بظر أمّه) ، وأمر غلمانه بترجيلي ، وضربي ، فركبتني أيديهم ، ثم حلف ألّا أبرح حتى أكنس روث دابتي بيدي في كمّي ، وأحمله في ثوبي وحجري ، وأخذت فجررت إلى ذلك ، ولم تزل حاشيته تضحك مما نزل بي ، فحدّثت مولاي بما جرى ، فآستحلفني بحقّه على غليظ ما أتيته إليه (المكافأة ١٢٦ و١٢٧) .

وفي السنة ١٣٣ خرج على أبي مسلم ، شريك بن شيخ المهري ، ببخارى ، وقال : ما على هذا آتّبعنا آل محمد ، على أن نسفك الدماء ، ونعمل بغير الحقّ ، وتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفاً ، فوجّه إليه أبو مسلم جنداً فقتلوه (الطبري ٧/٤٥٩) .

وفي السنة ١٣٣ قتل عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان ، وكان قد خرج على مروان بن محمد المعروف بمروان الجعدي ، ومروان الحمار ، فقبض عليه ، وحبسه بالفسطاط ، فلما قتل مروان ، فرّ عمرو من الحبس ، فطلبه صالح بن علي العباسي ، وظفر به ، فقتله (الاعلام ٥/٢٤٧) .

وفي السنة ١٣٤ بعث أبو العبّاس السفّاح جنداً إلى السند ، لقتال منصور بن جمهور ، فلاقاه ، وحاربه ، وكان منصور في اثنى عشر ألفاً ، فهزمه ومن معه ، ومضى فمات عطشاً في الرمال (الطبري ٧/٤٦٤) .

وفي السنة ١٣٤ خلع بسّام بن إبراهيم ، فوجّه إليه السفّاح ، القائد خازم بن خزيمة ، فانهزم بسّام ، وإستبيح عسكره ، فاتّبعه خازم ، ومرّ في طريقه بذات المطامير ، وبها أخوال السفّاح ، من بني عبد المدان ، فمرّ بهم في مجلسهم ، فلم يسلّم عليهم ، فلما جاز شتموه ، فعاد وقتلهم وآنتهت أموالهم ،

وبلغ اليمانيّين ما صنع خازم ، فشكوه إلى أبي العبّاس السفّاح ، فهمّ بقتل خازم ، فكلّمه بعض حاشيته ، وقالوا : إنّ صمّمت على قتله ، فابعثه في البعوث المخوفة ، فإن ظفر كان ظفره لك ، وإن قتل ، فهو الذي أردت ، فبعثه مع سبعمائة إلى الخوارج بعمان ، فأوقع بهم ، وقتل من أصحاب خازم عدد كبير ، وكان النصر من نصيبه ، فقتل منهم عشرة آلاف ، بعث برؤوسهم إلى البصرة ، فحملت إلى السفّاح (الطبري ٧/٤٦١ - ٤٦٣) .

وفي السنة ١٣٥ قتل سباع بن النعمان الأزدي ، أحد القائمين بالدعوة العبّاسية ، ولّاه أبو مسلم الخراساني سمرقند ، لما تغلّب على خراسان ، فاستقرّ فيها إلى أن ظهر السفّاح، وبويع، فاشتبه به أبو مسلم أنّه يريد أن يثب عليه ، فاعتقله ، وحبسه بآمل ، ثم أوعز إلى عامل آمل أن يقتله ، فقتله . (الاعلام ٣/١١٩) .

ولما خرج عبد الله بن علي العباسي ، على ابن أخيه المنصور ، مطالباً بالخلافة ، وادّعى أنّ أبا العباس السفّاح ، طلب منه أن ينتدب لقتال مروان ، على أن يكون وليّ عهده ، بعث المنصور محمد بن صول إلى عبد الله بن علي ، ليمكر به ، فلما أتاه ، قال : أشهد أنّي سمعت أبا العبّاس يقول : الخليفة بعدي عمّي عبد الله ، فقال له عبد الله : كذبتَ ، إنّما وضعك أبو جعفر ، وضرب عنقه (ابن الأثير ٥/٤٦٥) .

وفي السنة ١٣٧ قتل المنصور ، أبا مسلم الخراساني ، وقد كانت له اليد الطولى في بناء الدولة للعباسيّين ، ثم بدرت منه بوادر ، غرست الشكوك في قلب المنصور ، فدبّر له من يفتك به في مجلسه ، ولما دخل عليه ، أخذ في تعداد ما عاب عليه من تصرّفاته ، ثم صفق بيديه ، وكانت هذه الإشارة ، إيذاناً بالفتك به ، فخرجوا ووضعوا عليه سيوفهم فقتلوه . (ابن الأثير ٥/٤٦٨ - ٤٧٨) .

وروى صاحب الفخري (ص ١٧٠) كيفية قتل أبي مسلم ، قال : لما دخل أبو مسلم على المنصور ، ساعة وصوله ، أدناه وأكرمه ، وأمره أن يعود إلى خيمته ، ويستريح ، ويدخل الحمّام ، ويعود من الغد ، فمضى ، وأعدّ له المنصور جماعة من أصحابه خلف الستور ، بأيديهم السلاح ، وأوصاهم انّه إذا صفق بيديه ، أن يخرجوا ويقتلوا أبا مسلم ، فلما دخل عليه أبو مسلم ، شرع في توبيخه ، وتقريعه على ذنب ذنب ، وأبو مسلم يعتذر عن كلّ واحد بعذر ، فعدّد عليه عدّة ذنوب ، فقال أبو مسلم : يا أمير المؤمنين ، مثلي لا يقال له هذا ، ولا تعدّد عليه مثل هذه الذنوب بعد أن فعلتُ ما فعلتُ ، فاغتاظ المنصور ، وقال له : يا ابن اللخناء ، أنت فعلت هذا ؟ والله ، لو كانت مكانك أمة سوداء لفعلَتْ ما فعلْتَ ، وهل نلتَ ما نلتَ الا بنا وبدولتنا ، فقال أبو مسلم : دع هذا ، فقد أصبحت لا أخشى غير الله ، فصفق المنصور بيده ، فخرج أولئك النفر ، وخبطوه بالسيوف ، فصاح : استبقني يا أمير المؤمنين لعدوّك ، فقال المنصور : وأيّ عدوّ أعدى لي منك ، ثم أمر به فكفّ في بساط .

وفي السنة ١٣٨ خرج بالأندلس عامر بن عمرو بن وهب القرشي ، على يوسف بن عبد الرحمان الفهري ، واحتلّ سرقسطه ، فقصده يوسف ، فقبض أهل سرقسطة على عامر وعلى ولده وهب ، وأسلموهما إلى يوسف ، فقتلهما . (الاعلام ٤/٢٣) .

وفي السنة ١٣٨ خرج على المنصور أحد قوّاده ، جهور بن مرار العجلي ، فوجّه إليه المنصور محمد بن الأشعث الخزاعي ، فانكسر جيش جهور ، وقتل من أصحابه خلق كثير ، ولحق جهور بأذربيجان ، فأخذ ، وقتل (الطبري ٧/٤٩٧) .

وقتل المنصور العباسي ، رجلًا عفيفاً نزيهاً ، من أهل الكوفة ، اسمه الفضيل بن عمران وكان قد ضمّه إلى ولده جعفر ، فسعت به حاضنة جعفر

إلى المنصور ، واتّهمته بأنّه يعبث بجعفر ، فأرسل المنصور اثنين من أتباعه ، وأمرهما بقتل الفضيل فقتلاه (الطبري ٨/ ٩٩ و١٠٠) راجع تفصيل القصّة في هذا الكتاب في الباب الأوّل : الشتيمة ، في الفصل الخامس : الرفث في الشتيمة .

وفي السنة ١٤٠ قتل أبو المغيرة ، خالد بن كثير ، أحد كبار القوّاد العبّاسيّين ، قتله أمير خراسان للمنصور ، عبد الجبار بن عبد الرحمن ، اتّهمه بالدعوة للعلويين (الاعلام ٢/ ٣٣٩) .

وفي السنة ١٤٠ قتل عبد الجبار بن عبد الرحمن ، أمير خراسان للمنصور ، مجاشع بن حريث الأنصاري ، أحد كبار العمّال ، اتّهمه بالتشيّع لأولاد الإمام علي (الاعلام ٦/ ١٥٩) .

وفي السنة ١٤٠ جيّش بيوسف الفهري ، الذي كان أميراً على الأندلس جيشاً ، وقصد إشبيلية وعليها عامل لعبد الرحمن الداخل ، فاقتتل الجيشان ، وهزم جيش يوسف ، وقتل يوسف ، وجيء برأسه إلى عبد الرحمن ، وكان عنده عبد الرحمن بن يوسف رهينة ، فقتله ، ونصب رأسه مع رأس أبيه (ابن الأثير ٥/ ٤٩٩) .

أقول : أورد صاحب نفح الطيب خبر مقتل يوسف الفهري وولده بتفصيل أكثر ، ولكنه جعله من أخبار السنة ١٤٢ قال : وفي السنة ١٤٢ تحرّك يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، على عبد الرحمن الداخل بالاندلس ، وآشتبك يوسف وعبد الملك بن عمير ، أمير إشبيلية ، وانكسر يوسف ، فمرّ يريد طليطلة ، فلاقاه عبد الله بن عمرو الأنصاري ، وقال : هذا الفهري ، وفي قتله الراحة له ، والراحة منه ، وقتله ، وآحتزّ رأسه ، وقدم به على عبد الرحمن الداخل بقرطبة ، فلما وصل إلى قرطبة ، أمر عبد الرحمن بقتل عبد الرحمن بن يوسف الفهري ، وكان في السجن بقرطبة ، وضمّ راس الإبن إلى

رأس الأب ، ووضعهما على قناتين ، وأشهرهما بباب قصره (نفح الطيب ٣/٣٤ و٣٥) .

وفي السنة ١٤٣ قتل عبد الرحمن الداخل ، بإشبيلية ، رزق بن النعمان الغسّاني من أمراء الأندلس ، وكان قد خاصمه وقاومه ، واحتلّ إشبيلية ، فحصره عبد الرحمن فيها ، فأسلمه أهلها إليه ، فقتله . (الاعلام ٣/٤٥) .

وفي السنة ١٤٤ ثار بطليطلة ، هشام بن عذرة الفهري ، على عبد الرحمن الداخل ، فسار إليه عبد الرحمن ، وشدّد عليه الحصار ، فمال إلى الصلح ، وأعطاه ابنه أفلح رهينة ، فأخذه عبد الرحمن وعاد إلى قرطبة ، فعاد هشام الى الخلع ، وعاد إليه عبد الرحمن ، وحاصره ، ونصب عليه المجانيق ، فلم تؤثّر في طليطلة ، لحصانتها ، فقتل ولده أفلح ، ورمى إليه رأسه في المنجنيق ، وعاد إلى قرطبة (ابن الأثير ٥/٥٢٧ و٥٢٨) .

وفي السنة ١٤٤ غضب أبو الأزهر ، أحد قوّاد المنصور ، على مدنيّ ، فبعج بطنه بسيفه فقتله ، وسبب ذلك ، إنّ المنصور العباسي ، غضب على زياد بن عبيد الله الحارثي ، عامله على المدينة ، لأنّه لم يستطع القبض على محمد بن عبد الله بن الحسن ، الملقّب بالنفس الزكية ، وعلى أخيه إبراهيم ، فوجّه المنصور أبا الأزهر ، أحد قوّاده وأمره بشدّ زياد في الحديد ، ومصادرة أمواله ، وقبض جميع ما وجد له ، وأخذ عمّاله ، وإشخاصه وإيّاهم إلى العراق ، فقدم أبو الأزهر ، وقام بما أمره به ، وكبّل زياداً بأربعة كبول ، وحدث أن كان أبو الأزهر راكباً ، فلصق به رجل ، فقال : إنّ عندي نصيحة في محمّد وإبراهيم ، فقال له أبو الأزهر : إذهب عنّا ، قال : إنّها نصيحة لأمير المؤمنين ، فكرّر عليه أبو الأزهر : إذهب عنّا ، ويلك قد قتلنا الخلق ، قال : فأبى أن ينصرف ، فتركه أبو الأزهر ، حتى خلا الطريق ، ثم بعج بسيفه بطنه بعجة ألقاه ناحية (الطبري ٧/٥١٧ ـ ٥٣٠) .

وفي السنة ١٤٥ لما خرج محمد بن عبد الله (النفس الزكية) على المنصور ، واعتقل أمير المدينة رياح بن عثمان المرّي ، عمد صاحب شرطة محمد ، واسمه إبراهيم بن خضير ، إلى رياح ، فذبحه ، ولم يجهز عليه ، وتركه يضطرب حتى مات . (العيون والحدائق ٣/٢٤٤) .

وفي السنة ١٤٥ قتل المنصور عثمان بن محمد الزبيري ، وكان قد خرج على المنصور مع النفس الزكيّة ، بالمدينة ، فلما قتل محمد ، لجأ إلى البصرة فقبض عليه ، وحمل إلى المنصور ، فقتله . (الاعلام ٤/٣٧٦) .

وكان محمد بن عبد الملك بن مروان ، الذي ولي مصر لأخيه هشام ، من جملة من ظفر بهم عبد الله بن علي في السنة ١٤٥ وذبحه صبراً . (الوافي بالوفيات ٤/٣١) .

وفي السنة ١٤٦ خرج عبد الرحمن الداخل ، لملاقاة العلاء بن مغيث اليحصبي ، وكان قد ثار بباجة ، ودعا للمنصور العباسي ، ولبس السواد ، شعار العباسيّين ، فحاربه عبد الرحمن بجهة إشبيلية ، وهزمه ، وجيء به ، وبكبار أصحابه ، فقطع يديه ورجليه ، ثم ضرب عنقه وأعناق أصحابه ، وأمر فقرّطت الصكاك (البطاقات) في آذانهم بأسمائهم ، وأودعت الرؤوس في جوالق ، ومعها اللواء الأسود (العبّاسي) وأنفذ بالجوالق تاجراً من ثقاته ، وأمره أن يضعه بمكّة أيّام الموسم ، ففعل ، ووافق أبا جعفر المنصور قد حجّ ، فوضعه على باب سرادقه (نفح الطيب ٣/٣٦) .

وفي السنة ١٤٧ هجم خدم محمد بن أبي العبّاس السفّاح ، على أحد رجال حرس المنصور ، فقتلوه ، وسبب ذلك إنّ المنصور كان قد ولّى ابن أخيه محمد بن أبي العباس السفّاح ، البصرة ، ووجّه معه بجماعة من المجّان ، فأقاموا معه بالبصرة ، يظهر منهم المجون ، أراد بذلك أن يبغّضه للناس ، ثم أرسل المنصور رسولاً الى الخصيب المتطبّب يأمره أن يتوخّى قتل

محمد بن أبي العبّاس ، فصنع سمّاً قاتلاً ، ثم انتظر علّة تحلّ بمحمد ، فوجد حرارة، فأوصاه الطبيب الخصيب بأن يأخذ شربة دواء، فطلب منه محمد، أن يهيّئها له ، فهيّأها ، وجعل فيها ذلك السمّ ، ثم سقاه إيّاها ، فمات منها ، فكتبت بذلك أمّ سلمة ، الى المنصور ، تعلمه أنّ الخصيب قتل آبنها ، فكتب المنصور يأمر بحمله إليه ، فلما صار إليه ضربه ثلاثين سوطاً ، ضرباً خفيفاً ، وحبسه أيّاماً ، ثم وهب له ثلثمائة درهم (الطبري ٨/٨٦) ولما مات محمد ، صاحت امرأته البغوم بنت علي بن الربيع : واقتيلاه ، فضربها رجلٌ من الحرس على عجيزتها بجلويز (فارسية : المقود) ، فتعاوره خدم محمد فقتلوه ، وطلّ دمه (الطبري ٨/٢٥) .

وفي السنة ١٥٠ خرج أستاذ سيس على المنصور في جيوش عظيمة ، فبعث إليه المنصور أجشم المروزي ، فقتل أجشم وآستبيح عسكره ، فبعث لحربه خازم بن خزيمة ، فالتحم مع أستاذ سيس في معركة قتل فيها سبعون ألفاً ، وأسر أربعة عشر ألفاً فضرب أعناقهم (الطبري ٨/٣١ وتاريخ الخلفاء ٢٦٢) .

وفي السنة ١٥١ كان معن بن زائدة الشيباني ، ببست ، وهو أمير سجستان ، فهجم عليه خوارج ، وهو في بيته يحتجم ، ففتكوا به ، وشقّ بعضهم بطنه بخنجر ، فقتلهم ابن أخيه يزيد بن مزيد ، ولم ينج منهم أحد (ابن الأثير ٥/٦٠٦) .

وفي السنة ١٥٤ غضب المنصور على وزيره أبي أيّوب المورياني ، فاعتقله ، وعذّبه ، وصادره وقتله ، وقتل معه أخاه ، وآبني أخيه ، راجع حاشية القصّة ٨/٥٨ كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي تحقيق المؤلّف .

وفي السنة ١٥٥ قبض محمد بن سليمان العبّاسي ، عامل المنصور على

الكوفة ، على عبد الكريم ابن أبي العوجاء ، وهو خال معن بن زائدة الشيباني ، فضرب عنقه ، لاتّهامه إيّاه بالإلحاد (الطبري ٨/٤٨) .

وفي السنة ١٥٦ ثار أهل إشبيلية على عبد الرحمن الداخل ، فبعث إليهم ابن عمّه عبد الملك بن عمر لحربهم ، فلما قارب عبد الملك إشبيلية ، قدّم ابنه أميّة ليعرف حالهم ، فرجع إلى أبيه ، فلامه أبوه على إظهار الوهن ، وقام إليه فضرب عنقه ، وجمع أهل بيته وخاصّته ، وقال لهم : طردنا من المشرق ، إلى أقصى هذا الصقع ، ونحسد على لقمة تبقي الرمق ، إكسروا جفون السيوف ، فإمّا موت وإمّا ظفر ، ففعلوا ، وحمل بين أيديهم ، فظفر (ابن الأثير ٦/٩ و١٠) .

وفي السنة ١٥٨ بعد وفاة المنصور العباسي ، فتح ولده المهدي باباً أفضى إلى أزج كبير ، فيه جماعة من قتلى الطالبيّين ، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم ، وإذا فيهم أطفال ، وشباب ، ومشايخ ، عدّة كبيرة ، فارتاع المهدي ، وأمر ، فحفرت لهم حفيرة ، فدفنوا فيها ، وعمل عليهم دكّان (دكّة) (الطبري ٨/١٠٥) .

وفي السنة ١٦١ قتل المهدي محمداً ابن وزيره أبي عبيد الله ، بتهمة الزندقة ، وكان الذي دسّ عليه عند المهدي ، الربيع الحاجب ، إتّهمه ببعض حرم المهدي ، فأحضره ، وطلب منه أن يقرأ آيات من القرآن ، فاستعجم عليه ، فأمر أباه أن يتقدّم إليه ، فيضرب عنقه ، فنهض الأب ، فعثر ، فقال العبّاس بن محمد ، إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تعفي الشيخ ، ففعل ، وأمر به فأخرج ، فضربت عنقه (الطبري ٨/١٣٩) .

أقول : أسلفت في موضع آخر من هذا الكتاب ، أنّ الزندقة ، ليس لها حدّ في اللغة ، ولعلّ اقرب تحديد لها ، أنّها الانحراف عن الطريق السويّ ، وقد آبتدع الإتّهام بالزندقة ، من أجل أن يقتل أصحاب السلطان من يريدون

قتله من اقرب السبل ، ولذلك فإنّ من جملة ما قرّروه ، أنّ من ألصقت به هذه التهمة لا تقبل توبته ، وفي هذه القصّة مصداق لما أوردنا ، فإنّ جهل الإنسان بقراءة القرآن لا يعتبر جرماً يستوجب من أجله أن يقتل ، وقد أورد الطبري في صلب القصّة أنّ الربيع الحاجب ، وكانت صناعته الدسّ ، دسّ على هذا الفتى ابن الوزير عند المهدي ، واتّهمه ببعض حرم المهدي ، فأدّى ذلك إلى اتّهامه بالزندقة ، وقد ذكر بعض المؤرخين ، أنّ المهدي بلغه عن ابنة وزيره ، وهي أخت الفتى ، جمال ، فأمر جاريته الخيزران أن تستزيرها ، فزارتها ، ودخلت وإيّاها الحمّام ، فهجم المهدي عليهما ، فتستّرت بالخيزران ، واحتمت بها منه ، وعادت فأبلغت أخاها ، بما كان من المهدي ، فطلب منها بعد حين ، ان تستزير الخيزران ، فزارتها ، ودخلتا الحمّام ، فدخل الفتى عليهما ، وقال للخيزران : هذه بتلك ، وإن كنت لا أستحل هذا ، ثم كرّ راجعاً ، وعلم المهدي بما حدث ، فكانت عاقبته تهمة الزندقة التي أوردته المنون .

وروى لنا أبو العتاهية ، إنّ المهدي حبسه في سجن الجرائم ، فوجد في السجن الرجل المسمّى حاضراً داعية عيسى بن زيد العلوي ، وإنّ المهدي أحضرهما أمامه ، وسأل حاضراً عن عيسى بن زيد وأراد أن يدلّه على موضع آستتاره ، فقال له : ما يدريني أين عيسى بن زيد ، طلبتَه ، وأخفتَه ، فهرب منك في البلاد ، وأخذتني فحبستني ، فمن أين أقف على موضع هارب منك ، وأنا محبوس ، فقال له : والله لتدلّني عليه أو لأضربنّ عنقك الساعة ، فقال له : إصنع ما بدالك ، أنا أدلّك على ابن رسول الله لتقتله ، وألقى الله ورسوله يطالباني بدمه ؟ والله لو كان بين جلدي وثوبي ما كشفت عنه ، فأمر به المهدي ، فضربت عنقه ، راجع التفصيل في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي في القصة رقم ١٧٣ ج ٢ ص ١١٦ ـ ١١٩ .

وفي السنة ١٦١ قبض على عبد الله بن مروان الجعدي بالشام ، فحمل

الى المهدي ، فحبسه بالمطبق ، وجاء عمرو بن سهلة الأشعري ، فادّعى على عبد الله إنّه قتل أباه ، وحاكمه عند القاضي ، وفي خلال المرافعة جاء عبد العزيز بن مسلم العقيلي الى القاضي ، وقال : زعم عمرو بن سهلة أنّ عبد الله قتل أباه ، وكذب ، والله ، ما قتل أباه غيري ، أنا قتلته بأمر مروان ، وعبد الله بريء من دمه ، فترك عبد الله ، ولم يعرض المهدي لعبد العزيز ، لأنّه قتله بأمر مروان (ابن الأثير ٦/٥٤ و٥٥) .

أقول : ورد في موضع آخر من هذا الكتاب ان عبد الله حبسه ، السفاح وأطلقه الرشيد .

وفي السنة ١٦٣ أعلن عبد الرحمن الداخل في الأندلس ، عزمه على التجهزّ للخروج إلى المشرق ، لمحو الدولة العبّاسيّة ، فعصى عليه سليمان بن يقظان ، والحسين بن يحيى الأنصاري بسرقسطة ، واشتدّ أمرهما ، فترك ما كان عزم عليه ، وسيّر إليهما في السنة ١٦٤ جيشاً بقيادة ثعلبة بن عبيد ، وبعد معارك عدّة أسر سليمانُ ثعلبة ، وفرّق جيشه ، ثم آستعان بكارلوس ملك الافرنج ، وتعهّد له أن يسلم إليه البلد وثعلبة ، فلما وصل كارلوس ، أسلم إليه ثعلبة ، فأخذه وعاد إلى بلاده ، وسار عبد الرحمن على رأس جيش إلى سرقسطة ، وكان الحسين قد قتل صاحبه سليمان ، ورغب الحسين في الصلح ، وأذعن للطاعة ، فصالحه عبد الرحمن ، وأخذ ابنه سعيداً رهينة ، وعاد عنه وفي السنة ١٦٥ عاد الحسين بن يحيى إلى العصيان بسرقسطة ، فسيّر إليه عبد الرحمن ، غالب بن ثمامة في جند كثيف ، فاقتتلوا ، فأسر جماعة من أصحاب الحسين ، فيهم ولده يحيى ، فسيّرهم إلى الأمير عبد الرحمن ، فقتلهم جميعاً ، وشدّد ثمامة في حصر سرقسطة ، ثم سار عبد الرحمن إلى الحسين بنفسه ، فحصر سرقسطة ، ونصب عليها ستّة وثلاثين منجنيقاً ، وملكها عنوة ، وقتل الحسين أقبح قتلة (ابن الأثير ٦/٦٢ ـ ٦٨) .

وفي السنة ١٦٦ تآمر العلاء بن حميد القشيري ، والمغيرة بن الوليد بن معاوية بن هشام (ابن أخي عبد الرحمن الداخل) وهذيل بن الصميل ، وسمرة بن جبلة ، على خلع عبد الرحمن ، فأنبأه العلاء القشيري بخبرهم ، فقتلهم جميعاً (ابن الأثير ٦/٧٤) .

وفي السنة ١٦٩ قبض الفضل بن صالح العباسي ، أمير مصر على دحية بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ، وقتله ، وكان دحية ممن بايع محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) في السنة ١٤٥ على يد ولده علي الذي قدم مصر في ذلك الحين ، وفي السنة ١٦٧ خرج بصعيد مصر ، ودعا لنفسه بالخلافة ، وعظم أمره ، فسار إليه أمير مصر موسى بن مصعب على رأس جيش ، فظفر دحية بموسى وقتله وفلّ جيشه ، وآستعان دحية بالخوارج والبربر الذين في الواحات ، فأعانوه أوّلاً ، وآنصرفوا عنه آخراً لاختلافهم وإيّاه في أمر الخليفة عثمان ، فضعف أمره ، فاعتقله الفضل بن صالح العبّاسي ، بعد قتال شديد ، وقتله ، وكانت نعم أمّ ولد دحية تقاتل معه في حروبه (ولاه مصر للكندي ١١٣ و١١٤ و١٢٨ ـ ١٣٠ وخطط المقريزي ١/٣٠٨) .

وفي السنة ١٦٩ جيء إلى موسى الهادي ، بأسرى ستّة ، ممن أسر في معركة فخّ التي قتل فيها الحسين بن علي العلوي ، فأمر موسى بالاسيرين الأوّلين فقتلا ، واستبقى الثالث والرابع ، أمّا الخامس والسادس وهما عذافر الصيرفي وعلي بن السابق القلاس الكوفي ، فأمر بهما فقتلا وصلبا بباب الجسر (الطبري ٨/١٩٨) .

ولما قتل الحسين صاحب فخّ في السنة ١٦٩ كان معه إدريس بن عبد الله العلوي ، أبو الأدارسة بالمغرب ، فوقع إلى مصر ، وعلى بريد مصر واضح مولى صالح بن المنصور ، وكان يتشيّع ، فحمل إدريس على البريد إلى المغرب ، فضرب الهادي عنق واضح ، وصلبه (الطبري ٨/١٩٨) .

وكان موسى الهادي ، لما آستخلف ، يريد من هارون أن يخلع نفسه من ولاية العهد ، لتكون لولده جعفر بن موسى ، وأيّده في ذلك بعض القوّاد ، وحدث يوماً أن كان هارون وابن اخيه جعفر بن موسى راكبين ، فبلغا قنطرة من قناطر عيساباذ ، فالتفت القائد أبو عصمة ، وكان مرافقاً لجعفر ، وقال لهارون : مكانك ، حتى يجوز وليّ العهد ، فقال هارون السمع والطاعة للأمير ، ووقف حتى جاز جعفر ، فلما مات موسى ، كان هارون بعيساباذ ، فلما دعي ليقدم إلى بغداد ، أمر بأبي عصمة ، فقطعت عنقه ، وشدّ جمّته في رأس قناة ، وكانت في مقدّمة موكبه الذي دخل به بغداد (الطبري ٨/٢٣٢) .

وفي السنة ١٧١ كان أميراً على الجزيرة للرشيد ، القائد أبو هريرة محمد بن فروخ ، فخرج الصحصاح الخارجي ، وهزم جيش أبي هريرة ، وغلب على ديار ربيعة ، فسيّر إليه الرشيد جيشاً حارب الصحصاح وقتله ، وعزل الرشيد أبا هريرة عن الجزيرة ، ووجّه إليه القائد أبا حنيفة حرب بن قيس ، فحمل أبا هريرة إلى بغداد ، حيث قتله الرشيد (ابن الأثير ٦/١١٢ و١١٤) .

وفي السنة ١٧٨ قتل الفضل بن روح بن حاتم ، أمير إفريقية للرشيد ، قدم إفريقية في السنة ١٧٧ ، فخاصمه أهل إفريقية ، وقاتلوه ، وقتلوه في القيروان (الاعلام ٥/٣٥٤) .

وفي السنة ١٨٠ خرجت المحمّرة بجرجان ، فكتب علي بن عيسى بن ماهان ، أمير خراسان ، بأنّ الذي هيّج ذلك عمرو بن محمد العمركي ، فأمر الرشيد بقتله ، فقتل بمرو (الطبري ٨/٢٦٦) .

وفي السنة ١٨١ عصى القائد مخلد بن مرّة الأزدي ، في إفريقية ، على أميرها محمد بن مقاتل ، والتفّ حوله جمع من الجند ، وحارب ابن مقاتل ، وظفر ابن مقاتل به ، فذبحه (الاعلام ٨/٧٤) .

وفي السنة ١٨٤ قتل الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، عمّه سليمان بن عبد الرحمن ، وكان سليمان قد خرج على أخيه هشام ، ثم اختفى ، وظهر في عهد الحكم ، وجمع الجموع ، فظفر به الحكم ، وقتله (الاعلام ١٨٩/٣) .

وفي السنة ١٨٧ قتل الرشيد ، جعفر البرمكي ، وزيره ، بالعمر الذي عند الانبار ، أرسل مسروراً الخادم ، ليلاً ، وأمره بقتله ، فسأله إمهاله لكي يوصي ، فأمهله ، فتوالت رسل الرشيد على مسرور ، تستحثّه ، فعاد مسرور لمراجعته ، فقال له : يا ماصّ بظر أمّه ائتني برأسه ، قال مسرور : فعدت ، فطلب منّي جعفر ، أن أكرّر مراجعته ، فعدت إليه ، فحذفني بعمود في يده ، وحلف انّه إن لم يأته برأسه ليقتلنّه ، فعاد إليه ، وقطع رأسه ، وأحضره إلى الرشيد ، فأمر أن يقطع بدنه إلى قطعتين ، تنصب كلّ قطعة على جسر ، وأن ينصب رأسه على جسر ، وحبس أباه وإخوته . (ابن الأثير ١٧٥/٦ - ١٧٩) .

وفي السنة ١٨٧ قتل عثمان بن إبراهيم ، أباه إبراهيم بن عثمان بن نهيك ، وكان إبراهيم من رجال دولة الرشيد ، وكان من خلصاء جعفر البرمكي ، فلما قتل الرشيد جعفراً ، جاء عثمان فأوصل الى الرشيد أنّ أباه يبكي جعفراً ، ويتوعّد بقتل قاتله ، واستشهد بخادم لأبيه إسمه نوال ، فأيّد ذلك ، وأراد الرشيد أن يمتحن إبراهيم ، فدعاه ، وتعشّى معه ، وشرب ، فلما انتشى إبراهيم ، قال له الرشيد : يا إبراهيم ، إنّي ندمت على قتل جعفر بن يحيى ندامة ما أحسن أن أصفها ، فما وجدت طعم النوم مذ فارقته ، فلما سمع منه إبراهيم ذلك ، أسبل عبرته ، وقال : رحم الله أبا الفضل ، والله يا سيّدي لقد أخطأتَ في قتله ، وأين يوجد في الدنيا مثله ، فصاح به الرشيد : قم عليك لعنة الله ، يا آبن اللخناء ، فقام ما يعقل ما يطأ ، فانصرف إلى أمّه ، فقال : يا أمّ ، ذهبت والله نفسي ، قالت : كلّا إن شاء الله ، وما

ذاك يا بنيّ ؟ قال : إنّ الرشيد امتحنني بمحنة ، لو كان لي ألف نفسٍ ، ما خرجتُ بواحدة منها ، وبعد ليالٍ قلائل ، دخل عليه ابنه ، فضربه بسيفه ، حتى مات (الطبري ٨/ ٣١٠ـ ٣١٢) .

وفي السنة ١٩١ خرج أبو النداء (قاطع طريق) بالشام ، فوجّه الرشيد في طلبه يحيى بن معاذ ، وعقد له على الشام ، فأسره يحيى في السنة ١٩٢ وقدم به على الرشيد ، وهو بالرقّة ، فقتله (الطبري ٨/٣٢٣ و ٣٣٩) .

أقول : أوردنا في هذا الكتاب ، في ذيل الفصل الأوّل من الباب الثالث « الضرب » في بحث « طرائف عن الضرب » ، قصّة الرجل الذي قصد الخصيب بن عبد الحميد ، عامل مصر ، مستميحاً ، فحرمه ، ولما انصرف أخذه أبو الندى ، وطالبه أن يخرج ما أعطاه الخصيب ، وضربه مائتي مقرعة ، يقرّره على ما ظنّ إنّه ستره عنه ، وقدم الرجل على الخصيب ثانياً ، فلم يعطه شيئاً ، فقال له : جعلت فداك ، تكتب إلى أبي الندى ، إنّك لم تعطني شيئاً ، لئلا يضربني (الملح والنوادر ٢٠١) .

وفي السنة ١٩٨ حصلت وقعة الربض بقرطبة ، حيث كره القرطبيّون الحَكَمَ ، لتشاغله باللهو والصيد والشرب ، ثم قتل جماعة من أعيانهم ، فصاروا يسبّونه ، فعمد إلى عشرة من رؤساء من شتمه فقتلهم ، وصلبهم ، فهاج أهل الربض ، وحصروه في قصره ، فحاربهم الحكم ومعه قسم من جنده ، فانهزم أهل الربض ، وقتل منهم كثيراً ، وأسر منهم جماعة ، وانتقى من الأسرى ثلثمائة من وجوههم ، فقتلهم ، وصلبهم منكّسين (ابن الأثير ٦/٢٩٩ و٣٠٠) .

وقد أوردت في هذا الكتاب ، في الباب الأول « الشتيمة » في الفصل الخامس « الرفث في الشتيمة » قصّة عن الحكم لما حصره أهل الربض في قصره ، فطلب من أحد غلمانه أن يحضر له قارورة الغالية ، فتلكّأ الغلام ،

وقال : يا مولاي ، هذا وقت الغالية ، فقال له : ويلك ، يا ابن الفاعلة ، بم يعرف رأسي اذا قطع ، إن لم يكن مغلّفاً بالغالية (المعجب للمراكشي ٤٥) .

أقول : إذا صحّت القصّة ، فإنها تدلّ على رباطة جأش نادرة المثيل .

وفي السنة ١٩٨ كان عيّاد بن محمد ، قد ولي مصر للمأمون ، فكتب الأمين إلى ربيعة بن قيس الحوفي بولايته على مصر ، ونشبت بين الأميرين معركة ، انتهت بالقبض على عبّاد ، وإرساله إلى الأمين ، فقتله ببغداد . (الاعلام ٤/٢٩) .

وفي السنة ١٩٨ شدّد طاهر بن الحسين ، حصار بغداد ، فأرسل الأمين إلى القائد هرثمة ، يطلب أن يخرج إليه بالأمان ، فأنعم له هرثمة لذلك ، واشتدّ ذلك على طاهر ، وقال : هو في الجانب الذي أنافيه ، وأنا الذي أحرجته بالحصار حتى طلب الأمان ، فلا أرضى أن يخرج إلى هرثمة ، فيكون له الفتح دوني ، وبلغ ذلك هرثمة ، فاجتمع القوّاد في منزل خزيمة بن خازم ، وحضر طاهر وقوّاده ، وهرثمة ، وسليمان بن المنصور ، والسندي ، وأخبروا طاهر ، أنّ الامين لا يخرج إليه ، واتّفقوا على أن يخرج الأمين إلى هرثمة ، وأن تدفع إلى طاهر الخاتم ، والقضيب والبردة ، عدّة الخلافة ، فأجاب إلى ذلك ، ثم بلغه أنّ الأمين وعدّة الخلافة ، ستصرف إلى هرثمة ، فاغتاظ ، وبعث قوماً من أصحابه ، ترصّدوا للأمين ، حتى إذا خرج لينصرف إلى هرثمة ، أمهله حتى ركب في الحرّاقة ، ثم عمد أصحابه إلى الحرّاقة فأغرقوها ، وسقط من فيها إلى الماء ، فسبح الأمين إلى الشاطىء ، وأخذه أصحاب طاهر ، فحبسوه في بيت ، ثم دخل إليه جماعة منهم ، فطرحوه على وجهه ، وذبحوه من قفاه ، وأخذوا رأسه إلى طاهر ، حيث نصبه على برج . (ابن الأثير ٦/٢٨٢ ـ ٢٨٧) .

أقول : يظهر من أبيات اثبتها الإمام الطبري في تاريخه ٨/٤٨٩ ، أنّ جثة الأمين ربطت بحبل ، وجرّت في الطرقات ، قال :

لم يكفه أن حزّ أوداجه ... ذبح الهدايا بمدى الجازر
حتى أتى يسحب أوصاله ... في شطن يفني مدى السائر

وقد سجّل الورّاق عمرو بن عبد الملك العتري ، كثيراً من الوقائع التي حصلت ببغداد في هذا الحصار ، وقد أثبت الإمام الطبري في تاريخه مقطوعات من شعره الذي نظمه في ذكر هذه الوقائع ، وكان ما نظمه من الشعر مرآة صادقة لما حصل في بغداد ، وكان إذا آدلهمّت الخطوب ، وبرّح به القلق ، لجأ إلى الشراب ، يرفّه عن نفسه بعض ما نابها من القلق ، وقال في ذلك : (الطبري ٨/٤٧٥) .

وقائل كانت لهم وقعة ... في يومنا هذا وأشياء
قلت له : أنت امرؤٌ جاهلٌ ... فيك عن الخيرات إبطاء
إشرب ودعنا من أحاديثهم ... يصطلح الناس إذا شاءوا

وكان القائد هرثمة بن أعين ، عظيم الإدلال على المأمون ، لما كان منه في نصيحته له ولآبائه ، وكان قد فارق الحسن بن سهل في السنة ٢٠٠ على نزاع ، وتوجّه إلى خراسان ، فكتب إليه المأمون أن يأتي الشام أو الحجاز ، أميراً ، فأبى ، وأصرّ على التوجّه لخراسان ، فشوّش عليه الفضل بن سهل ذهن المأمون ، فلما دخل عليه هرثمة ، خاشنه المأمون واتّهمه ، فلما ذهب هرثمة ليدافع عن نفسه ، أمر به المأمون ، فديس بطنه ، ووجىء أنفه ، وسحب من بين يديه ، فحبس ، ودسّ إليه الفضل من قتله في الحبس ، وقالوا إنّه مات . (ابن الأثير ٦/٣١٤ و٣١٥) .

وفي السنة ٢٠٠ أسر أبو السرايا ، السريّ بن منصور ، وكان قد أقام بالعراق دولة واسعة المساحة ، قصيرة المدّة ، وكان أبو السرايا من رجال

هرثمة ، فمطله بأرزاقه ، ففارقه ، وبايع محمد بن إبراهيم العلوي بالكوفة ، وحارب جند المأمون ، وانتصر عليهم في معارك ، ثم أسر في آخر معركة ، وحمل إلى الحسن بن سهل ، فأمر بضرب عنقه ، فذكر أنّه لم ير أحدٌ عند القتل أشدّ جزعاً منه ، كان يضطرب بيديه ورجليه ، ويصيح أشدّ ما يكون من الصياح ، حتى جعل في رأسه حبلٌ ، وهو يضطرب ويتلوّى ويصيح ، حتى ضربت عنقه (الطبري ٨/٥٣٥ وتجارب الأمم ٦/٤٢٣) .

وفي السنة ٢٠١ عصى محمد بن أبي خالد القائد على الحسن بن سهل ، وطرد علي بن هشام عن بغداد ، واستولى عليها ، وعلى ما في جنوبها من السواد ، حتى اقترب من واسط ، وفيها الحسن بن سهل وجنده ، وبعث محمد ولده هارون إلى إسكاف بني الجنيد ، ففتحها ، وأسر زهير بن المسيّب عامل الحسن عليها ، وأصعده إلى بغداد ، وحبسه بها عند ولده جعفر بن محمد ، ثم قصد الحسن محمد بن أبي خالد ، واشتبك معه في معركة عنيفة ، كان الظفر فيها للحسن ، وأفلت محمد وبه جراحات ، فحمله ابنه أبو زنبيل حتى أدخله بغداد ، فمات بها من ليلته ، فعمد ولده إلى زهير بن المسيّب فضرب عنقه ، ذبحه ذبحاً ، وأخذ رأسه فبعث به إلى أخيه عيسى بن محمد ، فنصبه على رمح ، وأخذوا جسده ، فشدّوا في رجليه حبلاً ، ثم طافوا به في بغداد ، فلما جنّهم الليل طرحوه في دجلة (الطبري ٨/٥٤٦ - ٥٤٨) .

وفي السنة ٢٠٥ ولي طاهر بن الحسين خراسان للمأمون ، ولما خرج إليها كان ممن خرج معه أسد بن أبي أسد ، فلما كان طاهر بمرو ، احتاج أن يوجّه قوماً الى خوارزم وبخارى ، فسمّي أسد ، فيمن سمّي ليخرج مع القائد الذي أمره بالتوجّه إلى تلك الناحية ، فالتوى أسد ، وكتب إلى طاهر يشتطّ في المسألة والأرزاق ، فوقّع طاهر في كتابه :

لا تكوننّ جاهلاً أنت في البعث يا أسد

فعاوده ، وضرب أصحابه حتى كاد أن يبطل أمر القائد المتوجّه إلى تلك الناحية ، فدعا به ، وقال له : لعلّك تحسب أنّك ببغداد ، أتريد أن تفسد عليّ عملي ، وأمر فضربت عنقه بين يديه (تاريخ بغداد لابن طيفور ٦٦) .

وفي السنة ٢١٠ تآمر إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب العبّاسي ، المعروف بابن عائشة ، ومحمد بن إبراهيم الإفريقي ، ومالك بن شاهي ، وآخرون ، على خلع المأمون ، ونصب إبراهيم بن المهدي ، وسعى بهم أحد من آشترك معهم في المؤامرة ، وهو عمران القطربّلي ، فحبسهم المأمون ، وأرادوا أن ينقبوا السجن ، فبلغ المأمون خبرهم ، فأحضرهم ، وقتلهم صبراً ، وصلب ابن عائشة ، وهو أوّل عبّاسيّ صلب في الإسلام (ابن الأثير ٣٩١/٦ و٣٩٢) .

وفي السنة ٢١٤ تحرّك جعفر بن داود القمّي ، فظفر به عزيز مولى عبد الله بن طاهر ، وردّه إلى مصر ، ثم هرب الى قم ، وخلع بها ، فحاربه علي بن عيسى القمّي ، وأسره ، وبعث به إلى بغداد ، فضربت عنقه (الطبري ٦٢٢/٨ ، ٦٢٦ ، ٦٣٠) .

وفي السنة ٢١٥ قَتَلَ الافشين بمصر ، علي بن عبد العزيز الجردي ، وكان قد أحدث بمصر فتنة ، فأخمدها عبد الله بن طاهر ، وحمل ابن الجردي إلى العراق ، وعاد به الافشين إلى مصر ، على أن يسلّم ما لديه من أموال ، فلما وصل إلى مصر ، لم يؤدّ شيئاً ، فقتله الافشين (الاعلام ١١٣/٥) .

وفي السنة ٢١٦ وثب عبدوس الفهري بمصر ، على عمّال المعتصم (وكانت إليه مصر في أيّام المأمون) فقتل بعضهم ، وفي السنة ٢١٧ دخل المأمون مصر ، وجيء إليه بعبدوس الفهري ، فضرب عنقه (ابن الأثير ٤١٩/٦ و٤٢١) .

وفي السنة ٢١٧ فتك المأمون بعليّ بن هشام ، وأخيه الحسين ، وكان علي من آثر الناس عن المأمون ، خدمه منذ ابتداء أمره إلى أن تمّت خلافته ، واستقام الأمر في يده ، وكان المأمون ولاّه الجبل ، فظلم ، وجار ، وقتل ، وصادر ، فوجّه المأمون إليه عجيف القائد ، فأراد أن يبطش بعجيف ، ويلحق ببابك ، فظفر به عجيف ، وقدم به وبأخيه الحسين ، فأمر بهما فضرب عنقاهما ، وطيف برأس علي بن هشام في بغداد ، وخراسان ، والشام ، والجزيرة ، ثم ذهبوا به إلى مصر ، ثم ألقي في البحر ، وكان المأمون أمر أن تصلب جثّته وتعلّق عليها رقعة ذكر فيها سبب قتله ليقرأها الناس ، وفيها : أمّا بعد ، فإنّ أمير المؤمنين كان دعا عليّ بن هشام فيمن دعا من أهل خراسان أيّام المخلوع ، إلى معاونته والقيام بحقّه ، وكان فيمن أجاب وأسرع الإجابة ، وعاون فأحسن المعاونة ، فرعى أمير المؤمنين ذلك له ، وآصطنعه ، وهو يظنّ به تقوى الله وطاعته ، والإنتهاء إلى أمر أمير المؤمنين في عمل إن أسند إليه في حسن السيرة وعفاف الطعمة ، وبدأه أمير المؤمنين بالإفضال عليه ، فولاّه الأعمال السنيّة ، ووصله بالصلات الجزيلة التي أمر المؤمنين بالنظر في قدرها ، فوجدها أكثر من خمسين ألف ألف درهم ، فمدّ يده إلى الخيانة ، والتضييع لما استرعاه من الأمانة ، فباعده عنه وأقصاه ، ثم استقال أمير المؤمنين عثرته فأقاله إيّاها ، وولاّه الجبل وأذربيجان وكور أرمينية ، ومحاربة أعداء الله الخرمية ، على ألاّ يعود لما كان منه ، فعاود أكثر مما كان بتقديمه الدينار والدرهم على العمل لله ودينه ، وأساء السيرة ، وعسف الرعيّة ، وسفك الدماء المحرّمة ، فوجّه أمير المؤمنين عجيف بن عنبسة مباشراً لأمره ، وراميأ إلى تلافي ما كان منه ، فوثب بعجيف يريد قتله ، فقوّى الله عجيفاً بنيّته الصادقة في طاعة أمير المؤمنين ، حتى دفعه عن نفسه ، ولو تمّ ما أراد بعجيف لكان في ذلك ما لا يستدرك ولا يستقال ، ولكن الله إذا أراد أمراً كان مفعولاً ، فلما أمضى أمير المؤمنين حكم الله ، في علي بن هشام ، رأى أن لا يؤاخذ من خلفه بذنبه ، فأمر أن يجرى لولده ولعياله ، ولمن آتصل

بهم ، ومن كان يجري عليهم ، مثل الذي كان جارياً في حياته ، ولولا أنّ علي بن هشام أراد العظمى بعجيف ، لكان في عداد من كان في عسكره ، ممن خالف وخان ، كعيسى بن منصور ونظرائه ، والسلام (الطبري ٨/٦٢٧ و٦٢٨) .

وفي السنة **٢٢٦** قتل رجاء بن أبي الضحاك الجرجرائي ، صاحب خراج دمشق ، في أيّام المعتصم ، قتله علي بن إسحاق ، نائب صاحب المعونة بدمشق ، راجع القصة مفصّلة في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي تحقيق المؤلف رقم القصة **٢١٩** جـ ٢ ص **٢٩٤ و٢٩٥** .

وفي السنة **٢٣١** قتل الخيفة هارون الواثق ، أحمد بن نصر الخزاعي ، ضربه بالسيف بيده ، وسبب ذلك إنّه أراد الخروج ، وعيّن وأصحابه يوماً لذلك ، واتّفقوا على أن تكون الإشارة بينهم للخروج ، أن يضرب الطبل في موضع معيّن ، وحدث أنّ الموكّل بالطبل سكر قبل الموعد بليلة ، فقام إلى الطبل فضربه ، فلم يجتمع عليه أحد ، وسمع صاحب الشرطة ضرب الطبل ، فبعث من يتحقّق له السبب ، وأخذ رجلاً في الحمّامات اسمه عيسى الأعور ، فأقرّ له بالقصّة ، وسمّى الذين دخلوا مع أحمد بن نصر في المؤامرة ، فأخذ منهم أبو هارون وداره بالجانب الشرقي ، وطالب ، وكانت داره بالجانب الغربي ، وقيّدهما بسبعين رطلاً من الحديد ، ثم أخذ خصيّ لأحمد بن نصر ، فاعترف على سيّده ، فأخذ أحمد ، وإبنان له ، وخصيّان ، ورجل كان يغشاه اسمه إسماعيل بن محمد الباهلي ، فحملوا إلى سامراء على بغال بأكف ، ليس تحتهم وطاء ، وقيّد أحمد بزوج قيود ، فجلس لهم الواثق مجلساً عامّاً ، وناظر أحمد بن نصر ، وحاول ابن أبي دؤاد أن يؤخّر أمره ، حتى يهدأ الواثق ، فقال الواثق : إذا رأيتموني قمت إليه ، فلا يقومنّ أحد معي ، فإنّي احتسب خطاي إليه ، ودعا بالصمصامة ، وبنطع ، فصيّر أحمد في وسطه ، وشدّ رأسه بحبل ، ومدّ الحبل ، فضربه الواثق ضربة ، فوقعت

على حبل العاتق ، ثم ضربه أخرى على رأسه ، ثم انتضى سيما الدمشقي سيفه ، فضرب عنقه ، وحزّ رأسه ، وصلب في الموضع الذي صلب فيه بابك ، وفي رجليه زوج قيود ، وعليه سراويل ، وقميص ، وحمل رأسه إلى بغداد ، فنصب في الجانب الشرقي أيّاماً ، وفي الجانب الغربي أيّاماً ، وجرى تتبّع أصحاب أحمد بن نصر ، فوضعوا في الحبوس المظلمة ، ومنعوا من أخذ الصدقة التي يعطاها أهل السجون ، ومنعوا من الزوّار ، وثقّلوا بالحديد (الطبري ٩/١٣٥ ـ ١٣٩) .

وفي السنة ٢٣٧ وثب أهل أرمينية بعاملهم يوسف بن أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري ، فقتلوه ، وقتلوا كلّ من قاتل معه ، ومن لم يقاتل أمروه أن يتعرّى وينجو بنفسه ، فمات كثير منهم من البرد ، وسقطت أصابع قسم منهم ، فبعث إليهم الخليفة القائد بغا ، فتتبّع قتلة يوسف وأصحابه فقتل منهم زهاء ثلاثين ألفاً ، وسبى منهم خلقاً كثيراً ، فباعهم بأرمينية (الطبري ٩/١٨٧ و١٨٨) .

وفي السنة ٢٤٠ وثب أهل دمشق بعاملهم سالم بن حامد ، فقتلوه على باب الخضراء ، وقتلوا من قدروا عليه من رجاله ، فغضب المتوكّل ، وأرسل جيشاً من سبعة آلاف بقيادة أفريدون التركي ، وأباح له القتل والنهب ثلاثة أيّام ، ولكنّ أفريدون قتل برمحة دابّة ، وهو على أبواب دمشق (خطط الشام ٩/١٩٣) .

وفي السنة ٢٤٨ قتل محمد بن هارون الكاتب ، أصيب على فراشه مقتولاً ، وبه عدّة ضربات بالسيوف ، وأخذ خادم له أسود ، اعترف بأنّه قتله ، فضربت عنقه ، وصلب عند خشبة بابك (الطبري ٩/٢٥٥) .

وفي السنة ٢٤٨ خرج محمد بن عمرو الشاري بناحية الموصل ، فخرج إليه إسحاق بن ثابت الفرغاني ، فأسره وجماعة من أصحابه ، فقتلوا ، وصلبوا (الطبري ٩/٢٥٥) .

وفي السنة ٢٤٩ قتل القائد أوتامش ، وكاتبه شجاع بن القاسم ، وكان المستعين ، لما أفضت إليه الخلافة ، أطلق يد أوتامش وشاهك في بيوت الأموال ، فكانت الأموال التي ترد من الآفاق ، يصير معظمها إلى أمّ المستعين ، وإلى أوتامش ، وشاهك الخادم ، وبقي كبار القوّاد مثل وصيف وبغا بمعزل ، فأغريا الموالي بأوتامش ، فتحرّكوا عليه ، وبلغه الخبر فأراد الهرب ، فلم يمكنه ، فاستجار بالمستعين ، فلم يجره ، فأخذه الأتراك وقتلوه ، وقتلوا كاتبه شجاع بن القاسم (الطبري ٩/٢٦٣ و٢٦٤) .

وفي السنة ٢٥١ كان جيش المعتزّ ، قد حاصر بغداد وبها المستعين ، فأراد بعض الموكّلين بالسور ببغداد أن يصبح : مستعين يا منصور ، فصاح : معتزّ يا منصور ، فقتله الموكّلون بالباب ، إذ حسبوه من خصومهم ، وبعثوا برأسه إلى دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، أمير بغداد ، فأمر بنصبه ، فجاءت أمّه وأخوه في عشيّة اليوم بجثّته في محمل ، يصيحان ، ويطلبان رأسه ، فلم يدفع إليهما ، ولم يزل منصوباً على الجسد إلى أن أنزل مع ما أنزل من الرؤوس (الطبري ٩/٣٠٤) .

ولما خلع المستعين في السنة ٢٥١ وبايع المعتزّ ، بعث إليه القائد سعيد الحاجب فيقال إنّ سعيداً أنزله من القبّة التي كان فيها على الدابّة ، وكانت تعادله دايته ، وضربه بالسيف ، فصاح وصاحت دايته ، فقتلهما معاً ، وقيل إنّ سعيداً لما استقبله سأله أن يمهله ليصلّي ركعتين ، فلما سجد في الركعة الثانية ، قتله واخذ رأسه (الطبري ٩/٣٦٣ و٣٦٤) .

وفي السنة ٢٥٤ اتّفق المعتزّ ، وجماعة من القوّاد الأتراك يرأسهم بايكباك ، على الفتك ببغا الشرابي ، فتحرّز منهم ، وعسكر مع جماعته في تلّ عكبرا ، ثم بداله فعاد إلى سامراء ، ليلاً في زورق ، فاعتقله وليد المغربي صاحب الجسر وجاء فأبلغ المعتزّ ، فأمره بقتله ، وقال له : ويلك جئني برأسه ، فرجع الوليد ، وقال للموكّلين به : تنحوا حتى أبلغه رسالة ، فلما

تنحّوا ، ضربه بسيفه على جبهته ورأسه ، ثم تناهى على يديه فقطعها ، ثم ضربه حتى صرعه ، وذبحه ، وحمل رأسه في بركة قبائه ، وأتى به المعتز ، فوهب له عشرة آلاف دينار ، وخلع عليه ، ونصب رأسه بسامراء ، ثم ببغداد ، ووثب المغاربة على جثّته فأحرقوها بالنار (الطبري ٩/ ٣٧٩ و٣٨٠) .

وفي السنة ٢٥٦ كان صالح بن وصيف ، القائد التركي المسيطر على جميع أمور الدولة ، بعد أن خلع المعتزّ ، وقتله ، واستخلف المهتدي ، وقتل جماعة من الكتّاب ، وخشي بقيّة القوّاد سطوته ، فكاتبوا موسى بن بغا ، فلما حضر موسى بجيشه إلى بغداد ، استتر صالح ، ثم عثر عليه صبيّ ، فأخبر عنه ، فقصده خمسة من اصحاب السلطان ، وأخرجوه حافياً ، مكشوف الرأس ، وعليه قميص ومبطّنة ملحم وسراويل ، فحمل على برذون ، والعامّة تعدو خلفه ، حتى انتهوا به إلى دار موسى بن بغا ، ثم أخرجوه ليذهبوا به إلى الجوسق ، فقتلوه في الطريق ، وآحتزّوا رأسه ، وحمل على قناة ، وطيف به ، ونودي عليه : هذا جزاء من قتل مولاه ، إشارة إلى قتله المعتزّ ، ونصب بباب العامّة ساعة ، ثم نحّي ، وفعل به مثل ذلك ثلاثة أيام تتابعاً (الطبري ٩/ ٤٤٠ ـ ٤٥٤) .

وفي السنة ٢٥٦ كان الخليفة المهتدي ، بعث القائد التركي بايكباك في جيش مع موسى بن بغا ومفلح ، فعاد بايكباك الى سامراء بدون إذنه ، فلما دخل عليه غضب ، وأمر الكرخي محمد بن المباشر ، فضرب عنق بايكباك ، وأمر القائد عتّاب بن عتّاب ، أن يلقي برأس بايكباك إلى أتباعه ، فأخذ عتّاب الرأس ، ورمى به إليهم ، فجاشوا ، وهجموا على عتّاب فقتلوه ، فوجّه المهتدي وأحضر من أطاعه من الجند ، واشتبك مع الأتراك ، وخرج المهتدي ، والمصحف في عنق أحد أصحابه ، فآنفلّ جمعه ، ومضى منهزماً والسيف مشهور في يده ، وهو يصيح : أيّها الناس ، آنصروا خليفتكم ، فقبض الأتراك عليه ، وأخذوا يصفعونه ويبزقون في وجهه ، ثم عصرت

خصيتاه ، فمات (الطبري ٩/ ٤٥٦ - ٤٥٨) .

ولما اعتقل المهتدي ، عمد آبن عمّ لبايكباك ، فجرح المهتدي بخنجر في أوداجه ، وانكبّ عليه فآلتقم الجرح ، والدم يفور منه ، وأقبل وهو سكران يمتصّ الدم حتى روي (مروج الذهب ٢/ ٤٦٤) .

ولما اقتحم الزنج البصرة في السنة ٢٥٧ وقتلوا من فيها ، وأخربوها ، كان ممن قتل أبو الفضل الرياشي ، الراوية المحدّث ، قتل وهو في المسجد ، فلما خرج الزنج من البصرة ، دخل الناس إلى المسجد بعد سنتين من مقتل الرياشي ، فوجدوه صحيح الخلق ، لم يتغيّر له حال ، سوى أنّ جلده لصق بعظمه ويبس (المنتظم ٥/ ٦) .

أقول : هذا الخبر ، يعني أنّ المسجد الجامع بالبصرة ، ظلّ بعد أن خرّب الزنج البصرة ، سنتين كاملتين ، لم يدخل إليه إنسان ، ولم يصلّ فيه أحد ، وفي هذا دليل على مقدار الخراب الذي أصاب البصرة ، حتى ضرب بخرابها الأمثال ، فقيل في الأمر الذي يصعب تداركه : بعد خراب البصرة .

وفي السنة ٢٥٨ ضرب عنق قاض لصاحب الزنج ، كان قد نصبه قاضياً بعبّادان ، وضربت أعناق أربعة عشر رجلاً من الزنج بباب العامة بسامراء ، وكانوا قد أسروا بناحية البصرة (الطبري ٩/ ٤٩٠) .

وفي السنة ٢٥٩ قُتِلَ القائد التركي كنجور عامل الكوفة ، وسب ذلك إنّه ترك موضع عمله ، وانصرف يريد سامراء ، بدون إذن ، فأمر بالرجوع ، فأبى ، فحمل إليه مال ليفرّقه في أصحابه ويعود ، فلم يقنع ، فلما وصل إلى عكبرا ، توجّه إليه عدّة من القوّاد ، فذبحوه ذبحاً ، وحمل رأسه إلى سامراء ، وكان معه كاتبه النصراني فضرب ألف سوط ، فمات (الطبري ٩/ ٥٠٢) .

وفي السنة ٢٥٩ حمل إلى سامراء جماعة من أسرى الزنج ، فوثب بهم العامّة ، فقتلوا أكثرهم ، ودخل الزنج الأهواز في هذه السنة ، فقتلوا زهاء خمسين ألفاً (المنتظم ٥/ ١٩) .

وفي السنة ٢٦٥ فتح أحمد بن طولون أنطاكية ، وقتل عاملها سيما الطويل (الطبري ٥٤٣/٩) .

أقول : سيما الطويل أحد القوّاد الأتراك ، كان في صفّ بايكباك وآشترك في السنة ٢٥٦ في محاربة المهتدي وقتله ، ولي أنطاكية في السنة ٢٥٨ ولّاه إيّاها أبو أحمد الموفّق .

وفي السنة ٢٦٥ وثب القاسم بن مما ، بدلف بن عبد العزيز بن أبي دلف ، بإصبهان ، فقتله ، فوثب جماعة من أصحاب أبي دلف ، على القاسم ، فقتلوه ، ورأسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز (الطبري ٥٤٣/٩) .

وفي السنة ٢٦٥ قتل جماعة من الأعراب ، بدمّما ، جعلان الملقّب بالعيّار ، وكان قد خرج لبذرقة قافلة ، فوجّه السلطان في طلب الذين قتلوه جماعة من الموالي ، فهرب الأعراب ، وبلغ الذين شخصوا في طلبهم عين التمر ، ثم عادوا إلى بغداد ، وقد مات منهم من البرد جماعة (الطبري ٥٤٣/٩) .

وفي السنة ٢٦٦ قتل أهل حمص عاملهم عيسى الكرخي (الطبري ٥٥١/٩) .

وفي السنة ٢٦٧ قتل أبو زكريا يحيى بن محمد ، الملقّب بحيكان ، إمام أهل الحديث بنيسابور ، وكان قد صدّ هجوم أحمد بن عبد الله الخجستاني ، لما هاجم نيسابور ، فظفر الخجستاني ، وأسر حيكان ، وحبسه ، ثم دخل عليه السجن ، فقتله (الاعلام ٢٠٦/٩) .

وفي السنة ٢٧٠ قتل صاحب الزنج ، علي بن محمد الورزنيني ، بعد فتنة دامت خمس عشرة سنة ، وكان قد قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف ، ما بين شيخ وشاب ، ذكر وأنثى ، وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلثمائة ألف إنسان (النجوم الزاهرة ٤٨/٣) .

وكان طغج بن جف ، يلي دمشق وطبرية لخمارويه بن أحمد بن طولون ، وكان ولده محمد (الاخشيد فيما بعد) خليفة أبيه بطبريّة ، وكان بطبريّة أبو الطيّب محمد بن أبي حمزة العلوي ، وكان وجه طبريّة شرفاً ، وملكاً ، وقوّة ، فكتب محمد إلى أبيه طغج ، يذكر له إنّه ليس له أمر ولا نهي مع أبي الطيّب العلوي ، فكتب إليه أبوه : أعزّ نفسك ، فأسرى محمد على العلوي أبي الطيّب ، فوجده في بستان له فقتله (خطط الشام ١/٢١٣) .

وفي السنة ٢٧٢ كانت للزنج حركة بواسط ، فصاحوا : أنكلاي ، يا منصور ، وأنكلاي هو ابن صاحب الزنج ، وكان قد أودع الحبس بعد مقتل أبيه ، ومعه جماعة من قوّاد الزنج منهم علي بن أبان المهلّبي وإبراهيم بن جعفر الهمذاني ، وسليمان بن جامع ، والشعراني ، وكانوا قد حبسوا في دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، في دار السلام ، وفي دار البطّيخ ، في يد غلام من غلمان الموفّق ، يقال له : فتح السعيدي ، فكتب الموفّق إلى فتح ، أن يوجّه إليه برؤوس هؤلاء الستّة ، فدخل إليهم ، وجعل يخرج الأوّل فالأوّل منهم ، فذبحهم غلام له ، وقلع رأس بالوعة في الدار ، وطرحت أجسادهم فيها ، وسدّ رأسها ، ووجّه برؤوسهم إلى الموفّق ثم ورد كتاب الموفّق على محمد بن عبد الله بن طاهر ، أمير بغداد ، بأن يصلب جثث هؤلاء الستّة ، فأخرجوا من البالوعة ، وقد انتفخوا ، وتغيّرت روائحهم ، وتقشّر بعض جلودهم ، فحملوا في المحامل ، المحمل بين رجلين ، وصلب ثلاثة منهم بالجانب الشرقي ، وثلاثة بالجانب الغربي ، وركب محمد ، حتى صلبوا بحضرته (الطبري ١٠/١١) .

وفي السنة ٢٧٣ قتل هاشم بن عبد العزيز بن هاشم ، قتله المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الأموي ، سلطان الأندلس ، وكان هاشم وزير أبيه محمد ، عظيم المكانة عنده ، فلما ولي المنذر نكبه لأشياء حقدها عليه في خلافة أبيه ، فحبسه ، وعذّبه ، ثم قتله (الاعلام ٩/٤٨) .

وفي السنة ٢٨٠ وجّه يوسف بن أبي الساج اثنين وثلاثين رجلاً من الخوارج ، من طريق الموصل ، فضربت أعناق خمسة وعشرين منهم ، وصلبوا ، وحبس سبعة منهم في الحبس الجديد (الطبري ١٠/ ٣٤) .

وفي السنة ٢٨٣ عزم الجند على خلع جيش بن خمارويه ، وأرادوا تولية عمّه ، وبلغ جيش ذلك ، فقتل عمّين من أعمامه ، ورمى برأسيهما إلى الجند ، فهجم الجند عليه ، وقتلوه ، وأقعدوا أخاه هارون في الإمرة (ابن الأثير ٧/ ٤٧٨) .

وفي السنة ٢٨٤ وثب أبو ليلى الحارث بن عبد العزيز بن أبي دلف ، بشفيع الخادم الموكّل به ، فقتله ، واستولى على قلعة الززّ ، وكان عمر بن عبد العزيز ، قد أخذ أخاه الحارث ، وقيّده ، وحبسه في قلعة الززّ ، وفيها كلّ ما كان لآل أبي دلف من مالٍ ومتاع نفيس ، وقد كان عمر ، وكّل بالقلعة وبأخيه ، الخادم شفيعاً ، فكلّمه الحارث في أمر إطلاقه فأبى ، وقال : لا أفعل إلّا ما يأمرني به أخوك عمر ، فاحتال الحارث حتى برد قيده ، وأصبح يستطيع أن يخرجه من ساقيه متى شاء ، وكان شفيع الخادم يزور الحارث في كلّ ليلة ، فيجلس عنده ، ثم يخرج ويقفل الباب عليه ، واحتال الحارث في سكّين أدخلها إليه غلامه ، وفي إحدى الليالي شرب مع شفيع الخادم ، فلما قام الخادم لحاجته (ليبول) ، أمر الحارث جاريته ، فوضعت ثياباً في الفراش وغطّتها ، وآختبأ هو خارج الحجرة ، فلما عاد شفيع ، قالت له الجارية : إنّه قد نام ، فأقفل شفيع الباب ، والحارث خارجها ، وذهب شفيع إلى فراشه ، فتسلّل الحارث إلى شفيع ، وذبحه بالسكّين التي كانت عنده ، ثم أخذ سيف شفيع ، وانتضاه ، فوثب الغلمان الذين كانوا في حراسة شفيع فزعين ، فصاح بهم ، وأمّنهم ، على أن يخرجوا من الدار ، فخرجوا بأجمعهم ، فجاء الحارث ، وقعد على باب القلعة ، وجمع من كان في القلعة ، ووعدهم الإحسان ، وآستحلفهم على طاعته ، وجمع جماعة من الأكراد والزموم ،

وخرج على السلطان ، فتوجّه إليه عيسى النوشري على رأس جيش ، فآشتبك الجيشان دون إصبهان ، فأصاب أبا ليلى الحارث سهم في حلقه ، فنحره ، وسقط عن دابته ، وانهزم أصحابه ، وحمل رأسه إلى إصبهان ، ثم جيء به إلى بغداد (الطبري ١٠/٦٣ - ٦٧) .

وفي السنة ٢٨٧ خرج القائد عباس بن عمرو الغنوي ، من البصرة ، على رأس جيش يقصد أبا سعيد الجنّابي القرمطي ، فلما التقى الجيشان ، اشتبكا في معركة ضارية ، فانكسر جيش العبّاس ، وقتل منهم كثير ، وأسر العباس ، وأسر معه نحو سبعمائة من أصحابه ، فلما كان من غد يوم الوقعة ، أحضر الجنّابي الأسرى ، وقتلهم جميعاً ، ثم أمر بحطب فطرح عليهم وأحرقهم ، وأطلق قائدهم العباس ، وحمّله رسالة إلى المعتضد (الطبري ١٠/٧٧ و٧٨) .

أقول : راجع نصّ الرسالة ، وتفصيل القصّة ، في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي تحقيق المؤلف ج ٤ ص ١٣٠ - ١٣٢ رقم القصة ٦٢ .

وقتل إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب ، أمير إفريقية (توفي سنة ٢٨٩) كثيراً من أصحابه ، وحجّابه ، ونسائه ، وقتل آثنين من أبنائه ، وثمانية من إخوته ، وقتل سائر بناته ، فعزله المعتضد ، فرحل إلى صقلية ، ومات بها (الاعلام ١/٢٢) .

أقول : اقتصر ابن الأثير ٧/٥٢٠ عند ذكر إبراهيم بن الأغلب هذا ، على وصفه بسوء الاخلاق ، وقد تبسّط ابن خلدون ٤/٢٠٣ و٢٠٤ في ذكر ما آرتكبه من جرائم ، وعلّل آرتكابه لها بأنّه أصيب بالماليخوليا ، وهذا هو أقرب تعليل لتصرّفاته ، فإنّ الذي يقتل نساءه ، وأبناءه ، وبناته ، ورجاله وخدمه ، لا بدّ أن يكون مجنوناً ، حتى إنّه افتقد ذات يوم منديلاً لشرابه ، فقتل بسببه ثلثمائة خادم .

وفي السنة ٢٨٩ خلع محمد بن هارون ، قائد إسماعيل بن أحمد الساماني ، وبيّض (أي لبس البياض ، وهذا يعني الخروج على الدولة العباسيّة التي كان شعارها السواد) والسبب في ذلك إنّ أهل الريّ كاتبوه ، وسألوه المصير إليهم ليستولي عليها ، لأنّ عاملهم أوكرتمش التركي ، أساء السيرة فيهم ، فقصدهم محمد ، وحارب أوكرتمش، وقتله ، وقتل آبنين له ، وقائداً من قوّاد السلطان ، واستولى على الريّ (الطبري ١٠/٨٨ و٨٩) .

وقتل المعتضد العباسي (توفي سنة ٢٨٩) ، أحد السودان ، لأنّه أخذ عذقاً من بسر ، وخلاصة القصّة إنّ المعتضد خرج يوماً فعسكر بباب الشماسيّة (الصليخ) ، ونهى أن يأخذ أحد من جنده شيئاً من البساتين ، فأتي بأسود ، قد أخذ عذقاً من بسر (البسر : التمر اذا لوّن ولم ينضج) ، فأمر المعتضد بضرب عنقه ، فضربت عنقه ، ثم التفت المعتضد إلى أصحابه ، وقال : ويلكم ، أتدرون ما تقول العامّة ؟ قالوا : لا ، قال : يقولون ، ما في الدنيا أقسى قلباً من هذا الخليفة ، ولا أقلّ ديناً منه ، لأنّ النبي ﷺ ، قال : لاقطع في تمر ولا كثر (الكثر : الجمّار) فما رضي هذا الخليفة أن يقطع في هذا ، حتى قتل ، والله ، ما قتلتُ هذا الأسود بسبب هذا ، ولكنّ لي معه خبراً طريفاً ، استأمن هذا من عسكر الزنج ، إلى أبي الموفّق ، فخلع عليه ، ووصله ، فرأيته يوماً ، وقد نازع رجلاً في شيء ، فضربه بفأس ، فقطع يده ، فمات الرجل ، فحمله الناس إلى أبي الموفّق ، فأهدر دم المقطوع اليد ، وأطلق الأسود ، يتألف الزنج بهذا الفعل ، فاغتظتُ ، وقلت : ترى أتمكّن من قتل هذا الأسود ، وأنفذ حدّ الله عزّ وجلّ فيه ؟ فوالله ، ما وقعت عيني عليه إلاّ في هذه الساعة ، فقتلته بذلك الرجل (المنتظم ٥/١٣٦) .

وفي السنة ٢٨٩ أمر المعتضد عند موته بقتل عمرو بن الليث الصفّار ، وكان في حبسه ، وكان لاحتضاره لا يطيق النطق ، فأشار إلى صافي ، بأن وضع يده على رقبته وعلى عينه ، يعني إذبح الأعور ، فلم يفعل صافي

ذلك ، ثم ذبحه القاسم بن عبيد الله الوزير (الطبري ١٠/ ٨٨) .

وفي السنة ٢٩٠ هرب من مدينة السلام ، القائد المستأمن أبو سعيد الخوارزمي ، وأخذ نحو طريق الموصل ، فكتب إلى عبد الله ، المعروف بغلام نون ، وكان يتقلّد المعاون بتكريت والأعمال المتّصلة بها إلى حدّ سامراء وإلى الموصل ، في معارضته وأخذه ، فعارضه عبد الله ، فخدعه أبو سعيد ، وفتك به فقتله ، ومضى نحو شهرزور ، حيث صاهر ابن أبي الربيع الكردي ، واتّفقا على حرب السلطان ، ثم قتل أبو سعيد بعد ذلك (الطبري ١٠/ ٩٨) .

وفي السنة ٢٩٢ بعث المكتفي إلى مصر جيشاً بقيادة محمد بن سليمان ، لاستئصال بني طولون ، فاستولى على دمشق ، ثم قصد مصر واستولى عليها ، وذبح الأمراء بني طولون ، وكان عشرين إنساناً ، هم وقوّادهم ، ذبحوا بين يديه كما تذبح الشياه ، وأشخص من أبقى عليه منهم إلى بغداد (خطط الشام ١/ ٢٠٧) .

وفي السنة ٢٩٧ قتل العبّاس بن الحسن ، وزير المكتفي ، ووزير المقتدر من بعده ، قتله الحسين بن حمدان ، وقتل معه فاتك المعتضدي ، وسبب ذلك ، إنّ المتكفي لما ثقل في علّته ، فكّر الوزير العباس فيمن يقتضي أن يبايع بالخلافة من بعده ، وذاكر كبار رجال الدولة ، فأشاروا بابن المعتزّ ، ووصفوه بالفضل والكفاية ، فأداره أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات عن رأيه ، وأشار عليه باستخلاف جعفر بن المعتضد ، وكان ما يزال صبيّاً ، فقال له الوزير : إنّ جعفراً صبيٌّ ، فقال : المصلحة في أن تستخلف من يسلم الأمر إليك ، ويدعك تدبّره أنت ، فذلك خيراً من أن تستخلف من يباشر التدبير بنفسه ، وقد عرف دار هذا ، ونعمة هذا ، وبستان هذا ، وجارية هذا ، وفرس هذا ، فمال العباس الوزير إلى رأي ابن الفرات ، وقام بمبايعة جعفر بن المعتضد ، ولقّب بالمقتدر بالله ، فاتّفق محمد بن داود بن الجراح ،

أحد كبار الكتّاب ، مع الحسين بن حمدان ، أحد كبار القوّاد ، على إزالة أمر المقتدر بالله ، ونصب عبد الله بن المعتزّ مكانه ، ووافقا على ذلك جماعة من القوّاد والكتّاب والقضاة ، فركب الوزير العباس بن الحسن يوماً يريد بستانه ، فاعترضه الحسين بن حمدان ، وقتله ، فصاح عليه فاتك المعتضدي ، فقتل فاتكاً ، واجتمع رجال الدولة ، في دار سليمان بن وهب ، بالمخرّم (العلوازية) ، وهي الدار التي أصبحت من بعد ذلك دار الوزارة ، وحضر عبد الله بن المعتزّ ، من داره التي على الصراة ، وبايعوا ابن المعتزّ بالخلافة ، ولقّب المرتضى بالله ، واستوزر أبا عبد الله محمد بن داود بن الجرّاح ، وقلّد من أراد تقليده من الكتّاب ، ونفذت الكتب إلى الأمصار عن ابن المعتزّ ، ووجّه إلى المقتدر لكي ينتقل من دار الخلافة ، فاجتمع القوّاد الذين مكثوا مع المقتدر ، وأجمع رأيهم على محاربة أصحاب ابن المعتزّ ، فأصعدوا إليهم ، ففزع أصحاب ابن المعتزّ ، وتهاربوا ، وتفرّق شملهم ، وعادت الدولة إلى المقتدر ، وقبض على وصيف بن صوارتكين ، وخطارمش ، ويمن ، وفاتك ، وجماعة ممن حضر مبايعة ابن المعتزّ ، وفيهم القاضي أبو عمر محمد بن يوسف ، والقاضي أبو المثنّى أحمد بن يعقوب والقاضي وكيع محمد بن خلف ، واعتقلوا جميعاً في دار الخلافة ، ثم أسلموا إلى مؤنس الخازن ، الذي تولّى الشرطة ، فقتلهم تلك الليلة ، سوى علي بن عيسى ، ومحمد بن عبدون ، والقاضي أبي عمر ، والقاضي محمد بن خلف ، وكان القاضي أبو المثنّى ، أوّل قاضٍ قتل صبراً في الإسلام ، وكان قد بايع ابن المعتزّ ، فلما انتقض أمره ، أراده أصحاب المقتدر ، أن يقرّ على نفسه بالخطأ ، ويسلم ، فأبى ، وقال : إنّ المقتدر لصغر سنّه لا يصلح للخلافة ، وأصرّ على قوله ، فذبح (راجع القصة مفصّلة في كتاب الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، في القصة المرقمة ١٧٩) ولما فسد أمر ابن المعتزّ ، استتر وزيره محمد بن داود بن الجرّاح ، ثم خرج في إحدى الليالي ، فظفر به ، وتسلّمه مؤنس الخازن ، فقتله ، وطرحه على

الطريق ، فأخذه أهله ودفنوه ، واستوزر المقتدر ، أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات ، فأحسّ ابن الفرات أنّ سوسن حاجب المقتدر ، يسعى في الوزارة لمحمد بن عبدون ، من كبار الكتّاب ، فقتل سوسن من ليلته ، وأنفذ إلى محمد بن عبدون ، من أسلمه إلى مؤنس الخازن ، فقتله (تجارب الأمم ١/٢ - ١٣) .

وفي السنة ٢٩٦ فتح أبو عبد الله الشيعي ، مدينة سجلماسة ، وقبض على صاحبها المنتصر أليسع بن ميمون بن مدرار ، وقتله . (الاعلام ٧٧/٨) .

وفي السنة ٢٩٦ قتل اليقظان بن محمد بن أفلح الرستمي ، من أئمّة الأباظيّين بالجزائر ، قتله الفاطميّون مع طائفة من أسرته ، وانتهت به الدولة الرستميّة . (الاعلام ٢٧٤/٩) .

وفي السنة ٢٩٨ إئتمر أهالي سجلماسة بالأمير الكتامي إبراهيم بن غالب ، فثاروا عليه ، وقتلوه ، هو ومن كان معه من كتامة (الاعلام ٧٧/٨) .

وفي السنة ٢٩٨ قتل المهدي عبيد الله الفاطمي ، داعيته أبا عبد الله الشيعي ، وأخا أبي عبد الله ، أبا العباس ، وكان قد بلغه أنّه وأخاه يتآمران عليه ، فأمر بعض رجاله أن يقتلوهما ، ولما حملوا عليهما ، قال لهم أبو عبد الله الشيعي : لا تفعلوا ، فقالوا له : إنّ الذي أمرتنا بطاعته ، أمرنا بقتلك ، وقتلوهما ، ثم قتل المهدي من اتّفق معهما . (ابن الأثير ٨/٥٠ - ٥٢) .

وقتل الأمير علي بن أحمد الراسبي (ت ٣٠١) على مائدة طعامه ، أحد الرؤساء الأكراد ، لما أقرّ بأنّه قتل رجلاً ظلماً ، وخلاصة القصّة إنّ الراسبي كان يتغدّى ، وعلى مائدته خلق فيهم رجل من رؤساء الأكراد ، كان

يقطع الطريق ، واستأمن إلى الراسبي ، فأمّنه ، وقدّم على المائدة حجل ، فألقى الراسبي منه ، واحدة إلى الكردي ، كما يلاطف الرؤساء مؤاكليهم ، فأخذها الكردي وجعل يضحك ، فسأله الراسبي عن سبب ضحكه، فقال : كنت أيّام قطعي الطريق ، رأيت رجلاً يسير وحده ، فسلبته ما كان معه ، وعرّيته من ثيابه فأخذتها ، ثم علوته بالسيف لأقتله ، فقال لي : إنّك قد أخذت جميع ما عندي ، حتى عرّيتني من ثيابي ، فلماذا تريد قتلي ؟ فلم ألتفت إليه ، وأقبلت أقنّعه بالسيف ، فتلفّت كأنّه يطلب شيئاً ، فأبصر حجلة قائمة ، فقال : يا حجلة اشهدي لي عند الله إنّه يقتلني ظالماً ، فما زلت أضربه حتى قتلته ، فلما رأيت هذه الحجلة ، تذكّرت حماقة ذلك الرجل ، فضحكتُ ، فلما سمع الراسبي ذلك ، انقلبت عيناه حرداً ، وقال له : لا جرم إنّ شهادة الحجلة لا تضيع ، يا غلام اضرب عنقه ، فبار إليه الغلمان يخبطونه بسيوفهم ، فكأنّ رأسه قثّاءة قطعت نصفين ، وتدحرج الرأس بين أيدي الطاعمين ، وجرّت جثته ، ومضى الراسبي في الأكل (راجع القصة مفصلة في كتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ج ٣ ص ٢٠٨ ـ ٢١٠ رقم القصة ٣/١٣٦) .

أقول : الأمير علي بن أحمد الراسبي ، كان يتقلّد جند يسابور والسوس وماذرايا إلى آخر حدودها ، وكان يورد من ذلك (يؤدّي للدولة) ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار ، في كلّ سنة ، ولم يكن معه أحد يشركه في العمل من أصحاب السلطان ، لأنّه تضمّن الحرب والضياع والشحنة وسائر ما في عمله ، وكان واسع الصنيعة ، كثير الغلّة ، وكان له ثمانون طرازاً ينسج له فيها الثياب من الخزّ وغيره ، وتوفّي في السنة ٣٠١ وخلّف ثروة عظيمة (صلة الطبري ٢٣) .

وفي السنة ٣٠٣ خرج جماعة من الأعراب على قافلة الحجّاج ، فآذوهم ، وحاربهم أبو حامد ورقاء المرتّب على الثعلبية لحفظ الطريق ، فقتل

منهم جماعة ، وأسر الباقين ، وأحضرهم إلى بغداد ، فأمر المقتدر بتسليمهم إلى صاحب الشرطة ليحبسهم ، ولكن العامّة ثاروا بهم ، فقتلوهم ، وألقوهم في دجلة . (ابن الأثير ٨/٩٥) .

وفي السنة ٣٠٦ قُتِلَ الحسين بن حمدان التغلبي ، عمّ الأمير سيف الدولة الحمداني ، وكان قد خرج عن طاعة المقتدر ، ثم عاد إلى الطاعة ، ثم عاود الخروج فحورب ، وأسر ، وحمل إلى بغداد في السنة ٣٠٣ فحبسه المقتدر ، ثم قتله . (الاعلام ٢/٢٥٤ ـ ٢٥٥) .

وفي السنة ٣٠٩ فتح جيش العبيديين سجلماسة ، وقبض على حاكمها أحمد بن ميمون وقتله (الاعلام ٨/٧٧) .

وفي السنة ٣١٠ خرج ألياس بن إسحاق بن أحمد الساماني ، على عمّه نصر بن أحمد ، وآستعان بمحمد بن الحسين بن مت ، فاجتمع له ثلاثون ألف عنان ، فقصد سمرقند ، فسيّر إليه عمّه نصر قوّاداً في ألفين وخمسمائة ، فكمنوا له كميناً ، وفاجأوه ، فانهزم ، ووصل ابن مت إلى طراز ، فأخذه دهقان الناحية ، وقتله ، وأنفذ رأسه إلى بخارى (ابن الأثير ٨/١٣٣) .

ولما حوكم الحلّاج ، في مجلس يرأسه الوزير حامد بن العباس ، وكان متعصّباً عليه ، أصدر الفقهاء حكماً بقتله ، فامتنع المقتدر عن تنفيذ الحكم ، وألحّ حامد ، فكتب المقتدر ، بأن يسلم الحلّاج إلى صاحب الشرطة ، وأن يضربه ألف سوط ، فإن تلف تحت الضرب ، وإلّا ضربت عنقه ، فأخذه صاحب الشرطة ليلاً ، بين جماعة من الساسة ليخفى أمره ، فإنّه كان يخاف أن ينتزع من يده ، وأخرج في الصباح إلى رحبة مجلس صاحب الشرطة ، وهو في الجانب الغربي من بغداد ، في رأس الجسر ، وضرب ألف سوط ، ثم قطعت يده ، ثم رجله ، ثم يده ، ثم رجله ، وحزّ رأسه ، وأحرقت جثّته ، فلما صارت رماداً ألقيت في دجلة ، راجع تفصيل محاكمة الحلّاج في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، رقم القصة ٦/٥١ ج ٦ ص ٧٩ ـ ٩٢ حيث

يتّضح لمن يطالعها ، أنّ الحلاج لم يـرتكب ذنباً يستـوجب العقوبـة فضلاً عن القتل .

وفي السنة ٣١١ أخذ شاكر ، خـادم الحلاّج ، وضـربت عنقه (النجـوم الزاهرة ٣/٢٠٧) .

ولمـا وزّر ابن الفرات للمقتـدر ، وزارتـه الثـالثـة ، في السنـة ٣١١ ، اعتقـل عبـد الـوهـاب بن احمـد بن مـا شـاء الله البيّـع (يسمى الآن ببغـداد البيّاع) ، وحبسه ، ثم قتله ، فقـال الناس : إن كـان دمٌ لا يطالب الله بـه ابن الفرات ، فهو دم ابن ما شاء الله ، ولمقتل هذا الـرجل قصّـة وردت في كتاب الـوزراء للصـابي (ص ٢٣٤ ـ ٢٣٧) قـال : كـان الـفضـل بـن الحسن الواسطي ، يتولّى بيع غـلاّت أبي العباس وأبي الحسن ابني الفـرات ، وكانت عظيمة ، لكثرة ضياعهما ، وزيادة آرتفاعهما ، فاتّفق أن مات ، فـأقامـا مقامـه عبـد الوهـاب بن أحمد بن مـا شاء الله ، أحـد غلمانـه الرقّـاشين بين يديـه ، وقدّماه ، ورفعا منه ، ونوّها بآسمه ، وأكسباه مالاً جـزيلاً ، فتـأثّلت به حـاله ، وصُرف أبو الحسن عن وزارته الأولى ، فخدم علي بن عيسى ، وباع غلاّتـه ، فلما عاد أبو الحسن بن الفرات إلى الوزارة ثانيـاً ، لم يؤاخذه بخـدمة عليّ بن عيسى ، وأجراه على رسمه في بيع غلاّتـه ، وخاطب أبـا عمر القـاضي ، في قبـول شهادتـه ، وإظهار عـدالته ، وقُبض على ابن الفـرات ، وتقلّد حامـد بن العبـاس ، وزارة المقتدر ، فلمـا صُـرف حـامـد ، ووزر ابن الفـرات الـوزارة الثـالثة ، قبض على ابن مـا شاء الله ، فـأنفذ مفلح الأسـود ، خـادم المقتـدر بالله ، وكانت له قدم متمكّنة ، ومنزلة متقدّمة ، ودالّة قويّة على ابن الفرات ، لأنّه قام بأمره ، عند عوده في هذا الوقت إلى الـوزارة يسألـه في بابـه ، وحضر كـاتبه بـرسالـة في معناه ، فقـال ابن الفرات : الأستـاذ هو الصـاحب ، وأمـره الممتثل ، وأنت أيّها الرسول المأمون ، لكنّني أحضر ابن ما شاء الله ، وأواقفه بين يديك على ما تسمعه ، فـإن أردت بعد ذلـك أن تأخـذه ، سلّمته إليـك ، ولم أراجعـك فيه ، ثم تقـدّم بإحضـار ابن مـا شـاء الله ، فحضـر يـرسف في

قيوده ، فأمر بنزع الحديد عنه ، فنزع من وقته ، ثم قال له : اجلس ، فامتنع ، فكرّر عليه القول ، فجلس ، ثم أحلفه يميناً استوفاها عليه ، إنّه يسمع ما يقول له ، ويجيب بما عنده ، من غير تقيّة ولا تورية ولا مواربة، ومتى ذكر له ما فيه تزيّدٌ ردّه ، أو تعنّتٌ دفعه ، وناظره مناظرة النظير لنظيره ، من غير مراعاة لموضعه ، ولا آحتشام لمكانه ، فلما فرغ من ذلك ، قال له : ألم يكن الفضل بن الحسن الواسطي بيّعي ، وبيّع أبي العباس أخي ، وله الحال والجاه والمنزلة والوجاهة بمعاملتنا ، وتولّي غلاّتنا ، وكنتَ رفّاشاً بين يديه ؟ قال : بلى ، قال : فلما مات ألم نصطنعك ، ونُقِمْكَ في خدمتنا مقامه ، ونرتّبك الترتيب الذي شاع ذكرك به ؟ ومال الناس إلى معاملتك به ، من أبي الحسن علي بن عيسى خصمنا ، وغيره من أصحاب السلطان ، حتى كثر مالك ، وتريّشت حالك ؟ قال : بلى ، قال : فلما سخط عليّ السلطان وانصرفت عمّا كنت أخدمه فيه ألم تعدل إلى أبي الحسنِ علي بن عيسى - وهو عدوّي - تعامله وتداخله ؟ قال : بلى ، قال : ثم عدتُ إلى خدمة السلطان فهل واخذتك بذلك ، أو نقمته عليك ، أو عدلت في خدمتي عنك ؟ قال : لا ، قال : فهل آستعنّا بك في نكبة ، أو حمّلناك من أمرنا كلفة ، أو حملت إلينا قطّ مراعاة أو ملاطفة ، أو فعلتَ ذلك مع أحد من أسبابنا ، في وقت استغناء أو حاجة ؟ قال : لا ، قال : أفلم نرفع من قدرك ، وألزمنا أبا عمر القاضي قبول شهادتك حتى زدتَ على الأماثل من نظرائك ؟ قال : بلى ؟ ثم قال له المحسّن إبنه ، وكان حاضراً : أما جئتك ليلة في سميريّة ، ومعي خديجة بنت الفضل بن جعفر بن الفرات ، بنت عمّي ، وزوجتي ، وثلاثون بدرة عيناً نقلتها على كتفي إلى المسجد المجاور لدارك بشارع الماذيان ، وعلى قريب من سوق الطعام ، وأجلستُ المرأة تحفظ البدر ، وطرقت بابك متخفّياً ، وعليّ كنانة سوداء ، وبيدي طبرزين ، ودفعتُ الباب ففتحت لي جاريتك ، وهجمتُ عليك ، وأنت وحرمك في صفّة دارك ، فارتعتَ ، وقلتَ : من أنت ؟ فلما تبيّنتَ وجهي ، قلت : سيّدنا الوزير ؟ قلت : لستُ

الوزير ، أنا سرور خادم خديجة بنت الفضل بن جعفر ، أخرج معي وأبعد من معك عنك ، فخرجتُ ، ونقلنا البدر إلى دارك ، ومعها زوجتي ، وقلت لك : هذه خديجة بنت عمي ، وزوجتي ، وهي طالقٌ منّي ثلاثاً بتاتاً إن كان هذا المال لي أو لأبي ، بل هو ملكها ، وإرثها من أبيها ، وهو وديعة لها عندك ، وأمانة في عنقك ، لا تعط أحداً منه ديناراً فما فوقه سواها ، فقلتَ : نعم ، وتسلّمت البدر ؟ قال : نعم ، قال : أفلم أخاطبك بعد مدّة من ذلك ، على أن تقرضني من الجملة بدرتين ، فما فعلتَ ، وآعتذرتَ بما كان جرى ، فعذرتكَ ، وقلت لك : إنّما آعتبرتك وآختبرتك ؟ قال : نعم ، فقال له أبو الحسن بن الفرات : أفلم تحضر مع الشهود عند مصادرتنا ، وقد جمع الناس للكشف عن حالنا ، وبقيّة إن كانت بقيت من أموالنا ، ثم انتهى الأمر يومئذ إلى استحلافنا ، فحلفنا - أنا والمحسّن إبني - بالأيمان المغلّظة السلطانية المشتملة على الطلاق والعتاق وصدقة المال ، انّه لم يبق لنا موجود ، ولا مذخور ، ولا مودوع ، وأقسمنا بعد القسم بالله ، بحقّ رأس أمير المؤمنين على مثل ذلك ، وأحللناه من دمنا ، إن كنّا كاذبين ؟ قال : نعم ، قال : أفلم تسمع اليمين وأنت تعلم انّنا صادقان فيها ، بخروج ما عندك عمّا نملكه مع ما قاله لك المحسّن في أمره إنّه لزوجته من دونه ودون غيره ، وإنّه مالٌ ورثته عن أبيها ، ما آستفادته منّا ، قال : نعم ، قال : أفلم تقم في ذلك المجلس ، مع علمك ما تعلم ، وقلتَ : كَذَبَ ، له عندي ثلاثون بدرة عيناً أو دعنيها ابنه المحسّن ؟ ولو لم نبلغك ما بلّغناك ونقدّمك من منزلة الشهود إلى ما قدّمناك ، لما حضرتَ ذلك المجلس ، ويا ليتك ، لما فعلتَ ما فعلتَ ، صدقتَ عن باطن الأمر ، فقد كان يسعك أن تعطي ما أعطيت ، وتسلّم ما سلّمت ، بعد أن تذكر ما جرى بين المحسّن وبينك .

فلما سمع كاتب مفلح ، من قول ابن الفرات لابن ما شاء الله ما قال ، واعترافه له بجميع ذلك ، نهض ، وقال : أستودع الله الوزير ، وانصرف .

وأمر الوزير بردّ ابن ما شاء الله إلى محبسه ، ثم قتله .

وقال الناس : إن كان دمٌ لا يطالب الله بن ابن الفرات ، فدم ابن ما شاء الله (الوزراء ٢٣٤ ـ ٢٣٧) .

وفي السنة ٣١٢ سلّم المحسن بن الفرات إلى أحد أتباعه ، جماعةً من العمّال والكتّاب والتجّار ، فيهم النعمان بن عبد الله ، وعبد الوهاب بن ما شاء الله ، ومؤنس خادم حامد ، فأظهر انّه يطالبهم بما بقي عليهم من مبالغ المصادرة ، فلما حصلوا في يده ذبحهم ذبح الغنم . (تجارب الأمم ١٢٣/١) .

وفي السنة ٣١٢ قتل محمد بن خزر الزناتي ، مصالة بن حبوس المكناسي ، من أكبر قوّاد عبيد الله المهدي ، وولي للمهدي على تاهرت والمغرب الأوسط ، وآستولى على فاس وسجلماسة . (الاعلام ١٢٨/٨) .

وفي السنة ٣١٥ نشبت معركة ضارية بين أبي طاهر القرمطي ، والجيش العباسي بقيادة يوسف بن أبي الساج ، فانكسر الجيش العبّاسي ، وأسر يوسف جريحاً ، فقتله . (ابن الأثير ٨/ ١٧٠ ـ ١٧٣) .

وفي السنة ٣١٦ كان أسفار بن شيرويه الديلمي ، قد ملك الريّ ، وطبرستان وجرجان ، وقزوين ، وزنجان ، وأبهر ، وقم ، والكرج ، وعظمت جيوشه ، فطغى وتجبّر ، وقرّر أن يجعل لنفسه تاجاً ، وأن ينصب لنفسه بالريّ سريراً من الذهب ، وبطش بأهل قزوين ، وأخذ أموالهم ، وعذّبهم ، وقتل كثيراً منهم ، وعسفهم عسفاً شديداً ، حتى إنّه سمع المؤذّن يؤذّن ، فأمر به فألقي من أعلى المنارة إلى الأرض ، فاستغاث الناس من شرّه وظلمه ، وخرج أهل قزوين بأجمعهم ، إلى الصحراء ، رجالاً ، ونساءً ، وولداناً ، يتضرّعون إلى الله ، ويدعون عليه ، ويسألون الله كشف ما بهم ، فبلغه ذلك ، فضحك منهم ، وشتمهم ، وكان قد بعث أحد قوّاده مرداويج ، إلى سلار صاحب

شميران الطرم ، يدعوه إلى طاعته ، فاتّفق مرداويج مع سلار ، على محاربة أسفار ، وتخليص الناس مما يلاقون من الجهد والبلاء من حكمه ، وكتب مرداويج إلى جماعة من القوّاد الذين يثق بهم من جماعة أسفار ، يعرّفهم ما اتّفق عليه هو وسلار ، فأجابوه ، وكانوا قد سئموا حكم أسفار لظلمه وجوره ، حتى أنّ مطرف بن محمد ، وزير أسفار ، وافقهم على التخلّص منه ، فلما قصده مرداويج وسلار ، ثار به جنده ، فهرب منهم في جماعة ، وركب المفازة ، يريد قلعة ألموت ، حيث أمواله وذخائره ، وبلغ مرداويج خبره ، فخرج في أثره ، وقدّم بعض قوّاده بين يديه ، فلحقه ذلك القائد وقد نزل يستريح ، فسلّم عليه بالإمرة ، فقال له أسفار : لعلّ خبري قد اتّصل بكم ، وأرسلوك في طلبي ، قال : نعم ، فبكي أصحابه ، فأنكر عليهم أسفار ذلك ، وقال لهم : بمثل هذه القلوب تتجنّدون ؟ أما علمتم أنّ الولايات مقرون بها البليّات ، ثم أقبل على القائد وهو يضحك ، وسأله عن قوّاده الذين أسلموه وخذلوه ، فأخبره بأنّ مرداويج قتلهم ، فتهلّل وجهه ، وقال : كانت حياة هؤلاء غصّة في حلقي ، وقد طابت نفسي الآن ، فحمله القائد إلى مرداويج ، فلما رآه ، نزل إليه وذبحه (ابن الأثير ٨/١٩٣ ـ ١٩٥) .

ولما عزل المقتدر ، في السنة ٣١٧ ونصب أخوه القاهر خليفة ، حضر قسم من الجند بعد يومين من بيعة القاهر ، يطالبون بمال البيعة ، واقتربوا من مجلس القاهر ، فخرج إليهم نازوك ، وكانت إليه الشرطة والحجابة ، فشهروا عليه السلاح ، فولّى منهم ، فعدوا خلفه ، وقتلوه وقتلوا غلامه عجيباً ، وصاحوا : مقتدر ، يا منصور ، وصلبوا نازوك وعجيباً على خشب الستارة التي على شاطىء دجلة ، وأعادوا المقتدر إلى الخلافة . (تجارب الأمم ١/١٩٥ و١٩٦) .

وفي السنة ٣٢١ احتال القاهر ، على القوّاد مؤنس ويلبق وولده عليّ فاعتقلهم ، ثم دخل على عليّ بن يلبق ، وأمر به فذبح أمامه ، واحتزّ رأسه ،

فوضعوه في طشت ، ومضى القاهر والطشت يحمل بين يديه ، حتى دخل على يلبق ، فوضع الطشت بين يديه ، وفيه رأس ولده ، فلما رآه بكى ، فأمر به القاهر فذبح أيضاً ، وجعل رأسه في الطشت ، وحمل بين يدي القاهر ، ومضى حتى دخل على مؤنس ، فوضع الطشت بين يديه ، فلما رأى الرأسين ، استرجع ، وتشهّد ، فقال القاهر : جرّوا برجل الكلب الملعون ، فجرّوه ، وذبحوه ، ووضعوا رأسه في الطشت ، وطيف بالرؤوس في بغداد . (ابن الأثير ٨/ ٢٦٠ و٢٦١) .

أقول : الطشت بالشين ، لغة في الطست بالسين .

وفي السنة ٣٢١ اتّهم مرداويج ، وزيره مطرف بن محمد ، بأنّه مال إلى جانب السامانية ، فقتله (ابن الأثير ٨/٢٦٣) .

وفي السنة ٣٢٢ قتل الراضي ، الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وكان سبب ذلك إنّ الحسين بن القاسم سبق أن وزّر في السنة ٣١٩ للمقتدر ، فخاصم مؤنساً ، وأوقع في قلب المقتدر أنّ مؤنساً يحاول خلع المقتدر ، ويحاول أن يأخذ أبا العباس أحمد بن المقتدر (الراضي فيما بعد) من داره بالمخرّم ويسير به نحو الشام ، فيبايعه هناك ، فردّ المقتدر ولده أبا العباس أحمد إلى دار الخلافة ، وعلم أبو العبّاس بالسبب ، فحقدها على الحسين ، فلما ولي الخلافة ، وتبيّن من محاكمة ابن الشلمغاني ، الذي أنشأ ديانة جديدة ، أنّ الحسين من أتباعه ، وكان الحسين بالرقّة ، فأنفذ الراضي إليه من قتله ، وحمل رأسه إلى بغداد (ابن الأثير ٨/٢٣٢ و٢٩٤) .

وفي السنة ٣٢٢ اشتبك عماد الدولة بن بويه ، مع القائد ياقوت ، وياقوت على رأس جيش عبّاسي ، بقرب شيراز ، وكان من سعادة عماد الدولة أنّ جماعة من أصحابه استأمنوا إلى ياقوت ، فحين رآهم ياقوت ، أمر بضرب رقابهم ، فأيقن أصحاب عماد الدولة أنّه لا أمان لهم عند ياقوت ، فاستقتلوا ،

وكسب عماد الدولة المعركة ، وانفلّ الجيش العباسي ، وانهزم ياقوت ، ووجدوا في مخلّفات ياقوت ، برانس لبود عليها أذناب الثعالب ، وقيوداً وأغلالاً ، فسألوا عنها أصحاب ياقوت ، فقالوا : إنّ هذه أعدّت لكم لتجعل عليكم ، ويطاف بكم في البلاد ، فأشار أصحاب عماد الدولة عليه أن يفعل بهم مثل ذلك ، فامتنع ، وقال : إنّه بغي ، ولؤم ظفر ، ثم أحسن إلى الأسارى وأطلقهم ، وخيّرهم بين المقام عنده ، أو اللحاق بياقوت ، فآختاروا المقام عنده ، فخلع عليهم ، وأحسن إليهم ، واستولى على شيراز (ابن الأثير ٢٧٥/٨ و٢٧٦) .

وفي السنة ٣٢٢ قتل هارون بن غريب الخال ، وغريب هو خال المقتدر ، وكان سبب قتله إنّه لما استخلف الراضي ، وجد هارون إنّه أحقّ بالدولة من غيره ، لقرابته ، وإنّه ابن خال المقتدر ، فكاتب القوّاد ببغداد يعدهم الإحسان والزيادة في الأرزاق ، وسار من الدينور يريد خانقين ، فانزعج القوّاد في بغداد ، وشكوه إلى الراضي ، فأذن لهم في منعه ، فراسلوه ، وبذلوا له طريق خراسان ، زيادة على ما في يده من الأعمال ، فلم يقنع ، وتقدّم إلى النهروان ، وشرع في جباية الأموال ، فخرج إليه محمد بن ياقوت القائد ، وكانت إليه حجبة الخليفة ، في جيش بغداد ، فاصطدم الجيشان ، وكانت الكفّة الراجحة لجند هارون ، وسار محمد بن ياقوت ليقطع قنطرة نهربين ، وهي في طريقه إلى بغداد ، فبلغ ذلك هارون ، فسار نحو القنطرة منفرداً من أصحابه ، طمعاً في قتل محمد بن ياقوت ، أو أسره ، فتقنطر به فرسه ، فسقط في ساقية ، فلحقه غلام له اسمه يمن ، فضربه بالطبرزين حتى أثخنه ، وكسر عظامه ، ثم نزل إليه فذبحه ، ثم رفع الرأس وكبّر ، فانهزم أصحابه وتفرّقوا ، وقتل جماعة من قوّاده ، وأسر جماعة ، ودخل محمد بن ياقوت بغداد ورأس هارون بين يديه ، ورؤوس جماعة من قوّاده ، فنصب ببغداد (ابن الأثير ٢٨٨/٨ و٢٨٩) .

وفي السنة ٣٣١ استقدم الأمير نوح الساماني ، محمد بن أحمد النسفي البردهي ، وكان قد طعن فيه عنده ، فقتله ، وصلبه ، فسرق من الجذع ، ولم يعلم من سرقه (ابن الأثير ٨/٤٠٤) .

وفي السنة ٣٣٢ صار محمد بن ينال الترجمان إلى سيف الدولة ، وهو بالرقّة ، فعاتبه سيف الدولة على أشياء بلغته عنه ، وكان اتّهم بأنّه عقد الرئاسة لنفسه على العجم ، وواطأ المتّقي على الإيقاع بسيف الدولة ، فجحد محمد بن ينال ذلك ، فلما خرج من حضرته بعد العتاب ، وثب به غلمان سيف الدولة ، فقتلوه بسيوفهم (تجارب الأمم ٢/٥٥) .

وفي السنة ٣٣٢ قتل أبو عبد الله البريدي ، أخاه أبا يوسف البريدي ، وكان أبو عبد الله عظيم البذل للمال ، بخلاف أبي يوسف فإنّه كان جمّاعاً للمال ، مقتصداً في الصرف ، وكان أبو عبد الله كلّما احتاج إلى مال ، وطلب من أبي يوسف أن يقرضه ، خاشنه أبو يوسف ، وعيّره بالتبذير ، واحتاج أبو عبد الله مرّة إلى مال ، فبعث إليه على سبيل الرهن ، جوهراً كان بجكم قد أعطاه لسارة ابنة أبي عبد الله البريدي لما تزوّجها ، فأحضر أبو يوسف الجوهرية ، وأراهم الجوهر لتقدير ثمنه ، فلما أثنوا على الجوهر ، خاشنهم أبو يوسف وقال لهم إنّه لا يساوي أكثر من خمسين ألف درهم ، وبعث إلى أخيه خمسين ألف درهم ، وحفظ الجوهر في حوزته ، فدمعت عينا أبي عبد الله ، وعدّد ما فعله مع أخيه أبي يوسف من الإحسان ، فلما كان من الغد ، أقام غلمانه في طريق مسقوف بين داره والشطّ ، وأقبل أخوه أبو يوسف من الشطّ ، فدخل في ذلك الطريق ، فثاروا به ، فقتلوه ، وهو يصيح : يا أخي ، يا أخي ، قتلوني ، وأخوه يسمعه ، ويقول : إلى لعنة الله ، حتى قتلوه (ابن الأثير ٨/٤٠٩ و٤١٠) .

وفي السنة ٣٣٣ ضربت عنق طاهر الهاشمي ، من ولد إبراهيم الإمام ، وابن السوسي الحجري (من الغلمان الحجريّة) ، بحضرة الحسين ، أي في

الساحة بمقبرة الحسين الحلّاج ، وصلبوا هناك ، وضربت أيضاً عنق ممراح اليلبقي ، أي من أتباع يلبق القائد التركي الذي قتله القاهر ، وكان ممراح يكبس المنازل ويقطع الطريق في السماريات ، والسمارية من وسائل الانتقال في الماء (العيون والحدائق ج ٤ ق ٢ ص ١٥٧) .

وفي السنة ٣٣٣ قدم أبو الحسين البريدي (ثالث الأخوة البريديّين) ، بغداد ، مستأمناً إلى توزون ، فأمّنه ، وأكرمه أبو جعفر بن شيرزاد وزير توزون ، وطلب أن يعان على ابن أخيه الذي استولى على البصرة ، فأنفذ ابن أخيه مالاً إلى توزون وابن شيرزاد ، فأنفذوا له الخلع ، وأقرّوه على عمله ، فلما أيس أبو الحسين من البصرة ، عمل على أن يحلّ عند توزون ، محلّ ابن شيرزاد ، وعلم ابن شيرزاد بذلك ، فقبض عليه وقيّده ، وعذّبه ، وضربه ضرباً عنيفاً ، وأحضر له فتوى كانت قد صدرت أيّام ناصر الدولة بإباحة دمه ، وأحضر الفقهاء ، وتليت الفتوى أمامهم ، ثم قطعت عنقه (ابن الأثير ٨/٤٤٢) .

وحضر أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين العبقسي ، مجلس صاحب الشرطة بنصيبين ، وقد أحضر أمامه سبعة من اللصوص قاطعي الطريق ، فشهد لثلاثة منهم ، فخلّصهم من العقوبة ، وأطلقوا ، وضربت أعناق الباقين ، راجع تفصيل ذلك في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ج ٥ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٨ رقم القصة ١٣٢ .

وآعترف فتى بغدادي ، من أولاد الجند ، بأنّه قتل فتاة بغدادية وصاحبها الأسود ، ودلّالة عجوزاً ، لأنّهم أرادوا قتله ، وحاز الألوف مما وجده عندهم من أموال ، راجع تفصيل ذلك في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٥ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٤ رقم القصة ١٣٣ .

وفي السنة ٣٣٤ خرج أبو علي بن محتاج ، على أميره نوح

الساماني ، صاحب خراسان وما وراء النهر ، واستولى على عدّة مدن ، منها مرو ، وولّى عليها أبا أحمد محمد بن علي القزويني ، فبعث الأمير نوح ، قائده منصور بن قراتكين إلى مرو ، فخرج إليه القزويني مستسلماً ، فأكرمه ، وسيّره إلى بخاري ، مع ماله وأصحابه ، فأكرمه الأمير نوح ، وأحسن إليه ، إلاّ إنّه وكّل به ، يعني إنّه وضعه تحت المراقبة الدقيقة ، فظفر في بعض الأيّام ، برقعة كتبها القزويني ، بما أنكره ، فأحضره ، وبكّته بذنوبه ، ثم قتله ، (ابن الأثير ٨/٤٦١ و٤٦٢) .

وفي السنة ٣٣٥ كان جنود الدولة السامانية ، قد أزعجهم محمد بن أحمد الحاكم ، المتولّي للأمور لسوء سيرته ، فقالوا لأميرهم نوح الساماني ، صاحب خراسان وما وراء النهر ، إنّ الحاكم أفسد عليك الأمور بخراسان ، وأحوج أبا علي إلى العصيان ، وأوحش الجنود ، وطلبوا تسليمه إليهم، وإلاّ ساروا إلى عمّه فأمّروه ، فأسلمه إليهم ، فقتلوه (ابن الأثير ٨/٩ و٤) .

وفي السنة ٣٤٩ غزا سيف الدولة الروم في ثلاثين ألفاً ، وعند عودته ، أخذ عليه الروم الدروب ، وسدّوا طريقه ، وكان مع سيف الدولة أربعمائة أسير من الروم ، فضرب أعناقهم ، ونجا في ثلثمائة من أصحابه ، واستباح الروم بقيّة الجيش ، وَقتل منهم كثير (خطط الشام ١/٢١٩) .

وفي السنة ٣٤٩ ظهر بأذربيجان ، رجل من أولاد عيسى بن المكتفي ، تلقّب بالمستجيربالله ، ولبس الصوف ، وأظهر العدل ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، وكثر أتباعه ، فقصده جستان وابراهيم ولدا المزربان ، فلمّا التقوا ، انهزم أصحاب المستجير ، وأسر ، فقتل (ابن الاثير ٨/٥٢٩ و٥٣٠) .

وفي السنة ٣٥٣ خرج نجا غلام سيف الدولة ، على سيّده ، واستولى على أكثر بلاد أرمينية ، وأعلن عصيانه ، وكاتب معزّ الدولة ، ووعده المعاضدة والمساعدة على مواليه الحمدانيين ، فقصده سيف الدولة بجيش ،

ففرّ نجا منه ، ثم استأمن إليه ، فأحسن إليه سيف الدولة ، وأعاده إلى مرتبته ، ثم إنّ غلمان سيف الدولة ، وثبوا بنجا في السنة ٣٥٤ فقتلوه بين يديه ، فغشي على سيف الدولة ، وأخرج نجا ، فطرح في مجرى الماء والأقذار ، ثم أخرج ودفن (ابن الأثير ٨/٥٥١ و٥٥٢) .

وفي السنة ٣٥٩ قتل الأمير سليمان بن محمد ، من بني أليأس ، صاحب كرمان قتله البويهيّون (معجم انساب الاسر الحاكمة ٣٢٧) .

وفي السنة ٣٥٩ **قبض الوزير أبو الفرج بن فسانجس ، على سلفه الوزير أبي الفضل الشيرازي** ، وعلى أسبابه ، فصادرهم ، وقتل بالعذاب صهراً لابي الفضل إسمه ابراهيم بن محمد (تجارب الأمم ٢/٢٦٤) .

وفي السنة ٣٦٠ هلك أبو طاهر الحسين بن الحسن عامل البصرة ، وكان ذاشهامة وكفاية وتهوّر ، فطمع في الوزارة ، وحاول إرضاء بختيار بالمرافق والأموال ، فصادر الناس ، وبسط يده في القبض على التجّار والعوامّ واستخرج منهم أموالاً كثيرة ، وأحسّ الوزير أبو الفضل الشيرازي بأنّه طامع في الوزارة ، فكتب إلى بختيار يعرّفه أنّه قد أخرب البصرة وأفسد نيّات أهلها ، وأنّهم عرب لا يتحمّلون ما يتحمّله غيرهم ، وما دامت أموالهم قد حصلت ، فالصواب يقضي بإرضائهم بالقبض على هذا العامل ، والاستبدال به ، فأمر بالقبض عليه ، فقبض الوزير عليه وعلى أخيه والمتّصلين به حتى زوجته ، وعياله وأقاربه ، وأسبابه كلّهم وكان العامل من أهل الشرّ ، فكثر خصماؤه ، فعسفه علي بن الحسين خلفه في عمالة البصرة ، وسلّمه إلى مستخرج كان قد وتره ، فنالته منه مكاره عظيمة ، خاف معها أن يسلم فيكون بواره على يده ، فأتى على نفسه ، ثم ألحق به أخاه ، وأقاربه ، وزوجته ، فأتلف الجماعة بأسرها ، وعفّى آثارها . (تجارب الأمم ٢/٢٩٣ ـ ٢٩٩) .

وفي السنة ٣٦١ سار محمد بن هانيء الاندلسي الشاعر مع المعزّ

العلوي قاصداً مصر ، فلما وصل ألى برقة ، رؤي ملقى على جانب البحر قتيلاً لا يدري من قتله . (ابن الأثير ٨/٦٢١) .

وفي السنة ٣٦١ اجتمع عوامّ بغداد ، على صاحب شرطة بختيار ، واسمه خمار ، فحملوا عليه ، وقتلوه خفقاً بالسيوف واللتوت ، وفصّلوا جثّته آراباً ، حتى أخذ كبده بعض السفهاء ، وقلبه آخر ، وكلّ جارحة منه ، وجدت في يد سفيه ، ثم أحرقوا باقي جثّته بالنار . (تجارب الامم ٢/٣٠٥ و٣٠٦) .

وفي السنة ٣٦١ قتل الخير بن محمد بن محمد بن خزر ، الملقب بالمنتصر ، من سلاطين المغرب الأوسط ، وهو من بني مغراوة (معجم أنساب الاسر الحاكمة ١١٢) .

وفي السنة ٣٦٣ قصد القرامطة مصر ، في جمع عظيم ، فصمد لهم المعزّ لدين الله ، وحاربهم ، فانكشفوا ، وفرّوا ، وآستولى المعزّ على المعسكر القرمطي ، وأسر من القرامطة نحو ألف وخمسمائة أسير ، فضرب أعناقهم (ابن الأثير ٨/٦٣٩) .

وفي السنة ٣٦٣ خشي ابن بقيّة وزير بختيار ، على منصبه ، أن يخلفه عليه محمد بن أحمد الجراجرائي ، لأنّه وجده قد خفّ على قلب بختيار ، فأرسله إلى البصيرة في مهمة ، ثم كتب إلى وكيل له بالبصرة ، أن يقبض عليه ، فاعتقله ، وأحدره إلى واسط ، وكتب ابن بقيّة إلى عامله على واسط ، فتسلّمه ، ومكث عنده أيّاماً ، وقتله ، وأظهر أنّه آعتلّ ومات . (تجارب الأمم ٢/٣٢٣) .

وقبض الأبزاعجي ، صاحب شرطة بغداد ، في عهد معزّ الدولة البويهي ، على ملّاح غرّق امرأة وإبنتيها ، من أجل الإستيلاء على حليها ، والعبث بها ، فأمر به ، فقطعت يداه ، ورجلاه ، ثم قطعت عنقه ، وأحرق

جسده بالنار ، راجع القصّة مفصّلة في كتاب نشوار المحاضـرة للتنوخي ، رقم القصة ١٤١/٣ ج ٣ ص ٢١٤ ـ ٢٢٠ .

وفي السنـة ٣٦٦ هاجم سجلمـاسة ، خـزرون بن فلفـول ، من رؤسـاء مغراوة ، وانتصر على المعتـزّ بالله أبي محمـد بن الشاكـر لله محمد ، وقتله ، وبعث برأسه إلى قرطبة ، وبقتله انتهى أمر بني مدرار . (الاعلام ٧٨/٨) .

وبعث العزيز الفاطمي بمصر ، إلى كتامة بالمغرب ، داعياً يقال له : أبو الفهم الحسن بن نصر ، يدعوهم إلى طاعتـه ، ويطلب أن تميـل كتامـة إليه ، وتـرسل إليـه جنـداً يقـاتلون المنصـور الصنهـاجي المستـولي على إفـريقيـة ، فدعاهم أبو الفهم ، وكثر من تبعه منهم ، فعزم المنصـور على قصده ، فكتب العزيز إلى المنصور يحذّره من ذلـك ، فلم يستمع المنصـور ، وتجهّز لحـرب كتامة ، وقاتلهم ، فهزمهم ، وهرب أبو الفهم إلى جبلٍ وعر ، والتجأ إلى قوم من كتامة يقال لهم : بنوا إبراهيم ، فأرسل إليهم المنصور يهدّدهم ، فقالـوا : لا نسلم ضيفنا ، فأرسـل ، فأخـذه قسراً ، وضـربه ضـرباً شـديداً ، ثم قتله ، وسلخه ، وأكلت صنهاجة وعبيد المنصور لحمه (ابن الأثير ٥٤/٩) .

وفي السنـة ٣٦٧ نشبت معركـة بين بختيار البـويهي ، وابن عمّه عضـد الدولة ، بقصر الجصّ ، بنواحي تكـريت ، فأسـر بختيار ، وحمـل إلى عضد الدولة ، فأمر بقتله ، فقتل (ابن الأثير ٦٩١/٨) .

وفي السنة ٣٦٨ قتل مروان بن عبد الـرحمن بن مروان بن عبـد الرحمن النـاصر ، بـالأندلس ، أبـاه عبد الـرحمن بن مروان ، وسبب القتـل أنّـه كـان يتعشّق جارية ربّاها أبوه معه ، ثم استأثر بها أبوه ، فاشتدّت غيرته ، وقتل أباه فسجنه المنصور بن أبي عامر ست عشرة سنة ، ثم خـرج من السجن ، فعاش ست عشرة سنة ، وتوفي سنة ٤٠٠ ، وكان في ملاحة الشعر وحسن التشبيـه ، في بني أميّه ، كابن المعتزّ في بني العباس . (الاعلام ٩٦/٨) .

وفي اسنـة ٣٦٩ وقعت الحـرب بين أبي تغلب ، وبين الفضـل وابـن الجرّاح ، بالـرملة ، فأصـابت أبا تغلب ضـربة على رأسـه ، وعرقب فـرسه ، فسقط إلى الأرض ، فـأسره ابن الجراح ، وسيّـره على ناقـة ، وقد شـدّ رجليه بسلسلة إلى بطنها ، فأراد الفضل أن يـأخذه منـه ، فبادر ابن الجـرّاح ، وأنـاخ الناقة ، وضـرب أبا تغلب بسيفه فقتله . (تجارب الأمم ٢/٤٠٣) .

وفي السنة ٣٧٠ كان عضـد الدولـة ، قد خلع علي بـدر بن حسنويـه ، وأمّره مكان أبيه ، فحسده أخـواه عاصم وعبـد الملك ، وخرجـا عليه ، فسيّـر إليهما عضد الـدولة جيشـاً أوقع بعـاصم ، وأسره ، وقتـل أولاد حسنويـه ، إلاّ بدراً . (ابن الأثير ٩/٥ و٦) .

وفي السنة ٣٧٢ اعتقل الحاجب المنصور، إبن أبي عامر ، الوزير جعفر المصحفي ، وصـادر أموالـه ، ثم قتله ، وبعث بجسده إلى أهله . (الاعـلام ٢/١١٩) .

وفي السنة ٣٧٢ قُتِلَ أبو علي الحسن بن بشر الراعي ، عامـل نصيبين ، وكان ظالماً شريراً ، لمّا بلغ النـاس خبر وفـاة عضد الـدولة ، إذ هاجمه أهـل البلد ، للفتك به ، فخـرج في لباس امـرأة ، وغمز عليـه فأخـذ وقتل ، وكـان الراعي هذا ، نصرانياً من أهل رأس عين صحب بني حمدان ، وأسلم ، وفـرّ إلى بغداد ، فقلّده ابن بقيّة الـوزير واسط ، ثم استخلفـه ببغداد ، وفي السنـة ٣٦٦ قتل عدداً من الناس بأمـر من الوزيـر ابن بقية ، ولمـا اعتقل بختيار وزيره ابـن بقّيـة ، اعتقل الـراعي معـه ، ثم سمله (تجـارب الامم ٢/٨ و٣ و٣٥٩ و٣٦٩ وذيل تجارب الامم ٨٣) .

وفي السنة ٣٧٢ لما توفّي عضد الدولة ببغداد ، كان ولـده شرف الـدولة شيرزيل بكرمان ، فلما بلغه خبـر وفاة أبيـه ، سار مجّداً إلى فارس فملكهـا ، وقبض على نصـر بن هارون النصـراني ، وزير أبيـه ، فقتله ، لأنّه كـان يسيء صحبته أيام أبيه (ابن الأثير ٩/٢٣) .

وفي السنة ٣٧٥ تحرّك أبو الحسين بن عضد الدولة ، بأصبهان ، وأراد الاستيلاء عليها ، فاعتقله أبو العباس الضبّي ، وقيّده ، وحبس في قلعة ببلاد الديلم ، ولما اشتدّت العلّة بفخر الدولة ، أنفذ إليه من قتله في السنة ٣٨٧ ، ووجدوا مكتوباً في حبسه من نظمه : (ذيل تجارب الأمم ١٢٢ و١٢٣) .

هب الدهر أرضاني ، وأعتب صرفه وأعقب بالحسنى وفكّ من الأسر
فمن لي بأيّام الشباب التي مضت ومن لي بما قدفات في الحبس من عمري

وفي السنة ٣٧٧ جهّز شرف الدولة البويهي عسكراً كثيفاً بقيادة قراتكين الجهشياري وهو مقدّم عسكره وكبيرهم ، لقتال بدرين حسنويه ، فعاد قراتكين منكسراً ، فقبض شرف الدولة عليه ، وقيّده ، ثم قتله في يومه (ابن الأثير ٥٢/٩ و٥٣ وذيل تأارب الامم ١٤٠) .

وفي السنة ٣٧٩ قتل أبو الفضل بن أبي مكتوم ، وزير الأميرأبي علي البويهي ، بأرجان ، قتله القائد التركي البكي ، وكان قد قدم أرجان ، فخرج الأمير والوزير لاستقباله ، فتقدّم جند أتراك من الوزير ، وجرّوه إلى حيث ذبحوه ، ثم جاء البكي إلى الامير وآعتذر إليه ، بأنّه وقف على سوء نيّة الوزير ، فقتله ، فلم يجد الأمير بدّاً من السكوت . (ذيل تجارب الامم ١٦١ و١٦٢) .

وفي السنة ٣٧٩ قبض بهاء الدولة البويهي ، على نحرير الخادم واعتقل في الخزانة ، أي في دار الإمارة ، ثم خيّر فاختار أن يعتقل في دار أبي جعفر الحجّاج ، ثم ألحّ الحسين الفرّاش ، فأذن له بهاء الدولة بأن ينقله إلى داره (دار الحسين) ويعتقله فيها ، فنقله إلى داره ، وقتله في الحبس . (ذيل تجارب الامم ١٥٤ ـ ١٥٧) .

وفي السنة ٣٧٩ خرج إنسان من كتامة يقال له أبو الفرج ، واتّخذ البنود والطبول ، وضرب السكّة ، وجرت بينه وبين المنصور بن يوسف بن بلكّين

وقائع عديدة ، فسار إليه المنصور في عساكره ، فانهزم أبو الفرج ، وقتل من كتامة مقتلة عظيمة ، واختفى أبو الفرج في غارٍ في جبل ، فوثب عليه غلامان له ، فأخذاه إلى المنصور ، فقتله (ابن الأثير ٩/٦٧) .

وفي السنة ٣٨٠ قبض على أبي الفرج محمد بن أحمد ، المعروف بابن الزطّي ، صاحب المعونة ببغداد ، وكان ظالماً شريراً ، وتر الناس ، وعرف بكثرة المال فقبض عليه ، واعتقل بالخزانة ، وكّرر الضرب عليه أيّاماً ، ثم ضمنه أبو القاسم الشِيرازي بألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، وقال : إنّ المال لا يصحّ وهو حيّ ، يخافه أصحاب الودائع ، فقتل ، وحمل رأسه إلى المعلّم ، فأنفذه إلى محمد بن مكرم ، فوضعه في دهليزه ليراه الناس . (ذيل تجارب الأمم ١٧٩ - ١٨١) .

وكان بكجور ، مولى قرغويه غلام سيف الدولة ، على حمص ، في السنة ٣٧٢ ولّاه عليها أبو المعالي ابن سيف الدولة الحمداني ، فعصى عليه ، وكاتب العزيز الفاطمي ، فولّاه دمشق ، فأساء السيرة فيها ، فعزله ، فحارب العزيز ، ولكنّه آنكسر ، وتوجّه إلى الرقّة ، وراسل بهاء الدولة البويهي لينضم إليه ، وكاتب كذلك باد الكردي المتغلّب على ديار بكر ، وراسل في الوقت عينه سعد الدولة أبا المعالي ، بأن يعود إلى طاعته ، ويعيد إليه حمص ، فرفضه جميع الذين كاتبهم ، وبقي في الرقّة ، فكاتب العزيز يغريه بالإستيلاء على حلب ، فوافقه العزيز في الظاهر ، وكتب إلى والي طرابلس أن يعينه بالعساكر ، وكتب سرّاً إلى والي طرابلس ، أن يترك بكجور حتى يتورّط مع سعد الدولة ، ثم يتخلّى عنه ، وتمّ الأمر على ذلك ، فإنّ بكجور قصد حلب ، وآغترّ بوعد والي طرابلس أن ينجده بالعساكر ، فلما نشبت المعركة بين بكجور وسعد الدولة ، انكسر بكجور ، وتفرّق عنه أصحابه ، فأخذه أحد الأعراب وحمله إلى سعد الدولة ، فأمر بقتله ، فقتل ، وكان قتله في السنة ٣٨١ (ابن الأثير ٩/١٧و ١٨ ، ٥٨ و٨٥ - ٨٧) .

وفي السنة ٣٨١ قتل الحاكم الفاطمي ، أرجوان الخادم ، وكان أرجوان يأخذ الحاكم بالسلوك الحسن ، وينصحه ، ويصدّه عن التبذير ، فضجر منه ، وكان ريدان الصقلبي ، أحد خدم الحاكم ، يغريه بأرجوان ، فأمر ريدان أن يقتله إذا ساروا في البستان ، ولما جاء أرجوان ، دخلوا إلى البستان ، ومشى الحاكم وأرجوان خلفه ، ومن بعده ريدان ، فأهوى ريدان بالسكّين في ظهر أرجوان ، فقال أرجوان للحاكم : يا مولاي ، غدرت ، فصاح الحاكم بالخدم ، وتكاثروا ، وأجهزوا عليه . (ذيل تجارب الامم ٢٣٠ و٢٣١) .

وفي السنة ٣٨١ اعتقل القائد أبو منصور فولاذ بن مانادر ، الوزير أبا القاسم العلاء بن الحسن ، وزير صمصام الدولة البويهي ، في حجرة من حجر دار الإمارة ، وكانت بينهما من قبل مودّة ، ثم انقلبت لتعارض المصالح إلى عداوة ، فاعتقل فولاذ الوزير ، لما زاره ، وخرجا معاً ، حتى وقفا بباب بيت ، فدفعه فولاذ إلى داخل البيت وأغلق عليه بابه ، وولّى به قوماً من أتباعه ، وكان للبيت باب آخر مسمّر ، غفل عنه فولاذ ، فقلع الوزير مساميره ، ونفذ منه إلى صمصام الدولة ، وخوّفه من فولاذ ، وأغراه بأن يقبض عليه ، فوضع صمصام الدولة من يقبض عليه إذا قدم ، وسمع الحديث علي الأرزناني النديم ، وكان يتجسّس لفولاذ ، فلما وافى فولاذ ، أشار عليه أن يعود ، فرجع فولاذ ، ومضى على وجهه إلى الأكراد الخسروية ، فنزل عليهم ، وعلم صمصام الدولة بما صنع علي الأرزناني ، فأمر به ، فقتل . (ذيل تجارب الامم ١٩٩ - ٢٠١) .

وفي السنة ٣٨٥ حارب الأمير مأمون بن محمد ، والي الجرجانية للسامانيين ، خوارزم شاه أبا عبد الله محمد بن أحمد ، وأسره ، وأمر به فقتل بين يديه ، وسبب ذلك ، إنّه في السنة ٣٨٣ اختلف أبو علي بن أبي الحسن بن سيمجور ، مع الأمير نوح بن منصور الساماني ، صاحب خراسان

وما وراء النهر ، فكاتب بغراخان التركي يحضّه على الإستيلاء على بخارى عاصمة السامانية ، فسار بغراخان قاصداً بخارى ، وطرد الأمير نوحاً منها ، ثم مرض بغراخان ، ورحل عن بخارى ، فعاد إليها نوح ، وعندئذ كاشف أبو علي الأمير نوحاً بالعصيان ، فكتب الأمير نوح إلى محمود بن سبكتكين بولاية خراسان ، فحضر بجيش وطرد أبا علي ، فآنسحب إلى جرجان ، ثم عاودأبو علي الطمع في خراسان ، وقصدها بجيشه ، وبعد معارك إنفلّ جيشه ، وقتل منه الكثير ، ونجا أبو علي إلى قرية بقرب خوارزم ، فأرسل له أبو عبد الله محمد بن أحمد ، خوارزم شاه ، ضيافة ، فلما كان الليل أرسل إليه جماعة من عسكره فاعتقلوه ، فبلغ ذلك الأمير مأمون بن محمد ، والي الجرجانية ، فعظم عليه ذلك ، وسار في جيش فحارب خوارزم شاه ، وأسره ، وأطلق أبا علي من الحبس ، وفكّ قيوده ، وعاد إلى الجرجانية ، وأحضر خوارزم شاه محمد بن أحمد ، وقتله بني يدي أبي علي ، وذلك في السنة ٣٨٥ ، ثم كتب مأمون إلى الأمير نوح ، يشفع في أبي علي ، ويطلب الصفح عنه ، فأجيب إلى ذلك ، فقصد أبو علي بخارى ، فيمن بقي من أهله وأصحابه ، فلما بلغوا بخارى استقبلوا استقبالاً حسناً ، فلما دخلوا على الأمير نوح ، أمر بالقبض عليهم ، وبلغ سبكتكين الخبر ، فأرسل يطلب أن يحبس أبو علي عنده ، فأخذه وحبسه ومات في حبسه سنة ٣٨٧ ، وكان ابنه الحسن قد لحق بفخر الدولة بن بويه ، فأكرمه ، فسار عنه إلى خراسان ، فظهر حاله ، فأسر ، وحبس مع والده أبي علي (ابن الأثير ٩/٩٨ - ١٠٩) .

وفي السنة ٣٨٧ امر الحاكم الفاطمي ، بالقاهرة ، بقطع عنق عيسى بن نسطورس ، فقطعت عنقه بالمقس ، وكان عيسى هذا أثيراً عند العزيز الفاطمي ، فلما توفّي ، قتله الحاكم ، وقال عيسى ، وهو ماضٍ ليقتل : كلّ شيء كنت أحسبه إلّا موت العزيز بالله ، ولكنّ الله لا يظلم أحداً ، والله ، إنّي لأذكر ، وقد ألقيتُ في السنة ٣٨٦ أوراقاً على بعض المتّهمين بالنهب ، وكان

في بعضها القتل ، وفي بعضها الضرب ، فأخذ شابٌ ممن كان فيهم رقعة ، كان فيها القتل ، فأمرتُ بقتله ، فصاحت أمّه ، ولطمت وجهها ، وحلفت أنّها ، وآبنها ، ما كانا ليلة النهب في شيء من أعمال مصر ، وإنّما وردا مصر بعد النهب بثلاثة أيّام ، وناشدتني الله تعالى . أن أجعله ممن يضرب بالسوط ، وأن يعفى من القتل ، فلم ألتفت إليها ، وأمرت بضرب عنقه ، فقالت أمّه : إن كنت لا بدّ قاتله ، فآجعله آخر من يقتل ، لا تمتّع به ساعة ، فأمرت به ، فجعل أوّل من ضرب عنقه ، فلطخت بدمه وجهها ، وسبقتني إلى القصر ، وهي منبوشة الشعر ، ذاهلة العقل ، فلما وافيت ، قالت لي : قَتَلْتَه ، كذلك يقتلك الله ، فأمرتُ بها فضربت حتى سقطت إلى الأرض ، ثم ترون الآن ما ترون . راجع في بحث المرأة الباب التاسع عشر من هذا الكتاب ، الفصل الثاني عشر (تعذيب المرأة بالضرب) سبب كتابة هذه الرقع وتوزيعها على المتّهمين . (خطط المقريزي ٢/١٩٦) .

وفي السنة ٣٨٧ قتل مجد الدولة وزيره أبا علي بن حمولة ، وكان قد خرج لاحتلال جرجان ، فعاد مفلولاً ، فقبض عليه ، وحبس في قلعة استوناوند ، ثم أنفذ إليه من قتله (ذيل تجارب الأمم ٢٩٩) .

أقول : أبو علي أحمد بن الحسن بن حمولة ، ورد اسمه في نشوار المحاضرة للتنوخي ، حمولي ، بالياء ، لأنّ البغداديين يلفظونها بالإمالة ، كما ورد لفظ هلال ، في النشوار ، مكتوباً بالياء : هليل ، راجع القصص ١/١٦٩ و ٢/٤٧ من النشوار ، نشأ أبو علي ضعيف الحال جداً ، وتحدّث عن نفسه ، أنّه كان ببغداد ، زماناً ، أميناً على زورق ، ما بين سورا (منطقة الحلّة) والقصر (قصر آبن هبيرة أي المسيّب) ، وذكر أبو الفرج الأصبهاني ، أنّه رآه وهو حارس لمتاع التجّار في خان يطرح فيه متاع الموصل ، ثم ترقّت به الحال في أيّام معز الدولة فأصبح أثيراً عنده ، وصار ـ على ما يقول التنوخي في نشواره ـ في السماء رفعة ، وجلالاً ، ويساراً ، وإليه طراز الحرم الديباج ،

وابتياع الثياب ، ومرتبته عند معزّ الدولة ، أجلّ مرتبة ، وكانت داره ببغـداد من السعة ، بحيث أنّه لما ترك بغداد ، أصبحت ديوانـاً من دواوين الدولـة ، ولما خـلا دست الوزارة من الصـاحب ابن عباد ، بـذل أبو علي لفخـر الدولـة ستّة آلاف ألف درهم ، فآستوزره وأبـا العباس الضبيّ ، فـأصبح كـلّ واحد منهمـا يقوم بعمل الوزارة يومـاً ، وأراد أن يؤثر أثـراً فخرج على رأس جيش لاحتـلال جرجان ، فعاد مفلولاً ، فآجتمع في دار الإمارة بـزميله وبالأمـراء ، وكانـوا قد اجمعوا على آعتقاله ، فاتّفق أنه خرج من القاعة ليقضي حاجة ، فعدل به إلى موضع في الدار ، وقيّد ، وحمل إلى القلعة ، حيث قتل ، راجع ذيل تجارب الامم ٢٦٣ و٢٦٤ و٢٩٨ و٢٩٩ .

وفي السنة ٣٨٨ قتل صمصام الدولة بن عضد الدولة ، وحمل رأسه إلى أبي نصر بن بختيار ، فلما وضع الرأس بين يديه ، قال يخاطب الرأس : هـذه سنّة سنّها أبوك ، يشير إلى أنّ عضد الدولـة ، هو الـذي سنّ هذه السنّـة بقتله ابن عمّه بختيار ، والد أبي نصر . (ابن الأثير ١٤٢/٩ و١٤٣) .

وفي السنة ٣٨٨ رحل صمصام الدولة من شيراز ، يريد الأهـواز ، فنهبه الأكـراد في طريقـه ، وصار إلى الـدودمان ، وهي على مـرحلتين من شيراز ، وطمع طاهر الدودمـاني رئيس القريـة في صمصام الـدولة ، فـاعتقله ، إلى أن وافى خصومه أصحاب ابن بختيار ، فأخذوه وقتلوه ، فلمـا حصل بهـاء الدولـة أخو صمصام الدولة ، بفارس ، أمر بنهب قـرية الـدودمان ، وأحـرقها ، وقتـل كلّ من وجـد بها من أهلها حتى استـأصل شـأفتهم ، انتقامـاً لأخيه . (تـاريخ الصابي ٣١٤/٨ و٣١٥ و٣٢٧) .

وفي السنـة ٣٨٩ قبض أولاد بختيـار على أبي القـاسم بن الـرضيـع ، وقتلوه ، وكان يلي أرجان ، ثم اعتقله أبـو علي ، وأنفذه إلى القلعـة ، وأطلقه صمصـام الدولـة ، واعتقلا معـاً ، وقتـلا . (ذيـل تجـارب الأمم ١٥٩ و١٦٠ و٣١٥) .

وفي السنة ٣٨٩ جرت منازعة بين أبي عبد الله محمد بن علي بن هدهد ، وبين أبي الحسن بن رهزاد الأحول ، فبذل أبو الحسن فيه بذلاً كثيراً ، يعني أنّه دفع للوزير مالاً لكي يعتقل خصمه ويسلمه إليه ، فقبض أبو نصر سابور على ابن هدهد ، وسلّمه إلى أبي الحسن الأحول ، وقتل ابن هدهد في دار الأحول ، وادّعى أنّ العيّارين كبسوا عليه وقتلوه . (تاريخ الصابي ٨/٣٣٨) .

وفي السنة ٣٨٩ قتل زهمان بن هندي الذي كان صاحب خانقين ، وقتل معه أولاده الثلاثة ، دلف ، ومقداد ، وهندي ، وكيفية ذلك أنّ أبا الفتح محمد بن عناز كان قد احتال عليهم ، فآعتقلهم ، ونقلهم إلى قلعة البردان ، وحبسهم فيها ، وملك نواحيهم ، ومضت مدّة ، فثار أولاد زهمان في القلعة ، وكسروا قيودهم ، وحاولوا الفتك بالموكّلين بهم ، فتجّمع عليهم حماة القلعة ، وقتلوا الأولاد الثلاثة بحضرة أبيهم ، وأخذوا الأب فجعلوه في بيت ، وسدّوا بابه ، وأبقوا كوّة كانوا يلقون إليه منها قرصاًمن الشعير وقليل ماء ، فبقي أيّاماً ومات (تاريخ الصابي ٨/٣٣٩) .

في السنة ٣٩٠ قتل أبو نصر بن بختيار البويهي ، وكان قد قصد كرمان وانتصر على الجيش الموجود فيها ، فعظم الأمر على بهاء الدولة البويهي ، وسيّر إليه جيشاً بقيادة الموفّق علي بن إسماعيل ، فقصد ابن بختيار في ثلثمائة من شجعان أصحابه ، فأدركه بدرابزين ، واشتبك معه في معركة ، فغدر بابن بختيار أحد أصحابه ، وضربه بلتّ فألقاه ، وحمل رأسه إلى الموفّق ، فحمله إلى بهاء الدولة ، ولما عاد الموفّق إلى بهاء الدولة ، خرج إليه بنفسه ، وأكرمه ، وعظّمه ، ثم قبض عليه بعد أيّام ، وحبسه ، ثم قتله في السنة ٣٩٤ (ابن الأثير ٩/ ١٦٠ ـ ١٦٢) .

وفي السنة ٣٩١ قبض بمصر ، على رجل من أهل الشام ، سئل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فقال : لا أعرفه ، فآعتقله قاضي القضاة

الحسن بن النعمان قاضي الحاكم الفاطمي ، وبعث به إلى السجن ، وبعث إليه في السجن أربعة من الشهود ، فأقرّ بالنبي صلوات الله عليه ، وأنّه نبيّ مرسل ، وسئل عن علي بن أبي طالب ، فقال : لا أعرفه ، فأمر قائد القواد الحسين بن جوهر بإحضاره ، فأحضر ، وخلا به ، ورفق القول له ، فلم يرجع عن إنكاره معرفة علي بن أبي طالب ، فطولع الحاكم بأمره ، فأمر بضرب عنقه ، فضربت عنقه ، وصلب . (خطط المقريزي ٢/٣٤١) .

وفي السنة ٣٩١ قتل أبو الحسن علي بن طاهر الكاتب ، وكان سافر إلى مصر ، ثم عاد مع الحاجّ ، وتحدّث الناس أنّه ورد باتّفاق مع صاحب مصر ، على الشروع في إفساد الدولة العبّاسيّة ، فكبسه العيّارون في داره بدرب المقيّر من سويقة غالب ، وضربوه بالسيوف ، فقامت جاريته دونه ، فضربوا يدها ضربة أبانتها ، وقتلوه . (تاريخ الصابي ٨/٣٩٨) .

وفي السنة ٣٩٢ حصلت بين أبي الحسن بن أبي الوزير ، وبين أبي القاسم بن مسرّة ، وحشة ، فوقع فيه أبو الحسن عند الأمير مرح بن المسيّب ، صاحب الموصل ، وأمير بني عقيل ، وكثّر ماله عنده ، وأغراه بمصادرته ، فصادره ، ثم قال له : هذا شاعر ، وقد أسأتَ إليه ، فإن أفلت من يدك ، هجاك ، ومزّق عرضك ، فقتله مرح ، وشقّ بطنه ، وملأه حصى ، ورمى به في دجلة . (ذيل تجارب الأمم ٤٤٧) .

وفي السنة ٣٩٥ قتل أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح الساماني ، آخر ملوك الدولة السامانية في ما وراء النهر ، وكان معتقلاً مع بقيّة السامانيّين في سجن إيلك خان ملك الترك ، ففرّ من سجنه ، ولمّ شمل السامانيّين ، وتلقّب بالمنتصر ، واحتلّ بخارى ، ثم تفرّق عن أصحابه ، فوثب بعض أنصار إيلك خان عليه ، وقتلوه . (الاعلام ١/٣٢٧) .

وفي السنة ٣٩٦ قبض بالقاهرة على رجل سبّ عائشة ، وزوجها صلوات الله عليه ، فشهر ، وضربت عنقه . (خطط المقريزي ٢/٣٤٣) .

وفي السنة ٣٩٦ قتل بهاء الدولة البويهي ، أبا ،عباس بن واصل ، وكان قد غلب على البطيحة والبصرة والأهــواز، وتفصيل القصّــة إنّ أبا العبــاس بن واصل ، كان في ابتداء حاله ينوب عن طاهر بن زيرك الحاجب في الجهبذة ، وارتفع معه ، ثم فارقه وقصد شيراز ، واتّصل بخدمـة فولاذ ، فلمـا قبض على فـولاذ عاد أبـو العباس إلى الأهـواز ، ثم أصعـد إلى بغـداد ، وخـدم مهـذّب الدولة بالبطيحة ، فجرّد معه عسكراً لحرب لشكرستان لما استولى على البصرة ، فـوصل بعسكـره إلى سيراف ، وغلب على أسافل دجلة ، وخلع طاعة مهذّب الدولة ، فسيّـر إليـه مهـذّب الدولـة جيشاً ، فـظفر بـه أبو العباس ، ثم حارب لشكـرستان وهـزمـه واستــولى على البصـرة ، فــاتّفق لشكـرستــان ومهـذّب الدولة على أبي العباس وحارباه ، فانهـزم لشكرستـان ، وأصعد إلى البـطيحة مفلولاً ، فأخلى مهذّب الدولة البطيحة ، فاستولى عليهـا أبو العبـاس وأضافهـا إلى البصـرة ، .ثم تحرّك عليـه أهل البـطائح وحـاربـوه ، فـطردوه ، فعـاد إلى البصرة ، واستعدّ بهاء الدولة البويهي لمحـاربته ، فـواقعه أبـو العباس وانتصـر عليه ، واشتغل أبو العباس بالتجهّز لغزو خوزستان ، وأعاد بهـاء الدولة مهذّب الـدولة إلى البـطائح ، ثم إنّ العبـاس قصـد الأهـواز في السنـة ٣٩٥ والتقى جيشـه بجيش بهاء الـدولة بـظاهر الأهـواز ، فكـان النصـر لأبي العبـاس ، ثم تصالح وبهاء الدولة ، وعاد إلى البصـرة وفي السنة ٣٩٦ عـاد أبو العبـاس إلى غزو الأهواز ، فانحاز عنه بهاء الدولة ، واستولى أبو العباس على 'الأهواز ، ثم اقتتل وبهاء الدولة ، فانكسر أبو العباس ، وعاد إلى البصرة مهـزوماً ، فقصـده وزير بهاء الدولة بعسكر ، وحصره ، فهاجمه أبو العباس وهزمه ، ثم اقتتلا مرة أخـرى فانكسـر أبو العبـاس ، وأصعد منهـزماً إلى الكـوفة ، ثم سـار منها إلى خانقين ، وكان قـد تعب فنام ، وبلغ خبـره إلى أبي الفتح بن عنـاز الكردي ، فســار إليه ، وأخـذه ، وحمله إلى بغداد ، فحمـل إلى بهاء الـدولـة ، فلقيهم قاصد في الطريق ، أرسله بهاء الـدولة يـأمر بقتله ، فقتـل ، وحمل رأسـه إلى بهاء الدولة ، وطيف به في خوزستان وفارس (ابن الأثير ٩/ ١٨٠ ـ ١٩٦) .

وفي السنة **٣٩٦** قتل السلطان شهريار بن دارا ، سلطان مازندران ، قتله قابوس بن وشمكير ، واستولى على بلاده (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٨٦) .

وفي السنة **٣٩٧** ظفر الحاكم الفاطمي ، بأبي ركوة ، واسمه الوليد ، وإنّما كني بأبي ركوة لركوة كان يحملها معه في أسفاره على سنّة الصوفية ، وهو أمويّ من أولاد هشام بن عبد الملك ، نزح من الأندلس ، وقد أناف على العشرين ، ودرس بمصر ، ثم قصد مكّة واليمن ، وعاد إلى مصر ، ودعا بها إلى القائم ، فأجابه كثيرون من بني قرّة وزناته ، وتظاهر بالنسك والديانة ، وأمّهم في الصلوات ، وعلّم صبيانهم الخطّ ، فبايعوه بالإمامة ، فسار بهم إلى برقة ، واستولى عليها ، وأظهر العدل ، فسيّر إليه الحاكم جيشاً ، ففلّه وانتصر عليه ، وأخذ يبثّ السرايا إلى مصر ، ثم قصد الصعيد ، فوجّه إليه الحاكم جيشاً من اثنى عشر ألفاً ، سوى العرب ، ثم أضاف إليهم أربعة آلاف فارس ، فأسرى أبو ركوة ، وكبس عسكر الحاكم بالجيزة ، وقتل منهم ألف فارس ، ونزل أبو ركوة عند الهرمين ، وفي آخر معركة مع عسكر الحاكم ، انهزم أبو ركوة ، وقتل من عسكره ألوف كثيرة ، فسار إلى بلد النوبة، ولحق به رسول الحاكم ، فتسلّمه ، وحمله إلى مصر ، فأشهر بها ، وطيف به ، وقد ألبس طرطوراً ، وجعل خلفه قرد يصفعه ، ثم حمل إلى ظاهر القاهرة ليقتل ويصلب ، فمات قبل وصوله ، فقطع رأسه ، وصلب (ابن الأثير ٩/١٩٧ - ٢٠٣) .

أقول : لما خرج أبو ركوة ، على الحاكم الفاطمي بمصر ، أجمع المنجّمون ، على أنّ دولة الفاطميّين ستندثر ، وأنّ أبا ركوة سينتصر ، ويأخذ الحاكم أسيراً ، ولم يبق بمصر منجّم إلّا حكم بذلك ، وأكبرهم المعروف بالفكري ، منجّم الحاكم ، فسيّر الحاكم عسكراً ظفر بأبي ركوة ، وأسره ،

وأدخله إلى مصر مشهراً حيث قتل ، فأحضر الحاكم منجّمه الفكري ، وقتله (الفلاكة والمفلوكون ٢٧) .

وفي السنة ٣٩٧ قتل عيسى بن سعيد ، الوزير الأندلسي ، المعروف بابن القطاع ، وكان عظيم التمكّن في دولة ابن أبي عامر بالأندلس ، وصاهره في السنة ٣٩٦ ثم ساء ما بينه وبين عبد الملك بن محمد بن أبي عامر ، فاستدعاه وهو في مجلس شراب ، وقتله ، وقتل معه بعض أصحابه ، وقضى على عصبته وأنصاره . (الاعلام د/٢٨٧) .

وفي السنة ٣٩٨ عزل الحاكم الفاطميّ صالح بن علي الروذباري ، وقرّر مكانه ابن عبدون النصراني الكاتب ، ثم قتل ابن عبدون وأخذ ماله (خطط المقريزي ٢ /٢٨٧) .

وفي السنة ٣٩٩ ظهر بقرطبة محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، فبايعه الناس ، وتلقّب بالمهديّ ، فخرج عليه هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، وآنتصر محمد عليه وأسره ، فقتله ، وقتل معه عدّة من قوّاده ، وفرّ منه ابن أخي هشام ، وهو سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر ، وحشد ، واستعان بالنصارى ، وحارب محمد بن هشام ، فكسره ، ففرّ إلى طليطلة ، واستعان بالنصارى ، وعاد إلى قرطبة ، ثم تآمر عليه بعض الجند ، واعتقلوه ، وأخرجوا هشام المؤيّد ، وبايعوه ، وأحضروا محمداً ، وحاكموه ، وقتلوه . (ابن الأثير ٨/٦٧٩ ـ ٦٨٢) .

وفي السنة ٤٠٠ خرج عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر ، غازياً ، فظهر بقرطبة محمد بن هشام الأموي ، وخلع هشام المؤيّد ، فانقلب يريد قرطبة وتفرّق عنه أصحابه ، قبل وصوله إلى قرطبة ، فبعث إليه محمد بن هشام ، فأحيط به ، وذبح ، وحمل إلى قرطبة ، فصبّر بدنه ، وكسي قميصاً وسراويل ، وعلّق على خشبة طويلة بقرطبة . (الاعلام ٤/١٠١) .

وفي السنة ٤٠٠ قتل الحاكم الفاطمي بمصر ، أبا الحسن علي بن الحسين المغربي الكاتب ، وكان إليه نظر الشام ، وتدبير الرجال والأموال . (الاعلام ٨٨/٥) .

وفي السنة ٤٠٠ قتل الحاكم الفاطمي ، القائد فضل بن صالح الوزيريّ ، من أعيان الدولة الفاطميّة بمصر . (الاعلام ٣٥٥/٥) .

وفي السنة ٤٠١ قتل الحاكم الفاطمي بمصر الحسين وعبد العزيز ، ولدي القائد جوهر ، فاتح مصر للفاطميّين ، وباني مدينة القاهرة . (الاعلام ٢٥٢/٢) .

وفي السنة ٤٠١ نصب الحاكم أحمد بن محمد القشوري الكاتب ، في الوساطة والسفارة ثم قتله بعد عشرة أيّام . (خطط المقريزي ٢٨٧/٢) .

وفي السنة ٤٠٣ قتل في قرطبة ، أبو بكر عبد الله بن حسين بن إبراهيم ، كان يلي الشرطة بقرطبة ، ولما استولى عليها البربر ، قتلوه (الاعلام ٢٠٨/٤) .

وفي السنة ٤٠٤ قوّد الحاكم الفاطمي ، الأمير باروح التركي ، ولقّبه علم الدولة ، أمير الأمراء ، وولاّه الشام ، وسيّره إليها ، فحمل معه زوجته إبنة الوزير يعقوب بن كلّس ، فاعترضه في غزّة المفرج بن دغفل بن الجراح ، فأوقع به ، وأسره ، وقتله ، واستولى على ما يحمله (خطط الشام ٢٤٥/١) .

وفي السنة ٤٠٤ ولّى الحاكم الفاطمي ، ولاية عهده لأبي القاسم عبد الرحمن بن ألياس ، وجعله الخليفة من بعده ، وسيّره إلى الشام ، فثار عليه الجند ، وكتب إليه الحاكم بأن يعود إلى مصر ، فلما ترك دمشق ، تسلّط عليها فتى من أهلها اسمه محمد بن أبي طالب ، واجتمع إليه جمع من

أحداث دمشق ورعاع حوران ، فحارب الجند ، وطردهم من دمشق ، فلما تمكّن من دمشق ، قتل قاضيها ، وتسلّط هو والأحداث عليها ، وقتل جماعة من الناس ونهبهم ، فهاج عليه الدمشقيّون ، وقبضوا عليه ، وقتلوه ، وصلبوه على باب الجابية ، وقتلوا من كان على رأيه ، واستقام أمر دمشق (خطط الشام ١/ ٢٤٧) .

وفي السنة ٤٠٥ قتل الحاكم الفاطمي ، قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي ، وكان قد استقرّ في قضاء القضاة سبع سنين إلّا أشهراً ، وكان إقطاعه في السنة خمسة عشر ألف دينار . (خطط المقريزي ٢/ ٢٨٨) .

وفي السنة ٤٠٥ قتل الحاكم الفاطمي ، الحسين بن طاهر الوزان ، بعد أن قضى ناظراً في الوساطة سنتين وشهرين ، ونصب بدلاً منه عبد الرحيم بن أبي السيد الكاتب وأخاه أبا عبد الله الحسين في الوساطة والسفارة ، ثم قتلهما بعد آثنين وستّين يوماً . (خطط المقريزي ٢/ ٢٨٨) .

وفي السنة ٤٠٥ قلّد الحاكم الفاطمي ، الفضل بن جعفر بن الفرات ، الوساطة ، ثم قتله في اليوم الخامس من ولايته . (خطط المقريزي ٢/ ٢٨٨) .

وفي السنة ٤٠٧ بايع أهل قرطبة ، عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، وتلقّب بالمستظهر بالله ، فأخذ قسماً من أعيان قرطبة ، وحبسهم ، فألّبوا عليه الناس من السجن ، فأجابهم صاحب الشرطة ، والناس ، وهاجموا المستظهر ، وقتلوه ، فدامت خلافته شهراً واحداً وسبعة عشر يوماً . (ابن الأثير ٩/ ٢٧٦) .

وفي السنة ٤٠٧ قُتل الشيعة بجميع بلاد إفريقية ، وسبب ذلك إنّ المعزّ بن باديس ، ركب ، ومشى في القيروان ، والناس يسلّمون عليه ، فاجتاز بجماعة ، فسأل عنهم ، فقل : هؤلاء رافضة ، يسبّون أبا بكر وعمر ،

فقال : رضي الله عن أبي بكر وعمر ، فانصرفت العامّة من فورها إلى درب المقلى من القيروان ، وكان اجتماع الشيعة فيه ، فقتلوا منهم ، وكان ذلك شهوة العسكر وأتباعهم ، طمعاً في النهب ، وأغراهم عامل القيروان ، وحرّضهم ، والسبب إنّه كان قد أصلح أمور البلد ، فبلغ أنّ المعزّ يريد عزله ، فأراد إفساد البلد ، فقتل من الشيعة خلق كثير ، وأحرقوا بالنار ، ونهبت ديارهم ، وقتلوا في جميع إفريقية ، واجتمع منهم جماعة إلى قصر المنصور ، قريب القيروان ، وتحصّنوا به ، فحصرهم العامّة ، وضيّقوا عليهم ، فاشتدّ عليهم الجوع ، فأقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم ، حتى قتلوا عن آخرهم ، ولجأ من كان منهم بالمهديّة ، إلى الجامع ، فقتلوا كلّهم . (ابن الأثير ٩/٢٩٤ و٢٩٥) .

وفي السنة ٤٠٥ قتل هلال بن بدر بن حسنويه ، وكان قد خالف أباه ، وعصى عليه ، واستولى على ملكه ، وأسره ، ثم أطلقه ، فطفق بدر يحرّض عليه ، حتى استقرّ معتقلاً عند بهاء الدولة ، وعاد بدر إلى سلطانه ، فلما قتل بدر ، أطلق سلطان الدولة ابنه هلال ، وأعانه بجيش ليستعيد ملك أبيه ، فنشبت معركة بين هلال وبين شمس الدولة بن فخر الدولة ، وانكسر هلال ، وأسر ، فقتل . (ابن الأثير ٩/٢٤٩) .

وفي السنة ٤٠٦ قتل الأمير طاهر بن هلال بن بدر بن حسنويه ، صاحب كردستان ، قتله الأمير أبو الشوك حسام الدولة فارس بن محمد صاحب حلوان وقرميسين ودقوقا (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٣٢١) .

وفي السنة ٤٠٦ تحرّك على الأمير باديس بن المنصور بن بلكّين ، عمّه حمّاد بن بلكّين ، فبعث إليه أخا حمّاد واسمه إبراهيم بن بلكّين ، لكي يصلح أمره ، فاتّفق حمّاد وإبراهيم ، وجاهرا باديس بالخلاف ، وسفكا الدماء وقتلا الأطفال ، وأحرقا الزروع والمساكن ، وسبيا النساء ، وحدث أن فرّ إلى باديس جماعة من جند قلعة حمّاد ، وكان فيها إبراهيم ، فأخذ إبراهيم أبناءهم ،

وذبحهم على صدور أمّهاتهم ، فقيل إنّه ذبح بيده منهم ستّين طفلاً ، فلما فرغ من الأطفال ذبح الأمهات (ابن الأثير ٩/ ٢٥٤) .

وفي السنة ٤٠٦ قبض سلطان الدولة ، على وزيره فخر الملك أبي غالب ، وقتله ، ووجد له ألف ألف دينار عيناً ، سوى الأعراض ، وسوى ما نهب ، وكان أبو غالب كافياً ، حسن الولاية والآثار . (ابن الأثير ٩/ ٢٦٠) .

واستدعى الحاكم الفاطمي (٣٧٥ - ٣٨٦ - ٤١١) ، أحد الركابيّة ، فأوقفه بين اثنين ، ورماه برمح ، ثم أضجعه ، واستدعى سكّيناً فذبحه بيده ، ثم استدعى ساطوراً ، ففرّق بين رأسه وجسده ، ثم استدعى ماءً ، فغسل يده بأشنان ، ثم ركب (النجوم الزاهرة ٦٧) .

وطلب الحاكم الفاطمي ، خادماً ، ففرّ والتجأ إلى الحجرة التي فيها قبور آبائه مستجيراً ، فأمر به ، فضرب بالسيوف حتى مات (النجوم الزاهرة ٦٣) .

وفي السنة ٤٠٧ ولي الأندلس علي بن حمّود العلوي ، بمعونة خيران العامري الذي خرج على سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، وكان علي بمدينة سبتة ، فقدم الأندلس ، وحصر قرطبة ، وحارب سليمان بن الحكم ، فانهزم سليمان والبربر ، وقتل منهم خلق كثير ، وأخذ سليمان أسيراً ، فحمل إلى علي بن حمّود ، ومعه أخوه وأبوه ، فقتل علي بن حمود ، سليمان ، وقتل معه أخاه وأباه ، وكان الأب شيخاً صالحاً منقبضاً ، لم يتدنّس بشيء من أحوال ابنه ، واستقرّ عليّ بقرطبة ، ثم خرج عليه خيران في السنة عينها ، وبايع عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، وتبعه قوم فحاصروا غرناطة ، ولكنّ عبد الرحمن انكسر وقتل .

وفي السنة ٤٠٨ تجهّز علي بن حمّود ليقصد جيّان ، فبرز عسكره إلى ظاهر قرطبة ، ووقفوا ينتظرون خروجه ، فدخل الحمّام ، ومعه غلمانه ، فقتله غلمانه في الحمّام (ابن الأثير ٩/ ٢٦٩ - ٢٧٣) .

وفي السنة ٤١٢ طلب الديلم الذين عند مشرّف الدولة البويهي ببغداد ، أن يأذن لهم بأن ينحدروا إلى بيوتهم بخوزستان ، فأذن لهم ، وأمر وزيره أبا غالب بالإنحدار معهم ، فقال له : إنّي إن فعلتُ ، خاطرتُ بنفسي ، ولكنّي أبذلها في خدمتك ، وآنحدر بالعساكر ، فلما وصل إلى الأهواز ، نادى الديلم بشعار سلطان الدولة ، وهجموا على أبي غالب ، فقتلوه (ابن الأثير ٩/٣٢٣) .

وفي السنة ٤١٣ قتل المعزّ بن باديس ، صاحب إفريقية ، وزيره وصاحب جيشه أبا عبد الله محمد بن الحسن ، وسبب ذلك لأنّ الوزير أقام سبع سنين ، يجبي الأموال ، ويرفعها عنده ، ولم يحمل إلى المعزّ شيئاً منها ، فعظم ذلك عليه ، وقتله . (ابن الأثير ٩/٣٢٧) .

ولما قتل المعزّ بن باديس ، صاحب إفريقية ، وزيره أبا عبد الله محمد بن الحسن ، في السنة ٤١٣ بلغ خبر قتله أخاه عبد الله ، أمير طرابلس ، فأرسل إلى زناته ، وأدخلهم مدينة طرابلس ، وقتلوا من كان بها من صنهاجة ، وسائر الجيش ، واحتلّوا المدينة ، فلما سمع المعزّ بذلك أخذ أولاد عبد الله ونفراً من أهله وحبسهم ، ثم قتلهم بعد أيّام ، لأنّ نساء المقتولين بطرابلس استغثن إلى المعزّ ، في قتلهم ، فقتلهم . (ابن الأثير ٩/٣٢٨) .

وفي السنة ٤١٤ قتل مشرّف الدولة أبو علي الحسن البويهي ، وزيره أبا محمد الحسن بن سهلان ، وذلك بعد أن سمل عينيه في السنة ٤١٢ (معجم أنساب الاسر الحاكمة ٣٢٥) .

وفي السنة ٤١٤ نهض في البيت الحرام بمكة ، يوم الجمعة ، يوم النفر الأوّل ، رجل من مصر ، بإحدى يديه سيف مسلول ، وفي الأخرى دبّوس ،

بعد فراغ الإمام من الصلاة ، وقصد الحجر الأسود ، وضرب الحجر ثلاث ضربات بالدبّوس ، وقال : إلى متى يعبد الحجر الأسود ؟ فثار به رجل وطعنه بخنجر ، فقتله وقطّعه الناس ، وأحرقوه ، وقتل جماعة ممّن آتّهم بمصاحبته (ابن الأثير ٩/٣٣٢ و٣٣٣) .

وفي السنة ٤١٤ بويع بالخلافة في قرطبة ، أبو المطرّف عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، وهو ابن ٢٢ سنة وتلقّب بالمستظهر بالله ، ودامت خلافته ٤٧ يوماً ، فأخذ بعض أعيان قرطبة فسجنهم ، فوثب عليه محمد بن عبد الرحمن مع طائفة من الغوغاء فقتلوه (الاعلام ٤/١١٦ و١١٧) .

وفي السنة ٤١٥ توفّي الملك سلطان الدولة البويهي بشيراز ، وخلفه أبو الفوارس أخوه ، وطالب الأجناد بحقّ البيعة ، فتلّوم أبو محمد بن مكرم ، الملقّب بالأوحد ، وتأخّر في إيصال المال ، فقبض عليه أبو الفوارس ، وقتله (ابن الأثير ٩/٣٣٧) .

وفي السنة ٤١٥ دخل حسّان بن الجرّاح ، عسقلان ، وخشّب سبعين رجلاً من العسكرية ، وقتل طائفة من الحمدانية والغلمان ، ووضع السيف والنهب في بلد الرملة (اخبار مصر للمسبحي ٥١) .

وفي السنة ٤١٥ دخل صيرفي إلى الجامع العتيق ليصلّي المغرب ، فتبعه راجل أراد أن يأخذ كيسه ، وضربه بسكّين كبير ، فصاح الصيرفي ، وفرّ الراجل ، فقبض عليه ، وضرب عنقه بباب البرادع ، وصلب على جذع في كوم دينار ، وحمل الصيرفي في قفص وقيذاً إلى بيته ومعه كيسه ، وعوفي بعد ذلك ، وعاد إلى حانوته (اخبار مصر للمسبحي ٥٢ و٥٣ و٩٨) .

وفي السنة ٤١٥ قبض على الشيخ العميد محسن بن بدوس ، وهو في ديوانه بالقاهرة ، فاعتقل ، وأخرج بالعشيّ إلى مجاز القصر الكبير ، فضربت

عنقه ، وهو يصيح ويستغيث ويقول : والله ، ما خنت ، ولا سرقت ، ولا غششت (اخبار مصر للمسبحي ٥٩) .

وفي السنة ٤١٥ قبض بالقاهرة ، على رجل ذكر إنّه نبش قبراً في صحراء المقطّم ، وضربت عنقه بالقرافة ، وصلب هناك (اخبار مصر للمسبحي ٩٨) .

وفي السنة ٤١٥ ضربت رقبة حدث نصراني ، كان أسلم ، وحجّ ، وربّى ذؤابتين ، وجعلهما مسبلتين ، وآدعى الشرف (أي إنّه آنتسب للعلويّين) ، ثم عاد فتنصّر ، فقتل ، وصلب في كوم دينار (اخبار مصر للمسبحي ٩٩) .

وفي السنة ٤١٥ ذبح أبو الحسن السوسنجردي ، وكان شيخاً ذا سمت ، وذبح غلامه معه ، في داره بحايز الأوز بالقاهرة ، طرقه لصوص نهاراً فذبحوه وأخذوا ما وجدوا له فقبض متولّي الشرطة على واحد منهم ، وضرب رقبته (اخبار مصر للمسبحي ١٠٦) .

وفي السنة ٤١٥ قتل المخنّث البغدادي ، وكان دلّالاً في المتاع والجوهر النفيس والأعلاق الثمينة ، وكان موسراً كثير المال ، وكان يزمر مليحاً ، وله جوارٍ في منزله يغنّين ، وكان يحبّ المردان ، وينفق عليهم ، وقيل إنّ قاتله ولدٌ للقاضي ابن منهال ، كان يهواه ، في دار ابن مزبان المقامر (أخبار مصر للمسيحي ١٠٤) .

وفي السنة ٤١٥ قتل الأعراب بنو قرّة ، شجاعاً ، قاضي سفط الجيزة ودليلها (أخبار مصر للمسبحي ١١١) .

وفي السنة ٤١٥ ضربت أعناق اثنين وعشرين رجلاً بالقاهرة ، منهم واحد وعشرون من العبيد الذين نزلوا لنهب مصر ، ورميت جثثهم للكلاب ، والثاني والعشرون إنسان كتامي ، تعرّض للنهب أيضاً (أخبار مصر للمسبحي ١١١) .

وفي السنة ٤١٦ ملك نصر الدولة بن مروان مدينة الرها ، وكانت الرها لرجل شرير جاهل من بني نمير ، اسمه عطير ، وكان يحكمها نائب له اسمه أحمد بن محمد ، حسن السيرة ، عادل في الرعيّة ، فاحتجّ عطير على نائبه بحجج واهية ، فقتله ، فأنكرت الرعيّة على عطير قتله ، وكاتبوا نصر الدولة بن مروان ، ليحضر ويتسلّم البلد ، فبعث زنك أحد قوّاده ، فتسلّم البلد ، وتوسّط عطير بصالح بن مرداس صاحب حلب ، فأعطاه نصر الدولة نصف البلد ، وخرج عطير يوماً إلى السوق في الرها ، فتعلّق به ابن أحمد الذي قتله عطير ، وقتل عطير، وقتل معه ثلاثة من بني نمير ، فاتّهم بنو نمير القائد زنك بأنّه قد حرك الولد على صاحبهم ، ونصبوا لزنك كميناً ، وقتلوه بحجر مقلاع أصابه فسقط ، وكان قتل زنك في السنة ٤١٨ ، ثم أنّ صالح بن مرداس شفع من جديد لدى نصر الدولة ، فأعاد الرها إلى ابن عطير وابن شبل النميريّين ، وباع ابن عطير حصّته من الرها ، لملك الروم ، بعشرين ألف دينار ، فاستولى الروم عليها ، وخرّبوا مسجدها ، وقتلوا قسماً من أهلها (ابن الأثير ٣٤٧/٩ و٣٤٨) .

وفي السنة ٤١٧ نشبت حرب شديدة بين الأكراد الجوزقان وعساكر علاء الدولة بن كاكويه ، وسبب ذلك انّ علاء الدولة استعمل ابن عمّه أبا جعفر على سابورخواست ، وضمّ إليه أبا الفرج البابوني ، فجرت بين الإثنين مشاجرة أدّت إلى المنافرة ، فضرب أبو جعفر ، أبا الفرج ، بلتٍ كان في يده فقتله ، فنفر أتباعه الأكراد الجوزقان ، وقتلوا أبا جعفر . (ابن الأثير ٣٥١/٩ و٣٥٢) .

وفي السنة ٤٢١ توفّي السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، وأوصى بأن يخلفه ولده محمد ، فخلفه ، إلّا أن علي خويشاند الحاجب ، ويوسف بن سبكتكين القائد ، أخا السلطان محمود ، خلعا محمداً واعتقلاه ،

وكتبا إلى السلطان مسعود بن محمود ، وهو أكبر سنّاً من محمد ، بأن يحضر ليتسلطن ، فحضر ، وتسلطن ، وكان أوّل ما فعله ، أن قتل الحاجب علي ، وعمّه يوسف . (ابن الأثير ٩/٣٩٩ و٤٠٠) .

وفي السنة ٤٢١ قتل الوزير أبو علي بن ماكولا ، وزير جلال الدولة البويهي ، كان له غلام وجارية اتفقا على فساد ، فعلم بهما ، وعرفا إنّه قد علم بحالهما ، فقتلاه (ابن الأثير ٩/٤٠٧) .

وفي السنة ٤٢٣ اجتمع ناس كثير من الشيعة بإفريقية ، وساروا إلى أعمال نفطة ، فاستولوا على بلد منها ، وسكنوه ، فجرّد إليهم المعزّ بن باديس عسكراً ، فدخلوا البلاد ، وحاربوا الشيعة ، وقتلوهم أجمعين (ابن الأثير ٩/٤٢٧) .

وفي السنة ٤٢٤ قبض عسكر السلطان مسعود على شهريوش ، صاحب ساوة ، فقتل وصلب على سور ساوة ، وكانت له ساوة ، وقم ، وتلك النواحي ، فطمع في الريّ ، وسار إليها فحاصرها ، فبعث إليه السلطان مسعود الغزنوي جيشاً ، فقبض عليه وقتله (ابن الأثير ٩/٤٢٩) .

وفي السنة ٤٢٨ اتّهم السلطان جلال الدولة البويهي ، بارسطغان ، حاجب الحجّاب ، وكان من أكابر الأمراء . بأنّه يسعى في تحريض الأتراك عليه ، فخاف بارسطغان ، والتجأ إلى دار الخلافة ، ثم كشف القناع لجلال الدولة ، وراسل الملك أبا كاليجار ، وأكره الخطباء على الخطبة له ، ثم فارقه الديلم فضعف أمره ، وانحدر إلى واسط ، فبعث إليه جلال الدولة من لحقه في الطريق وقاتلوه ، وأسر ، وحمل إلى جلال الدولة ، فقتله ، وكان عمره نحو سبعين سنة (ابن الأثير ٩/٤٥٤) .

وفي السنة ٤٣١ قتل باديس الصنهاجي ، صاحب غرناطة ، أبا الفتوح

ثابت بن محمد الجرجاني ، وكان باديس قد آتّهمه بالتآمر عليه مع ابن عم باديس يدّير بن حباشه ، ففر ثابت إلى إشبيلية ، فقبض باديس على زوجة أبي الفتوح ثابت وولديه الطفلين ، وحبسهم بالمنكب ، عند قداح صاحب عذابه ، وكان أبو الفتوح يحبّ زوجته ، فلم يطق صبراً على فراقها ، فرمى بنفسه على باديس ، وتوسّل إليه أن يعفو عنه ، فبعث به إلى غرناطة ، صحبة حارسين ، وتسلّمه قداح ، على أبواب غرناطة ، فحلق رأسه ، وأركبه على بعير ، وجعل خلفه أسود فظّ ضخم يوالي صفعه ، فادخل البلد مشهراً ، وأودع حبساً ضيّقاً ، ولما قدم باديس غرناطة أحضر أبا الفتوح ، وسبّه ، وبكّته ، ثم جرّد سيفه ، وخبطه به فجدّله ، وأمر بحزّ رأسه ، وكان معه في الحبس صنهاجي من أصحاب ابن عمّه يدّير ، فأحضره ليقتله ، فجزع ، وألحّ في ضراعته ، فغضب منه باديس ، وقال له : أما تستحي ، يا ابن الفاعلة ، يصبر المعلم الضعيف القلب على الموت ، وأنت تجزع هذا الجزع ، وتعتبر نفسك من أشدّ الرجال ، وأمر به فضربت عنقه (الاحاطة ٤٦٢ ـ ٤٦٦) .

وفي السنة ٤٣١ قتل حسن بن يوسف بن عبد الله الكلبي ، الملقّب صمصام الدولة ، آخر الأمراء الكلبيّين في صقلية ، تولّى الحكم فيها سنة ٤١٧ بعد مقتل أخيه أحمد الأكحل ، ثم ثارت عليه بعض أجزاء صقلية ، فخلعوه ، وولّوا قائداً بدله ، فكان أوّل ما صنعه القائد أن فتك بالصمصام . (الاعلام ٢/٢٤٣) .

وفي السنة ٤٣٢ سار مودود بن السلطان مسعود ، لمّا بلغه قتل والده ، إلى غزنة ، فتصافّ هو عمّه الملك محمد ، فانكسر جيش محمد ، وقبض مودود عليه ، وعلى أولاده ، وقتلهم جميعاً ، إلّا عبد الرحيم ، فإنّ تصرّفه مع عمّه مسعود لما حبس نجّاه من القتل ، وخلاصة القصّة ، أنّ مسعوداً لما حبس دخل عليه ولدا أخيه عبد الرحمن وعبد الرحيم ، فعمد عبد الرحمن ، فأخذ القلنسوة من رأس عمّه مسعود ، فأنكر ذلك عبد الرحيم ، وأخذ القلنسوة

من يد أخيه ، وقبّلها ، ووضعها على رأس عمّه ، وشتم أخاه ، فنجّاه ذلك من القتل . (ابن الأثير ٤٨٨/٩) .

وفي السنة ٤٣٤ قتل قرواش العقيلي ، صاحب الموصل ، كاتبه أبا الفتح بن المفرّج ، صبراً . (ابن الأثير ٥١٤/٩) .

وهجا الشاعر ، محمد بن منظور القرشي ، من أهل قزوين ، آل عبد العزيز المذحجيّين ، وكانوا ينزلون الريّ وقزوين .

بنو عبد العزيز إذا أرادوا ... سماحاً لم يلق بهم السماح
لهم عن كلّ مكرمة حجاب ... فقد تركوا المكارم واستراحوا

فقتله موسى بن عبد العزيز . (الوافي بالوفيات ٧٧/٥) .

وفي السنة ٤٣٤ أصاب خوارزم شاه ألتونتاش جراحة وهو محاصر قلعة دبوسية ، فلما عاد إلى خوارزم ، مرض منها ومات ، وخلفه ولده الأكبر هارون ، وتولّى ضبط أموره الوزير أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد ، واتّفق أنّ وزير السلطان مسعود الغزنوي مات ، فاستوزر أبا نصر ، فآستناب أبو نصر عند هارون ولده عبد الجبار ، فاختلف هارون وعبد الجبار ، وأراد هارون قتله ، فاختفى ، ووضع جماعة على الفتك بهارون ، ففتكوا به ، وقام عبد الجبار بحفظ البلد ، وبعد أيّام يسيرة ، وثب غلمان هارون بعبد الجبار فقتلوه ، وولّوا البلد إسماعيل بن التونتاش ، أخا هارون ، وعصوا على مسعود الغزنوي ، فكتب مسعود إلى شاه ملك بن علي ، أحد أصحاب الأطراف ، بأن يقصد خوارزم ، فقصدها واستولى عليها ، وطرد إسماعيل ، فالتجأ إسماعيل إلى طغرل بك السلجوقي ، فأعانه بجيش فاستعادها (ابن الأثير ٥٠٤/٩ ـ ٥٠٦) .

وفي السنة ٤٣٦ أوقع بغراخان ، صاحب ما وراء النهر ، بجمع كثير من الإسماعيلية ، وكانوا قد قصدوا ما وراء النهر ، ودعوا إلى طاعة المستنصر

بالله العلوي ، صاحب مصر ، فتبعهم جمع كثير ، وسمع ملكها بغراخان بخبرهم ، وأراد الإيقاع بهم ، فخاف أن يسلم منه بعض من أجابهم من أهل البلاد ، فأظهر لبعضهم إنّه يميل إليهم ، ويريد الدخول في مذهبهم ، وأحضرهم مجالسه ، حتى عرف من أجابهم إلى مقالتهم ، ثم قتل من بحضرته منهم ، وكتب إلى سائر البلاد بقتلهم ، فقتلوا بأجمعهم (ابن الأثير ٥٢٤/٩) .

وفي السنة ٤٣٩ قبض الملك أبو كاليجار ، على وزيره محمد بن جعفر بن فسانجس ، وسجنه ، ومات في السجن في السنة ٤٤٠ وهو ابن إحدى وخمسين سنة ، وقيل أنّ أبا كاليجار بعث إليه من قتله . (ابن الأثير ٥٤٢/٩) .

وفي السنة ٤٤٠ قتل المستنصر الفاطمي بمصر ، وزيره فخر الملك صدقة بن يوسف الفلاحي ، وكان أوّل أمره يهودياً فأسلم ، واتّصل بالدزبري ، وخدمه بالشام ، ثم خافه فعاد إلى مصر ، وخدم الجرجرائي الوزير ، ونفق عليه ، فلما توفّي الجرجرائي ، استوزره المستنصر ، فلما وزّر سعى في قتل الحسن بن علي الانباري ، مزاحمه في الوزارة ، ليتخلّص منه ، فقتله ، ثم إنّ المستنصر ، عزل صدقة بن يوسف الفلاحي عن الوزارة واعتقله ، وقتله في الحبس الذي قتل فيه سلفه ابن الانباري (خطط المقريزي ٤٢٤/١ و٤٢٥ وابن الأثير ٥٥٢/٩ وبدائع الزهور ٦٠/١) .

وفي السنة ٤٤٤ قتل السلطان عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين ، وكان قد ولي السلطنة في السنة ٤٤١ خلفاً للسلطان مودود الغزنوي ، إذ كان محبوساً ، فأخرج من حبسه في القلعة وبويع ، وفي السنة ٤٤٤ وثب عليه حاجبه طغرل ، وكان قد بعث به على رأس جيش لإجلاء الغزّ من خراسان ، فعاد إلى عبد الرشيد وقتله ، فغضب لقتله أمير اسمه خيرخيز ، وكاتب الأمراء في غزنة يعيّرهم باستيلاء طغرل ، وتحكّمه فيهم ، فدخل جماعة منهم على

طغرل ، وضربه أحدهم بسيفه ، وتبعه الباقون فقتلوه ، ونصبوا فرخ زاد بن مسعود سلطاناً ، وكان محبوساً في إحدى القلاع ، فأحضر ، وأجلس سلطاناً ، وقام خيرخيز بتدبير الأمور ، وأخذ كلّ من أعان في قتل عبد الرشيد فقتله (ابن الأثير ٩/٥٨٢ ـ ٥٨٥) .

وفي السنة ٤٤٤ ملك الموصل قريش بن بدران العقيلي ، فأخرج عمّه قرواش العقيلي من السجن ، وقتله صبراً (فوات الوفيات ٣/١٩٩) .

أقول : قرواش (بكسر القاف) هو معتمد الدولة ، أبو المنيع ، قرواش بن المقلّد العقيلي ، أمير بني عقيل ، صاحب الموصل ، والكوفة ، والمدائن ، وسقي الفرات ، خلف أباه في الحكم ، في السنة ٣٩١ ، ودامت إمارته خمسين سنة ، وفي السنة ٤٤١ وثب عليه أخوه زعيم الدولة بركة ، فقبض عليه ، وقيّده ، وحبسه في قلعة الجراحية ، إحدى قلاع الموصل ، ولما توفّي بركة ، خلفه ابن أخيه أبو المعالي قريش بن بدران ، وكان أوّل ما فعله ، أن قتل عمّه قرواش في السنة ٤٤٤ ، وكان قرواش كريماً ، وهاباً نهاباً ، وقد مدحه كثير من الشعراء ، ومن جملة مادحيه الطاهر الجزري ، وله فيه ، وهو من باب الاستطراد من علم البديع :

وليلٍ كوجه البرقعيديّ ظلمةً   وبرد أغانيه ، وطول قرونه
سريت ونومي فيه نومٌ مشرّدٌ   كعقل سليمان بن فهد ودينه
على أولق فيه انزعاج كأنّه   أبو جابر في طيشه وجنونه
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنّه   سنا وجه قرواشٍ وضوء جبينه

وقد سبقه إلى هذا اللون من الإستطراد ، البحتري ، في قوله في فرس :

ما إن يعاف قذىً ولو أوردته   يوماً خلائق حمدويه الأحول

ولابن عنين الدمشقي ، أبيات من هذا اللون ، في فقيهين دمشقيين ،

تناظرا ، وكان أحدهما ينبز بالبغل ، والآخر بالجاموس ، قال : (وفيات الأعيان ٥/٢٦٣ ـ ٢٦٨) .

البغل والجاموس في جدليهما	قد أصبحا عظةً لكلّ مناظر
برزا عشيّة ليلةٍ فتباحثا	هذا بقرنيه وذا بالحافر
ما أتقنا غير الصياح كأنّما	لقنا جدال المرتضى بن عساكر
لفظٌ طويلٌ تحت معنى قاصرٍ	كالعقل في عبد اللطيف الناظر
اثنان مالهما وحقّك ثالث	إلّا رقاعة مدلويه الشاعر

وفي السنة ٤٤٥ اعتقل المعتضد بن عبّاد ، صاحب إشبيلية ، عزّ الدولة ، محمد بن نوح الزناتي ، صاحب مدينة موررور ، بالأندلس ، وحبسه في حمّام بإشبيلية ، وكبّله بالحديد ، مع بعض أمراء زناته ، ثم قتله ، وسبب ذلك أنّه بايع للمهديّ الحمّودي ، فأغضب ذلك المعتضد ، وقد وجد رأس محمد ، ورؤوس الزناتيّين الآخرين بعد مدّة ، في صندوق بقصر المعتضد ، كان يحتفظ به رؤوس الملوك والرؤساء الذين قتلهم . (الاعلام ٧/٣٤٩) .

وفي السنة ٤٤٦ توفّي القائد بن حمّاد بن بلكّين ، بإفريقية ، وخلفه ولده محسّن ، فبادر عند تقلّده الحكم ، فقتل أربعة من أعمامه ، وفي السنة ٤٤٧ بعث إلى ابن عمّه بلكّين بن محمد ، ليحضر ، فلما قرب منه ، أوصى أتباعه بقتله ، وكان بلكّين محسناً إليهم ، فأخبروه ، فحاربه ، ففرّ محسّن ، فأدركه بلكّين ، وقتله ، واستولى على قلعته (ابن الأثير ٩/٣٥٥ ، ٦٠٠ ، ٦٠١) .

وفي السنة ٤٤٨ تقدّم رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، وكان شديداً على الشيعة ، إلى صاحب المعونة ابن النسوي ، بقتل أبي عبد الله بن الجلّاب ، شيخ البزّاز بن بباب الطاق « لما كان يتظاهر به من الغلوّ في الرفض » فقتل ، وصلب على باب دكانه (المنتظم ٨/١٧٢ و١٧٣) .

وفي السنــة ٤٤٨ قُتـل السـامي بـالله إدريس بن يحيى من آل حمّـود العلويّين ، من ملوك الحمّوديّين في مالقـة وسبتة والأنـدلس ، وكان قـد خلف عمّه محمد بن إدريس ، ثم ترك الحكم ، فاعتقل ، وسيق إلى سبتة ، فقتل . (الاعلام ١/٢٦٩) .

وفي السنة ٤٤٩ اكتشف المعتضد اللخمي ، صـاحب إشبيلية ، واسمـه عبّاد بن محمد ، أنّ ولده إسماعيل ، وهو خليفته ، وولي عهده ، يـأتمر بـه ، فحبسه في قصره ، ثم أحضره ، وقتله بيده ، وقتل الوزيـر الذي تـواطأ معـه ، وآخرين (الاعلام ٤/٣٠) .

وفي السنـة ٤٥٠ وثب على السلطان فـرّخ زاد الغـزنـوي ، ممـاليكـه ، واتّفقـوا على قتله ، وقصـدوه وهـو في الحمّـام ، وكـان معـه سيف ، فسلّه ، وقـاتلهم ، ومنعهم حتى أدركه أصحـابـه وخلّصـوه ، وقتلوا أولئـك الغلمـان . (ابن الأثير ١٠/٥) .

وفي السنة ٤٥٢ قتل أميـر اليمن المؤيّد نجـاح ، قتله علي الصليحي ، فخلفه ولده سعيد الأحول الذي توفّي في السنة ٤٨١ ، ونجاح هذا عبدٌ حبشيٌّ أسّس دولة في اليمن في السنة ٤١٢ ، وآستمرّ في حكم اليمن حتى قتله علي الصليحي في السنة ٤٥٢ (معجم انساب الاسر الحاكمة ١٧٩ و١٨١) .

وفي السنـة ٤٥٤ قتـل سلطان المغـرب الأوسط بلكّين بن محمـد ، من بني حمّاد ، وكانت حـاضرتـه قلعة بني حمّـاد بإفـريقية (معجم انســاب الاسر الحاكمة ١١٠) .

وفي السنة ٤٥٦ توفّي بلكّين بن باديس الصنهاجي ، صاحب إفريقيـة ، فـاتّهم والده بـاديس جواري ولـده ، وبعض فتيانـه وبني عمّه ، فقتلهم ، وفي السنة ٤٥٩ اتّهم وزيره اليهودي ابن نفرالـه ، بأنّـه هو الـذي دسّ السم لولـده بلكّين ، فقتله (الاحاطة ٤٣٩ ـ ٤٤٢) .

وفي السنة ٤٥٦ قتل الوزير عميد الملك الكندري ، بأمر من السلطان ألب أرسلان ، وكان الكندري وزيراً للسلطان طغرلبك ، فلما تسلطن ألب أرسلان ، بعث به إلى مروالروذ ، ثم آرتاب فيه ، فبعث غلماناً لقتله ، فدخلوا عليه ، فقال له أحدهم : قم ، فصلّ ركعتين ، وتب إلى الله تعالى ، فعرف ما يراد به ، وقال : أدخل فأودّع أهلي ، ودخل إلى زوجته ، فارتفع الصياح ، وتعلّق به الجواري ، ونشرن شعورهنّ ، وحثين التراب على رؤوسهنّ ، فدخل إليه الغلام ، وقال له : قم ، فقال : خذ بيدي ، فقد منعني الجواري من الخروج ، وخرج إلى مسجد كان هناك ، فصلّى ركعتين ، ثم مشى حافياً إلى وراء المسجد ، فجلس ، وخلع فرجية سمّور عليه ، فأعطاهم إيّاها ، وخرق قميصه وسراويله ، حتى لا يؤخذا ، وجاءوه بشاروفة ، فقال : لست بعيار ولا لصّ فأخنق ، والسيف أروح لي ، فشدّوا عينيه بخرقة خرقها من طرف كمّه ، وضربوه بالسيف ، وأخذوا رأسه ، وتركوا جثّته ، فأخذتها أخته إلى بلده كندر ، وكان عمره نيفاً وأربعين سنة (المنتظم ٨/٢٣٩) .

أقول : كان السلطان قد غضب على الكندري ، فخصاه بخوارزم ، وقد أثبتنا هذا الخبر في موضعه من هذا الكتاب ، قال ابن خلكان ، في وفيات الاعيان ٥/١٤٢ : من العجائب انّ الكندري أريق دمه بمروالروذ ، ودفنت جثته بكندر ، وحمل رأسه إلى نيسابور حيث دفن هناك ، وكانت مذاكيره قد دفنت بخوارزم .

وفي السنة ٤٥٧ استولى الجلالقة ، على مدينة قلمرية ، وكانت تحت حكم المظفّر بن الأفطس ، صاحب بطليموس ، وكان استيلاء الجلالقة عليها بخيانة أميرها وهو أحد عبيد المظفر ، فضرب المظفر عنقه . (الاعلام ٧/١٠٢) .

وفي السنة ٤٥٧ على أثر المعركة الطاحنة التي انتصر فيها تميم بن المعزّ ، صاحب إفريقية ، على ابن عمّه الناصر بن علناس ، آثر تميم إصلاح ذات البين ، وبعث رسولاً منه اسمه محمد بن البعبع ، وكان تميم قد أفضل عليه إفضالاً تامّاً ، فلما ذهب محمد إلى الناصر ، غدر بتميم ، وحسّن للناصر أن يستولي على ملك ابن عمّه تميم ، واتّفق معه على أن يتجسّس له أخبار تميم ، وحدث أن آطّلع تميم على خيانة رسوله ، فأحضره ، وكاشفه ، فقال له الرسول : العفو يا مولانا ، فقال له تميم : لا عفا الله عنك ، وأمر به فقتل ، وغرّقت جثته (ابن الأثير ١٠/٤٧ ـ ٤٩) .

وفي السنة ٤٦٠ قتل المعتضد بن عبّاد ، صاحب إشبيلية ، أبا حفص عمر بن حسن الهوزني ، شاعر ، عالم ، سياسي ، من أهل إشبيلية ، كان من أصحاب المعتضد ، ثم فارقه عاتباً ، ثم عاد إليه ، فقتله بيده ، في قصره ، ودفنه داخل القصر بثيابه وقلنسوته . (الاعلام ٥/٢٠١) .

وفي السنة ٤٦٥ قُتل السلطان ألب أرسلان السلجوقي ، لما عبر جيحون ، جاءه أصحابه بمستحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمي ، فأمر أن تضرب له أربعة أوتاد ، وتشدّ أطرافه إليها ، فقال له يوسف : يا مخنّث ، مثلي يقتل هذه القتلة ؟ فغضب السلطان ، وقال للغلمان : خلّوه ، وأخذ القوس والنشاب ، وكان رامياً لا يخطىء سهمه ، فوثب يوسف يريده ، فلما رأى السلطان ذلك ، قام عن سدّته ، ونزل عنها ، فعثر ووقع على وجهه ، فبرك عليه يوسف ، وضربه بسكّين كانت معه في خاصرته ، وضرب أحد الفراشين ، يوسف ، بمرزبة على رأسه ، فقتله ، وقطّعه الأتراك ، ومات السلطان بعد أربعة أيّام . (ابن الأثير ١٠/٧٣) .

وفي السنة ٤٦٥ قتل ناصر الدولة الحمداني ، بمصر ، وهو أبو علي الحسن بن حمدان من أحفاد الأمير ناصر الدولة الحمداني صاحب الموصل ، وسبب قتله أنّ أمّ المستنصر الفاطمي ، كانت قد عيّنت أبا سعيد إبراهيم

التستري اليهودي ، وزيراً لها ، فأشار عليها أن تستوزر أبا نصر الفلاحي ، فاستوزرته للمستنصر ، وخشي الفلاحي على مركزه من التستري ، فوضع غلماناً على قتل اليهودي ، فقتلوه ، فغضبت أمّ المستنصر ، وأغرت به ولدها ، فقتله ، وولي الوزارة أبو محمد اليازوري ، فقتل ، وكان ناصر الدولة ، أكبر قائد بمصر ، فتولّى تدبير الأمور ، وحصلت بين الجند الأتراك ، وبين العبيد ، معارك ضارية ، أبادت العبيد ، وأضعفت الأتراك ، فعظم أمر ناصر الدولة ، وحاربه الأتراك ، فانتصر عليهم ، وكاتب الخليفة العبّاسي ببغداد ، ليخطب له بمصر ، فتآمر عليه قوّاد الأتراك ، ودخلوا عليه سحراً ، فضربوه بالسيوف ، وقتلوه ، وقتلوا أخاه فخر العرب ، كما قتلوا أخاه الثالث تاج المعالي ، فانقطع ذكر الحمدانية بمصر . (ابن الأثير ١٠/ ٨٠ ـ ٨٧) .

وفي السنة ٤٧١ سيّر أمير الجيوش بدر ، عسكراً من مصر ، فحصر دمشق ، فاستنجد صاحبها إقسيس ، بتاج الدولة تتش السلجوقي ، فسار تتش لنصرته ، فلما وصل تتش إلى الشام ، انصرف المصريّون ، وخرج إقسيس لتلقّيه عند سور البلد ، فاغتاظ منه تتش حيث لم يبعد في تلقّيه ، فاعتذر له إقسيس بأعذار لم يقبلها تتش ، فقبض عليه ، وقتله من ساعته . (ابن الأثير ١٠/١١١) .

وفي السنة ٤٧٩ قتل ببغداد رجلان ، كان السبب في قتلهما أنّ امرأة كانت تطرّ (أي إنّها نشّالة) وتأخذ أموال الناس وتنفق عليهما، ثم مالت إلى أحدهما دون الآخر ، فظفر به الآخر فقتله ، فظفرت بالقاتل ، أخت المقتول ، فجرحته فجاء أخوها فقتله ، وقبرا من ساعتهما (المنتظم ٩/ ٢٦) .

ولما أُسر المعتمد بن عبّاد اللخمي ، صاحب إشبيلية وقرطبة ، في السنة ٤٨٤ لما اقتحم عليه المرابطون إشبيلية ، قتل ولداه الفتح ويزيد بين يديه صبراً (ابن الأثير ١٠/ ١٩١) .

أقول : في هذا القول نظر ، فإنّ المراكشي ، وهو أعلم بالموضوع ، ذكر في المعجب ص ٢٠٤ و٢٠٥ إنّ ولدي المعتمد ، أبا خالد يزيد الراضي ، والمعتدّ بالله ، كان معتصمين بمعقلين من معاقل الأندلس الحصينة ، وإنّ أباهما كتب إليهما ، يتوسّل أن يستسلما ، فنزلا بعد عهود مبرمة ، ومواثيق محكمة ، فغدر المرابطون بهما ، وقتلاهما ، وقد بسطنا هذا الخبر في بحث الغدر من هذا الكتاب ، القسم الثالث : القتل غدراً من الفصل الأوّل : القتل بالسيف ، من الباب الحادي عشر : القتل .

وفي السنة ٤٨٥ حصر جيشُ المرابطين ، عمرَ بن الأفطس ، صاحب بطليوس ، وكان قد أعان المرابطين ، على محاربة المعتمد بن عبّاد صاحب إشبيلية ، فلما فرغ المرابطون من المعتمد ، وأسروه ، واستولوا على إشبيلية ، وحملوا المعتمد إلى اغمات بالمغرب وسجنوه بها ، قصد جيش المرابطين ، بطليوس ، وحاربوه ، وفتحوا بلده ، وأسروه ، وأسروا ولديه ، فلما عرضوا على السيف ، قال عمر : قدّموا ولديّ للقتل قبلي حتى أحتسبهما ، ويكونا في صحيفتي ، فقتل ولداه قبله ، وقتل هو من بعدهما (ابن الأثير ١٠/١٩٣) .

أقول : عمر بن الأفطس هذا هو المتوكّل على الله أبو محمد عمر بن المظفّر ، كان يملك بطليوس وأعمالها ، ويابره ، وشنترين ، وإشبونة ، وله قدم راسخة في صناعة النظم والنثر ، مع شجاعة مفرطة ، وفروسيّة تامّة ، وكانت أيّامه وأيّام سلفه بالأندلس أعياداً ومواسم ، وكانوا ملجأً لأهل الآداب ، خلّدت فيهم ولهم قصائد أشادت بمآثرهم وأبقت على غابر الدهر حميد ذكرهم ، وفيهم نظم الوزير ابن عبدون ، قصيدته الشهيرة ، في خمسة وسبعين بيتاً ، التي مطلعها : (المعجب للمراكشي ١٢٧ ـ ١٤٠) .

الدهر يفجع بعد العين بالأثر   فما البكاء على الأشباح والصور

ومنها :

بني المظفر والأيّام ما برحت ... مراحلاً والورى منها على سفر
سحقاً ليومكم يوماً ولا حملت ... بمثله ليلة في سالف العمر
من للأسرة أو من للأعنة أو ... من للأسنّة يهديها إلى الثغر
من لليراعة أو من للبراعة أو ... من للسماحة أو للنفع والضرر
أودفع كارثة ، أو ردع آزفة ... أو قمع حادثة ، تعيا على القدر

وفي السنة ٤٨٦ هجم غلمان نظام الملك ، على تاج الملك أبي الغنائم المرزبان بن خسرو ، وكان متّهماً بالمواطأة على قتل نظام الملك ، فقطعوه إرباً إرباً ، وفصّلوه أجزاء ، وحملت إلى بغداد إحدى أصابعه . (المنتظم ٩/٧٤ وابن الأثير ١٠/٢١٦) .

وفي السنة ٤٨٦ حرّضَتْ تركان خاتون ، زوجة السلطان ملكشاه ، إسماعيل ياقوتي ، وهو خال بركياروق ، وابن عمّ السلطان ملكشاه ، أن يحارب بركياروق ، وأطعمته في الزواج بها ، وأمدّته بجند ، فحارب بركياروق ، وانكسر ، فانحاز إلى جانب تركان خاتون ، فرفضه قوّادها ، وطردوه ، فعاد إلى بركياروق ، فاتّهمه قوّاد بركياروق ، ووثبوا عليه فقتلوه . (ابن الأثير ١٠/٢٢٤) .

وفي السنة ٤٨٦ كان إبراهيم بن قريش بن بدران يملك الموصل ، فحاربه تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، فظفر تتش ، وأسر إبراهيم وجماعة من أمراء العرب ، فقتلهم صبراً (ابن الأثير ١٠/٢٢١) .

وفي السنة ٤٨٦ عصى عامل صور للمستنصر الفاطمي ، واسمه منير الدولة الجيوشي على المستنصر ، فسيّر إليه عسكراً فتحوا صور ، وأخذ منير الدولة ومن معه من أصحابه محمولين إلى مصر ، فقتلوا هناك بأجمعهم ، ولم يعف عن أحد منهم (ابن الأثير ١٠/٢٢٣) .

وفي السنة ٤٨٦ قتل السلطان بركياروق ، الأمير يلبرد ، أحد أمرائه الكبار ، وكان من كبار أمراء السلطان ملكشاه ، وزاده بركياروق اقطاع كوهرائين وشحنكيّة بغداد ، إذ بلغ السلطان بركياروق عنه ، إنّه تكلّم فيما يتعلّق بوالدته (والدة السلطان) بكلام شنيع فأصبح مقتولاً (ابن الأثير ١٠/٢٢٦).

وفي السنة ٤٨٦ قتل الأمير أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر ، المعروف بابن ماكولا مصنّف كتاب الإكمال ، قتله غلمانه الأتراك بكرمان (ابن الأثير ١٠/٢٢٧).

وفي السنة ٤٨٧ سار تاج الدولة تتش ، صاحب دمشق ، قاصداً أخذ حلب من قسيم الدولة آقسنقر ، ونشبت بينهما معركة ضارية ، ففرّ أصحاب آقسنقر ، وثبت هو ، فأسر ، وأحضر عند تتش ، فقال له : لو ظفرت بي ، ما كنت صنعت ؟ قال : كنت أقتلك ، فقال له : أنا أحكم عليك ، بما كنت حكمت به عليّ ، فقتله صبراً . (ابن الأثير ١٠/٢٣٢) .

وفي السنة ٤٨٧ استولى تاج الدولة تتش على حلب ، وأسر الأميرين كربوقا وبوزان ، وأراد أن يستولي على حرّان والرها ، وكانتا لبوزان ، فامتنع حفظتها من تسليمها إليه ، فقطع عنق بوزان ، وبعث إليهم برأسه ، فسلّموا البلدين . (ابن الأثير ١٠/٢٣٢) .

وكان الأمير تتش بن ألب أرسلان ، قد استنجد به أتسز الخوارزمي ، صاحب دمشق ، فجاء بجيشه إلى دمشق ، وقتل أتسز واستولى على الشام ، كما قتل آق سنقر ، وبوزان ، وجماعة من أمرائهم ، وامّا من جملتهم بكجور ، فإنّه فرّ منه ، **فقبض على أولاده الستّة وقتلهم** ، ثم صافّ الأمير تتش ، بركياروق إبن أخيه ملكشاه ، فجاء بكجور إلى بركياروق وهو يبكي ، وقال له : إنّ عمّك قتل أولادي ، وأنا قاتله بأولادي ، فقال له : إفعل ، فهاجمه في المعركة ، **وقتله** (النجوم الزاهرة ٥/١٥٥) .

وفي السنة ٤٨٨ قتل أحمد خان بن خضر ، والي بخارى للسلاجقة ، وكان السلطان ملكشاه قد أسره في السنة ٤٨٢ (معجم أنساب الأسرات الحاكمة ٣١٢) .

وفي السنة ٤٨٩ صادر أرسلان أرغون ، صاحب خراسان ، وزيره عماد الملك أبا القاسم بن نظام الملك ، على ثلثمائة ألف دينار ، ثم قتله (ابن الأثير ١٠/٢٦٤) .

وفي السنة ٤٨٩ تحرك بحلب إنسان يلقب بالمجنّ ، كان سوادياً يشقّ الخشب ، ثم صار رئيس الأحداث بها ، وصار له أتباع كثيرون ، فسيطر على حلب ، وقتل أناساً فيها ، فحدّثته نفسه أن يتفرّد في الحكم عن الملك رضوان ، وأحسّ رضوان بذلك ، فقصده ، فاختفى ، ثم اعتقل بعد ثلاثة أيّام ، فأخذ ، وعوقب ، وعذّب ثم قتل هو أولاده . (ابن الأثير ١٠/٢٥٥ ، ٢٥٦) .

وفي السنة ٤٩٠ قُتل عثمان ، وكيل دار نظام الملك ، اتّهم بأنّه يكاتب صاحب غزنة بأخبار السلطان ، فأخذ وحبس ، ثم اطّلع عليه في الحبس مستمرّاً على المكاتبة ، فقتل . (ابن الأثير ١٠/٢٧٠) .

وفي السنة ٤٩٠ قتل الأمير أرسلان أرغون ، أخو السلطان ملكشاه ، وكان سبب قتله إنّه كان شديداً على غلمانه ، فاتّفق إنّه طلب غلاماً له ، فدخل عليه وليس معه أحد ، فأنكر عليه تأخّره ، فاعتذر ، فلم يقبل عذره ، وضربه ، فأخرج الغلام سكّيناً معه وقتله ، وأخذ الغلام ، فقيل له : لم فعلت هذا ؟ فقال : لأريح الناس من ظلمه (ابن الأثير ١٠/٢٦٢) .

وفي السنة ٤٩٠ قصد الأمير مسعود بن تاجر ، وكان له منزلة عظيمة عند السلاجقة ، وكان أبوه مقدّم عسكر داود ، جدّ الملك ملكشاه ، قصد الأمير آخور زائراً له ، ومعه ولده ، فأخذهما أمير آخور وقتلهما ، وفي السنة ٤٩٢

أرسل امير آخور ، وجماعة من القوّاد الى السلطان بركياروق ، يطلبون منه أن يسلم إليهم مجد الملك البلاساني ، مستشاره ، ليقتلوه ، فحاول السلطان أن يحميه ، فلم يتمكّن ، وأسلمه ، فقتل ، وفي السنة ٤٩٣ هلك الميرآخور ، فاتّهم مؤيّد الملك وزير السلطان محمد ، بأنّه قد دسّ السمّ له وقوّى هذا الظن ، أنّ وزير المير آخور هرب عقيب موته ، فقبض عليه وقتل ، وكان أمير آخور قد اتّخذ الأمير إياز بمثابة الولد ، وأوصى له بجميع أمواله ، فأخذ الأمير إياز يطالب مؤيّد الملك بدم المير آخور ، وغاضب السلطان محمد من أجل ذلك ، وانحاز الى السلطان بركياروق ، واقتتل الأخوان ، وكان مع السلطان بركياروق خمسون ألفاً ، ومع أخيه السلطان محمد خمسة عشر ألفاً ، فانتصر بركياروق ، وانهزم محمد ، وأسر وزيره مؤيّد الملك ، وحمل إلى السلطان بركياروق فقتله ، وسنّه اذ ذاك خمسون سنة (ابن الأثير ١٠/٢٦٤) .

أقول : ذكر صاحب كتاب الأعلام ٣٤٧/٤ إنّ مقتل الوزير جرى في السنة ٤٩٥ وإنّ الذي قتله هو السلطان بركياروق ، قتله بيده ، اما ابن الأثير ١٠/٢٦٤ فقد ذكر إنّ مقتل الوزير حصل في السنة ٤٩٣ وان الذي قتله هو الأمير إياز .

وفي السنة ٤٩٠ (١٠٩٦ م) قام أميكو الالماني بقيادة حملة صليبية ، وأوهم الناس أنّ المسيح نصبه إمبراطوراً على بيت المقدس ، وهاجم مدينة شباير في ألمانيا ، وقام بمذبحة في الحيّ اليهودي بالمدينة ، وقتل منهم أحد عشر زعيماً دينياً ، وهدموا المعبد ، ومزّقوا التوراة ، وساقوا الزعيم موسى بن إسحاق إلى المعبد ، حيث أعدموه هناك (علاقات بين الشرق والغرب ٥٠ و٥١) .

وفي السنة ٤٩٠ لما اجتازت الحملة الصليبية الأولى بلاد الشام ، مرّوا بالمعرّة ، واستولوا عليها ، ووضعوا السيف في أهلها ، فقتلوا منهم ما يزيد على مائة ألف إنسان ، وسبوا منهم ، ثم ساروا عن المعرّة بعد أن قتلوا أهلها ، وقطعوا أشجارها ، وذكر أحد المؤرّخين إنّ الصليبيين قتلوا أهل

المعرّة ، حتى الذين آعتصموا بالجوامع ، وآختبأوا في السراديب ، وهدموا أسوارها وأبراجها ، وأحرقوا مساجدها ، وكسروا منابرها ، وهدموا دورها ، ولما جاعوا أخذوا يأكلون جثث الموتى (خطط الشام ١ / ٢٨١) .

وفي السنة ٤٩٢ قتل بنيسابور ، الفقيه أبو القاسم ابن إمام الحرمين أبي المعالي الجويني ، وكان خطيب نيسابور ، فاتّهم العامّة أبا البركات الثعلبي بأنّه هو الذي سعى في قتله ، فوثبوا به ، فقتلوه ، وأكلوا لحمه (ابن الأثير ١٠ / ٢٩١) .

وفي السنة ٤٩٢ قتل مجد الملك البلاساني ، أبو الفضل أسعد بن محمد ، وكان متحكّماً في دولة السلطان بركياروق ، وكان سبب قتله أنّ الباطنية ، والواقتل الأمراء الأكابر في الدولة ، فنسب ذلك إلى مجد الملك ، وتظافر الأمراء على مطالبة السلطان بتسليم مجد الملك إليهم لقتله ، فأبى عليهم ، فأرسل مجد الملك إلى السلطان ، يقول : المصلحة أن تحفظ أمراء دولتك ، وتقتلني أنت ، فلم تطب نفس السلطان بقتله ، وأرسل إليهم واستحلفهم على أنّه إن سلّمه إليهم ، فإنّهم يحبسونه في إحدى القلاع ، فحلفوا ، فسلّمه إليهم ، فقتله الغلمان قبل وصوله إليهم . (ابن الأثير ١٠ / ٢٨٩ و٢٩٠) .

وفي السنة ٤٩٢ لما استولى الصليبيّون على بيت المقدس ، أخذوا يقتلون في المسلمين أسبوعاً كاملاً ، وقتل من المسلمين في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبّادهم وزهّادهم ، ممن جاور في ذلك الموضع الشريف (خطط الشام ١ / ٢٨٢) .

وجاء في كتاب « علاقات بين الشرق والغرب ص ٧١ » إنّه في السنة ٤٩٢ (١٠٩٩ م) استولى الصليبيّون على بيت المقدس . وقاموا بمذبحة

« خاض رجالهم فيها بالدماء إلى ركبهم » واندفعوا يذبحون كلّ من رأوه ، حتى الذين آستسلموا وأسروا ، وجمعوا اليهود في معبدهم ، ثم أحرقوا المعبد ، وأحرقوهم في داخله .

وفي السنة ٤٩٣ قتل الأمير بلكابك سرمز ، بأصبهان ، بدار السلطان محمد ، وكان كثير الإحتياط من الباطنيّة ، لا يفارقه لبس الدرع ، ففي ذلك اليوم لم يلبس درعاً ، فهاجمه اثنان من الباطنيّة ، وقتلاه ، فقتل أحدهما ، ونجا الآخر . (ابن الأثير ١٠/٣٠١) .

وفي السنة ٤٩٣ عزل الوزير عميد الدولة بن جهير ، وصودر على خمسة وعشرين ألف دينار ، وقبض عليه وعلى إخوته ، وحبس في دار الخلافة ، فمات في حبسه بعد شهر من اعتقاله (ابن الأثير ١٠/٢٩٩) .

أقول : موت الوزير ، بعد حبسه بشهر ، يعني إنّه قتل ، ومما يبعث على التأمّل ، ما ذكره ابن الأثير ١٠/٣٣٧ إنّه في السنة ٤٩٣ بيع رحل بني جهير ودورهم بباب العامّة ، ووصل ثمن ذلك إلى مؤيّد الملك بن نظام الملك ، وزير السلطان محمد ، ولما قتل مؤيّد الملك في السنة ٤٩٤ أخذ ماله وبركه ، وحمل إلى الوزير الأعزّ أبي المحاسن ، وفي السنة ٤٩٥ قتل الوزير الأعزّ أبو المحاسن ، وبيع رحله واقتسمت أمواله ، وأخذ السلطان ، والوزير الذي ولي بعده ، أبو منصور الميبذي ، أكثر أمواله ، وتفرّق الباقي أيدي سبا ، قال ابن الأثير : وهذه عاقبة خدمة الملوك .

وفي السنة ٤٩٣ فتح تميم بن المعز ، صاحب إفريقية ، مدينة سفاقس ، وكان صاحبها حمّو قد تغلّب عليها ، واشتدّ أمره بوزير كان عنده ، حسن الرأي والتدبير ، فأرسل إليه تميم يطلبه ليستخدمه ، ووعده ، وبالغ في آستمالته ، فلم يقبل ، فسيّر تميم جيشاً لحصار سفاقس ، وأمر الأمير مقدّم الجيش ، أن يهدم ما حول المدينة ويحرقه ، ويقطع الأشجار ، سوى ما يعود

لذلك الوزير ، فلا يتعرّض له ، ويبالغ في صيانته ، ففعل ذلك ، فلما رأى حمّو ذلك ، اتّهم وزيره ، فقتله ، فانتشر أمره ، وآنحلّ نظام دولته ، واستولى جند تميم على المدينة (ابن الأثير ١٠/٢٩٨) .

وفي السنة ٤٩٣ نشبت معركة بين السلطان بركياروق ، وأخيه السلطان سنجر ، وكان أمير داذ حبشي صاحب خراسان وطبرستان وجرجان ، مع بركياروق ، فآنكسر بركياروق ، وأسر أمير داذ حبشي ، فقتل . (ابن الأثير ١٠/٢٩٧) .

وفي السنة ٤٩٤ اتّهم تيران شاه بن توران شاه بن قاورت بك ، صاحب كرمان ، بالنحلة الباطنيّة ، أفسده انسان إسمه أبو زرعة ، فطردهما أهالي كرمان ، ونصبوا مكانه والياً ، إسمه أرسلان شاه ، فجرّد أرسلان وراءهما عسكراً ، فقتلهما . (ابن الأثير ١٠/٣٢١) .

وفي السنة ٤٩٤ قتل جاوولي سقاووه ، صاحب رامهرمز وأرجان ، كثيراً من الباطنيّة ، فإنّهم ملكوا قلاعاً بخوزستان وفارس ، وعظم شرّهم ، فوافق جماعة من أصحابه ، أظهروا الشغب عليه ، وفارقوه إلى الباطنية ، واستقرّوا معهم ، ثم إنّه أظهر رغبته في مفارقة بلاده ، وحمل أمواله وسار ، فنزل الباطنيّة لسلب أمواله ، فلما تقابلوا ، إنحاز إليه أصحابه الذين لجأوا إليهم ، واتّفقوا عليهم فأبادوهم ، ولم يفلت منهم إلاّ ثلاثة نفر (ابن الأثير ١٠/٣١٩ و٣٢٠) .

وفي السنة ٤٩٤ قتل السلطان بركياروق كلّ من اتّهم بأنّه من الباطنية في عسكره ، وسبب ذلك أنّهم ازدادوا في عسكره حتى خيف أن يستولوا على العسكر وأصبح الناس يتّهمونه بأنّه من مذهبهم . (ابن الأثير ١٠/٣١٣ و٣٢٢) . وكان أوّل قتيل قتله الباطنية ، مؤذّن من أهالي ساوة ، دعوه إلى نحلتهم ، فأباها ، فخافوا أن ينمّ عليهم ، فقتلوه ، وبلغ ذلك نظام الملك ،

فأمر بأخذ من يتّهم بقتله ، فأخذ نجّار اسمه طاهر ، فقتل ، ومثّل بـه ، وجرّوا برجله في الأسواق فهو أوّل قتيل منهم ، وكـان والد هـذا النجّار واعـظاً ، قدم بغداد ، ثم قصد البصرة ، وتوجّه في رسالة إلى كرمان ، فاتّهم بـأنّه بـاطني ، وقتلته العامّة . (ابن الأثير ١٠/٣١٣) .

وهجا الشاعر أبو بكر الأبيض ، الزبير بن عمر ، أمير قرطبـة للملثّمين ، فقتله .

وتفصيل ذلك : إنّ أبا بكر الأبيض ، هجا الزبير ، أمير قرطبة ، فقال :

عكف الزبير على الضلالة جاهداً ووزيـره المشهـور كلب الـنـار
مـا زال يأخـذ سجدة في سجـدة بـين الـكؤوس ونـغمـة الأوتـار
فـإذا آعتـراه السهـو سبّـح خلفـه صـوت القيـان ورنّـة المـزمـار

وبلغ قوله الزبير ، فأحضره ، وقرّعه ، فقال له الأبيض : إني لم أر أحقّ منك بالهجو ، ولو علمتَ بمـا أنت فيه من المخـازي لهجوت نفسـك ، فأمـر بقتله ، فقتل (نفح الطيب ٣/٤٩٠) .

أقـول : أبـو بكـر محمـد بن أحمـد الاشبيلي الأنصـاري ، الملقب بالأبيض ، كان من فحول الشعراء ، ومما يؤثر عنه إنّه سئل عن كلمة لغـوية ، فلم يجب ، فآلى على نفسه ، أن يقيّد نفسه بقيد حديد ، ولا ينزعـه عنه حتى يحفظ « الغـريب المصنّف » ودخلت عليه أمّـه وهو في الحـديد ، فجـزعت ، فقال :

ريعت عجـوزي أن رأتني لابسـاً حلق الحـديـد ومثـل ذاك يـروع
قالت : جننتَ ؟ فقلت : بل هي همّةٌ هي عنصـر العـليـاء والـينـبـوع
سنَّ الفـرزدق سنّـةً فتبعـتهـا إنّـي لمـا سنّ الكـرام تـبـوع

وسنّة الفرزدق أشار إليها ، هي أن الفرزدق قيّد نفسه حتى حفظ القرآن ، وقد ذكرنا قصّته في موضع آخر من هذا الكتاب ، راجع الباب الرابع : الحبس والقيد ، الفصل الثاني ، القسم الأوّل : القيد والغلّ .

وفي السنة ٤٩٥ نشبت معركة بين عامّة بغداد ، وبين عسكر الأمير إيلغازي بن أرتق ، شحنة بغداد ، وسببها ، أنّ جماعة من عسكر إيلغازي جاءوا ليعبروا دجلة ، فنادوا ملاحاً ليعبر بهم ، فتأخّر ، فرماه أحدهم بنشابة ، فوقعت في مشعره ، فمات ، فأخذوا العامّة القاتل ، وقصدوا باب النوبي ، بدار الخلافة ، فلقيهم ولد إيلغازي في جماعة ، فاستنقذه ، فرجمهم العامّة بسوق الثلاثاء ، فمضى إلى أبيه إيلغازي مستغيثاً ، فعبر إيلغازي مع جنده إلى محلّة الملّاحين ، المعروفة بمربّعة القطّانين ، فنهبها ، فعطف عليه العيّارون ، فقتلوا أكثر جنده ، ونزل من سلم منهم في السفن ليعبروا دجلة ، فلما توسّطوها ، ألقى الملّاحون أنفسهم في الماء ، وتركوهم فغرقوا . (ابن الأثير ١٠/٣٣٨) .

وفي السنة ٤٩٥ طمع قدرخان ، جبريل بن عمر ، صاحب سمرقند ، بالإستيلاء على خراسان ، فقصد خراسان ، فبادر السلطان سنجر ، وحاربه ، ونشبت بينهما معركة ، فانكسر قدرخان ، وأسر ، فلما وصل أمام السلطان سنجر ، قبّل الأرض واعتذر ، فقال له سنجر : إن خدمتنا ، أولم تخدمنا ، فما جزاؤك إلّا السيف ، ثم أمر به فقتل . (ابن الأثير ١٠/٣٤٨) .

وفي السنة ٤٩٥ قتل الأمير جناح الدولة الحسين بن ايتكين ، زوج خاتون أمّ الملك رضوان السلجوقي صاحب حلب ، قتله ثلاثة من الأعجام الإسماعيليّة بعث بهم حكيم منجّم بحمص اسماعيلي المذهب ، وقتلوا معه بعض أصحابه ، فأمسك الإسماعيلية وقتلوا (اعلام النبلاء ١/٣٩٠) .

وفي السنة ٥٠٢ قتل قاضي أصبهان عبيد الله بن علي الخطيبي

بهمذان ، وكان قد تجرّد في أمر الباطنية ، تجرّداً عظيماً ، وصار يلبس درعاً ، حذراً منهم ، ويحتاط ، ويحترز ، فقصده إنسان أعجميّ ، يوم جمعة ، فقتله ، وكذلك قتل أبو العلاء صاعد بن محمد بن عبد الرحمن قاضي نيسابور ، قتله باطني ، وقتل الباطني . (ابن الأثير ١٠/٤٧١ و٤٧٢) .

وفي السنة ٥٠٢ ، وصل إلى المهدية ، ثلاثة نفر غرباء ، وكتبوا إلى أميرها يحيى بن تميم ، يقولون : إنّهم يعملون الكيمياء ، فأحضرهم ، وأمرهم بالعمل أمامه ، وقعد معهم ، هو والشريف أبو الحسن ، وقائد جيشه ، واسمه إبراهيم ، فلما رأى هؤلاء المكان خالياً ، ثاروا بهم ، فضرب أحدهم يحيى بن تميم ، على رأسه ، فوقعت السكّين في عمامته فلم تصنع شيئاً ، ورفسه يحيى فألقاه على ظهره ، ودخل يحيى باباً وأغلقه على نفسه ، وضرب الثاني الشريف فقتله ، أمّا القائد ، فسلّ سيفه وقاتل ، ووقع الصوت ، فدخل أصحاب الأمير ، وقتلوا هؤلاء الغرباء الثلاثة . (ابن الأثير ١٠/٤٧٣) .

وفي السنة ٥٠٢ قتل رئيس سروج ، وكان مسلماً ثم آرتدّ لما آستولى النصارى على سروج ، قتله بردويل القمص الافرنجي ، صاحب سروج والرها وغيرهما ، وسبب ذلك : إنّ جاولي كان قد أسر بردويل ، وبقي في أسره خمس سنين ، ثم أطلقه بشروط ، وبعث معه من ينظر في تنفيذ ما اتّفقا عليه ، وكان بسروج ثلثمائة مسلم ضعفى ، فعمّر أصحاب جاولي مسجدهم ، فقال رئيس سروج المرتدّ ، في الإسلام قولاً شنيعاً ، فغضب أصحاب جاولي ، وضربوه ، وجرى بينهم وبين الإفرنج نزاع بسبب ذلك ، فذكر ذلك للقمص بردويل ، فقال : هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين ، وقتله (ابن الأثير ١٠/٤٦١ و٤٦٢) .

وفي السنة ٤٩٥ توفّي قوام الدولة كرابوقا ، فاختلف على الزعامة ، كلّ من سنقرجه ، وموسى التركماني ، فلما تلاقيا ، جرت بينهما محاورات ،

وجـذب سنقرجـة سيفه ، وضرب موسى صفحاً على رأسه ، فجـذب مـوسى سنقرجه وألقاه على الأرض ، وكان معه ولد منصور بن مروان ، الذي كان أبوه صاحب ديار بكر ، فجذب سكّيناً ، وضرب رأس سنقرجه ، فأبانـه ، وصارت المـوصل لمـوسى التركمـاني ، ولكنّ موسى لم يهنـأ بالحكم ، فـإنّ الغلمـان القـواميّة (نسبـة الى قوام الـدولة كـرابوقـا) ، وثب عليـه عـدّة منهم ، ورمـاه أحدهم بنشابة ، فقتله . (ابن الأثير ١٠/٣٤١ - ٣٤٣) .

وفي السنة ٤٩٩ ظهر بنهاوند ، رجـل من السواد ، ادّعى النبوة ، وسمّى أربعة من أصحابه : أبا بكـر ، وعمر ، وعثمـان ، وعلي ، فأطـاعه خلق كثيـر من السـواديّة ، واتّبعـوه ، وبـاعـوا أمـلاكهم ، ودفعـوا إليـه أثمـانهـا ، فقتـل بنهاوند . (ابن الأثير ١٠/٣٩٩) .

وفي السنة ٥٠٠ قصد الأميـر جاولي سقـاووه الموصـل ، وكانت في يـد جكرمش ، فكسره وأسره ، ومات في يده ، فكتب قاضي الموصل أبـو القاسم بن ودعان ، للأمير جاولي ، يقول له : إنّ قتلت أبا طالب بن كسيـرات ، وهو من أعيـان الموصـل ، سلّمت الموصـل إليك ، فقتله جـاولي ، وبعث برأسـه إليه ، فأظهـر الشماتـة به ، فغضب الأتـراك من تصرّف القـاضي ابن ودعان ، وثـاروا بـه فقتلوه ، وكـان بين مقتلهمـا شهـر واحـد . (ابن الأثيـر ١٠/٤٢٤ ١٠/٤٢٤ و٤٢٥) .

وفي السنة ٥٠٣ توجّه الوزير نظام الملك أحمد بن نظام الملك ، وزيـر السلطان محمـد السلجوقي ، إلى الجـامع ، فـوثب بـه البـاطنيـة ، فضـربـوه بالسكاكين ، فجرح في عنقه ومـرض مدّة ، ثم عـوفي ، وأخذ البـاطني الذي جرحه ، وسقي الخمر حتى سكر ، ثم سئل عن أصحابه ، فأقـرّ على جماعـة بمسجد المأمونية ، فأخذوا وقتلوا (ابن الأثير ١٠/٤٧٨) .

وفي السنة ٥٠٣ توفّي فاتك بن جيّاش ، صاحب مـدينة زبيـد باليمن ،

فخلفه ولده منصور ، فثقل عليه تحكّم وزيره أنيس الفاتكي ، فاستدعاه إليه ، وأمر به ، فقتل أمامه (الاعلام ٨/٢٤١) .

وفي السنة ٥٠٤ في أيّام الآمر الفاطمي ، قصد بردويل الافرنجي صاحب القدس وعكا ويافا ، مصر ، فدخل الفرما ، وأحرقها ، وأحرق جامعها ومساجدها ، وقتل بها رجلاً مقعداً وابنته ، ذبحها على صدره ، ثم رحل وهو مريض ، فهلك في طريقه قبل وصوله إلى العريش ، فشقّ أصحابه بطنه ، ورموا حشوته هناك ، فهي ترجم إلى اليوم . (وفيات الأعيان ٥/٣٠١) .

وفي السنة ٥٠٨ قتل السلطان سنجر السلجوقي ، وزيره أبا جعفر محمد بن فخر الملك أبي المظفر بن نظام الملك ، ووجد له في أمواله من العين ألفا ألف دينار ، ومن الجوهر والأموال ما لا حدّ له . (ابن الأثير ١٠/٥٤٩) .

وفي السنة ٥١٠ هلك جاولي سقاووه ، صاحب فارس ، وكان السلطان محمد أقطعه فارس ، فخرج إليها من بغداد ، ومعه طفل من أولاد السلطان ، عمره سنتان ، إسمه : جغري ، فمرّ ببلاد الأمير بلدجي ، وكان قد علّم الطفل جغري ، ابن السلطان ، أن يقول بالفارسية : خذوه ، وهو لا يعرف معناها ، فلما جاء الأمير بلدجي ، ليقدّم التحية لابن السلطان ، قال الطفل بالفارسية : خذوه ، فأخذ وقتل ، وطلب جاولي سقاووه ، غيره من الأمراء ، فأبوا الحضور ، ومن جملتهم أبو سعد بن مما ، فاضطر إلى محاصرته في قلعته ، وبعث إليه رسولاً ، فقتل الرسول ، وبعث إليه قوماً من الصوفية ، فأطعمهم الهريسة والقطائف ، ثم أمر بهم فخيطت أدبارهم ، وألقوا في الشمس ، فهلكوا ، فاضطرّ جاولي أن يؤمّن أبا سعد ، فخرج بالأمان ، ثم احتال عليه ، فقتله ، وفي السنة ٥٠٩ توفّي الطفل جغري ، وقد بلغ الخامسة ، ثم هلك جاولي من بعده . (ابن الأثير ١٠/٥١٦ ـ ٥٢٠) .

وفي السنة ٥١٣ نشبت حرب بين السلطان سنجر ، وبين ابن أخيه السلطان محمود ، فانكسر محمود ، وظفر سنجر بأتابكه غزّ أوغلي ، فقتله ، وكان غزّأوغلي ظالماً . (ابن الأثير ١٠/٥٥٢) .

وفي السنة ٥١٣ وقع صاحب زردنا ، وهو القومس الأبرص روبارد (روبرت) أسيراً ، إذا سقط عن فرسه في المعركة ، فأسر ، وحمل إلى إيلغازي بظاهر حلب ، فأنفذه إلى أتابك طغتكين ، فقتله صبراً (اعلام النبلاء ١/٤٣٤) .

وفي السنة ٥١٣ استولى علي بن سكمان على البصرة ، وكانت في إقطاع الأمير آقسنقر البخاري ، فاتّفق عليه أميران ، هما غزأوغلي وسنقرألب ، وقبضا على البخاري وقيّداه ، ثم وثب عليه سنقرألب ، فقتله ، فوثب غزأوغلي على سنقرألب وقتله ، وكان غزأوغلي يحقد على علي بن سكمان ، أمير الحاج ، أموراً ، فلما عاد علي مع الحاج ، أوعز غزأوغلي إلى الأعراب ، أن يقصدوا الحجّاج ، وينهبوهم ، فتعرّضوا للحجّاج ، فقاتلهم علي بن سكمان ، وطردهم ، ولما وصل بالحجّاج إلى البصرة ، منعه غزأوغلي من دخولها ، ثم خرج إليه فحاربه ، فقتل غزأوغلي ، وملك علي بن سكمان البصرة (ابن الأثير ١٠/٥٥٩) .

وفي السنة ٥١٣ قتل الأمير منكوبرس شحنة بغداد ، وكان ظالماً ، جائراً ، جسوراً على المنكرات ، وكان قد خرج على السلطان سنجر ، ولما انتصر سنجر على ابن أخيه السلطان محمود ، جاء منكوبرس ، ودخل على السلطان سنجر ، ومعه سيف وكفن ، فقال له سنجر : أنا لا أؤاخذ أحداً ، وسلّمه إلى السلطان محمود ، وقال له : هذا مملوكك ، فاصنع به ما تريد ، فأخذه ، وكان في نفسه منه غيظ شديد ، لتعدّيه ، وظلمه ، وجرأته على المنكرات ، فقتله صبراً (ابن الأثير ١٠/٥٥٦) .

ونصب الآمر الفاطمي ، الذي ولد بالقاهرة سنة ٤٩٠ ، واستخلف وهو

طفل سنة ٤٩٥ ، لـوزرائه ، ففي السنـة ٥١٥ قتل وزيـره الأفضل ، واستـوزر بعـده ابن فاتـك البطائحي ، ولقّبـه بالمـأمون ، ثم قتله سنـة ٥٢١ مع اخـوته الخمسـة ، ونصب بدلاً من الـوزير صـاحبي ديـوان أحـدهمـا جعفـر بن عبـد المنعم ، والآخـر سامـري اسمه إبـراهيم ومعهما مستـوفٍ ، يعـرف بـابن أبي نجـاح كان راهبـاً ، فظلم الـراهب النـاس ، وتفـاقم شـرّه ، حتى قبض عليـه الآمر ، وأمر به فقتل ضـرباً بـالنعال ، في مجلس الشـرطة ، وجـرّ إلى كرسي الجسر ، وسمّر على لوح ، وطرح في النيل ، وجذف ، حتى خرج إلى البحر الملح . (خطط المقريزي ٢/٢٩١) .

وفي السنـة ٥١٥ قتل العميـد فخر الكتّـاب مؤيّـد الـدين وزيـر السلطان مسعود (معجم أنساب الاسر الحاكمة ٣٤٠) .

وفي السنـة ٥١٦ قتـل الأميـر جيـوش بـك ، صـاحب أذربيجـان ، قتله السلطان محمد بباب تبريز (ابن الأثير ١٠/٦٠٤) .

وفي السنة ٥١٧ قتل السلطان محمـود ، وزيره شمس الملك عثمـان بن نـظام الملك ، قبض عليـه أوّلاً ، وسلّمـه إلى طغـايـرك ، فبعثـه إلى بلده خلخـال ، فحبسه فيهـا ، وتحرك أبـو نصـر المستـوفي ، أحمـد بن حـامـد ، الملقّب بالعزيز ، فأغرى السلطان محمود بقتله ، فأمر بقتله ، فلما دخل عليـه السيّـاف ليقتله ، قـال لـه : أمهلني حتى أصلّي ركعتين ، فلمـا صلّى جعـل يرتعد ، وقال للسياف : سيفي أجود من سيفك ، فـاقتلني به ، ولا تعـذّبني ، أما أبو نصر المستوفي ، الـذي سعى في قتل شمس الملك ، فلم تـطل أيّامـه حتى قتـل في السنـة ٥٢٥ إذ آعتقله الأنسـابـاذي ، وزيـر السلطان محمـود ، وبعث به إلى مجاهد الدين بتكريت فقتله (ابن الأثير ١٠/١٦٤ و٦٧٠) .

وفي السنـة ٥١٨ قتـل بجـامـع همـذان ، أبـو سعـد محمـد بن نصـر الهروي ، وكان ينفـذه الخليفة المستـظهر العبـاسي في رسائله إلى الأقـطار . (الاعلام ٧/٣٤٧) .

وفي السنة ٥٢٠ قتل أبو منصور محمد بن ناصر الصائغ الصرّاف ، الفقيه المحدّث ، قبض عليه علاء الدولة كرشاسب بن علي بن فرامرز ، وحمله إلى طبس ، وقتله هناك ، ودفنه في البريّة (الوافي بالوفيات ١٠٧/٥) .

وفي السنة ٥٢٣ شرع تاج الملوك بوري بن طغدكين ، صاحب دمشق ، في الترتيب لقتل وزيره المزدقاني ، اتّهمه بمباطنة الإسماعيليّة ، فلما كان في سابع عشر رمضان ، وانصرف الناس من مجلسه ، قام الوزير للخروج ، فتقدّم إليه بعض الأصحاب ، وأشغله بحديث ، ثم أشار تاج الملوك الإشارة التي قررها مع المرتّبين له ، فوثبوا به فقتلوه ، وقطعوا رأسه ، وأمر بجثّته فأخرجت إلى باب الحديد (عيون التواريخ ٢٠٣) .

أقول : ثم فتك صاحب دمشق بالإسماعيلية ، فقتل منهم في السنة ٥٢٣ ستّة آلاف نفس ، اتّهمهم بأنّهم كاتبوا الإفرنج لكي يسلموا إليهم مدينة دمشق (خطط الشام ٢/٤) .

وفي السنة ٥٢٥ لما مرض السلطان محمود السلجوقي ، خاف وزيره أبو القاسم الأنساباذي ، من بعض الأمراء والأعيان ، فأرسل عزيز الدين أبا نصر أحمد بن حامد المستوفي ، مقبوضاً عليه ، إلى مجاهد الدين بهروز ، بتكريت ، فقتل هناك في السنة ٥٢٦ ، أمّا الأمير أنوشتكين المعروف بشيركير ، وولده عمر ، وهو أمير حاجب السلطان ، فقتلا قبل وفاة السلطان . (ابن الأثير ٦٦٩/١٠ و٦٧٠ و٦٨٣) .

وفي السنة ٥٢٦ نشبت معركة بين السلطان سنجر ، وابن أخيه السلطان مسعود ، فانكسر مسعود ، وأسر الأمير قراجه الساقي من اصحاب مسعود ، فلما أحضر أمام السلطان سنجر ، قال له : يا مفسد ، أيّ شيء كنت ترجو بقتالي ؟ قال : كنت أرجو أن أقتلك ، وأقيم سلطاناً أحكم عليه ، فقتله صبراً . (ابن الأثير ٦٧٧/١٠ و٦٧٨) .

وفي السنة ٥٢٦ قتل السلطان محمود السلجوقي ، صاحب خزانته ، أحمد بن حامد الإصبهاني ، وكان قد اطّلع على سرّ من اسراره ، فخشي أن يفشيه ، فقبض عليه ببغداد ، وحبسه في قلعة تكريت ، ثم قتله . (الاعلام ١/١٠٤) .

وفي السنة ٥٢٧ وثب أحد المماليك ، على شمس الملوك صاحب دمشق ، وضربه بسيف ، فخابت الضربة ، فأخذ ، وقرّر ، فقال : أردت اراحة المسلمين من شرّك وظلمك ، ولم يزل يضرب ، حتى أقرّ على جماعة ، فأخذوا وقتلوا من غير تحقيق ، كما قتل شمس الملوك أخاه سونج . (ابن الأثير ١١/٨ و٩) .

وفي السنة ٥٢٩ قتل محمد بن احمد بن خلف ، قاضي قرطبة ، قتل في جامع قرطبة ، وهو ساجد . (الاعلام ٦/٢١٠) .

وفي السنة ٥٣٠ اتّفق الأمراء بدمشق على قتل الحاجب يوسف بن فيروز ، وبينما كان الحاجب يسير مع صاحب دمشق شمس الملوك ، وكان إلى جانب الحاجب الأمير بزاوش يحادثه ، إذ جرّد بزاوش ، سيفه ، وضرب الحاجب فقتله (ابن الأثير ١١/٣٩) .

وفي السنة ٥٣٢ نشبت حرب بين السلطان مسعود ، وبين الأمير منكوبرس صاحب فارس ، ونائبه بخوزستان الأمير بوزابه ، والأمير عبد الرحمن طغايرك صاحب خلخال ، والملك داود بن السلطان محمود ، فانتصر السلطان مسعود ، وأخذ الأمير منكوبرس أسيراً ، فقتل بين يديه صبراً ، وتفرّق عسكر مسعود في اتّباع المنهزمين ، فكرّ بوزابة ، وعبد الرحمن طغايرك على عسكر مسعود ، ففرّوا ، وقبض بوزابة على جماعة من أمراء السلطان مسعود ، منهم صدقة بن دبيس صاحب الحلة ، ومنهم ولد أتابك قراسنقر صاحب أذربيجان ، وعنتر بن أبي العسكر ، وغيرهم ، فلما بلغه قتل صاحبه منكوبرس ، قدّمهم وقتلهم أجمعين . (ابن الأثير ١١/٦٠ و٦١) .

وفي السنة ٥٣٣ قتل السلطان مسعود وزيره كمال الدين محمد بن الحسين الخازن ، وسبب قتله أنّه كان شجاعاً ، عادلاً ، كشف أشياء كانت مستورة ، يخان فيها ويسرق ، فثقل على المتصرّفين وأرباب الأعمال ، فأغروا به الأمراء ، لاسيّما قراسنقر صاحب أذربيجان ، فإنّه فارق السلطان وأرسل يقول : أما أن تنفذ رأس الوزير ، وإلاّ خدمنا سلطاناً آخر ، فقتله السلطان على كره منه ، وأرسل رأسه إلى قراسنقر ، وكانت وزارته سبعة أشهر . (ابن الأثير ١١/٦٤) .

وفي السنة ٥٣٩ قتل الكاتب الأندلسي محمد بن يحيى الشلطيشي ، المعروف بابن القابلة ، وكان أثيراً عند صاحبه ابن قسي ، ثم نقم عليه فقتله (الاعلام ٨/٧) .

وفي السنة ٥٤١ قتل السلطان مسعود ، الأمير عبّاس ، صاحب الري ، وكان السلطان يتخوّف منه ، وكيفية قتله ، إنّه دعي لمواجهة السلطان ، فلما دخل ، منع أصحابه من الدخول معه ، وعدلوا به إلى حجرة ، وقالوا له : اخلع الزرديّة : فقال : إنّ لي مع السلطان أيماناً وعهوداً ، فلكموه ، وعندئذ تشاهد ، وخلع الزرديّة ، وألقاها ، فضربوه بالسيوف ، واحتزّوا رأسه ، وأخذوه للسلطان ، ، ومن الإتّفاق العجيب ، أنّ العبادي الواعظ ، كان يعظ يوماً ، وعباس صاحب الريّ حاضر ، فتواجد بعض أهل المجلس ، ورمى نفسه نحو عبّاس ، فضربه أصحابه ، ومنعوه من الإقتراب من عبّاس ، لأنّه كان شديد الإحتراز من الباطنيّة ، لأنّه قتل كثيراً منهم ، وكان ما يزال لابساً الزرديّة لا تفارقه ، ويحيط به غلمانه الأجلاد ، فقال له العباديّ : يا أمير ، إلى مَ هذا الإحتراز ، والله ، لئن قضي عليك بأمر ، لتحلّنّ أنت بيدك أزرار الزرديّة ، فينفذ القضاء فيك ، فكان الأمر كما قال . (ابن الأثير ١١/١١٧) .

وفي السنة ٥٤١ أسر عبد المؤمن الموحّدي ، آخرَ ملوك المرابطين بمراكش ، إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف اللمتوني ، وكان إبراهيم

صغير السنّ ، فأدركت عبد المؤمن عليه رأفة ، وأراد استبقاءه ، فقال له أحد أصحابه : أتحبّ أن تربّي فرخ سبع ؟ فأمر بقتله ومن معه جميعاً . (الاعلام ١/٢٧) .

وفي السنة ٥٤٢ لما ملك عبد المؤمن الموحّدي ، مدينة مراكش ، أحضر أمامه الأمير إسحاق ، وجميع من معه من أمراء المرابطين ، فقتلوا ، وجعل إسحاق يرتعد رغبة في الحياة ، ويدعو لعبد المؤمن ، ويبكي ، فقام إليه الأمير سير بن الحاج ، وكان إلى جانبه مكتوفاً ، وبزق في وجهه ، وقال له : تبكي على أبيك وأمّك ؟ إصبر صبر الرجال ، فهذا رجل لا يخاف الله ، ولا يدين بدين ، فقام إليه الموحّدون بالخشب ، فضربوه ، حتى قتلوه ، وكان من الشجعان المعروفين ، وقدّم إسحاق ، فضربت عنقه ، على صغر سنّه وهو آخر ملوك المرابطين . (ابن الأثير ١٠/٥٨٤) .

ولما بلغ الأمير بوزابة ، مقتل عباس صاحب الريّ ، خرج في جيشه من فارس وخوزستان لمحاربة السلطان مسعود ، والتقيا بمرج فراتكين ، فانكسر بوزابة ، وأسر ، وحمل إلى السلطان ، فقتل بين يديه في السنة ٥٤٢ . (ابن الأثير ١١/١١٩) .

وفي السنة ٥٤٣ قتل الملك الأفضل رضوان ، وزير الحافظ الفاطمي ، وحمل رأسه إلى الحافظ ، فأرسله إلى زوجته ، فوضع الرأس في حجرها ، فقالت : هكذا يكون الرجال . (ابن الأثير ١١/٤٩) .

وفي السنة ٥٤٤ قتل دولت شاه بن بهرام شاه ، من آل البتكين ، قتله جهانسوز الغوري (معجم انساب الأسر الحاكمة ٤١٨) .

وفي السنة ٥٤٤ توفّي الحافظ الفاطمي ، فخلفه الظافر ، واستوزر ابن مصال ، فاستمرّت وزارته أربعين يوماً ، وقصده العادل بن السلار ، من ثغر الاسكندرية ، فأصبح وزيراً بدله ، وسيّر ربيبه ، ابن زوجته ، واسمه عباس بن

أبي الفتوح ، إلى ابن مصال ، فظفر به وقتله ، وفي السنة ٥٤٨ قتل عباسُ ، العادلَ ، وولي الوزارة مكانه ، وكان ولده نصر ، يعاشر الظافر ، فاتّفق عباس وولده نصر على الظافر وقتلاه ، في السنة ٥٤٩ ، واتّهم عباس أخوي الظافر بقتله ، فقتلهما ، فثار عليه المصريّون جميعهم ، واستغاثوا بطلائع بن رزّيك ، فقصد القاهرة ، وفرّ عباس وولده ، فلاقاهم الإفرنج في الطريق ، وقتلوا عبّاساً ، وأسروا ولده نصر ، وأعادوه إلى المصريّين ، حيث عذّب ، وقتل . (ابن الأثير ١١/١٤٢ ، ١٩١ - ١٩٤) .

وذكر أسامة بن مرشد في كتابه : الإعتبار ، إنّ الملك العادل ، وزير الظافر من السنة ٥٤٤ إلى ٥٤٨ ، اعتقل شاباً اتّهمه بتزوير التواقيع ، وأمر بضرب رقبته (الاعتبار ١٠) .

وفي السنة ٥٤٦ قتل أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي ، أوّل ثائر في الأندلس على الملثّمين ، ادّعى الهداية ، وتسمّى بالإمام ، واستولى على قلعة ميرتله في غرب الأندلس ، وولّاه الموحّدون مدينة شلب ، وقتل فيها . (الاعلام ١/١١٣ و١١٤) .

وفي السنة ٥٤٨ قتل أبو سعد محمد بن يحيى النيسابوري ، رئيس الشافعية بنيسابور ، قتله الغزّ لما استولوا على نيسابور ، في وقعتهم مع السلطان سنجر السلجوقي . (الاعلام ٨/٧) .

وفي السنة ٥٤٧ توفّي السلطان مسعود السلجوقي ، ونصب بدله ابن اخيه ملكشاه بن محمود بن محمد ، وكان مقدّم العسكر خاص بك ، فطمع في السلطنة ، وقال لملكشاه : إنّي أريد لك الملك من غير منازع ، وأخوك ينازعك ، والمصلحة اني أقبض عليك ، وأكتب إلى أخيك محمد ، فإذا وصل قبضت عليه وأسلمته إليك فقال : افعل ، فقبض عليه ، وكتب إلى محمد بن محمود ، فحضر ، وأجلسه على العرش ، وأحسّ محمد بمطامع خاص بك ، فدعاه إلى القصر هو وزنكي الجندار وشمله التركماني ، فلما

صعدوا الدرج ، قال شمله لخاص بك : إرجع ، فما هذا علامة خير ، فلم يرجع ، فلما حصلوا في بعض مضايق القصر ، أخذتهم السيوف ، فقتل خاص بك ، وزنكي الجندار ، وفرّ شمله ، فرموا برأسي خاص بك وزنكي ، وأكلت الكلاب لحومهما ، واستولى محمد على أموالهما ومماليكهما (عيون التواريخ ٤٦٢ و٤٦٣ وابن الأثير ١١/١٦٤) .

وفي السنة ٥٤٨ غضب مجير الدين آبق ، صاحب دمشق ، على وزيره الحيدرة ابن الصوفي ، فاستدعاه إلى القلعة ، وضرب عنقه ، وأخرج رأسه إلى حافة الخندق ، ونهب العامّة دوره وأمواله ، ووزر من بعده ، رضي الدين ابن القلانسي ، وخلع عليه خلعة الوزارة ، ولقّب بالألقاب التالية : وجيه الدولة ، سديد الملك ، فخر الكفاة ، عزّ المعالي ، شرف الرؤساء (عيون التواريخ ٤٧٣) .

وحارب الأمير قماج ، صاحب بلخ ، الأمير زنكي ، صاحب طخارستان ، فانكسر زنكي ، فأخذه الأمير قماج ، هو وابنه أسيرين ، وقتل قماجُ ابن زنكي ، وجعل يطعم أباه لحمه ، ثم قتل الأب أيضاً .

ثم دخل الأمير قماج في حرب مع الغزّ ، فانكسر ، وأسر هو وولده ، فقتلهما الغزّ سنة ٥٤٨ . (ابن الأثير ١١/١٧٩) .

وكان جزاء شراب الخمر ، في بعض الأحيان ، القتل ، في مملكة السلطان أبي يوسف الموحّدي ، ملك المغرب (٥٥٤ ـ ٥٩٥) . (وفيات الأعيان ٧/١١) .

وفي السنة ٥٤٩ ، قتلت امرأة ، ببغداد ، قتلتها جاريتها ، فأخرجت الجارية ، إلى الرحبة ، وقتلها زوج المرأة ، بحضرة الناس ، كما يقتل الرجال (المنتظم ١٠/١٥٩) .

أقول : قوله كما يقتل الرجال ، أي إنّها قتلت صبراً بقطع عنقها بالسيف .

وفي السنة ٥٥٢ كان بخراسان غلاء شديد ، أكلت فيه سائر الدوابّ ، حتى أكل فيه لحم البشر ، وكان بنيسابور طبّاخ ، فذبح إنساناً علويّاً ، وطبخه ، وباعه في الطبيخ ، ثم ظهر عليه ذلك ، فقتل . (ابن الأثير ٢٢٨/١١) .

وفي السنة ٥٥٣ قتل عبد المؤمن الموحدي صاحب المغرب ، وزيره أبا جعفر أحمد بن أبي جعفر بن عطيّة القضاعي ، وقتل معه أخاه أبا عقيل عطيّة ، اتّهم وزيره بالميل إلى المرابطين الذين كانوا ملوك المغرب ، إذ تزوّج أبو جعفر من ابنة يحيى الحمار من أمرائهم ، وكانت أمّها زينب بنت علي بن يوسف اللمتوني ، فوجد أعداؤه السبيل إلى نكبته ، فاعتقله عبد المؤمن ، وقيد إلى المسجد في اليوم الثاني من اعتقاله ، حاسر الرأس ، وأقيم للناس ، ثم لفّ معه أخوه عطيّة ، وتوجّه عبد المؤمن إلى تربة المهدي محمد بن تومرت ، فاستصحبهما منكوبين بحالة ثقاف ، ولما عاد قتلهما في الطريق (الاحاطة ٢٧١ ـ ٢٧٥ ونفح الطيب ١٨٤/٥) .

وفي السنة ٥٥٦ قتل الأمير ترشك ، مقطع بلد اللحف ، وكان الخليفة قد أمره بالحضور إلى بغداد ، ليخرج على رأس جيش ، لطرد جمع من التركمان ، فأبى أن يحضر ، وقال : آبعثوا العسكر ، وأنا أقاتل بهم ، فجهّز الخليفة عسكراً ، ولما وصل ترشك إليهم ، قتلوه ، وبعثوا برأسه إلى الخليفة . (ابن الأثير ٢٦٥/١١) .

وبلغ من تعظيم العدويّة ، للشيخ حسن ، حفيد أبي البركات ، أخي الشيخ عدي بن مسافر (ت ٥٥٧) ، إنّه قدم عليه واعظ ، فوعظه حتى رقّ قلبه ، وبكى ، وغشي عليه ، فوثب العدوية على الواعظ ، فذبحوه ، وأفاق

الشيخ ، فرآه يتشحّط في دمه ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أيش هذا من الكلاب حتى يبكي سيدنا الشيخ ؟ (فوات الوفيات ١/٣٣٥) .

أقول : تذكّرني هذه القصّة بقصّة شاه ولي ، وهي ـ على ما بلغنا ـ قصّة علويّ ، قصد بلاد الأفغان ، ومكث زمناً ، فاشتهر أمره عند أهلها ، وأصبحت له في قلوبهم منزلة عظيمة ، ثم اشتاق إلى أهله ، فعزم على العودة إليهم ، وحاول أتباعه أن يقنعوه بالبقاء ما بين ظهرانيهم ، فأبى وأصرّ ، فتركوه ، حتى إذا بارحهم ، كمنوا له في الطريق ، وقتلوه ، وعادوا به ، فدفنوه في احتفال جمع أسمى مظاهر الاحترام ، .

وفي السنة ٥٥٩ قتل منكبرس عامل البصرة قتله الخليفة المستنجد (معجم انساب الاسر الحاكمة ٦٧ وابن الأثير ١١/٣٢٣) .

وفي السنة ٥٥٩ قتل السيد أبو سعيد ، صاحب غرناطة ، أبا جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي ، من أولاد عمّار بن ياسر صاحب رسول الله صلوات الله عليه ، وهو من بيت مشهور بالأندلس ، وكان من الشعراء الأدباء ، وكان يتعشّق الشاعرة الأديبة حفصة بنت الحاج الركوني ، وكان يزاحمه في حبّها السيد أبو سعيد صاحب غرناطة ، فنشأت بينهما من أجل ذلك عداوة ، وحدث أنّ أخا أبي جعفر ، وهو عبد الرحمن بن عبد الملك ، وقريبه حاتم بن حاتم بن سعيد ، ظاهرا الثائر ابن مردنيش ، فاستغلّ أبو سعيد موقفهما ، وقبض على أبي جعفر وقتله صبراً (الاحاطة ٢٢٤ ـ ٢٢٧) .

وفي السنة ٥٥٩ تقدّم بقتل تسعة من اللصوص ، فأخرجوا من الحبس فقتلوا ، واحد بباب الأزج (محلّة باب الشيخ) ، والآخر بالرحبة (ساحة قصّابي لحم البقر بالشورجة) ، وآخر بباب الغَرَبة (أحد أبواب دار الخلافة ، وكان قريباً من مشرعة الإبريين (شريعة التمر ، وقد دخل هذا الباب في شارع

المستنصر) ، وآخر بالأكّافين (لا أعـرف موضعـه) ، وأربعة على عقـد سوق السلطان (الميدان) ، وواحد بسوق السلطان (شارع الميدان المـؤدّي لبـاب المعظم) .

أقول : تذكّرني هذه القصّـة ، بقصّة ممـاثلة لها ، سـواء في القتل ، أو في العـدد ، حصلت في السنـة ١٩٣١ أو ١٩٣٢ وكنت إذ ذاك ، كـاتبـاً في المحكمة الكبرى لمنطقة بغداد (محكمة الجنايات) ، إذ رفع شيخ بغدادي ، شكوى إلى الملك فيصل الأوّل رحمه الله ، قال فيها إنّ له أولاداً ثـلاثة ، وإنّ شخصاً تنازع وأحد أولاده وقتله ، وحكم عليه بـالإعدام ، وخفّض الحكم إلى الأشغـال الشاقّـة المؤبّدة ، وإنّ القـاتـل أطلق بعـد تسـع سنين ، فقتـل ولـده الثاني ، وحكم عليه بالإعدام ، وخفّف الحكم إلى الأشغال الشاقّـة المؤبّدة ، وهو في شكواه هذه لا يحتجّ على تخفيف الحكم ، وإنّما يريـد من الملك أن يحمي لـه ولده الثـالث ، إذ لم يبق له غيـره ، وكان لهـذه الشكوى أبلغ الأثـر لدى الملك فيصل رحمـه الله ، فأحـالها على وزرائـه مع الـوصيّة بـإعدام من اكتسب الحكم بحقّـه القطيعـة ، علنـاً ، فـأعـدّ تسعـة أشخـاص من هؤلاء ، وأعدموا شنقاً ، علناً ، في يوم واحد ، منهم إثنان في باب الشيخ ، وثالث في الميدان ، واثنان في الكـاظمية ، وواحـد في الأعظميـة ، والباقـون في أماكن متفرّقة من منطقة بغداد .

وفي السنة ٥٦٤ قتل الوزير شـاور السعدي ، الملقب بـأمير الجيـوش ، وزير العاضد الفاطمي ، قتله صلاح الدين الأيّوبي ، بعد الإتّفاق بين العاضـد وشيركوه ، إذ آتّهم بممالأة الإفرنج ، والاستعانة بهم لطرد جيش نور الدين من مصر (ابن الأثير ١١/ ٣٤٠ والاعلام ٣/ ٢٢٥) .

أقول : في السنة ٥٥٨ عزل العادل ، وزير العاضـد الفاطمي ، شـاوراً عامل الصعيد ، فحشد شاور ، وقصد العادل بمصر ، ففرّ العادل منـه ، ولكنّه قبض عليه ، وقتله ، وحلّ في الوزارة بدلاً منه ، فخرج عليه ضرغام ، ونازعه

الـوزارة ، ففرّ منـه شاور إلى الشـام ، واستغاث بنـور الدين بن زنكي ، فبعث معه جيشاً بقيـادة شيركـوه (عمّ صلاح الـدين الأيّوبي) ، فحـارب ضرغـام ، وقتله عند مشهد السيدة نفيسة ، وأعاد شاور للوزارة ، ثم اتّهم شيـركوه شـاوراً بأنّه راسل الإفرنج للتخلّص من جيش نور الـدين ، فآنسحب شيـركوه وجيشـه إلى الشـام في السنة ٥٥٩ ثم عـاد في السنة ٥٦٢ إلى مصـر ، فعـاود شـاور الإستنجـاد بالافـرنـج ، فـأنجـدوه ، فـاشتبـك شيـركـوه معهم ، وظفـر بهم ، وهـزمهم ، وملك الإسكندريـة ، واستناب بهـا صلاح الـدين ، ابن أخيه ، ثم قصـد الصعيـد فملكـه ، ثم تمّ الصلح مـع الإفـرنـج على أن يبـارحـوا مصـر جميعهم ، فبارحوها ، وعاد شيركوه إلى الشام ، ثم عاود الإفرنج الدخول إلى مصـر ، والتحكّم فيها ، وجعلوا لهم شحنـة في القاهـرة ، وتسلّموا أبـوابهـا ، وشرع إفرنج الشام في التأهّب لاحتلالها ، وسار قسم منهم لاحتـلال بلبيس ، فاحتلّوها ، ونهبوها ، وقتلوا ، وأسـروا ، وسبوا ، فخـافهم المصريّـون ، ولما حصروا مصر ، أمر شاور بإحراقها ، والإنتقال إلى القـاهرة ، خيفـة أن يملكها الافرنج ، وأرسل العاضـد الفاطمي إلى نـور الدين يستغيث بـه ، وأرسل طيّ الكتب شعـور النساء ، فحمي نـور الـدين ، وجهـز جيشـاً بقيـادة أسـد الـدين شيركوه ، فلما قدم الجيش مصر ، رحل عنهـا الإفرنـج ، وخشي القوّاد معـرّة شاور ، فقتلوه ، ولما قتـل شاور التجـأ أولاده إلى قصر الخليفـة ، فكان آخـر العهـد بهم (يعني إنّهم قتلوا) (ابن الأثيـر ١١/٢٩٠ ـ ٢٩٩ و٣٢٤ ـ ٣٢٧ و٣٣٥ ـ ٣٤٠) .

وفي السنة ٥٦٤ قتل مؤتمن الخلافة بـالقاهـرة ، وهو خصيّ كـان بقصر العاضد ، وإليه الحكم فيه ، ذكر إنّه اتّفق مع جماعـة وكاتب الإفـرنج لإزاحـة صلاح الدين ، ووضع الكتاب في أحد نعلين جديدين ، وعثر إنسان تركمـانيّ على القاصد ، ورأى النعلين ، فآشتبه بهمـا ، وأخذهمـا إلى صلاح الـدين ، ففتقهمـا ، واطّلع على مافيهمـا ، واستشعر مؤتمن الخـلافـة ، فلزم القصـر لا

يخرج منه ، ولم يظهر لـه صلاح الـدين شيئاً ، ثم آطمـأنّ بعد حين ، وخـرج إلى قرية لـه تعرف بـالحراقانيـة ، للتنزّه ، فبعث إليـه صلاح الـدين من أخـذه وقتله ، فغضب السـودان الـذي بمصـر لقتله ، لأنّـه كـان يتعصّب لهـم ، فحشدوا ، وكانت عدّتهم تزيد على خمسين ألفاً ، فاشتبكوا مـع جيش صلاح الـدين في معـركـة ضـاريـة ، كـانت عـاقبتهـا إبـادتهم (ابن الأثيـر ١١/٣٤٥ و٣٤٦) .

وفي السنة ٥٦٦ لما بويع الخليفة المستضيء ، دعي الوزير ابن البلدي للبيعة ، فقصد دار الخلافة ، ولما دخلها صـرف إلى موضـع ، فقتل ، وقـطع جسده الى قطع ، وألقيت في دجلة (ابن الأثير ١١/٣٦١).

وفي السنـة ٥٦٨ نزح آل شهـاب من حـوران إلى وادي التيم ، وكـانـوا خمسة عشر ألفاً ، فجيش عليهم الإفرنج خمسين ألفاً ، بقيادة البطريق الكبيـر قنطورا ، وأمدّه صاحب قلعة الشقيف بخمسة عشر ألفاً ، واشتبك الجيشان في معركة دامت ثلاثة أيـام ، قتل فيهـا من الإفرنـج ثلاثـة آلاف ، ومن آل شهاب ثلاثمائة ، ونقب بنو شهاب حيطان قلعـة حاصبيـا، مدّة عشـرة أيّام ، وأخـذوا قنـطور البطريق الكبيـر وثلثمائـة من جمـاعتـه وقتلوهم، وأرسلوا رؤوسهم إلى السلطان نور الدين محمود (خطط الشام ٢/٤١).

وفي السنة ٥٦٨ مات خوارزم شاه أرسـلان بن أتسز ، وملك بعـده ولده سلطان شاه محمود ، ودبّرت والدته الملك والعساكر ، فأنف الولد الأكبر علاء الـدين تكش ، من طاعـة أخيه الأصغـر ، واستعان بـالخطا ، وقصـد أخاه في جيش كثيـف ، فاستعان سلطان شاه ، بالمؤيّد صاحب نيسابور ، فجمع جيوشه وخـاض المعركـة بجانب سلطان شـاه ، فانكسـر عسكر المؤيّـد ، وأخـذ هـو أسيـراً ، وأحضر أمـام خوارزم شـاه علاء الـدين تكش فـأمـر بقتله ، فقـال لـه المؤيّد : يا مخنّث ، هذا فعل الناس ؟ فلم يلتفت إليه ، وقتل بين يديـه صبراً (ابن الأثير ١١/٣٧٧ و٣٨٥).

وفي السنة ٥٦٩ سيّر الخليفة من بغداد جيشاً ، حارب ابن سنكا ، فأسره جيش الخليفة ، وقتله ، وحمل رأسه إلى بغداد فعلّق بباب النوبي (ابن الأثير ١١/٤٠٩).

وفي السنة ٥٨٢ قتل الناصر العباسي استاذ داره مجد الدين أبا الفضل بن الصاحب ، وكان متحكّماً في الدولة ، وهو الذي قام ببيعة الناصر ، وظهرت له أموال عظيمة أخذها الخليفة ، وكان حسن السيرة ، والذي سعى به عبيدالله بن يونس ، أحد صنائعه (أبن الأثير ١١/٥٦٢).

وفي السنة ٥٨٣ لما انتصر السلطان صلاح الدين الأيّوبي ، على الأفرنج ، في موقعه حطين ، وأسر ملوكهم وأمراءهم ، قتل البرنس أرناط صاحب الكرك ، وحقن دماء الباقين (ابن الأثير ١١/٥٣٧).

أقول : كان البرنس أرناط ، صاحب الكرك ، عنيفاً في الخصومة ، وسبق له مرّة أن صنع سفناً وضعها في خليج العقبة ، ليسير بها إلى مكّة والمدينة ليخرّ بهما ، فلم يتمّ له شيء من ذلك ، وفي السنة ٥٨٢ صادر قافلة عظيمة للمسلمين ، برغم الهدنة التي كانت بنيه وبينهم ، فناشده أهل القافلة الصلح الذي بينه وبين المسلمين ، فصدر منه قول يتضمن الإستخفاف بالنبي محمد صلوات الله عليه ، فلما وقع في الأسر ، جلس صلاح الدين في خيمته ، وأحضر الأسرى من الملوك والأمراء ، وكانوا في أشد العطش، فأمر السلطان للملك جفري بشربة من الجلّاب والثلج فشرب ، ثم ناول البرنس أرناط ليشرب ، فقال السلطان صلاح الدين للترجمان قل للملك جفري إنّك أنت الذي سقيته ، ولم اسقه أنا ، ذهب في قوله هذا ، إلى أنّ من جميل عادات المسلمين وكريم أخلاقهم أنّ الأسير إذا أكل أو شرب عندهم فهو أمان له عندهم ، ثم أمر السلطان لهم بطعام وبعد أن أكلوا ، أحضر البرنس أرناط ، وقرعه بذنوبه ، وعرض عليه الإسلام ، فأبى ، فقام إليه وضربه بالنمجاه فقتله ، وقال : إنّي نذرت دفعتين أن أقتله إن ظفرت به ، الأولى لما

أراد المسير إلى مكة والمدينة ، والثانية : لما أخذ القفل غدراً ، ولما قتل البرنس أرناط ، حملت جثته إلى خارج الخيمة ، فرآها الملك جفري ، وكان في دهليز الخيمة ، فظن إنَّه سوف يلحق به ، فاستحضره السلطان صلاح الدين ، فطيّب قلبه ، وقال له : لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك ، ولكن هذا تجاوز الحدّ ، وتجرّأ على الأنبياء (وفيات الأعيان ١٧٦/٧ و ١٧٧ وسيرة صلاح الدين لابن شداد ٧٨ و ٧٩) .

وفي السنة ٥٨٤ وثب اثنان في زي الصوفية ، على الشيخ محمد بن قائد ، في رباطه بدمشق ، فقتلاه ، وقتلا خادمه عبد الحميد ، وهربا ، فلقيهما فلّاح في يده مرّ ، فقتلهما (الوافي بالوفيات ٣٥٢/٤) .

وفي السنة ٥٨٤ قتل أبو المنصور عيسى بن مودود بن علي ، والي تكريت ، قتله إخوته . (الاعلام ٢٩٦/٥) .

وفي السنة ٥٨٧ قتل تاج الدولة خسرو ملك بن خسرو شاه ، صاحب البنجاب (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٤١٨) .

وفي السنة ٥٨٨ غزا السلطان شهاب الدين الغوري ، الهند ، ونشبت بينه وبين ملك الهند معركة انتهت بانكسار ملك الهند ، وجيء به ، إلى شهاب الدين أسيراً ، فقال له شهاب الدين : لو أسرتني ما كنت تعمل بي ؟ فقال : كنت قد أعددت لك قيداً من الذهب ، أقيدك به ، فقال له شهاب الدين : نحن لا نجعل لك من القدر ما نقيّدك ، ثم قتله . (ابن الأثير ٩١/١٢ - ٩٣) .

وفي السنة ٥٩٢ قتل صدر الدين محمود بن عبد اللطيف الخجندي ، رئيس الشافعية بأصبهان ، قتله ملك الدين سنقر الطويل ، شحنة أصفهان بها ، وكان صدر الدين قدم بغداد ، واستوطنها ، وولي النظر في المدرسة

النظامية ، ولما ملك جند الخليفة إصبهان ، عاد الخجندي وأقام في إصبهان ، فقتله سنقر (ابن الأثير ١٢/ ١٢٤) .

وفي السنة ٥٩٨ قتل الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين بن أيّوب بن شادي ، وكان أهوجاً، سيء السيرة ، زعم أنّهُ أمويّ ، وادّعى الخلافة ، وتلقّب بالإمام الهادي بنور الله ، المعزّ لدين الله ، أمير المؤمنين ، فلما سمع بذلك عمّه العادل الأيوبي ، ساءه وهمّه ، وكتب اليه يلومه ويوبّخه ، ويأمره بالعدول إلى نسبه الصحيح ، وأن يترك ما ارتكبه مما يضحك الناس منه، فلم يلتفت إليه ، ولم يرجع ، وانضاف إلى ذلك إنّه أساء السيرة في اجناده وأمراءه ، فوثب عليه أخَوان من امرائه ، فقتلاه ، ومن شعره : (الوافي بالوفيات ٩/ ١٢٥ وابن الأثير ١٢/ ١٣٠) .

وإنّي أنا الهادي الخليفة والذي	أدوس رقاب الغلب بالضمّر الجرد
ولا بدّ من بغداد أطوي ربوعها	وأنشرها نشر السماسر للبرد
وأنصب اعلامي على شرفاتها	وأحيي بها ما كان أسّسه جدّي
ويخطب لي فيها على كلّ منبر	وأظهر دين الله في الغور والنجد

وفي السنة ٦٠٠ نهض الناس بواسط على قوم من الباطنية، كانوا يخفون أمرهم ، ويسترون أحوالهم ، وقتلوا منهم جماعة ، وأحرقوهم ، ونهبوا دورهم ، وكان أمر هؤلاء قد ظهر بواسط ، وصار اليهم جماعة من أهلها ، وصار لهم بها جاه وتقدّم ، فاتفق أن قدم اليها رجل يعرف بالزكي محمد بن عصية، أصله من الفاروث ، وقد كان مقيماً ببلاد العجم مدة ، ونسب إلى هذا المذهب ، ونزل داراً تعرف بدار الهمام مجاورة لدور بني الهروي ، في الموضع المعروف بسوق الخشب ، وتحدّث الناس فيه ، وأكثروا غشيانهم له ، وممن كان يغشاه رجل يعرف بحسن الصابوني ، فجاز هذا الرجل على شخص نجّار بالموضع المعروف بالسويقة ، فعرض له النجار بشيء من أمرهم ، فردّ عليه الصابوني جواباً أغلظ له فيه وتوعّده ، فنهض له النجار

وقتله ، فتسامع النـاس بذلـك ، فوثبـوا ، وقتلوا جميع من وجـدوا ممن ينسب إلى هذا المذهب ، وقصدوا دار ابن عصية ، وقد اجتمع بها جماعـة ممن كان يرى رأي هؤلاء ، وأغلقوها ، وصعدوا إلى سطحها ، ورموا بالبندق ، ورماهم النـاس بـالآجـر والنشـاب ، وتسـوّروا عليهم الـدور ووصلوا إلى سـطح الـدار المذكورة ، وقتلوا من كان بها وأحرقوهم ، وتحصن ابن عصيـة وجماعـة بغلق الأبواب ، فنزل جماعة من الشبـان إلى الدار ، وفتحـوا الباب ، فـدخلها خلق كثير ، وقتل ابن عصية ومن كان معه ، وقتل في ذلـك ثلاثـون رجلاً (الجـامع المختصر ١١٨) .

وفي السنة ٦٠٠ لما انكسر السلطان شهاب الدين الغوري ، في معـركة مع الخطا ، قصد أحد مماليكه ، واسمه أيبك بالترا ، بلاد المولتـان بالهنـد ، وقتل نائب السلطان بها ، وأعلن سلطنته فيها ، وكان يشجّعه على ذلـك إنسان اسمـه عمـر بن يـزال ، فبلغ خبـره إلى السلطان شهـاب الـدين ، فســار إلى الهند ، وأخذ مملوكه أيبك ، وصاحبه عمر بن يزال ، فقتلهمـا أقبح قتلة (ابن الأثير ١٢/ ١٨٧ و١٨٨).

وفي السنـة ٦٠١ خرج عسكـر من الغوريـة ، مقـدّمهم الأميـر زنكي بن مسعود ، إلى مدينـة مرو ، فلقيهم نـائب خوارزم شـاه بمدينـة سرخس ، وهـو الأميـر جقر ، وكمن لهم كميناً، فلما وصلوا إليـه هزمهم ، وأخـذ وجوه القـواد أسـرى ، فلم يفلت منهم إلاّ القليل ، وأخـذ أميرهم زنكي أسيـراً ، فضـربت عنقه ، وعلّقت الرؤوس بمرو أيّاماً (ابن الأثير ١٢/ ٢٠٦) .

وفي السنة ٦٠١ قتل ببغداد ولد ابن الفضلي ، وكـان شابـاً مليحاً حسن الصـورة ، قتله يوسف بن كيش ، ضـربه بسكين في درب حبيب ، فهـرب من بين يديه ، فلحق به وقد وصل إلى السوق ، فضـربه ضـربة أخـرى ، فقتله ، فأخذ ، وتقدّم بتسليمه إلى أولياء المقتول ، وكان القاتل يوسف « أيضاً » شابـاً مليحاً جميل الصورة ، فأشير على أولياء ابن الفضلى ، بإطلاقـه « صدقـة عن

الخليفة صلوات الله عليه » وقيل لهم : **لو أراد قتله لما أطلق وسلّم إليكم** ، فمضوا به إلى باب البدرية الشريفة ، وأطلقوه هناك (الجامع المختصر ١٤٣).

وفي السنة ٦٠٢ ظفر الأمير ألدز ، بجيش أرسله إليه علاء الدين بن محمد صاحب غزنة ، وأسر منه ألف أسير من جملتهم جلال الدين أخو علاء الدين ، ثم قصد ألدز غزنة ، وطلب من علاء الدين أن يسلم إليه القلعة ، وإلّا قتل من عنده من الأسرى ، فلم يسلمها ، فأحضر ألدز أربعمائة أسير ، أمام القلعة ، وقتلهم بأجمعهم ،إفاضطر علاء الدين لتسليم القلعة (ابن الأثير ٢٣٦/١٢) .

وفي السنة ٦٠٢ قطع ابن الشحيح عامل الأعلى بالخالص ، الماء عن الخالص ، فانقطع عن نهر/موسى الذي يسقي البستان بالدار العزيزة (دار الخلافة) فتقدم إلى الحماة بقتل ابن الشحيح (الجامع المختصر ١٦٧) .

وفي أيّام الناصر الموحّدي (ت ٦١٠) قتل القائد أبو عبدالله الجزيري ، وقتل معه أصحابه ، وتفصيل ذلك : إنَّ أبا عبدالله الجزيري ، كان يطعن في الحكّام والموحدّين ويتّهمهم بمخالفة تعاليم المهدي محمد بن تومرت ، وبأنهم صيروا الخلافة ملكاً ، وتوسّعوا في الرفاهية وأهملوا حقّ الرعية ، ومن جملة ما قاله :

في أمّ رأسي سرٌّ يبدو لكم بعد حين
لأبلغنَّ مرادي إن كان سعدي معيني
أولاً فاكتب ممن سعى لإظهار دين

فطلبه الناصر الموحّدي ، محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، ففرّ منه ، واستتر ، وأخذ ينتقّل مستخفياً مع أصحابه ، إلى أن حصل في حصن قولية من عمل مدنية بسطة ، فبينما هو ذات يوم في جامعها مع أصحابه ، وكانوا يأكلون بطيخاً ، ويرمون القشور في صحن الجامع ، إذ

أنكر عليهم ذلك رجل من العامة ، وقال لهم : أما تتقون الله تعالى ، تتهاونون ببيت من بيوته ، فضحكوا منه ، واستهزؤا به ، فصاح الرجل بفقيه من العامة، فحملوهم إلى الوالي ، فعرفه الوالي ، وقتله ، وقتل جميع من معه من أصحابه، فأعفى الناصر أرض قولية، من جميع التكاليف (أي أنه أسقط عن أهلها جميع الضرائب) (نفح الطيب ٤/٦٥ و٦٦).

وفي السنة ٦٠٤ أمرخوا رزم شاه ، خاله أمير ملك ، الذي نصبه أميراً على هراة ، أن يقصد غياث الدين محمود الغوري، آخر سلاطين الغور ، وأن يقبض عليه ، وعلى أخيه علي شاه بن خوارزم شاه ، فقبض عليهما ، فأمره بقتلهما ، فقتلا ، وبقتل غياث الدين ، انتهت دولة الغوريّين (ابن الأثير ١٢/٢٦٦ و٢٦٧).

وفي السنة ٦٠٤ قتل الحسين بن خرميل ، من كبار قواد الغوريّين ، وكان قد تقلّب مراراً ، تارة مع الغوريّين ، على خوارزم شاه ، وتارة مع خوارزم شاه ضد الغوريّين ، وفي آخر أمره ، وكان على هراة ، حبس بعض الخوارزميّين لتعديهم على الرعيَّة ، فبعث إليه خوارزم شاه قائداً ، وأمره سراً باعتقال ابن خرميل ، والإستيلاء على بلده، ولما وصل القائد اعتقل ابن خرميل ، فثار أهل هراة ، وامتنعوا فيها ، فتهدّدهم القائد بأن يقتل ابن خرميل إن لم يسلموا البلد ، فأصرّوا على الامتناع ، فقتله . (ابن الأثير ١٢/٢٦٠-٢٦٢).

وفي السنة ٦٠٤ حصر خوارزم شاه مدينة هرات ، وبعث إلى وزير الحسين بن خرميل ، يقول إنّك امتنعت عن تسليم المدينة لأحد ، إلاّ إذا حضر خوارزم شاه ، وها أنا قد حضرت ، فأجابه قائلاً : لا أفعل، لأنكم غدّارون ، لا تبقون على أحد ، فغضب خوارزم شاه من قوله ، وشدّد في حصاره حتى ملك البلد عنوة ، وقبض على الوزير فقتله (ابن الأثير ١٢/ ٢٦٥).

وفي السنة ٦٠٥ قُتِلَ السلطان معزّ الدين سنجر شاه ، صاحب جزيرة ابن عمر ، قتله ولده غازي ، وكان سنجر سيء السيرة مع الناس كلّهم من الرعية والجند والحريم والأولاد ، وبلغ من قبح فعله إنّه سيّر ابنيه محمود ومودود إلى قلعة فرح من بلد الزوزان ، وأخرج ابنه غازي إلى دار بالمدينة أسكنه فيها ، ووكّل به من يمنعه من الخروج ، فأعمل الابن الحيلة حتى نزل من الدار ، وتسلّق إلى دار أبيه ، واختفى عند بعض سراريه ، وعلم به أكثر من بالدار ، فستروا عليه بغضاً لأبيه ، وتوقعاً للخلاص منه ، وفي إحدى الليالي دخل عليه ولده في إحدى الحجر ، والأب سكران، فطعنه أربع عشرة طعنة بالسكين ، ثم ذبحه ، وتركه ملقى ، ولما علم استاذ دار سنجر بما حصل ، أغلق الأبواب على غازي ، وأحضر محمود بن سنجر شاه من موضع اعتقاله في قلعة فرح ، وجمع أعيان الدولة فبايعوه ، ثم فتحوا باب الدار على غازي وأرادوا أخذه ، فمانعهم ، فقتلوه ، وألقوه على باب الدار ، ولما استقرّ محمود في السلطنة ، أخذ كثيراً من الجواري اللواتي لأبيه ، فغرقهنّ في دجلة ، وأحرق وجوه بعضهن بالنار قبل تغريقهن (ابن الأثير ١٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨٢) .

أقول : كان سنجر شاه هذا ، مخلوقاً شريراً ، قال فيه السلطان صلاح الدين الأيّوبي : ما قيل لي عن أحد شيء من الشرّ ، فرأيته ، إلاّ كان دون ما يقال فيه ، إلاّ سنجرشاه ، فإنّه كان يقال لي عنه أشياء استعظمتها ، فلما رأيته صغر في عيني ما قيل فيه (ابن الأثير ١٢/ ٦٢) وكان سنجرشاه ، قبيح السيرة ، ظالماً، غاشماً ، كثير المخاتلة ، والمواربة ، لا يمتنع عن قبيح يفعله مع رعيته وغيرهم ، من القتل والسلب، والأهانة ، وقطع الألسنة ، والأنوف ، والآذان ، أما اللحى فإنّه حلق منها ما لا يحصى ، وبلغ من شدّة ظلمه ، إنّه كان إذا استدعى إنساناً ليحسن إليه لا يصل إلاّ وقد قارب الموت من شدّة الخوف ، ونفقت في أيّامه سوق الأشرار والساعين بالناس، فخرب البلد ، وتفرّق أهله (ابن الأثير ١٢/ ٢٨٢).

وفي السنة ٦٠٦ انتصر خوارزم شاه على الخطا ، وعاد إلى خوارزم ومعه سلطان سمرقند ، وكان من أحسن الناس صورة ، فكان أهل خوارزم يجتمعون حتى ينظروا اليه ، فزوّجه خوارزم شاه ابنته ، وردّه إلى سمرقند ، وبعث معه شحنة يكون معه بسمرقند ، كما كان رسم الخطا ، فلما عاد إلى سمرقند ، أقام سنة ، فرأى من سوء سيرة الخوارزميين ما أزعجه فأمر السمرقنديّين بقتلهم ، وكان يجعل الرجل منهم قطعتين ، ويعلّقهم في الأسواق كما يعلّق القصّاب اللحم ، وأراد قتل زوجته ابنة خوارزم شاه ، فأغلقت الأبواب ، وأرسلت اليه تقول : أنا امرأة ، وقتل مثلي قبيح ، فتركها ، وبلغ الخبر خوارزم شاه ، فكتب إلى صاحب سمرقند : إنّك قد صنعت ما لم يصنعه مسلم ، فأخرج من البلد ، وامض حيث شئت، فأبى عليه ذلك ، فأمر عسكره ، فزحف على سمرقند ، واحتلّها ، وقتل سلطانها ، وقتل معه مائتي ألف إنسان (ابن الأثير ١٢/٢٦٨- ٢٦٩).

وفي السنة ٦١٠ قتل الأمير ايدغمش ، الذي كان صاحب همذان ، استولى عليها منكلي ، وطرده ، فقصد بغداد ، فأكرمه الخليفة ، وسيّر معه جيشاً لاستعادة همذان ، فبعث إليه منكلي من اخذه وقتله (ابن الأثير ١٢/٣٠١).

وفي السنة ٦١٠ ظفر عز الدين كيكاوس بن كيخسرو ، صاحب بلاد الروم ، بعمه طغريل شاه ، وقتله ، وذبح أكثر امرائه ، وأراد أن يقتل أخاه علاء الدين كيقباد ، فشفع فيه بعض أصحابه ، فعفا عن قتله ، وحبسه ، ولما مات كيكاوس في السنة ٦١٦ أخرج الجند أخاه كيقباد من حبسه، وسلطنوه ودامت سلطنته ١٧ سنة وتوفيّ في السنة ٦٣٣ (تاريخ أبي الفدا ٣/١١٥، ١٢٤، ١٥٦).

وفي السنة ٦١١ قتل مؤيّد الملك الشحري . وزير شهاب الدين الغوري ، ووزير تاج الدين ألدز من بعده ، جاء إليه أربعون نفراً من الأتراك ،

وأخبـروه أنّ السلطان يريـده أن يحضر جـريدة لمهـمّ تجـدّد، فسـار معهم في عشـرة مماليـك ، فلما انفـردوا به قتلوه ، وهـربوا ، فـظفـر بهم خـوارزم شـاه محمد ، فقتلهم . (ابن الأثير ١٢/٣٠٤).

وفي السنـة ٦١٢ استـولى الأميـر اتـاج الـدين ألـدز ، على لهـاوور في الهند ، ثـم قصـد دهلي ، فحاربه صـاحبها شمس الـدين الترمش ، فـانكسر ألدز، وأخذ ، فقتل . (ابن الأثير ١٢/٣١١، ٣١٢).

وفي السنـة ٦١٢ قتـل السلطان جـلال الـدين علي بن سـام الغـوري ، صاحب باميـان ، قتله خوارزم شـاه ، وكان قـد أسره في السنـة ٦٠٢ (معجم انساب الأسر الحاكمة ٤١٩).

أقول : ورد في المعجم ، في الصحيفة ٤٢١ إنّ السلطان جـلال الدين قتله خوارزم شاه في السنـة ٦٠٨ وهو خـطأ، لأنّ خوارزم شـاه اجتاح المنـطقة التي كان جلال الدين يحكم جزءاً منهـا في السنة ٦١٢، وورد في تـاريخ أبي الفدا ٣/١٠٧ إنّ الذي أسر جلال الدين هو الأميـر يلدز التركي أحـد مماليـك غياث الدين الغوري ، وإنّه بعد أسر جلال الدين أكـرمه واحتـرمه ، ولكنّـه لم يذكر شيئاً عن مقتل جـلال الدين ، وإنمـا ذكر إنّ خـوارزم شاه فتح في السنة ٦١٢ غزنة وأعمـالها، وإنّ الأميـر يلدز فرّ منـه إلى داخل الهنـد حيث قتل في احدى المعارك هناك (تاريخ ابن الفدا ٣/١١٦).

وفي السنة ٦١٢ كان الأمير قتلغ تكين ، على غزنة ، نائباً عن الأمير تاج الدين ألدز ، فغدر به ، وأسلم غزنة إلى خوارزم شاه ، فلما دخل خوارزم شاه البلد ، أحضر قتلغ تكين ، وسأله عن حاله مع ألـدز ، فقال : إنّ ألـدز يعتمد عليّ ، ويثق بي ، وأنـا المرجـع في كلّ الأمـور ، فقال لـه خوارزم شـاه : إذا كنت قـد غدرت بـرفيقك ومن أحسن إليـك ، فكيف أثق بـك ، ثم استخـرج جميع ماله ، وقتله . (ابن الأثير ١٢/٣٠٩ و٣١٠) .

وفي السنة ٦١٦ قطع عنق افرنجيّ بالسيف ، أمام ضريح النبيّ صلوات الله عليه ، وسبب ذلك إنّه لما حاصر السلطان الملك الكامل الايوبي (٥٧٦ ـ ٦٣٥) الافرنج في دمياط ، في السنة ٦١٦ ، كان أحد علوجهم ، يعلن في أثناء الحصار ، بسبّ النبي محمد صلوات الله عليه ، فلما استولى الكامل على دمياط ، كان هذا العلج في جملة الأسرى ، فبعث به إلى المدينة ، وأمر أن يؤخذ إلى قبر النبيّ ، وأن يقطع عنقه أمام القبر ، فأخذ ، وأقيم ، وقطع رأسه ، أوّل يوم عيد الفطر للسنة ٦١٦ . (وفيات الأعيان ٥/٩١) .

وفي السنة ٦١٦ هاجم التتار بلاد خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش ، وانجفل الناس ، أمرت أمّ خوارزم شاه ، بقتل من كان كان محبوساً من الملوك بخوارزم ، فقتلوا وكانوا بضعة عشر نفساً ، ثم سارت بالخزائن إلى قلعة ايلال بمازندران (شذرات الذهب ٥/٦٥) .

وفي السنة ٦١٨ حصلت معركة بين جنكيز خان ، ومنكوبرتي جلال الدين خوارزمشاه ، في خوارزم ، ففرّ خوارزمشاه ، وأسر ولده وهو ابن سبع سنين أو ثمان ، فقتل بين يدي جنكيز خان صبراً . (تاريخ العراق بين احتلالين ١/١٢٢) .

وفي السنة ٦٢٢ تحالف رئيس تبريز وشمس الدين الطغرائي على الإمتناع عن طاعة جلال الدين بن خوارزم شاه محمد بن تكش ، فعاد جلال الدين إلى تبريز ، وأمر بالرئيس أن يطاف به في البلد ، وكلّ من كان له قبله مظلمة فليأخذها منه ، وكان ظالماً ، ففرح الناس بذلك ، ثم قتله . (ابن الأثير ١٢/٤٣٧) .

وخرج الظافر البياسي ، من بني عبد المؤمن ، بالأندلس ، على العادل الموحّدي ، سلطان مراكش ، واسمه أبو محمد عبد الله بن أبي يوسف يعقوب ، بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحّدي وكانت مدّة سلطنة العادل (٦٢١ ـ ٦٢٤) وانتصر الظافر أوّلاً ، ثم تردّت أحواله ، وقتله أحد

الفرسان ، وأحضر رأسه إلى الأمير إدريس أخي العادل ، فأجازه بـألف دينار ، ثم إنّه قتله من بعد ذلك ، وقال : لا أستطيع أن أبصـر من قتل ملكـاً (الوافي الوفيات ٨/ ٣٢٠ و٣٢١) .

أقول : لما خرج الظافر بالأندلس ، على العادل ، ترك العادل الأنـدلس في عهدة أخيه إدريس ومضى هو إلى مراكش ، فـاستولى البيـاسي على معظم بلاد الأندلس ، وانحـاز إدريس إلى إشبيلية من دون مـال ولا رجال ، وحصـره البياسي في إشبيلية ، واشتبكا في معركة ضارية ، فظفر إدريس ، وفرّ البيـاسي إلى قرطبة ، فدسّ إدريس إلى أهل قـرطبة من خـوّفهم من البياسي وإنّـه على وشك الاستعانة بالنصارى ، فهاج أهل قرطبة على البياسي وطردوه ، ففرّ منهم ولحق بـه فـارسٌ فقتله ، وحمـل رأسـه إلى إدريس ، فـأعـطاه ألف دينـار ، وجعله من خاصّته ، ثم إنّه قتله من بعد ذلك ، وقال : لا أستطيع أن أبصر من قتل ملكاً .

وفي السنة ٦٢٤ قتل العادل الموحّدي سلطان مراكش ، فهجم ابن هـود بالأندلس على حصن من حصون مرسية ، وآنتزعـه من الموحّدين وخطب فيـه لبني العبّـاس ، ثم اتّفق ابن هود مـع قاضي مـرسية على أن يحتـال على أمير مرسية الموحّدي ، فدخل عليه القاضي وأخذ يده ليقبّلهـا ثم أمسكها ، وقبض جماعته على الأمير ، وأخرجـوه من مرسيـة ، وتسلّم ابن هود مـرسية ، فكـان أوّل شيء فعله ، أن قتـل القـاضي الـذي دبّـر لـه هـذه الحيلة . (الـوافي بالوفيات ٨/٣٢٢) .

وفي السنـة ٦٢٤ قتل السلطان العـادل الموحّـدي ، صاحب المغـرب ، خنقاً بمـراكش ، وخلفه ابن أخيـه يحيى بن الناصـر محمد ، فـأعلن إدريس ، أخو العادل ، خلافته بالأندلس ، وعصت عليه مرسية ، فحصرها بجيشه ، وغضب على جماعة من قوّاده ، فقتلهم بأنواع القتل ، فهاج ذلك أهل الأندلس عليه ، واستـولى ابن هود على جميـع البـلاد ، ولم تبق في يـد إدريس إلاّ إشبيليـة ،

فترك ولده عليّاً فيها ، وانصرف الى مراكش ، فقبض أهل إشبيلية على علي ، وسجنوه ، ودخلوا في طاعة ابن هود ، ولما وصل إدريس إلى مراكش ، حارب ابن أخيه يحيى بن الناصر محمد ، وهزمه ، ودخل مراكش ، وأمر باعتقال اثنين وأربعين من أعيان مراكش ، وضرب أعناقهم جميعاً ، فأبغضه الناس ، فاستنصر إدريس بالنصارى ، فثار عليه أخوه عمران بن المنصور ، فخرج إدريس لمحاربته ، فدخل يحيى بن الناصر الى مراكش ، وتحصّن بها ، وفتك بالنصارى أصحاب إدريس ، وبلغت الأخبار إدريس ، فمات حزناً ، وكان إدريس قد لقّبه أهل المغرب ، بحجّاج المغرب لقسوته وسفكه الدماء ، فقال : (الوافي بالوفيات ٨/ ٣٢٠ - ٣٢٣) .

أنا الحجّاج لكنّي صبور مقرّ بالحساب وبالعقاب
وأعلم أنّ لي بفناء قوم عموا عن رشدهم ذخر الثواب

وفي السنة ٦٢٧ أرسل الملك الأشرف مملوكه عزّ الدين أيبك الى خلاط ، وأمره بالقبض على الحاجب حسام الدين علي بن حمّاد ، المتولّي لخلاط والوالي بها من قبل الأشرف ، فقبض عليه عزّ الدين أيبك وقتله ، فلما قتل ظهرت كفايته ، فإنّ خوارزم شاه جلال الدين احتلّ ولاية خلاط ، وقتل عزّ الدين أيبك ، وكان سبب قتله إنّ مملوكاً لحسام الدين ، كان قد التجأ الى خوارزم شاه ، فلما احتلّ خلاط ، وأسر أيبك ، طلبه ذلك المملوك منه ليقتله بصاحبه حسام الدين ، فسلّمه اليه ، فقتله (ابن الأثير ١٢/ ٤٨٥ و٤٨٦) .

وفي السنة ٦٢٧ قبض محمد بن يوسف بن هود ، بماردة ، على عبد الله بن محمد بن سيدراي بن وزير القيسي ، من أمراء المغرب ، كان يلي قصر الفتح ، وأخرجه الإفرنج منها ، فالتجأ إلى مراكش ، ثم زار إشبيلية ، فقبض عليه ابن هود ، وقتله (الاعلام ٤/ ٢٦٩) .

وفي السنة ٦٢٨ قتل خوارزم شاه جلال الدين ، وزيره ، وقتل أحد

أتباعه لأنّه قال له إنّ خادمه الخصيّ قد مات (ابن الأثير ٤٩٥ - ٤٩٧) .

أقـول : قال ابن الأثيـر ، إنّ خـوارزم شـاه جـلال الـدين ، كـان سيء السيرة ، قبيح التـدبير لملكـه ، لم يترك أحـداً من الملوك المجاورين لـه إلّا عاداه ، ونازعه الملك ، وأساء مجـاورته ، ثم ظهـر من قلّة عقله ما لم يسمـع بمثله ، فقد كان له خادم خصيّ ، اسمه قلج ، وكان يهواه ، فاتّفق أنّ الخادم مات ، فأظهر من الهلع والجزع عليه ما لم يسمـع بمثله ، ولا لمجنون ليلى ، وأمـر الجنـود والأمـراء أن يمشـوا في جنـازتـه رجّـالـة ، ومشى بعض الـطريق راجلاً ، فألزمه أمـراؤه ووزيره بـالركـوب ، ولما وصـل إلى تبريـز ، أرسل إلى أهل البلد ، فأمرهم بالخروج عن البلد لتلقّي تابوت الخادم ، ففعلوا ، فـأنكر عليهم حيث لم يبعدوا ، ولم يظهـروا من الحزن والبكـاء أكثر ممـا فعلوا ، ثم لم يـدفن ذلك الخصيّ ، وإنّمـا كان يستصحبـه معـه حيث سـار ، وهـو يلطم ويبكي ، وامتنع عن الأكل والشرب ، وكان إذا قدّم له طعام ، يقول : احملوا منه إلى قلج (يعني خادمه الميت) ، ولا يتجاسر أحد أن يقول له إنّـه مات ، فإنّه قيـل له مـرة إنّه مـات ، فقتل من قـال له ذلـك، فكانـوا يحملون الطعـام ويعودون ، ويقولون : إنّه يقبّل الأرض ، ويقول إنّني الآن أصلح ممـا كنت ، فلحق أمـراؤه ، من الغيظ والأنفة من هـذه الحـال ، مـا حملهم على مفـارقـة طـاعتـه ، والانحيـاز عنـه مـع وزيـره فبقي حيـران ، وعنـد ذلـك دفن الغـلام الخصيّ ، وراسل الوزير ، واستماله حتى عاد إليه ، فبقي أيّاماً ، ثم أمر بقتل الوزير ، فقتل .

وفي السنـة ٦٢٨ قتل صـاحب بعلبك ، الملك الأمجـد مجد الـدين أبو المظفر بهرام شاه بن فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيّوب بن شادي ، ملك بعلبك خمسين سنة ، خلفاً لوالده ، قتله أحـد مماليكـه ، وسبب ذلك إنّـه سرقت لـه دواة من ذهب تسـاوي مائتي دينـار ، فظهـرت عند هـذا المملوك ، فحبسـه ، ففتح المملوك الخزانة بسكين قلع بها رزّة الباب ، وأخذ سيف الأمجد ، وكان

يلعب بالشطرنج ، فضربه فحلّ كتفه ، وطعنه بالسيف في خاصرته ، فقتله ، وفرّ المملوك ، فتبعه بعض المماليك ، وقتلوه (شذرات الذهب ١٢٧/٥) .

وفي السنة ٦٣١ قتل الموفّق أبو العباس السبتي (الينشتي) صاحب سبتة أبا جعفر احمد بن محمد بن طلحة ، الشاعر ، الأديب ، وكان يحقد عليه إنّه يغتابه ، ويسخر منه ، وبلغه إنّه هجاه ، فقال فيه :

سمعنا بالموفّق فارتحلنا   وشافعنا له أدب وعلم
ورمت يداً أقبّلها وأخرى   أعيش بفضلها أبداً وأسمو
فأنشدنا لسان الحال عنه   يد شلّا وأمر لا يتمّ

فاشتدّت موجدته عليه ، وتربّص به ، حتى بلغه إنّه قال في شهر رمضان أبياتاً على سبيل العبث ، فاتّخذها حجّة ، وبعث إليه من هجم عليه وقتله ، أما الأبيات فهي : (الاحاطة ٢٤٣ ـ ٢٤٧ ونفح الطيب ٣٠٧/٣ ـ ٣١٠ والوافي بالوفيات ٤٧/٨) .

يقول أخو الفضول وقد رآنا   على الإيمان يغلبنا الجنون
أتنتهكون شهر الصوم هلّا   حماه منكم عقل ودين
فقلتُ أصحب سوانا نحن قوم   زنادقة مذاهبنا فنون
ندين بكلّ دين غير دين الـ   ـرعاع فما به أبداً ندين
بحيّ على الصبوح الدهر ندعو   وإبليسٌ يقول لنا أمين
أيا شهر الصيام إليك عنّا   فانّا فيك أكفر ما نكون

وفي السنة ٦٣٦ قتل زبانُ بن مدافع ، عزيزَ بن عبد الملك الأزدي ، من أمراء الأندلس ، وكان عزيز ولي مرسية لابن هود ، واستقلّ بها بعد وفاته ، ودعا لنفسه ، فبويع ، وبعد تسعة أشهر ، تغلّب عليه زبان ، فاعتقله ، وقتله (الاعلام ٢٤/٥) .

وكانت خاتمة حياة الملك المعظم توران شاه ، آخر سلاطين الأيّوبيّين

بمصر ، في السنة ٦٤٨ فاجعة من الفـواجع ، فقـد خلف أباه الملك الصـالح على العـرش ، على أثـر إنتصـار عـظيم ، انتصـر فيـه الجيش المصـري على الافرنج ، فأسر ملك فرنسا ، قـائدهم ، ومعـه مائـة ألف أسير ، وآستعـاد منه دمياط ، وكان قـد استولى عليهـا ، ولكنّه لم يستقـرّ في السلطنة سـوى أربعين يوماً ، إذ تآمر عليه الأمراء ، فلما جلس على السماط ، ليأكل ، تقدّم إليه أحد المماليك ، وضربه بسيف فقطع أصابع يديه ، ففرّ إلى برج على الساحـل من الخشب ، فاقتحموا عليه البرج ، وسيوفهم مصلتة ، فصعد إلى أعلاه ، فرموه بالنشّاب ، وأطلقوا النار في البـرج ، فألقى نفسـه ، وركض الى البحر ، وهـو يقـول : لا أريد ملككم ، دعـوني أرجع إلى الحصن ، يـا مسلمين ، ما فيكم من يصطنعني ويجيرني ، فلم يجبه أحد من العسـاكر والنشّـاب يأخـذه من كلّ نـاحية ، وأدركـوه فقطّعـوه بالسيـوف ، فمات قتيـلاً حريقـاً غـريقـاً . (خـطط المقريزي ١/٢٢٣) .

وكان الأمير شمس الـدين لؤلؤ ، مقدم عسكـر حلب ، يظهـر الإستهانـة بـالمماليـك الذين بمصـر ، ويقول عنهم : كـلّ عشرة من الممـاليـك مقـابـل كرّي ، ويقول : آخذ القاهرة بمائتي قناع (يعني مائتي امرأة) ، ولما حصلت المعركة بين جنده ، وبين المصريّين ، انكسـر جيشه ، ووقـع أسيراً في أيـدي الممـاليك ، وجيء بـه إلى المعزّ أيبـك ، فاقتـرح أحـد المماليـك ، الإبقـاء عليه ، فقالوا : هذا جعلنا مخانيث ، كيف نتركه ، وضـربوا عنقـه . (النجوم الزاهرة ٧/٧) .

وكـان الملك الصالـح إسماعيـل ، يعادي الملك الصـالـح نجم الـدين أيّوب ، وفي السنة ٦٤٨ وقع الصالح إسماعيل أسيراً في يـد ممـاليـك الصالـح نجم الدين ، فأدخلوه الى القاهرة ، وأوقفوه أمام تربة (قبـر) سيّدهم الصـالح نجم الدين ، وصاحوا : يا خوند ، أين عينـك ترى عـدوّك أسيراً بين أيـدينا ،

ثم سحبـوه إلى الحبس ، حيث غيّبـوه إلى يـومنـا هـذا (يعنـي قتـلوه في الحبس) . (النجوم الزاهرة ٧/ ٩) .

وكـان الملك السعيـد حسن ، حفيـد العـادل الأيّـوبي ، قـد آنضمّ الى التتار ، وحارب معهم جيش الملك المـظفر قـطز ، ولما انكسـر جيش التتار ، جيء بالملك السعيد ، أمـام المظفـر قطز ، فـاعتذر إليـه ، فلم يقبل عـذره ، وأمر به ، فضربت عنقه . (النجوم الزاهرة ٧/ ٨٠) .

وفي السنـة ٦٥٢ (١٢٥٤ م) سيّر السلطان مـانكو بن تـولوي ، سلطان المغول ، أخاه هـولاكو ، إلى الغـرب ، فاستـولى على جميع المـدن التي مرّ بها ، وهاجم معاقل الإسماعيلية ونزل شيخ الجبل ركن الدين خـرمشاه ، على أمان هولاكو ، فبعث به إلى السلطان مـانكو في قـره قوم ، ولكنّ مـانكو رفض أن يواجهه وأعاده الى هولاكو ، وقتله الجند في الـطريق ، بناء على تعليمـات من السلطان ، كما إنّه أمر بإبـادة الاسماعيليـة كافّـة ، فتظاهـر هولاكـو بالعفـو عنهم ، حتى إذا برزوا من مكامنهم ، أمر بهم فأعـدموا جميعـاً (علاقـات بين الشرق والغرب ١٩٨) .

وفي السنة ٦٥٥ قتلت شجرة الـدرّ ، زوجَها الملك معـزّ الدين أيبـك ، سلطان مصـر ، قتله خـدمهـا بـأمـر منهـا في الحمّـام . (خـطط المقـريـزي ٢/ ٢٣٨) .

أقـول : انتقم عليّ بن معزّ الـدين أيبك ، من زوجـة أبيه شجـرة الدرّ ، فقتلهـا ، راجع كيفيـة مقتلها في هـذا الكتـاب ، في البـاب التـاسـع عشـر : المرأة ، في الفصل الخامس : ألوان من القتل .

وفي السنة ٦٥٦ قتل هولاكو ، أبـا المكارم محمـد بن ناصـر بن صلايـا العلوي ، نائب إربل ، وكـان من رجالات العـالم رأياً وعقـلاً وحزمـاً ، وسبب قتله ، إنّ بدر الدين لؤلؤاً صاحب الموصـل ، أغرى بـه هولاكـو ، وقال لـه :

هذا شريف (علويّ) ، ونفسه تحدّثه بالخلافة ، ولـو قام تبعـه الناس ، فقتله هولاكو ، بقرب توريز . (الوافي بالوفيات ١٢٨/٥) .

وفي السنة ٦٥٦ لما فتـح جيش هولاكـو بغداد ، كـان الفئام من النـاس يجتمعـون في الخـانـات ، ويغلقـون عليهم الأبـواب ، فيفتحهـا التتـار ، إمّـا كسـراً ، وإمّا حـريقاً ، ثم يـدخلون عليهم ، فيهربـون منهم إلى الأسـطحـة ، فيقتلونهم حتى تجري الميازيب من الدماء ، في الأزقّة ، وكذلك كانوا يفعلون بهم في المسـاجد والجـوامع والأربـطة (في التراث العـربي ٤٤١/١ نقـلاً عن تاريخ ابن كثير) .

وجاء في كتاب « عـلاقات بين الشـرق والغرب ٢٠٠) ، إنّـه في السنة ٦٥٦ حصـر هولاكـو بغداد ، وفتحهـا عنوة ، وأبـاد الجيش العبـاسي ، وقتـل الخليفـة وجميع الأمـراء العباسيّين ، وأفـراد عوائلهم ، ورجـال الدولـة ، ولم يتعـرّض للمسيحيّين ، بتأثيـر زوجته دقـوز خاتـون ، وكانت نسـطورية ، وبـدأ جيش هولاكو بنهب المدينة في اليوم الثالث عشر من فتحها ، وظلّت عمليـات القتـل والنهب ببغداد أربعين يـوماً ، وقـدّر عدد القتلى ببغـداد بثمـانين ألفـاً ، وملأت الجثث الشوارع والأزقّة ، فاضـطرّ هولاكـو إلى الإنسحاب من المـدينة للروائح الخبيثة ، ولخوفه من آنتشار الأوبئة في جيشه .

أقول : لما فتح هولاكو بغداد ، أرسل في طلب بدر الدين لؤلؤ ، صاحب الموصل ، وكان شيخاً داهية في الثمانين من عمره ، وكان أصحابه قد نصحوه بأن لا يذهب الى هولاكو ، فعصاهم ، وقال : إنّي سـوف أتمكّن من ترويضـه وسوف أقوده من أذنيـه ، وقصد هـولاكو ، ومعـه هدايـا قيّمة ، نثـرها أمـامه ، واستخـرج من بينها قـرطين ثمينين ، قال لهـولاكو : أتـوسّـل إلى السلطان أن يسمح لي بتعليقها في أذنيه ، ليزيدني هذا الشرف اعتباراً بين أتباعي ، فسمح له هولاكو بذلك ، وقام بدر الدين بتعليق القرطين في أذني هولاكو ، ونظر إلى

أتباعه ، وكأنّه يقول لهم : ألا تروني قد قدت القند المغولي من أذنيه (علاقات بين الشرق والغرب ٢٠٠) .

وفي السنة ٦٥٧ مات بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وكانت وفاته بالموصل ، في عشر التسعين سنة ، وكان أوّل أمره يقوم بتدبير أستاذه نور الدين أرسلان شاه ، فلما مات نور الدين ، قام بتدبير ولده عزّ الدين مسعود ، فلما مات ، أقام صبيّين من بعده ، ثم انّه قتلهما غيلة ، الواحد بعد الآخر ، واستولى على الحكم . (النجوم الزاهرة ٧/ ٧٠) .

وفي السنة ٦٥٨ قتل الملك المظفر قطز بن عبد الله المعزّي ، ثالث ملوك المماليك ، بمصر والشام ، وهو الذي كسر التتار بعين جالوت في السنة ٦٥٨ ، ولما عاد إلى مصر ، تقدّم منه بعض أمرائه وتناولوه بسيوفهم فقتلوه (الاعلام ٦/٤٧) .

وفي السنة ٦٥٨ استولى التتار أصحاب هولاكو ، على ميافارقين ، بعد أن حصروها سنتين ، حتى فنيت أزوادهم ، ومات أكثرهم بالوباء وبالقتل ، فقتلوا صاحبها الكامل محمد بن المظفر بن العادل الأيّوبي ، وحملوا رأسه على رمح ، وطافوا به في حلب وحماة ودمشق ، بالمغاني والطبول ، وعلّقوه في شبكة بسور باب الفراديس ، إلى أن عادت دمشق الى المسلمين (خطط الشام ٢/ ١١٤) .

وفي السنة ٦٥٨ جرت محاكمة نجم الدين أحمد بن عمران الباجسري ، اذ قبض عليه ، وأخرج مكتوفاً الى ظاهر بغداد ، وأحضر أمام صاحب ديوان العراق علاء الدين الجويني ، والخواجه نصير الدين الطوسي ، وجلال الدين ابن الدويدار ، فحاكموه وفقاً لشريعة جنكيز خان ، وصدر الحكم بقتله ، فقتل ، وأخذ ابن الدويدار مرارته ، وطيف برأسه على خشبة ونهبت داره (الحوادث الجامعة) .

وفي السنة ٦٥٨ حصر هولاكو التتاري بجنده مدينة حلب ، واستولى عليها ، وحصر قلعتها ، فوثب جماعة من أهلها على صفيّ الدين بن طرزة رئيس حلب ، وعلى نجم الدين أحمد بن عبد العزيز ، فقتلوهما ، إتّهموهما بمواطأة التتار (اعلام النبلاء ٢/٢٨٦) .

وفي السنة ٦٥٩ اشتبك التتار مع الجيش الشامي ، في حمص ، وانكسر التتار كسرة شنيعة ، وعاد فلّهم إلى حلب ، فأخرجوا من فيها من الرجال والنساء ، وأفرزوا الغرباء عن أهالي حلب ، ثم أخذوا الغرباء إلى ناحية بابلا ، وضربوا أعناقهم بأجمعهم (اعلام النبلاء ٢/٣٠٠) .

وفي السنة ٦٥٩ لما وصل إلى هولاكو ، خبر انكسار عسكر التتار بأرض الشام ، ومقتل قائده كتبغا ، وانكسار عسكره مرّة ثانية خارج حمص ، غضب ، واستدعى الملك الناصر يوسف ، وأخاه الظاهر غازي ، وقال للناصر : أنت قلت إنّ عسكر الشام في طاعتك ، فغرّرت بي ، وقتلت عساكري ، فقال له الملك الناصر : لو كنت أنا بالشام ، ما ضرب أحد وجه عساكرك بالسيف ، ومن يكون في بلاد توريز (تبريز) كيف يحكم على بلاد الشام ، فتناول هولاكو (ناصجاً) وضربه به ، ثم رماه بفردة ثانية ، فقتله ، ثم أمر بضرب رقاب الباقين ، فقتلوا الظاهر أخا الناصر ، والصالح ابن صاحب حمص ، والجماعة الذين كانوا معهم (تاريخ ابي الفدا ٣/٢١١ و ٢١٢) .

وفي السنة ٦٦٠ قتل بالموصل ، أبو المحاسن محيي الدين يوسف بن يوسف المعروف بابن زيلاق الموصلي ، الشاعر ، الكاتب ، كان كاتب الانشاء بالموصل ، وقتله التتار لما استولوا على الموصل (الاعلام ٩/٣٤٢) .

وفي السنة ٦٦١ قبض السلطان الملك الظاهر ، سلطان مصر ، على شمس الدين آقوش البرلي ، وحبسه « وكان آخر العهد به » ، أي انّه قتله (اعلام النبلاء ٢/٣١٢) .

وفي السنة ٦٦٢ اتّهم الملك الناصر يوسف ، طبيبه زين الدين سليمان بن المؤيد العقرباني ، بأنّه كاتب الملك الظاهر ، فأمر به فقتل بين يديه ، وقتل معه أقاربه وخاصّته ، وكانوا خمسين (شذرات الذهب ٣٠٩/٥) .

وفي السنة ٦٧١ قتل الحافظ المفسّر ، أبو المحامد محمود بن محمد البخاري ، في بخارى ، في وقعة التتار . (الاعلام ٦٠/٨) .

ومرّ هولاكو بحرّان ومعه وزيره نصير الدين الطوسي ، فوقف لهُ جمع من الفقراء القلندرية ، فقال السلطان لنصير الدين : من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء فضلة في العالم ، لأنّ الناس أربع طبقات ، بين إمارة ، وتجارة ، وصناعة ، وزراعة ، فمن لم يكن منهم ، كان كلّاً عليهم ، فأمر هولاكو بقتلهم ، فقتلوا (الحوادث الجامعة ٣٤٣) .

وفي السنة ٦٧٥ حشد التتار ، وزحفوا على البلستين ، فحاربهم الملك الناصر بجيشه ، واستقتل الجيشان ، ثم ظفر المسلمون ، وقتل من التتار خلق كثير ، وقتل مقدّمهم ، وغالب كبرائهم ، وأسر جماعة كثيرة منهم ، فلما بلغ سلطانهم أباقا بن هولاكو ، خبر الوقعة ، جاء في جموع المغول الى موضع المعركة ، فأبصر القتلى من التتار ، فاشتدّ غضبه ، وقتل من أهالي قيسارية ، وأهل تلك الناحية قريباً من مائتي ألف إنسان (وقيل خمسمائة ألف) وقتل القاضي جلال الدين حبيب ، ثم أمر بقتل (البروانا) واسمه سليمان ، والبروانا لقب معناه الحاجب بالعجمي ، حقد عليه أباقا ، لأنّه أبصر القتلى من التتار فقط ، ولم يشاهد قتلى من الروم جماعة البروانا ، فاتّهم البروانا بانّه لم ينصح في المعركة (اعلام النبلاء ٣٢٥/٢ ـ ٣٢٧) .

وفي السنة ٦٧٧ قتل الامير تاج الدين شاه بن خليل ، أتابك لورستان الصغرى ، وكان قتله بأمر من السلطان أباقا المغولي (معجم أنساب الاسر الحاكمة ٣٥٤) .

وفي السنة ٦٨٠ مات منكوتمر بن هولاكو ، بجزيرة إبن عمر ، جريحاً ،

على أثر آنكساره في المعركة بينه وبين السلطان سيف الدين قلاوون ، فتقدّم شخص يدعى القرقوبي ، وذكر لأمّ منكوتمر ، أنّ آبنها مات مسموماً ، وأنّ الذي دسّ له السمّ القاضي جمال الدين محمد المعروف بابن العجميّة ، فقبضت أمّ منكوتمر على القاضي جمال الدين وجميع أولاده وذبحتهم ، واستولت على أمواله ، وبعد ذلك اعتقل التاتار القرقوبي الذي سعى بالقاضي جمال الدين ، وقتلوه شرّ قتلة ، هو وأولاده (تاريخ ابن الفرات ٧/٢٣٥) .

وفي السنة ٦٨١ قَتَلَ الصاحبُ علاء الدين الجويني ، صاحب الديوان بالعراق ، مجد الملك اليزدي ، تولّى قتله شرف الدين هارون بن شمس الدين أخي علاء الدين ، وحملت أطرافه إلى البلاد ، وسلخ رأسه وحمل إلى بغداد ، وشوى الخربندية لحمه وأكلوه ، وشربوا الخمر في قحف رأسه (تاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي ١/٣٠٥) .

وفي السنة ٦٨٢ حصر الجند المصريّون ، حصن مرقية ، فحضر ابن صاحب الحصن ، مستخفياً الى أبواب السلطان الملك المنصور برقوق ، وتدرّك (تعهّد) تحصيل هذا الحصن ، وتسليمه لمولانا السلطان ، وتوجّه إلى عكا مختفياً على البريد ، فأمسكه أهل عكّا ، وآتّصل خبره بأبيه ، فحضر من طرابلس الى عكا ، وتسلّمه ، وقتله بيده في وسط عكا (سيرة الملك المنصور ٨٩) .

وفي السنة ٦٨٣ قتل أحمد بن أبي مرزوق ، المعروف بابن أبي عمارة ، وكان قد ادّعى أنّه الفاطمي المنتظر ، وانتسب إلى آل البيت ، وتسلطن على المغرب ثلاث سنين ، ثم قصده أبو حفص عمر بن يحيى ، المعروف بالمستنصر بالله ، فانخذل ابن أبي عمارة وآستتر ، فاعتقله المستنصر ، ومثّل به ، وقتله . (الاعلام ١/٢٤٠) .

وفي السنة ٦٨٣ قتل شمس الدين الجوينِي ، صاحب ديوان الممالك ،

بأذربيجان ، وكتب ساعة قتله وصيّة ، قال في آخرها : فإن وجد فيها الناظر خللاً ، فلا غرو ، فإنّي سطّرتها وأنا عريان ، والسيف مشهر على رأسي (تاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي ١/٣٢٥) .

ولما تسلطن السلطان أرغون بن أباقا التتاري (٦٨٣ ـ ٦٩٠) بأن له غدر من الأمير بوغانوين ، فعاتبه على ذلك ، فاعترف بذنبه ، فقتله ، وقتل كلّ من وافقه (تاريخ الغياثي ٤٧) .

وفي السنة ٦٨٦ دخلت العرب في يوم جمعة إلى الجامع بالمحوّل ، فأخذوا ثياب كلّ من كان فيه ، ثم قصدوا ناحية الحارثيّة ، وكبسوها ليلاً ، وأخذوا ما قدروا عليه ، وقتلوا جماعة من أهلها ، فلم يزل شحنة بغداد يفحص عنهم ، حتى ظفر بأكثرهم ، وضرب أعناقهم ، وبنى رؤوسهم في قبّة الجسر ، وجعل وجوههم ظاهرة ليعتبر بها كلّ مفسد (الحوادث الجامعة ٤٥١) .

وفي السنة ٦٨٩ سأل السلطان أرغون ، عمّن بقي من أولاد شمس الدين الجويني ، فأخبر بهم ، فأمر بقتلهم ، فقتل منهم في تبريز مسعود فرج الله ، وكان مسعود قد أعرس منذ ليالٍ ، وأمّا فرج الله فقد كان صبيّاً في المكتب ، فلما أخرج ليقتل ، توهّم أنّهم يريدون تأديبه لئلا ينقطع عن المكتب ، فجعل يقول بالفارسيّة : والله ، ما بقيت انقطع عن المكتب فرقّ له الناس ، وكان أخوهما نوروز في الروم ، فسارت الأيلجية إليه ، فقتل هناك . (الحوادث الجامعة ٤٦٢ وتاريخ العراق للعزاوي ١/٣٤٨) .

وفي السنة ٦٨٨ قتل مجد الدين إسماعيل بن ألياس البغدادي ، الصاحب ، ببغداد تحت الدار الشاطئيّة ، وكان قتله آخر النهار ، وهو صائم ، فطلب ماءً ليشرب ، فلما أتي به ، نظر إلى الشمس وقد قرب غروبها ، فلم يشرب ، وقال للسيّاف : إضرب ضربة واحدة ، فقال له : نعم ، وسلّمت

جثّته بعد قتله إلى أولاده ، وكان رحمه الله من محاسن الزمان (في التراث العربي ١/٥٩٨) .

وفي السنة ٦٨٩ قتل الملك الاشرف خليل بن المنصور قلاوون ، نائب السلطنة بمصر ، الأمير حسام الدين طرنطاي ، وكانا يتعاديان قبل أن يتسلطن الأشرف ، فلما تسلطن ، ظلّ الأمير طرنطاي على آستهانته بالاشرف ، ويقال إنّه دبّر لقتله ، فعاجله الأشرف بأن قبض عليه ، وأمر به فعذّب أمامه ، واشترك السلطان في تعذيبه حتى قتله ، وادّعى إنّه دخل عليه لابساً آلة الحرب ، وندب الاشرف علم الدين سنجر الشجاعي ، وكان يكره طرنطاي ، أن يقوم بإيقاع الحوطة على موجودات طرنطاي ، فلم يترك الشجاعي قليلاً ولا كثيراً ، وبعد أيّام من قتل الأمير طرنطاي ، سأل ولد طرنطاي ، وكان أعمى ، الدخول على الملك الاشرف ، فأذن له ، فلما دخل عليه ، جعل المنديل على وجهه وبكى ، ومدّ يده وقال : شيء لله (يعني إنّه يستعطي) وذكر أنّ لأهله أياماً « ما عندهم ما يأكلونه » ، فرقّ عليه السلطان ، وأفرج عن أملاك طرنطاري ، وقال : تبلّغوا بريعها (سيرة الملك المنصور ٢٨٤ ـ ٢٨٧) .

وفي السنة ٦٨٩ قتل السلطان شمس الدين كيومرث ، سلطان دهلي ، ودام حكمه أقلّ من سنة (معجم أنساب الاسر الحاكمة ٤٢٢) .

وفي السنة ٦٩٠ توفّي السلطان أرغون التتاري ، فقتل الأمراء ، سعد الدولة ابن الصفي الماشعيري (نسبة الى ماء الشعير) اليهودي ، وكان سعد الدولة وأخواه قد تقاسموا السلطان على العراق ، إذ كان سعد الدولة هو المشرف على ديوان العراق ، وبعد قتل سعد الدولة ، تقدّموا الى الملك نور الدين ، بالقبض على مهذّب الدولة أخي سعد الدولة ، فقبض عليه ، ونهبت داره ، ودور اليهود كافة ، وأخذت أموالهم ودام ذلك ثلاثة أيّام ، حتى ركب جمال الدين في جماعة من الجند والكلّجية ، ومنعوا العوام عن ذلك ، وحبسوا جماعة منهم ، وقتلوا نفرين ، فسكنت الفتنة ، ولما استجوب مهذّب

الـدولة عن الأمـوال ، وطولب بـإخراجهـا ، أجـاب : أمّـا مـال الـديـوان ففي الخزانة ، وأما ما يخصني ، فأنت تعلم أنّي لم أجمع مالاً ، فضرب ، فلم يقرّ بشيء فأمروا بقتله في الديوان ، فضرب بالسكاكين والسيوف ، وكان بالإتفـاق في الديوان نجّار ، قد جاء متفرّجاً ومعه فأس ، فضربه عدّة ضربات ، ثم قطع إرباً إرباً ، وتناهبه العوامّ ، فتعمّم نفّاط بمصرانه ، وطافوا به في شوارع بغداد ودروبها ، ثم أحرق بباب جامع الخليفة ، مـا عدا رأسـه ، فإنّـه سلخ وحشي تبنـاً ، وطيف به في جـانبي بغداد ، وحمـل إلى واسط ، فعلّق على جسـرهـا (الحوادث الجامعة ٤٦٥) .

وفي السنــة ٦٩١ حصلت مــلاسنــة بين الأميــر علم الــدين سنجــر البندقداري ، وبين الأمير زين الدين كتبغا ، فجرّ البندقداري سيفه ليضرب بـه الأميـر كتبغا ، فلمـا رأى بدر الـدين بلبـان الأزرق مملوك كتبغـا ذلـك ، جـرّد سيفه ، وضرب به البندقداري من ورائه ، فحلّ كتفه ويده ، ونزل بقيّة مماليك الأمير كتبغا فألقوا البنـدقداري عن فـرسه وذبحـوه بسوق الخيـل (سيرة الملك المنصور ٢٧٨) .

وفي السنة ٦٩٣ قتل بـالقاهـرة ، الأمير علم الـدين سنجر الشجـاعي ، وزير السلطان الملك الناصر ، وكان ظالماً ، عسوفاً ، فتكاثر عليه المماليك ، وضربوه بـالسيوف ، فقتلوه ، ورفعـوا رأسه على رمـح ، وأعطوه للمشـاعليّة ، فجبوا عليه مصر والقاهرة ، وحصل للمشـاعليّة مـال كثير لبغض النـاس قاطبـة له ، وقيل إنّهم كانوا يـأخذون الـرأس من المشاعليّـة ، ويدخلونـه الى البيوت فتضربه النساء بالمداسات . (النجوم الزاهرة ٤٦/٨) .

وفي السنـة ٦٩٣ قتـل السلطان الملك الاشــرف خليـل بن قــلاوون ، بـالحمامـات ، بمصـر ، وقـد خـرج للصيـد ، إذ جـاءه بعض الأمـراء ، وقـد استعدّوا لقتله ، فابتدره الأمير بيدرا ، فضربه بالسيف ضـربةً قـطع بها يـده مع كتفه ، فجاء الأميـر حسام الـدين لاجين ، وقال لبيـدرا : يا نحس ، من يـريد

ملك مصر والشام تكون هذه ضربته ؟ ثم ضرب السلطان على كتفه ، فحلّها ، ووقـع السلطان على الأرض ، فجـاء الأميـر بهـادر راس نـوبـه ، وشقّ بـدن السلطان بالسيف ، وتركوه في موضعه قتيلاً ، وبايع المتـآمرون الأميـر بيدرا ، فبات ليلة واحدة وهو سلطان ، ولما بلغ بقيّة الأمراء مقتل السلطان ، هاجمـوا بيـدرا وأصحابـه المتآمـرين ، وقبضوا على بيـدرا ، فقـطعـوا يـده ، ثم حـزّوا رأسه ، وحملوا الرأس على رمح ، وسيّروه إلى القاهرة ، ثم قبضـوا على بقيّة الأمراء الذين شـاركوا في قتـل الاشرف ، فـاعتقل سيف الـدين بهادر وجمـال الدين آقوش ، وضرب عنقاهمـا ، وأحرقـا ، أما الأمـراء سيف الدين نـوغيه ، وسيف الدين النهاق ، وعلاء الدين الطنبغا الجمـدار ، وشمس الدين سنقـر ، وحسـام الدين طـرنطاي ، ومحمـد خواجـا ، وسيـف الدين أردس ، فقـد أمـر السلطان محمـد بن قلاوون ، بـأن تقـطع أيـديهم ، فقـطعت ، وسمّـروا على الجمال ، وعلّقت أيديهم في حلوقهم ، وظلّوا كـذلك حتى مـاتوا . (النجـوم الزاهرة ٨/١٧ ـ ٢٢) .

أقـول : سبق أن اوردنـا نقـلاً عن كتـاب سيـرة الملك المنصـور ٢٨٤ ـ ٢٨٧ : إنّ الأشـرف خليل ، قتـل الأميـر حسـام الـدين طـرنـطاي في السنـة ٦٨٩ ، ولعل الأمير حسام الدين طـرنطاي المـذكور في هـذا الخبر . هـو غير سميّه الذي قتل في السنة ٦٨٩ , فاقتضى التنبيه على ذلك .

وفي السنة ٦٩٤ قتل السلطان جلال الدين فيروز شاه ، سلطان دهلي ، قتله الأمير علاء الدين محمد الذي تسلطن من بعده باسم السلطان علاء الدين محمد شاه (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٤٢٢) .

وفي السنة ٦٩٤ أحدث بعض الممـاليك ، وعـددهم أكثر من ثلثمـائة ، فتنـة بالقـاهرة ، وفشلت حـركتهم ، فآعتقلوا ، وأحضـروا أمام الأميـر كتبغا ، نائب السلطان ، بباب القلعة ، فضربت رقاب بعضهم بين يديه ، وقطع أيـدي بعضهم وأرجلهم ، وكـحـل بعضهم (سملت أعينهـم) ، وقـطعت ألـسنـة

بعضهم ، وصلب منهم جماعة على باب زويلة ، ونفي بعضهم ، وفرّق باقيهم على الأمراء . (تاريخ ابن الفرات ١٩٢/٨) .

وفي السنة ٦٩٤ قبض على صدر واسط ، فخر الدين بن الطرّاح ، وعلى أصحابه ، ثم دوشخ ، وطوّق ، وأسمع كلّ قبيح ، وحمل إلى الديوان ببغداد ، ورجمه ـ وهو في طريقه ـ أولاد حصينة العلويّون ، ووكّل به في بغداد أيّاماً ، وضرب ، وعوقب ، ثم قتل ، وحمل رأسه إلى واسط ، وعلّق على الجسر أيّاماً بعد أن طيف به في شوارعها وسوقها (تلخيص مجمع الآداب ج ٢ / ٤١٠ ـ ٤١٢ والحوادث الجامعة) .

وفي السنة ٦٩٧ قتل احمد بن عبد الرزاق الخالدي ، صاحب ديوان الممالك الغازانية ، وكان ظالماً عسوفاً ، قتل هو وأخواه قطب الدين وزين الدين (الوافي بالوفيات ٥٨/٧) .

وفي السنة ٦٩٤ فتك الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنة ، بالأميرين بتخاص وبكتوت العادليّين ، فقتلهما ، وهجم على مخيّم السلطان كتبغا ، ليقتله ، فصدّ ، وأحسّ السلطان بذلك ، ففرّ إلى دمشق ، وبويع لاجين بالسلطنة (النجوم الزاهرة ٦٤/٨) .

وفي السنة ٦٩٨ تآمر قسم من الأمراء بالقاهرة ، على قتل السلطان الملك المنصور لاجين ، فدخل عليه الأمير كرجي ، والسلطان يلعب الشطرنج ، وعنده خواصّه ، وتقدّم كرجي كأنّه يصلح الشمعة ، ثم ضرب السلطان بالسيف على كتفه ، فنهض السلطان ، فضربه الأمير نوغيه بالسيف على رجله فقطعها ، وأغلقوا الباب ، وذهبوا إلى الأمير منكوتمر نائب السلطنة ، وأخذوه ، فأنزلوه إلى الجبّ في القلعة ، ثم أخرجوه وذبحوه على باب الجبّ ، ثم حصلت قلاقل بين الأمراء ، فقتل على أثرها الأمراء كرجي

وطغجي ونوغيه الكرموني ، وجيء بالسلطان الملك الناصر من الكرك (النجوم الزاهرة ٨/١٠٢ـ ١٠٥) .

وفي السنة ٦٩٩ قصد السلطان غازان ، حفيد هولاكو ، بلاد الشام ، في مائتي ألف ، فقابله السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، في مائتي ألف ، فانتصر غازان ، ودخل عسكره مدينة دمشق ، فخرّب عسكره الدور والمساكن بدمشق ، وضواحيها ، مما لم يخرّبه الحريق ، وأسروا من أهل البلد أربعة آلاف نسمة ، وقتلوا بالتعذيب ما بين ثلثمائة إلى أربعمائة ، مطالبين بالأموال (خطط الشام ٢ / ١٤٠) .

وفي السنة ٧٠١ قتل الفقيه فتح الدين أحمد بن محمد البقّي المصري ، وكان فقيهاً ، تأدّب وناظر ، وقطع المتناظرين ، وفاق الأقران ، وكان يستخفّ ببعض الفقهاء والقضاة ومنهم القاضي المالكي ، فتربّص القاضي المالكي به وحكم بقتله بتهمة الإنحلال وآستحلال المحرمات ، والإستهزاء بالدين ، فأخذ يتلفّظ بالشهادتين ، ويصيح يا مسلمين ، كنت كافراً وأسلمت ، فلم يجده ذلك ، وضربت رقبته بين القصرين بالقاهرة (الدرر الكامنة ١ / ٣٢٩ـ ٣٣٣) .

وفي السنة ٧٠٢ هاجم سيف الدين أسندمر الكرجي ، جزيرة أرواد ، وكان الإفرنج قد تحصّنوا بها ، وبنوا عليها سوراً ، وأخذوا يقطعون الطريق على المسلمين ، فحصرها أسندمر ، وفيها جمع كثير من الإفرنج ، وبعد معركة عنيفة ، انتصر المسلمون ، وملكوا الجزيرة وقتلوا وأسروا جميع أهلها ، وبلغ عدد القتلى نحواً من ألفين ، والأسرى نحواً من خمسمائة (خطط الشام ٢/ ١٤٢) .

وفي السنة ٧٠٤ ضربت رقبة كمال الدين الأحدب ، وكان قد جاء إلى القاضي المالكي جمال الدين يستفتيه ، وهو لا يعلم إنّه القاضي ، فقال له :

ما تقول في إنسان تخاصم مع إنسان فقال له الخصم : تكذب ولو كنت رسول الله ، فقال له القاضي : من قال هذا ؟ قال : أنا ، فأشهد عليه القاضي من كان حاضراً ، وحبسه وأحضره من الغد بدار العدل ، وحكم بقتله (شذرات الذهب ٦/ ٩ و١٠).

وفي السنة ٧٠٦ قتل ظهر الدين محمد بن الحسن بن محاسن الصرصري ، رئيس العراق في دولة أبغا (أباقا) ومن بعده ، وكان يتردّد إليه حكّام البلد ، وله جود ومكارم ، وكان يفطر في رمضان في كلّ ليلة مائة فقير وفقيرة ، وتزوّج زبيدة بنت هارون بن الوزير الجويني واتّفق أنّه وعد غلاماً له بأن يزوّجه بنت جارية له ، ثم زوّجها لغيره ، فبادر الغلام وقتل الزوج ، فبلغ ذلك ظهير الدين، فخرج ، فطعنه القاتل بسكين في خاصرته ، فقتله (الدرر الكامنة ٤/ ٤١).

وفي السنة ٧٠٦ قُتِلَ ملك المغرب أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحقّ وكان قد خضب رجليه بالحنّاء ، وهو مستلق على قفاه ، فوثب عليه أحد مواليه واسمه سعادة الخصيّ ، وطعنه طعنات قطع بها أمعاءه ، وخرج ، وأدركوه فقتلوه ، ومات الملك على أثر ذلك (النجوم الزاهرة ٨/ ٢٢٥).

وفي السنة ٧٠٧ قام برلغي ، مقدّم التتار المقيمين ببلاد الروم، بقتل صاحب سيس هيثوم بن ليون ، بعد أن ذبح ابن أخيه تروس الصغير على صدره ، فمضى أخو هيثوم إلى السلطان خدابنده ملك التتار ، وشكا اليه برلغي ، فأمر السلطان بقتل برلغي ، فقطع عنقه بالسيف (المختصر في تاريخ البشر ٤/ ٥٤).

وفي السنة ٧٠٨ يوم عيد الفطر ، قتل بغرناطة ، ذو الوزارتين ، الوزير أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن الأندلسي ، المعروف بابن الحكيم ، وزير السلطان أبي عبدالله النصري ، سلطان غرناطة ، على أثر خلع السلطان أبي

عبدالله ، وقتل معه صاحبه الفقيه الصوفي أبو عبدالله محمد بن خميس التلمساني (نفخ الطيب ٥/٣٦٢ و ٤٩٨).

أقول : زاد في الخبر صاحب الدرر الكامنة ٤/١١٥ و١١٦ : أنَّ الوزير لما قتل ، نهبت أمواله ، وطيف بجسده بعد القتل ومثّل به .

وفي السنة ٧٠٩ خلف أبو بكر بن الواثق يحيى الحفصي ، أخاه المستنصر في حكم تونس ، فدامت ولايته ١٧ يوماً ، إذ وثب عليه خالد بن يحيى الحفصي ، فاعتقله وقتله (الاعلام ٢/٤٧).

وغضب السلطان محمد بن محمد بن محمد النصري (ت ٧١٠) على طائفة من مماليك أبيه فسجنهم في المطبق بحمراء غرناطة ، ومنعهم القوت ، حتى أكل بعضهم بعضاً ، وأشفق عليهم أحد حراسهم ، فطرح لهم خبزاً يسيراً ، ونمى ذلك إلى السلطان ، فأمر به فذبح على حافة الجبّ ، فسالت عليهم دماؤه (الاحاطة ٥٥٥و ٥٥٦).

وفي السنة ٧١٠ تمرّد جماعة من الأمراء على السلطان محمد خربنده ، فقصدهم السلطان ، وقتل منهم جماعة ، كان من بينهم ملك الأمراء قتلغ شاه (تاريخ الغياثي ٥٤، ٥٥) .

وفي السنة ٧١١ رفع إلى السلطان خربندا ، سلطان العراق ، إنَّ الوزير مبارك شاه ، ويحيى بن إبراهيم صاحب سنجار ، ومحمد بن الساوجي العجمي من كبار رجال الدولة بالعراق ، قد اتفقوا على قتله ، فأمر بهم فقتلوا جميعاً ، وحين قدّم الساوجي للقتل ، صلّى ركعتين ، وودّع أهله ، وثبت للقتل ، وخلع فرجيّته على قاتله (الدرر الكامنة ٤/٢١٩).

وفي السنة ٧١٥ أمر السلطان الملك الناصر ، باعتقال الأمير أيد غدي المعروف بشقير ، وكان أثيراً عند السلطان ، عظيم المكانة عنده ، فسعى به الأمراء ، وآتهموه بأنّه يريد خلع السلطان ، فأمر السلطان ، باعتقاله ،

فاعتقل ، وقتل في يومه ، ومن عجيب ما يذكر إنَّ السلطان كان قد أمـر له في صباح ذلك اليوم بألفي دينار ذهباً ، فلما قبض عليه بعد الظهر ، كان الكيسـان من جملة ما قبض من موجوده (الدرر الكامنة ١/٤٥٥) .

وفي السنة ٧١٥ قتل أحمد الروبس الأقبـاعي بدمشق ، وكـان له كشف وإخبار عن المغيّبات ، فضـلّ به الجهلة ، وكـان يقول : أتـاني النبيّ صلوات الله عليـه وحـدّثني ، وكـان يـأكـل الحشيشـة ، ويتـرك الصـلاة ، وعليـه قبـاء (شذرات الذهب ٦/٣٥) .

ولما مات السلطان خربندا (خدابندا) سلطان التتار ، اتهم وزيره رشيد الدولة أبو الفضل فضل الله بن أبي الخير الهمذاني ، بأنّه قتله ، وأحضر طبيب خربندا اليهودي الجلال بن الحزان ، وسئل عن موت خربندا ، فقال : أصابته هيضة قويـة انسهل بسببهـا ثلثمائـة مجلس ، وتقيأ قيـأً كثيراً ، فـآتفقنا على أن نعطيه أدوية قابضة مخشّنة، فقال الرشيد، هو إلى الآن يحتاج إلى الإستفراغ ، فسقينـاه برأيـه مسهلاً ، فـانسهل بـه سبعين مجلساً ، فسقـطت قـوتـه ومـات ، وصدّقه الـرشيد على ذلـك ، فقال الجـوبان للرشيـد : فأنت قتلتـه ، وأمر بـه فقتل ، وفصلوا أعضاءه ، وبعثوا إلى كلّ بلد بعضـو ، وأحرقـوا بقيّة جسـده ، وحمـل رأسه إلى تبـريز ، ونـودي عليه : هـذا رأس اليهودي الملحـد ، وكان موت السلطان خربندا في السنة ٧١٦ (الدرر الكامنة ٣/٣١٥) .

وفي السنة ٧١٦ قتل الأمير بكتمر المنصـوري ، وكان عـظيماً في دولـة النـاصر محمـد بن قلاوون ، وكـان السلطان يقـول له : يـا عمّي ، ثم اتّهمـه بمـوافقة بتخـاص على خلع النـاصـر ، وإقـامـة مـوسى بن الصـالـح علي بن المنصور، فقبض عليه ، وحبس في سجن الإسكنـدرية ، ثم نقـل إلى الكرك وقتل في حبسه (الدرر الكامنة ٢/١٨ و ١٩) .

وفي السنة ٧١٦ قتل في السجن بالكرك ، الأميـر قطلو بـك المنصوري الكبيـر ، وكانت اليـه نيابـة صفد ، فـاعتقل في السنـة ٧١١ ونقل إلى السجن

بالكرك ، حيث قتل ، وكان كريماً جواداً ، كما كان ظالماً متعدّياً لا يدفع لأحد ثمن ما يشتريه إلّا بشقّ الأنفس ، وذكر أنّ تاجراً له عليه حقّ ، دخل عليه ومعه الشيخ ابن تيمية ، يشفع له في قضاء حقّه ، فقال قطلوبك لابن تيمية : إذا رأيت الأمير بباب الفقيه ، فنعم الأمير ونعم الفقيه ، وإذا رأيت الفقيه بباب الأمير ، فبئس الأمير وبئس الفقيه ، فقال له ابن تيمية : كان فرعون أنحس منك ، وموسى خيراً منّي ، وكان يأتي إلى بابه كل يوم يأمره بالإيمان ، وأنا آمرك أن تدفع لهذا حقه ، فلم يسعه إلا امتثال أمره (الدرر الكامنة ٣/٣٣٧ و٣٣٨) .

وفي السنة ٧١٧ ظهر في جبال بلاطنس ، من أعمال اللاذقيّة ، إنسان من النصيرية ، ادّعى أنّه الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري ، ثاني عشر الأئمة فتبعه ثلاثة آلاف من النصيريّة ، وهاجم بهم مدينة جبلة ، ونهبها ، فجرّد إليه عسكر من طرابلس ، فتفرّق جمعه ، وأخذ فقتل (خطط الشام ٢/١٤٧).

وفي السنة ٧١٨ قتل في الحبس ، بأمر من السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، الأمير موسى بن علي بن قلاوون ، وكان الناصر قد أمّره ، وزوّجه الأمير سلار ابنته ، ثم بلغ السلطان أنّ بكتم الخزندار وبتخاص المنصوري اتفقا مع الأمير موسى على إقامته سلطاناً ، وإنهما استمالا كثيراً من الجند ، فقبض الناصر على بكتمر وبتخاص وتغيّب الأمير موسى ، فشدّد السلطان في البحث عنه ، حتى قبض عليه ، وأراد السلطان قتله ، فشفعت فيه « أردكي » زوجة الناصر ، فأمر بسجنه ، وأرسله الناصر إلى قوص ، وبقي مسجوناً من السنة ٧١٠ حتى « أشيع موته » في السنة ٧١٨ (الدرر الكامنة ٥/١٤٨ و ١٤٩).

وفي السنة ٨٢٠ قتل الفقيه اسماعيل بن سعيد الكردي المقرىء المصري ، اتّهم بالزندقة ، وشهدوا عليه بأنّه سبّ لوطاً ، وجاء أحد مدّعي التقوى إلى القاضي فأخبره بأنّه رأى النبيّ في منامه ، وقال له : قل للقاضي

يضرب رقبة اسماعيل ، فإنَّه سبَّ أخي لوطاً ، فحكم القاضي المالكي بقتله ، فقتل بحكم القاضي المالكي ، بالقاهرة ، بين القصرين (الدرر الكامنة ٣٩١/١ و٣٩٢).

أقول : ذكر صاحب النجوم الزاهرة ٢٥٠/٩ أن الشيخ اسماعيل الكردي كان عارفاً بعلوم كثيرة ، حتى إنَّه كان يحفظ التوراة والإنجيل .

وفي السنة ٧٢٠ قتل سيف الدين آقجبا مملوك الأمير ركن الدين بيبرس وكان عنده فضيلة ، إلا أنّه آدّعى النبوّة ، وشاع ذلك عنه ، حتى قتل (النجوم الزاهرة ٢٥٠/٩).

وفي السنة ٧٢٣ طلع ضياء الدين عبدالله الدربندي ، إلى قلعة دمشق ، وهو يحمل طبراً ، فأبصر مسلماً يقبل يد نصرانيّ من الكتّاب ، والنصراني يزجره ، فغضب ، وضرب الكاتب بالطبر على كتفه فهدله ، وأخذ يصيح : يا عدوّ الله ، تفعل بالمسلم هكذا ، فقبضوا عليه ، وبلغ الناصر خبره فظنّه من الفداوية ، فأمر بقتله، فقتل (الدرر الكامنة ٤١٨/٢).

وفي السنة ٧٢٥ قَتَلَ حديثةُ الحسني ، بالمدينة ، عَمَّه أمير المدينة الشريف منصور بن جمّاز .

وفي السنة ٧٢٥ قتل الشاعر اليماني منصور بن عيسى بن سحبان ، في صبيا ، باليمن ، قتله أحد أشراف اليمن (الاعلام ٢٤١/٨) .

وفي السنة ٧٢٦ ضربت عنق الفقيه ناصر المقرىء الصالحي المعروف ، بابن الهيتي ، قبض عليه بحلب ، وأرسل مقيداً إلى دمشق ، وأقيمت البيّنة على زندقته أمام القاضي شرف الدين المالكي ، فحكم بقتله ، ولم يتكلّم بشيء ، بل تشهّد ، وصلّى ركعتين ، وتلا القرآن ، وضربت عنقه وهو يقول : (الدرر الكامنة ١٥٩/٥ و ١٦٠).

إن كان سفك دمي أقصى مرامهم   فما غلت نظرة منهم بسفك دمي

وفي السنة ٧٢٧ قتل السلطان أبو سعيد بن خربندا ، ملك العراق وأذربيجان ، الأمير دمشق خواجة ، وهو ابن الأمير جوبان ، وسبب قتله إنَّ السلطان خربندا لما توفيّ كان السلطان أبو سعيد صبيّاً ، فقام الأمير جوبان بتدبير المملكة ، ونصب ولده دمشق خواجه أميراً على الأردو (الجيش) ، ولما كبر السلطان أبو سعيد حقد على جوبان وولده تحكمهما بحيث لم يكن له من الأمر شيء ، واتفق أن سافر الأمير جوبان الى خراسان ، فانتهز أبو سعيد الفرصة ، وأمر بالقبض على دمشق خواجه وقتله متهماً إيّاه بأنّ صلات غير شرعية بينه وبين إحدى نساء والده السلطان خربندا ، فقبض أتباع السلطان أبي سعيد علي دمشق خواجه ، وقطعوا رأسه ، وأحضروه إلى بين يدي السلطان أبي سعيد ، فأخذ المغل يرفسون رأسه ، راجع التفصيل في المختصر لأبي الفدا ٤/٩٦ والتاريخ الغياثي ٥٨ .

وعلى أثر ذلك فرّ الأمير جوبان والد دمشق خواجه من السلطان أبي سعيد ، والتجأ إلى هراة ، فقبض عليه ملكها غياث الدين في السنة ٧٢٨ وقتله ، وقتل معه ولده جلوخان (التاريخ الغياثي ٦٠) .

وفي السنة ٧٢٧ وقعت بالاسكندرية مشاجرة بين تجَّار من النصارى وأهل الاسكندرية ، وحسب الاسكندريون أن أمير المدينة ويلقب بالكركي أعان النصارى عليهم ، فثاروا به وحصروه في قصره ، فاستغاث بالملك الناصر محمد بن قلاوون ، فأعانه بجيش أعاد الأمن في البلاد ، وقتل من أهل البلد ستّة وثلاثين رجلًا قطع بدن كل واحد منهم إلى قطعتين ، وصلبهم صفّين (رحلة ابن بطوطة ١/١٨) .

وفي السنة ٧٢٨ قتل السلطان الناصر محمد بن قلاوون الأمير تمرتاش (دمرداش) بن النوين جوبان ، وكان من أكابر امراء السلطان أبو سعيد سلطان العراق واذربيجان ، فقتل أخاه دمشق خواجه ، ففرّ تمرتاش إلى السلطان

الناصر بمصر ، فأكرمه وأمّره ، فكتب أبو سعيد إلى الناصر يطلب منه ارسال تمرتاش ، فقطع عنقه وأرسل إليه رأسه ، وطلب منه مقابل ذلك أن يرسل إليه رأس قراسنقر أحد الأمراء المصريّين ، وقد فرّ منه ، وصادف أن قراسنقر مات حتف أنفه عند وصول كتاب الناصر ، فكتب أبو سعيد إلى الناصر أنّه مات حتف أنفه ، ولو قتله لبعث برأسه (الدرر الكامنة ٢/ ٥٣) .

وفي السنة ٧٢٩ قتل الوزير أبو عبد الله الغرناطي ، المعروف ، بابن المحروق، وكان وكيلاً عن أبي الجيوش صاحب غرناطة، ثم عن خلفه أبي الوليد ، فتآمر عليه محمد بن أبي الوليد وقتله (الدرر الكامنة ٣/ ٤٥٥).

وفي السنة ٧٣٠ حصلت فتنة بمكة سببها تعدّي العبيد فيها على بعض حجّاج العراق ، وكانت عاقبة الفتنة أن قتل من الأمراء المصريين الأمير الدمر ، وولده، ومملوكه ، وأمير عشرة يعرف بآبن التاجي ، وقتل معهم خلق من الحجّاج ، ولما بلغ الخبر الملك الناصر محمد بن قلاوون ، بعث الى مكّة جيشاً كثيفاً ، فقتلوا جماعة من العبيد وأسرفوا في ذلك ، وشرّدوا أشراف مكّة والعبيد عن أوطانهم ، وأخذوا أموالهم . (النجوم الزاهرة ٩/ ٢٨٣).

وفي السنة ٧٣١ قتل بغرناطة أبو عبدالله محمد بن إبراهيم المكي الحسيني ، قدم من مكّة على السلطان أبي سعيد المريني سلطان المغرب ، وتأثّل مالاً وجاهاً ، ثم دخل غرناطة بنيّة الجهاد ، فأكرمه صاحبها ، واستوطنها إلى أن قتله بعض مماليكه، فقتل بعده (الدرر الكامنة ٣/ ٣٨٣).

وفي السنة ٧٣١ أوقع ابن مؤمن ، أحد أصحاب السلطان المجاهد صاحب اليمن، فتنة بين السلطان وبين أتابكه الزعيم ، فاستوحش منه السلطان، ولا علم للزعيم بشيء من ذلك ، فاتّفق أن عمل الزعيم سماطاً للعسكر كافة ، وسأل السلطان حضور السماط ، فدسّ ابن مؤمن إلى السلطان أنّ الزعيم يقصد القبض عليه ، فاستدعى الزعيم ، ولما وصل ، أمر بقتله ،

فقتل ، واعتقل جماعة من أصحابه فقيدهم ، وحبسهم (العقود اللؤلؤية ٢ /٥٧ و ٥٨).

وفي السنة ٧٣١ أخذ ابن مؤمن ، يدسّ للغياث بن السناني ، عند السلطان المجاهد ، صاحب اليمن ، وسعى حتى أحضر أمام القاضي ، وادعى عليه أنّه قتل شخصاً ظلماً ، وأظهر السلطان كتاباً بخطّه اعترف فيه بقتل الرجل ، فحكم بإعدامه، وقتل . (العقود اللؤلؤية ٢ /٥٨ و ٥٩).

وفي السنة ٧٣٣ ثار الجند بظاهر جبل الفتح (جبل طارق) على سلطانهم سلطان غرناطة محمد بن اسماعيل النصري الانصاري الخزرجي ، وطعنه أحدهم ، فقتله وهو ابن ثماني عشرة سنة (الدرر الكامنة ٤ / ١٠).

وفي السنة ٧٣٤ لاقى القاضي جمال الدين بن مؤمن ، المصير الذي كان يبعث إليه أفراد حاشية المجاهد ، صاحب اليمن ، فإنّ ابن مؤمن كان رجلاً حسوداً ، يغري السلطان بذوي المكانة ، فيهلكهم ، وتلف بسعايته كثير من الناس ، وآخر من دسّ له عند السلطان ، القاضي موفّق الدين بن الصاحب ، فأذن السلطان لابن مؤمن ، في مصادرته ، فضيق عليه ضيقاً شديداً ، يريد إهلاكه ، فتوصّل القاضي موفق الدين ، إلى كتابة رسالة إلى السلطان يستغيث به فيها ، فأمر السلطان بإطلاقه ، بعد أن فدى نفسه بعشرة آلاف دينار ، ثم اتفق القاضي موفق الدين ، والقاضي جمال الدين محمد بن حسان ، وزوّرا رسائل بخطّ يشبه خطّ ابن مؤمن ، فيها ما يدل على اشتراكه في مؤامرة ضد السلطان ، وألقيا الأوراق بحيث وصلت إلى السلطان، فأمر السلطان بالقبض عليه ، وقتله ، وصادر أمواله ، للتفصيل راجع كتاب العقود اللؤلؤية ٢ / ٦٢-٦٤.

وفي السنة ٧٣٦ توفّي السلطان أبو سعيد بهادر بن الجايتو محمد خدابنده ، سلطان العراق ، وكان وزيره غياث الدين خواجا بن الوزير رشيد

الـدولة، هـو المتحكّم في الدولـة ، فعمد إلى شـاب من بقايـا النسـل اسمـه أربـاكاون ، ومهـد له الأمـور ، ونصبه سلطانـاً، باسم معـزّ الدين أربـاكاون ، فخرج عليه علي باشا ، خال السلطان أبي سعيد ، ورشّح للسلطنة رجلاً اسمه موسى ، وانتصر علي باشا ، وتسلطن موسى ، فقتل أرباكاون وقتل معه الوزير غياث الدين خواجا (شذرات الذهب ١١٣/٦ والوافي بالوفيات ٣٢٩/٤).

وفي السنـة ٧٣٦ قتل شـرف الدين محمـود شـاه ، المسمى طمـطاح ، صاحب بلاد فارس ، جرى قتله بأمر من السلطان معزّ الدين أرباكاون (معجم انساب الأسر الحاكمة ٣٨٠).

وذكر الرحـالة ابن بـطوطة عن السلطان محمـد بن تغلق ، سلطان الهند (٧٢٥ـ ٧٥٢) ، إنّه كان لا يخلو بابه عن مقتـول الاّ في النادر ، قـال : وكنتُ كثيراً ما أرى الناس يقتلون على بابه ، ويطرحون هنالـك ، ولقد جئت يـوماً ، فنفـر بي الفرس ، ونـظرت إلى قطعـة بيضاء في الأرض ، فقلت : مـا هذه ؟ فقال بعض أصحابي : هي صدر رجل ، قطع ثلاث قطع ، وكان يعـاقب على الصغيرة والكبيرة ، ولا يحتـرم أحداً من أهـل العلم والصلاح والشـرف ، وفي كلّ يوم يرد على المشور (البلاط) من المسلسلين ، والمغلولين ، والمقيدين ، مئـون ، فمن كان للقتـل ، قتل ، أو للعـذاب عـذّب ، أو للضـرب ضـرب ، وعادته أن يؤتى كـلّ يوم بجميـع من في سجنه من النـاس ، إلى المشور ، مـا عدا يوم الجمعة ، فإنّهم لا يخرجون فيه ، وهو يـوم راحتهم ، يتنظّفـون فيه ، ويستريحون . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٨٥/٢).

وخـرج بمدينـة سيوستـان ، بالهنـد ، الأمير قيصـر الرومي ، على ملك الهند غياث الدين محمد بن تغلق (٧٢٥ـ ٧٥٢)، وأعلن العصيان ، واستولى على مـا بها من أمـوال السلطان ، فنهـد اليهم عمـاد الملك سـرتيـز ، مملوك السلطان ، وهو يومئذٍ أمير امراء السند ، فـانهزم قيصـر ، وتحصّن بالمـدينة ، ولما اشتدّ عليهم الحصار ، طلبوا الأمـان ، فأمّنهم عمـاد الملك ، ولما نـزلوا

غدر بهم ، وأخذ أموالهم ، وأمر بقتلهم ، **فكان في كلّ يوم** يضرب أعناق بعضهم ، ويوسّط بعضهم ، ويسلخ آخرين ، ويملأ جلودهم تبناً ، ويعلّقها على السور ، فكان على معظم السور ، تلك الجلود مصلوبة ، ترعب من ينظر إليها ، وجمع رؤوسهم في وسط المدينة، فكانت مثل التلّ هناك ، ونزلتُ بتلك المدينة، إثر هذه الوقيعة ، بمدرسة فيها كبيرة ، وكنت أنام على سطحها ، فإذا استيقظت في الليل أرى تلك الجلود المصلوبة ، فتشمئزُّ نفسي منها ، ولم تطب نفسي بالسكن بالمدرسة ، فانتقلت عنها (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٦ و٧) .

وكان السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند (٧٢٥ـ ٧٥٢)، شديداً في أمر الصلاة ، ولقد قتل في يوم واحد ، تسعة رجال ، على تركها ، وكان أحدهم مغنياً . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/ ٨٣).

وذكر ابن بطوطة، أنَّ ابن أخي النائب عن السلطان بقالقوط (كلكتا) غصب سيفاً لبعض تجار المسلمين ، فشكا التاجر إلى عمّه ، فلما حضر ابن أخيه ، قال له : هذا سيف المسلم ؟ قال : نعم ، قال : اشتريته منه؟ قال : لا ، فقال لأعوانه : أمسكوه، ثم أمر به فضربت عنقه بذلك السيف (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١٩٢).

وبلغ السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، أنَّ الفقيه عفيف الدين تكلّم في بعض الأمور ، فسجنه، ثم أطلقه، فلقيه بعد خروجه من السجن، صاحبان له من الفقهاء، فقالا له: الحمد لله على خلاصك ، فقال : الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ، فلم يصلوا إلى دورهم حتى بلغ السلطان الخبر ، فأحضر الثلاثة بين يديه ، وأمر بعفيف الدين أن تقطع عنقه حمائل (أي أن يقطع الموضع الذي تمرّ عليه حمالة السيف ، الرأس والصدر والكتف مع إحدى اليدين)، وأمر بضرب عنق الفقيهين الآخرين أيضاً . فقالا : أمّا هو فيستحق العقاب لما قال وأما نحن فبأيّ جريمة تقتلنا ؟ فقال

لهما : إنكما سمعتما كلامه فلم تنكراه ، فقتلوا جميعاً . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/ ٩٨ و٩٩) .

وكان الذي يتولّى عذاب المخالفين للسلطان محمد بن تغلق سلطان الهند ، الأمير المعروف ، بأجدر ملك ، وهو نائب الوزير ، واسمه محمد بن النجيب ، وكان ظالماً قاسِي القلب ، وكان السلطان يسميه : أسد الأسواق ، وكان لقسوته، ربّما عضّ المعذّبين بأسنانه (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/ ١٠٢).

وأمر السلطان محمد بن تغلق ، قائداً من قواده ، بالخروج إلى قتال بعض الهنود والكفار ، فتخلّف بعض العسكر ، فأمر بالقبض عليهم ، وأحضر ثلثمائة وخمسين نفراً منهم ، فأمر بقتلهم ، فقتلوا . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/ ٨٦).

ووصف لنا ابن بطوطة ، في كتاب رحلته ، قسوة السلطان غياث الدين الدامغاني ، سلطان بلاد المعبر ، فإنّه أمر بقطع أشجار إحدى الغابات في مملكته وأمبر بأسر كلّ من يعثر عليه من الكفّار الهنود في تلك الغابة ، فكانوا إذا قبضوا على أسرى من هؤلاء ، صنعوا خشبة محدّدة الطرفين ، وأجبروه على حملها ، ومعه امرأته وأولاده ، وفي الصباح يقسم الأسرى أربعة أقسام ، ويؤتى إلى كلّ باب من أبواب الكتكر (أي المعسكر) بقسم منهم ، فتركز الخشب التي حملوها بالأمس ، ثم يركّزون عليها حتى تنفذ في أجسامهم ، ثم تذبح نساؤهم ، ويربطن بشعورهن إلى الخشبات التي قتل عليها أزواجهنّ ، ثم يذبح الأولاد الصغار في حجورهنّ ، ويتركون هناك ، ثم يشتغلون بقطع غيضة أخرى ويصنعون بمن أسروه كذلك ، وذلك أمر شنيع ما علمته لأحد من الملوك . قال : وقد رأيته يوماً ، والقاضي عن يمينه ، وأنا عن شماله ، وهو يأكل معنا ، وقد أتى بكافر ، معه امرأته وولده وسنّه سبع سنوات ، فأشار إلى السيّافين أن يقطعوا رأسه ، وقال لهم : وآبنه وزوجته ،

فقطعت رقابهم ، وصرفتُ بصري عنهم ، فلما قمت ، وجدت رؤوسهم مطروحة بالأرض . قال : وقد حضرت عنده يوماً ، وقد أتي برجلٍ من الكفّار ، فتكلّم بما لم أفهمه ، فإذا بجماعة من الزبانية قد آستلّوا سكاكينهم ، فبادرت الى القيام ، فقال لي : الى أين ؟ ، فقلت : أصلّي العصر ، ففهم عنّي ، وضحك ، وأمر بقطع يديه ورجليه ، فلما عدت وجدته متشحّطاً في دمائه . (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٢٢٣ - ٢٢٤) .

وفي السنة ٧٤٠ غضب السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، على الأمير تنكز نائب الشام ، فبعث من قبض عليه ، وآحتاط على أمواله ، وأحضره إلى القاهرة ، واعتقله فيها نحو شهر ، ثم قتله في محبسه في ١١ محرم سنة ٧٤١ . (خطط المقريزي ٢/٥٤) .

وفي السنة ٧٤١ أفسد المعازبة ، بالتهائم ، في اليمن ، فهاجمهم السلطان المجاهد ، وقتل منهم عدّة مستكثرة ، ورمى بعضهم للفيلة ، وغرّق الباقين في البحر ، ثم آل أمرهم أن شيّخ عليهم آمرأة يقال لها : بنت العاطف ، وكساها ، فكانت تركب دابّة من الحمر ، أو ناقة ، وتقود المعازبة بأسرهم . (العقود اللؤلؤية ٢/٦٩) .

وفي السنة ٧٤٢ قتل السلطان المنصور أبو بكر بن الناصر محمد بن قلاوون ، وكان قد خلف أباه في السنة ٧٤١ فانحاز الى قسم من الأمراء ، وآستهان بالآخرين ، فتآمروا عليه ، ورأسوا عليهم الأمير قوصون ، فاعتقله قوصون ونفاه الى قوص ، وكتب إلى متولّيها يأمره بقتله ، فقتله ، وحمل رأسه سرّاً إلى قوصون (الدرر الكامنة ١/٤٩٤ و٤٩٥) .

وفي السنة ٧٤٢ قتل في سجن الاسكندرية ، الأمير بشتاك الناصري ، وهو اوّل أمير اعتقل وقتل بعد وفاة الناصر في السنة ٧٤١ وكان الناصر محمد بن قلاوون قد اشتراه بستّة آلاف درهم ، وقرّبه وقدّمه ، ولما توفّي

الأمير بكتمر ، أعطى لبشتاك دار بكتمر ، وإصطبله ، وزّوجه بأمّ أحمد بن بكتمر ، ووصل إقطاعه الى سبع عشرة طبلخانة ، ولما توفّي الناصر ، كان صغو الأمير قوصون لابنه المنصور ، وصغو بشتاك لابنه الناصر أحمد ، فظفر قوصون ، وتسلطن المنصور بوصيّة من أبيه الناصر ، فطلب بشتاك نيابة دمشق ، فأمر له بها ، ولما تجهّز للسفر ، وصعد ليودّع السلطان ، اعتقل ، وحمل إلى الإسكندرية حيث قتل في الحبس (الدرر الكامنة ٢/١١ و١٢) .

وفي السنة ٧٤٢ قتل الأمير طاجار المارديني الناصري ، اتّهمه الأمير قوصون بأنّه سعى به وحسّن للسلطان المنصور أبي بكر أن يقتله ، فاعتقله قوصون ، وبعث به إلى الإسكندرية ، وقتل هناك (الدرر الكامنة ٢/٣١٤) .

وفي السنة ٧٤٣ قتل الأمير جلال الدين مسعود اينجو ، قتله الملك ياغي باستي بن تيمورطاش صاحب أذربيجان ، وفي السنة ٧٤٥ ثأر أخو الأمير مسعود لأخيه فقتل الملك ياغي باستي (معجم أنساب الاسر الحاكمة ٣٨٠) .

وفي السنة ٧٤٤ قتل الشيخ حسن كوجك بن تيمورتاش ، صاحب أذربيجان اغتالته زوجته (معجم انساب الاسر الحاكمة ٣٨٠) .

وفي السنة ٧٤٢ قتل في سجن الإسكندرية الأمير برسبغا الحاجب الناصري وكان هو الذي يتولّى عقوبة المباشرين اذا صودروا ، فهلك على يده النشو ، وأقاربه ، والصاحب أمين الدين وغيرهم (الدرر الكامنة ٢/٧) .

وفي السنة ٧٤٢ قتل في سجن الإسكندرية الأمير جركتمر بن بهادر ، وكان الأمير الوحيد الذي أعان بيبرس الجاشنكير في سلطنته ، وسلم من الناصر محمد بن قلاوون ، وسبب سلامته انّ قرا سنقر كان صهره فحماه ، وشفع فيه إلى السلطان ، فعفا عنه (الدرر الكامنة ٢/٧١) .

وفي السنة ٧٤٢ قتل في محبسه بالإسكندرية ، الأمير قوصون الساقي

الناصري ، وكان من غلمان التتار ، فاشتراه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وقدّمه ، وزوّجه بابنته ، ولما توفّي الناصر تعصّب لولده المنصور أبي بكر ، حتى سلطنه ، وقام هو بأمر المملكة ، ثم دبّت بينهما الوحشة ، فأمر قوصون بالمنصور فأبعد إلى قوص ، وكتب إلى عاملها بقتله فقتله ، ولما أراد أحمد بن الناصر أن يتسلطن ، أباها عليه قوصون ، وسيّر إليه جيشاً لمحاربته ، فانحاز الجيش إلى أحمد ، وثار الأمراء والعوامّ بقوصون فاعتقلوه ، وبعث به الناصر أحمد إلى الاسكندرية حيث حبس هناك ، ثم بعث إليه من قتله في حبسه (الدرر الكامنة ٣/٣٤٢ و٣٤٣) .

وفي السنة ٧٤٢ اعتقل السلطان الناصر أحمد بن قلاوون ، الأمير طشتمر الساقي حمص أخضر ، والأمير قطلوبغا الفخري ، وحبسهما في غزّة ، وأمر بقتلهما بالجوع ، فأقيما يومين وليلتين لا يأكلان ، فكسرا قيديهما ، وخلعا باب السجن ، وحاولا الهرب ، فأمسكا ، وأقيما على الخندق ، وقطعت أعناقهما بحضور السلطان . (النجوم الزاهرة ١٠/٦٩ و٧٠) .

وفي السنة ٧٤٣ قتل الأمير طغاي بن سوتاي ، صاحب ديار بكر ، قتله ابراهيم شاه أخو علي باشا خال « أبو سعيد » لأنّ الأمير طغاي سبق له أن قتل علي باشا فثأر إبراهيم شاه لأخيه (الدرر الكامنة ٢/٣٢٢) .

وفي السنة ٧٤٤ حمل الأمير أقبغا بن عبد الواحد ، صاحب إمرة دمشق ، إلى القاهرة ، « فكان آخر العهد به » ، أي إنّه قتل ، وكان جبّاراً شديداً على الناس (الدرر الكامنة ١/٤١٨ و٤١٩) .

وفي السنة ٧٤٤ قتل بالقاهرة الأميران الأخوان قطلوبغا الساقي الناصري المعروف بالفخري ، وطشتمر نائب السلطنة بحلب ، وكانا قد قاما بنصرة الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون ، فنصب السلطان أحمد الأمير قطلوبغا نائباً للسلطنة بدمشق ، ثم غدر السلطان الناصر أحمد بهما ،

وأمر باعتقالهما ، فاعتقلا ، وأحضرا إلى القاهرة ، ويقال انّه لما قدّما للقتل ، قال قطلوبغا : ابدأوا بي قبل طشتمر ، فإنّه لا ذنب له ، فلعلّ أن تحصل فيه شفاعة ، وقتلا معاً (الدرر الكامنة ٣/ ٣٣٥ و٣٣٦) .

أقول : سبق ان اثبت ما ورد في النجوم الزاهرة ١٠/ ٦٩ و٧٠ ان مقتل هذين الأميرين كان في السنة ٧٤٢ فليلاحظ .

وفي السنة ٧٤٤ ضربت عنق حسن بن محمد بن أبي بكر السكاكيني ، بسوق الخيل بدمشق ، حكم عليه قاضي دمشق بأنّه زنديق « لغلّوه في الرفض » (الدرر الكامنة ٢/ ١١٩) .

وفي السنة ٧٤٤ قتل السلطان خليل التتاري ، سلطان ما وراء النهر ، وزيره العلويّ الحسيني ، وكان قد أعانه في تأسيس دولته ، وحارب في سبيل توطيد ملكه ، فدسّوا له عند السلطان ، وأوغروا عليه صدره ، وأوهموه أنّ الوزير يطلب السلطنة ، ويقول إنّه لنسبه الشريف ، أحقّ بالسلطنة من السلطان خليل ، فأمر بقتله فقتل ، وكان ذلك سبب خراب ملكه (مهذب رحلة ابن بطوطة ١/ ٣١٣) .

وفي السنة ٧٤٤ قتل إبراهيم بن يوسف المقصّاتي « الرافضي إلى لعنة الله » شهد عليه بسبّ الصحابة رضي الله عنهم (شذرات الذهب ٦/ ١٤٠) .

وفي السنة ٧٤٥ قتل ذبحاً ، بالكرك ، السلطان الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون ، ولد في السنة ٧١٦ وبعث به والده إلى الكرك يتعلّم الفروسيّة ، فتولّع بغلام يقال له الشهيب وتهتّك فيه ، وحاول أبوه إبعاده عنه ، فلم ينجح فيه ترغيب ولا ترهيب ، فأعاده إلى الكرك ، وأوصى بولاية العهد لابنه الآخر أبي بكر سيف الدين ، ولما توفّي الناصر ، خلفه ولده أبو بكر سيف الدين وتلقّب بالمنصور ، ولكنّ بعض الأمراء تعصّب لأخيه أحمد ، فسلطنوه ولقبوه بالناصر ، لقب أبيه ، فتوجّه بعد أربعين يوماً إلى الكرك ،

فقبض هناك على الأميرين اللذين أعاناه على السلطنة وهما الأمير طشتمر حمص أخضر ، وكانت إليه نيابة السلطنة بمصر ، والأمير قطلوبغا الفخري ، وكانت إليه نيابة السلطنة بدمشق ، فضرب عنقيهما صبراً ، وسبى حريمهما ، ومكّن منهنّ نصارى الكرك ، فآشمأزت منه النفوس ، وخلعه الأمراء بمصر ، وسلطنوا أخاه الصالح إسماعيل ، وجهّزوا إليه عساكر حاصرت الكرك ، وأمسك في السنة ٧٤٥ وذبح ، وحمل رأسه إلى القاهرة (الدرر الكامنة ١ /٣١٥ و٣١٦) .

وفي السنة ٧٤٧ قتل السلطان الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون ، وكان قد ولي السلطنة في السنة ٧٤٦ خلفاً لأخيه الصالح اسماعيل ، بعهد منه إليه ، وأهمل أمور الملك ، فثار عليه الأمير يلبغا اليحياوي ، نائب السلطنة بدمشق ، وأشاع خلعه معتمداً على أنّ السلطان الملك الناصر ، كان قد أوصى الأمراء ، بأنّ من تسلطن من أولاده ، اذا لم يسلك الطرق المرضية ، فجرّوا برجله وملّكوا غيره ، فلما بلغ الكامل شعبان خبر نائب السلطنة بدمشق ، جهّز اليه جيشاً كثيفاً ، فثار به من بقي من الأمراء في القاهرة ، وخلعوه ، وبايعوا أخاه المظفّر حاجي ، وقتلوا الكامل (الدرر الكامنة ٢ / ٢٨٩) .

وفي السنة ٧٤٧ قبض السلطان الملك المظفّر حاجي على يلبغا اليحياوي ، وأصعده إلى قلعة قاقون ، وقتل فيها (النجوم الزاهرة ١٠/١٦٢) .

وفي السنة ٧٤٧ بلغ السلطان باليمن ، انّ جماعة من المماليك الغرباء ، على وشك المناداة ابن أخيه الملك الفائز أبي بكر بن حسن ، سلطاناً بدله ، فاعتقل ابن اخيه في تعز ، حيث مات في سجنه بعد قليل ، ثم اعتقل جماعة من المملكيك الغرباء ، وأتلفهم قتلاً ، وشنقاً ، وتغريقاً . (العقود اللؤلؤية ٢ / ٧٩ ـ ٨٠) .

وفي السنة ٧٤٧ قتل الأمير قماري الناصري ، أخو بكتمر الساقي ، أمّره الناصر ، وخرج مع الفخري لحصار الناصر أحمد بالكرك ، ثم نصب نائباً بطرابلس ، ثم اعتقل وحمل الى مصر ، ونقل إلى سجن الإسكندرية « فكان آخر العهد به » أي إنّه قتل (الدرر الكامنة ٣/ ٣٤١) .

وفي السنة ٧٤٧ قتل الأمير سيف الدين الحاج النائب ، المعروف بآل ملك ، كان أثيراً جدّاً عند السلطان الملك الناصر ، وفي أيّام الصالح إسماعيل كانت إليه نيابة السلطنة بمصر ، ثم أخرجه الكامل لنيابة الشام ، وأرسل إليه في الطريق من توجّه به إلى صفد ، ثم اعتقل في غزّة ، ونقل إلى الإسكندرية ، فاعتقل بها ، وأعدم (الدرر الكامنة ١/ ٤٣٩) .

وفي السنة ٧٤٨ مات المغنّي أبو سعيد الكردي ، عمر بن خضر ، وكان أبوه خضر قد آتّصل بهولاكو ، ثم سخط عليه ، فقتله ، وباع أولاده ، فاشترى الصاحب شرف الدين هارون الجويني عمر هذا وهو صغير جدّاً ، فآجتهد حتى فاق في الغناء ، وتنقّل حتى آستقرّ عند السلطان الناصر ، فرتّب له راتباً ، وألّف كتاباً في الغناء (الدرر الكامنة ٣/ ٢٤٠) .

وفي السنة ٧٤٨ قبض بالقاهرة على الأميرين آق سنقر ، والحجازي ، فقطعا قطعاً (النجوم الزاهرة ١٠/ ١٥٩) .

وفي السنة ٧٤٨ أخرج من القاهرة الأمراء طغاي تمر النجمي ، وسيف الدين بيدمر البدري ونجم الدين محمود الوزير ، على الهجن إلى الشام ، وأدركهم الأمير سيف الدين منجك ، وقتلهم في الطريق (خطط المقريزي ٢/ ٤٢٥) .

وفي السنة ٧٤٨ قتل السلطان شهاب الدين بن عمر ، سلطان جزيرة مالديف (ذيبة المهل) وخلفته أخته ملكت رهندي بنت عمر ، وحكم معها زوجها محمد جمال الدين في السنة ٧٦٤ ثم زوجها الثاني عبد الله كلاغه في

السنة ٧٧٥ وتوفّيت الملكة ملكت رهندي في السنة ٧٨١ فخلفتها أختها ملكت ددفتي بنت عمر (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٤٥٠) .

وفي السنة ٧٤٨ قتل في غزّة ، بأمر من السلطان حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون ، وزير بغداد نجم الدين محمود بن علي بن شروين البغدادي ، وكان قد فرّ من بغداد ، وهو وزير فيها ، لما خشي الفتك به ، فالتجأ إلى الناصر ، ولما سلّم عليه قبّل يده ، ووضع في كفّه حجر بلخش وزنه أربعون درهماً ، فأكرمه السلطان ، وأمّره ، ووصّى بأن يرتّب وزيراً من بعده ، فلما توفّي الناصر ، استوزره ولده المنصور ، فأحسن إلى الناس وآستمرّ في وزارته في عهد الصالح إسماعيل ، وعزل في دولة الكامل شعبان ، فلما ولي المظفر حاجي أعيد إلى الوزارة ، ثم أخذ مع أمراء آخرين إلى غزّة ، حيث قتلوا بها في السنة ٧٤٨ (الدرر الكامنة ٩٩/٥ و١٠٠) .

وفي السنة ٧٤٨ قتل السلطان المظفر ، الأمير ملكتمر الناصري الحجازي ، وأصله من بغداد ، وتقدّم عند السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وسجن بعد وفاة الناصر ، ثم أطلق ، وأعيد إلى إمرته ، وقام بدولة المظفّر ابن الناصر ، وعظم في دولته ، ثم سعي به إلى المظفر بأنّه يريد « أن يركب عليه » فآعتقله ، وكان آخر العهد به (الدرر الكامنة ١٢٨/٥) .

وفي السنة ٧٤٨ قتل الأمير آقسنقر الناصري ، تزوّج بابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وتنقّل في أعمال عدّة وتأمّر في دولة الملك الكامل ، ثم سعى في إزالة السلطنة عن الملك الكامل ، وأصبح أكبر الأمراء في دولة المظفّر حاجي ، ثم فسد ما بينهما ، فاعتقله المظفر وقتله (الدرر الكامنة ٤٢٢/١) .

وفي السنة ٧٤٨ قتل الأمير أغرلو ، وكان قد قتل ثلاثين أميراً في مدّة أربعين يوماً ، ولما قتل أخرجه العامّة من قبره ، وأقاموه في الصفّة التي كان

فيها ، ثم نوّعوا به النكال ، وصلبوه ، لما كان في قلوبهم له من البغض لشدّة ظلمه ، فبلغ السلطان ذلك ، فأنكره ، وأرسل الأوجاقية فأوقعوا بالعوام ، وأذاقوهم الضرب والقطع (أي قطع الأيدي) فكان كما يقال : ظالم في حياته ، مشؤوم في وفاته (الدرر الكامنة ١ /٤١٧ و٤١٨) .

وفي السنة ٧٤٨ قتل السلطان حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، خرج عليه قسم من أمرائه ، فحاربهم ، فجرح ، وسقط ، فأخذوه إلى تربة ثم قتلوه هناك (الدرر الكامنة ٢ /٨٣ ـ ٨٥) .

أقول : ولد حاجي في السنة ٧٣٢ وأبوه الناصر محمد في الحجاز ، فسمي حاجي ، وكان أخوه الكامل قد قبض عليه وسجنه وسجن معه أخاه حسيناً ، وذلك في السنة ٧٤٧ وقتل أخاهما يوسف ، وأمر لاجين زوج أمّ حاجي ان يطلّقها ، فطلّقها ، وأمر أن يكون محبس حاجي وحسين بالقرب منه ، ثم ثار الأمراء على الكامل ، فاعتقلوه ، وحبسوه في موضع حاجي ، وأخرجوا حاجي من الحبس ، وسلطنوه ، وكان ذلك في نفس السنة أي في السنة ٧٤٧ وفرح الناس بحاجي أوّل الأمر ، ثم آنعكس مزاجهم لما رأوا لعبه وإقباله على اللهو ، حتى وصلت قيمة عصابة حظيّته اتّفاق التي تلفّها على جبينها مائة ألف دينار ، وبلغت النفقة على حظيرة الحمام سبعين ألف درهم ، ثم باشر بقتل أمرائه فقتل الحجازي ، وآقسنقر ، وقرابغا ، وأغرلوا شادّ الدواوين ، وبيدمر البدري ، والوزير نجم الدين وزير بغداد ، وطقشتمر الدوادار ، وأوصى غلمانه بقتل أمراء آخرين ، فأحسّ هؤلاء بذلك ، فاجتمعوا وحشدوا ، وحاربوه ، وأسروه ، وقتلوه .

وفي السنة ٧٥٠ قُتل أرغون شاه الناصري ، نائب دمشق ، وكان السلطان أبو سعيد أرسله إلى الناصر ، فحظي عنده ، وتأمّر ، وناب في عدّة بلدان ، حتى وصل إلى نيابة دمشق ، ثم برز الأمر بامساكه ، فأمسك وذبح (شذرات الذهب ٦/١٦٦) .

وفي السنة ٧٥٠ رتّب السلطان المجاهد ، صاحب اليمن ، بواسطة القاضي صفي الدين أحمد بن محمد بن عمّار ، مؤامرة ، قتل بها الشيخ عكم بن وهبان صاحب أبيات حسين ، وكان قد خرج عن طاعته ، فلما قتله القاضي ، قطع رأسه ورأس آخر معه ، وخرج بالرأسين إلى السلطان (العقود اللؤلؤية ٢/٨٣) .

وفي السنة ٧٥٢ ذبح ليلاً أحمد بن محمد بن قرصة الأنصاري ، وكان شاعراً هجّاءً ، فسبّب له الهجاء ذهاب روحه ، رحل مرّة من مصر إلى دمشق ، ونزل في بيت منها ، فأصبح مذبوحاً ، لا يدرى من ذبحه ، فقال فيه حسن الزعاري : (الدرر الكامنة ١/٣١٣) .

مات ابن قرصة بعد طول تعرّض	للموت ميتة شرّ كلبٍ نابح
ما زال يشحذ مدية الهجو التي	طلعت عليه طلوع سعد الذابح
حتى فرى ودجيه عبدُ صالحٌ	عقر النطيحة عقر ناقة صالح

وفي السنة ٧٥٣ قتل ذبحاً عثمان بن عبد الرحمن العبد وادي ، من ملوك الدولة العبدواديّة في تلمسان ، وكان قد قام بتلمسان ، فحاربه السلطان أبو عنان المريني ، ففرّ عثمان ، واستتر ، ثم قبض عليه ، وحبس ، فامتنع عن الطعام ليموت جوعاً ، فأمر السلطان أبو عنان بقتله ، فقتل ذبحاً . (الاعلام ٤/٣٦٩) .

وفي السنة ٧٥٣ تآمر بنو عبد الواد ، على عمر بن علي أمير تلمسان للمريني ، فباكره أحدهم بداره ، وانحنى عليه كأنّه يقبّل يده ، ثم طعنه بخنجر ، ففرّ الأمير إلى داخل الدار ، فاتّبعوه وأجهزوا عليه (ابن خلدون ٩/٢٩٠) .

وفي السنة ٧٥٣ عصى الأمير بيبغا أروس نائب حلب ، على السلطان ، وأعانه في ذلك الأمير بكلمش نائب طرابلس ، والأمير أحمد نائب حماة ،

فأمر السلطان بمحاربتهم ، وتوجّه إلى الشام ، ففرّ أولئك الأمراء ، وتوجّهوا إلى بلاد التركمان ، فقطع التركمان رؤوسهم ، وأرسلوها إلى السلطان ، فرسم بأن تعلّق على باب زويلة ، فعلقت ثلاثة أيام (أعلام النبلاء ٢ /٤٣٣و ٤٣٤).

وورد الخبر في الدرر الكامنة كما يلي : وفي السنة ٧٥٤ قتل بحلب الأمير بكلمش الناصري ، وكان ظالماً جائراً ، يتعرّض لحريم الناس ، ثم اشترك مع بيبغاروس في فتنته في السنة ٧٥٣ ثم فرّ إلى دلغادر بمرعش ، فغدر به وسيّره إلى حلب ، فاعتقل ، وقتل فيها في السنة ٧٥٤ وحمل رأسه إلى مصر (الدرر الكامنة ٢ /٢٣) وكذلك جرى مع بيبغاروس فإنّه قتل بحلب مع بكلمش ، وحمل رأسه إلى مصر (الدرر الكامنة ٢ /٤٥).

وفي السنة ٧٥٤ ولي شجاع الدين عمر بن العماد ، على التهائم ، فعسف الشيخ أحمد عمر الأشعري ، عسفاً شديداً ، وطالبه بخمسة آلاف دينار ، فامتنع ، فأصرّ على قتله ، فقصده علي بن الشيخ أحمد ومعه أتباع له ، ودخلوا على الأمير ابن العماد، وقتلوه ، راجع التفصيل في كتاب العقود اللؤلؤية ٢ /٩٤و ٩٥).

وفي السنة ٧٥٥ قتل علي بن الحسن الحلبي « الرافضي » لأنه شقّ الصفوف في الجامع الأموي ، وهو يلعن من ظلم آل محمد ، فانتهره عماد الدين بن كثير ، وأغرى به العامّة ، وقال : إنَّ هذا يسبّ الصحابة ، فحكم نائب المالكي بضرب عنقه ، وضربت عنقه بسوق الخيل ، وأحرق العوامّ جسده (الدرر الكامنة ٣/ ١١٠).

أقول : ذكره صاحب الدرر الكامنة مرة ثانية (٣/١٦٨ و ١٦٩) وسمّاه علي بن أبي الفضل بن محمد بن حسين الحلبي « الرافضي ».

وفي السنة ٧٥٦ ضربت عنق الملك الأشرف بن تيمورتاش ، صاحب

أذربيجان ، بأمر من جاني بك ، صاحب القبجاق ، وكانت مدّة حكمه ١٢ سنة (معجم انساب الاسرات الحاكمة ٣٨٠).

وفي السنة ٧٥٧ قتل ثابت بن محمد الطرابلسي ، أمير طرابلس الغرب ، تسلّل الفرنج إلى طرابلس على هيأة التجّار ، ثم هجموا على البلد وقتلوا كثيراً من أهلها ، واستولوا عليها وحاصروا القلعة ، فهرب ثابت منهم بأن تدلّى بعمامته من القصر ، ففطن له بعض العرب ممن يعاديه ، فقتله (الدرر الكامنة ٢/ ٦٤ ـ ٦٥) .

وفي السنة ٧٥٨ قام جاني بيك ، صاحب بلاد الدشت ، وهو من أحفاد جنكيزخان بقتل الملك الأشرف بن تمرتاش بن جوبان ، وعلّق رأسه في تبريز ، وكان الملك الأشرف ظالماً (تاريخ الغياثي ٨٥) .

وفي السنة ٧٥٩ قتل الأمير طرغتمش الناصري ، وكان قد أفرط في الإدلال ، فاعتقل بأمر السلطان حسن ، وجهّز إلى الإسكندرية مع جماعة من الأمراء نحو العشرة ، فأصبح من دونهم مقتولاً (الدرر الكامنة ٢/ ٣٠٦).

وفي السنة ٧٦١ قتل الحسن بن عمر الفودوي ، الذي كان وزيراً بفاس للسلطان المريني ، أبي عنان فارس بن علي ، ولم يكن الحسن على ولاء مع ولي عهده أبي زيان ، فلما توفي أبو عنان ، أحضر الفودوي طفلاً من ابناء السلطان ، وبايع له بالملك ، وأخذ ولي العهد أبا زيان فقتله ، وطارد بقية أبناء السلطان الآخرين ، فتحرّك أحد إخوان السلطان أبي عنان ، واسمه إبراهيم بن علي ، وآحتلّ العاصمة ، فبايعه الفودوي ، ثم هرب منه ، وأعلن العصيان ، فأسر ، وحمل إلى فاس ، وطيف به على جمل ، وأحضر أمام السلطان إبراهيم ، فأمر فسحب على وجهه، وضرب، ثم قتل. (الأعلام ٢/ ٢٢٦).

وفي السنة ٧٦٢ قتل السلطان المستعين بالله أبو سالم إبراهيم بن أمير

المسلمين أبي الحسن المريني ، سلطان المغرب ، وحمل رأسه إلى وزيره عمر بن عبدالله الفودوي في مخلاة (الأعلام ١/٤٦) أقول : كان أبو سالم إبراهيم يلي سجلماسة في حياة أبيه ، فلما توفّي أبوه ، استولى ولده فارس على السلطنة ، ونفى أبا سالم وأخاه أبا محمد إلى الأندلس ، فاستقرا بغرناطة في السنة ٧٥٢ ، وفي السنة ٧٥٩ توفّي أمير المسلمين فارس ، وخلفه ولده أبو بكر سعيد ، وهو صبيّ ، فخرج أبو سالم ، ولحق بصاحب قشتالة ، وهو يومئذٍ بإشبيلية ، فأعانه بمال وسلاح ، فنزل ببلاد غمارة ، وزحف فاستولى على طنجة وسبتة ، واستولى على المغرب ، فتسلطن ، وكان أوّل ما صنعه أن جمع جميع الأمراء من شجرة أبيه، فالتقط من الصبية من بين مراهق ومحتلم ومستجمع ، طائفة تناهز العشرين ، غلماناً روقة ، فأمر بهم فأغرقوا ، وفي السنة ٧٦٢ ثار عليه وزيره عمر بن عبدالله الفودوي ، ففرّ أبو سالم منه ، ولجأ الى بعض بيوت البادية ، فأمسك، وسيق إلى مصرعه ، وقتل بظاهر البلد (الاحاطة ٣١١-٣١٨).

وفي السنة ٧٦٢ توفّي بردي خان المغلي ، صاحب بلاد الدشت ، فأرسلت جدّته طيطو خاتون إلى قلته خان ، فقررته في المملكة ، فأقام ثمانية أشهر ، وأساء السيرة، فقتلوه ، وقرّروا عوضه نوروزخان ، من أقاربه (الدرر الكامنة ٢/٧).

أقول : جاء في قاموس زامباور معجم أنساب الأسر الحاكمة ص ٣٦٣ إنَّ المتوفى اسمه « بردى بك محمد » وأنه من بني باتو من القبيل الأزرق ، بالقبجاق الغربي ، حكم منذ السنة ٧٥٨، وإنَّ الذي خلفه « قولتا » والذي خلفه « نوروز بك محمد » ولم يعين تاريخاً لانتهاء حكم الأوّل ولتسلّم الآخرين الحكم من بعده .

وفي السنة ٧٦٢ هجم الأمراء بالقاهرة على السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، وخلعوه ، وعذّبوه حتى هلك بعد أيّام ، ودفن في

مصطبة في داره ، وسلطنوا صلاح الدين محمد بن المظفّر حاجي بن الناصر محمد (شذرات الذهب ٦/١٩٦).

أقول : روى صاحب النجوم ازاهرة ١٠/٣١٣ قصّة مقتل السلطان الناصر حسن ، بشكل آخر ، فذكر أنّه في السنة ٧٦٢ قبض على الملك الناصر حسن ومعه ايدمر الدواداري ، وهما في زيّ الأعراب ، يريدان التوجّه إلى الشام ، فحملا إلى يلبغا ، فقتلهما يلبغا قبل طلوع الشمس .

وفي السنة ٧٦٧ قتل أحمد بن محمود بن صدقة الحلبي الأديب ، وكان مشتغلاً بالتصوّف ، فضبطت عليه ألفاظ ، حكم عليه من أجلها القاضي المالكي صدر الدين الدميري ، بالقتل ، فقتل بمشهد من الناس تحت قلعة حلب (الدرر الكامنة ١/٣٣٥ و ٣٣٦).

وفي السنة ٧٦٧ قتل السلطان أويس بن الشيخ حسن الجلائري ، سلطان العراق (ت ٧٧٦) أحمد بن أخيه حسين ، اتهمه بأنّه كان قد حرّض تابعه مرجان الطواشي أمير العراق على العصيان « وسرّ بقتله أهل السنّة لأنّه كان ينصر الرافضة » (الدرر الكامنة ١/١٣٤) .

وفي السنة ٧٦٨ قتل في سجنه الأمير يلبغا بن عبدالله الخاصكي الناصري ، وكان أوّل ما أمّره الناصر حسن ، ثم أنّه قام على أستاذه الناصر حسن حتى قتل ، وتسلطن المنصور محمد بن حاجي ، واستقرّ يلبغا أتابكاً له ، ثم خلعه في السنة ٧٦٤ ونصب الأشرف شعبان ، وزاد يلبغا رفعة ولقّب نظام الملك ، وصار اليه الأمر والنهي ، وهو السلطان في الحقيقة ، والأشرف له الإسم فقط ، وأصبح مماليكه نوّاب السلطنة في البلاد ، واستكثر من المماليك ، فبلغت عدّة مماليكه ثلاثة آلاف مملوك ، وكان يركب في ألف مملوك ، ثم إنَّ مماليكه أجمعوا على قتله ، فحاربهم بليغا ، وأقام سلطاناً جديداً هو أنوك ، أخا الأشرف ، ولكنّ عسكره أنفلّ، ففرّ، ثم عاد طائعاً في

عنقه منديل ، فأمر السلطان بحبسه ، ثم أذن في قتله ، فقتله بعض مماليكه في السجن (الدرر الكامنة ٥/٢١٣ـ ٢١٥) .

وفي السنة ٧٦٨ قتل الأمير أسندمر اليحياوي، نائب السلطنة في طرابلس الشام ، وشاع أنَّ ولده قتله (الدرر الكامنة ١/٤١٣) .

وفي السنة ٧٦٨ قتل الوزير عمر بن عبد الله الفودوي بعد حياة حافلة بالفتك وهو من وزراء الدولة المرينيّة بالمغرب ، وكان يخدم السلطان أبا سالم إبراهيم بن علي ، ثم تنكرّ له ، فاتّفق مع غرسيه بن انطون قائد جند النصارى ، وخلع أبا سالم ، وقتله ، في السنة ٧٦٢ ، وجيء له برأسه في مخلاة ، ونصب للسلطنة فتى معتوهاً من بني مرين واسمه تاشفين ، ثم غدر بغرسية وأصحابه فقتلهم ، ثم خلع تاشفين ونصب مكانه في السنة ٧٦٣ أبا زيان محمد بن يعقوب المريني ثم قتله خنقاً رألقاه في بئر ، وأشاع أنّه سقط في البئر وهو سكران ، وجاء بأمير غيره من بني مرين اسمه عبد العزيز بن علي ، فبايعه ، وكان عبد العزيز يقظاً حازماً ، فأعدّ له جماعة من الخصيان في زوايا داره ، ولما حضر عنده عمر ، أشار إليهم ، فقتلوه هبراً بالسيوف (الاعلام ٥/١٢) .

وروى ابن خلدون ، في تاريخه قصّة مقتل هذا الوزير ، وأقاربه ، وأتباعه ، فقال في السنة ٧٦٨ تشدّد الوزير عمر بن عبدالله بن علي ، في الأستبداد على السلطان أبي فارس عبد العزيز المريني ، سلطان المغرب ، فحجره ، ومنعه من التصرّف ، ومنع الناس من النهوض له ، ثم إنَّ الوزير خطب أميرة مرينية ، وشرط لأهلها أن يولّي أخاها السلطنة ، وبلغ السلطان ذلك، فأعدّ له من يغتاله إذا دخل عليه ، فلما دخل الوزير تناوله أصحاب السلطان هبراً بالسيوف حتى قتلوه ، ثم أمر السلطان باعتقال ابن الوزير وأخيه ، وعمّه ومن يتعلّق بهم ، وقتلوا جميعاً (ابن خلدون ٧/٣٢٣).

وفي السنة ٧٧٠ قبض السلطان الأفضل باليمن على ثمانية عشر شيخاً ،

من مشايخ العنسيّين ، وقتلهم جميعاً (العقود اللؤلؤية ٢/١٣٨).

وفي السنة ٧٧١ قتل الأمير يونس النوروزي ، وكان أثيراً عند الظاهر برقوق ، ولما كانت فتنة يلبغا الناصري ، خرج مع الأمراء الذين جهّزهم الظاهر لمحاربة بليغا وأصحابه ، فانكسر جيش برقوق ، وانهزم الأمير يونس ، مع من انهزم ، فظفر به الأمير عنقاء بن شطي من آل مزين ، فقتله ، وقطع رأسه ، وتقرب به إلى الناصري (الدرر الكامنة ٥/٢٦٤) .

وفي السنة ٧٧٣ رسم السلطان بمصر ، بضرب عنق بعيادة ، مشارف ديوان المواريث الحشرية ، فأعدم (بدائع الزهور ١/٢/١٠٦).

وفي السنة ٧٧٩ قبض على الأمير ينبك بالقاهرة ، وأرسل إلى سجن الاسكندرية « فكان ذلك آخر العهد به » (النجوم الزاهرة ١١/٨ و٥) .

وفي السنة ٧٨٠ أعلن موت الأمير بركة في سجنه بالإسكندرية ، فبعثوا من القاهرة ، من حقّق في أمر موته ، فظهر أنّه قد قتل ، وأنّ قاتله الأمير خليل بن عرام ، نائب الإسكندرية ، فاعتقل ابن عرام ، وحمل إلى القاهرة حيث عرّي من ثيابه، وضرب بالمقارع ستّة وثمانين شيباً ، ثم سمّر على جمل بلعبة تسمير عطب ، وطيف به في البلد ، فهجم عليه جماعة من مماليك بركة ، وهبروه بالسيوف ، فقطعوه قطعاً عديدة ، وتناهبوا أعضاءه ، فأخذ أحدهم أذنه ، والآخر رجله ، وقطع رأسه ، وعلّق بباب زويلة (النجوم الزاهرة ١١/١٨٤ و ١٨٥).

وفي السنة ٧٨٤ اتّفق الأمراء ، وقتلوا السلطان حسين بن أويس بن الشيخ حسن بزرك (الكبير) وأجلسوا مكانه أخاه السلطان أحمد ، وكان السلطان حسين ، مولعاً بحبّ النساء ، واللهو والطرب ، وكان يرتدي ألبسة النساء ويدخل الولائم والأعراس متنكراً ليطّلع على النساء ، فنفرت منه النفوس ، وشكا الأمراء ذلك إلى الأمير زكريا ، فقال لهم : أشكروا الله الذي بلاكم بمن يجعل القناع على رأسه ، ولم يبلكم بمن يجعل القناع على

رؤوسكم ، وكانت مدّة حكم السلطان حسين ثماني سنوات (التاريخ الغياثي ١٠٠ و١٠١).

وفي السنة ٧٨٥ ارتدّ ستة أنفار إلى النصرانية ، بعد إسلامهم ، فضربت أعناقهم تحت المدرسة الصالحيّة بالقاهرة (بدائع الزهور ١/٢/٣٣١).

وفي السنة ٧٨٥ احتال الأمير طغاي تمر ، نائب الكرك ، على الأمير خاطر أمير العربان، فظفر به وبأبنيه الإثنين ، فذبح الثلاثة بيده . (بدائع الزهور ١/٢/ ٣٣١).

وفي السنة ٧٨٥ (أو ٧٨٦)، قتل محمد بن مكي العراقي ، الفقيه الشيعي ، كبير الرافضة (الشيعة) بدمشق ، لإظهاره الرفض ، ضربت عنقه تحت القلعة ، وقتل رفيقه عرفة بطرابلس بتهمة التشيّع أيضاً (نزهة النفوس ٨٨ وتاريخ العراق للعزاوي ٢/١٧٩).

وفي السنة ٧٨٦ أمر السلطان الأشرف ، صاحب اليمن ، بقتل ابن شرف الصنعاني، وكان سفيراً بينه وبين الإمام ، اتّهمه بأنّه خان في سفارته، وأفشى سراً أودعه إيّاه، فقتل (العقود اللؤلؤية ٢/ ١٨٠).

وفي السنة ٧٨٨ هاجم اثنان من الفداوية، الشريف محمد بن أحمد بن عجلان ، أمير مكّة ، وقتلاه طعناً بالخناجر (النجوم الزاهرة ١١/٢٤٦).

وفي السنة ٧٨٩ حصر المستنصر أبو العباس احمد بن إبراهيم المريني ، مدينة فاس ، وفتحها ، وخلع صاحبها الواثق بالله محمد بن أبي الفضل المريني ، وبعث به إلى طنجة ، حيث قتل (الأعلام ٧/٢٢٢).

وفي السنة ٧٨٩ قبض المستنصر أبو العباس احمد بن ابراهيم المريني ، سلطان فاس ، على وزيره مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي ، وعلى إخوته ، وحاشيته ، وعذّبهم، حتى هلكوا جميعاً (الأعلام ٨/١١٢، ١١٣).

وفي السنة ٧٨٩ ضربت عنق ميخائيل الأسلمي بالإسكندرية ، وكان نصرانياً فأسلم ، وعمل تاجر الخاصّ ، ثم قرّر في نظر إسكندرية ، وسبب قتله أتهامه بالزندقة « وشهد عليه بذلك خمسون إلّا واحداً » (شذرات الذهب ٣٠٦/٦ و ٣٠٧) .

وفي السنة ٧٨٩ دخل تيمورلنك إصبهان، « ورمى عليهم مال الأمان » وأرسل عليهم المحصّلين لتحصيله ، فعصوا عليه ، « ومسكوا » المحصلين ، وقتلوهم ، فكرّ عليهم تيمورلنك ، وحاصرهم ، وأخذهم ، وقتل منهم سبعين ألفاً (تاريخ الغياثي ١٨٢) .

وفي السنة ٧٩١ قتل قاضي القضاة شهاب الدين أبو الخير أحمد بن عمر الحموي ، وكان الملك الظاهر قد ولّاه القضاء ، وقدّمه ، فأفتى شهاب الدين بوجوب محاربته ، وقام بنصر أعدائه ، وشهر السيف ، وركب بنفسه ، والمنادي ينادي بين يديه : قوموا انصروا الدولة المنصورية ، بأنفسكم ، وأموالكم ، فإنَّ الظاهر من المفسدين العصاة الخارجين ، فلما انتصر الظاهر ، أخذه وحبسه بالقلعة ، ثم حمل مقيداً إلى قريب من خان شيخون ، وقتل هناك (النجوم الزاهرة ١١/ ٣٨٢ وشذرات الذهب ٢١٥/٦) .

وفي السنة ٧٩١ قتل السلطان غياث الدين سالار تغلق شاه ، سلطان دهلي ، بعد أن حكم ستّة أشهر (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٤٢٣) .

وفي السنة ٧٩١ جاء إلى الكرك ، قاصد من القاهرة، لقتل السلطان الملك الظاهر برقوق ، فآجتمع انصار برقوق ، ووثبوا على القاصد فقتلوه ، وجرّوا برجله إلى حيث الظاهر برقوق ، وقالوا له : دس برجلك على رأس عدوّك . (النجوم الزاهرة ٣٤٩/١١ و ٣٥٠) .

وفي السنة ٧٩٢ قبض السلطان برقوق على مملوك اتّهمه بإثارة الفتنة بين المماليك ، فضرب ضرباً مبرحاً ، وسمّر على جمل ، وشهر ثم سجن

بخزانة شمائل « فلم يعرف له خبر بعد ذلك » يعني أنّه قتل . (النجوم الزاهرة ١٢/١٤).

وفي السنة ٧٩٢ قبض السلطان على عدّة من الأمـراء ، فسجن في قلعة القاهرة ، « وكان ذلك آخر العهد بهم » (النجوم الزاهرة ١٢/٢٧).

وفي السنـة ٧٩٢ أغار جمـاعـة من بني الـدريهم على عبيـد العبـادل ، ليـأخــذوا شيئـاً من مـاشيتهم ، فيـفـدونـه منهم ، وكـان العبيـد على حـذر ، فتقاتلوا ، فقتل أحد مشايخ العبيد ، فانتقم العبيد ، فقتلوا رئيس الحـرس وهو علي بن النهاري ، وكان أبوه شيخ بني الدريهم وكبيرهم ، فلما حمل إلى أبيه قتيلاً ، أقسم أن يقتل به أكبر العبادل ، وكانت العبادل أكثر عدداً وبني الدريهم أكثـر شـرّاً ، ثم وجــدوا غـرّة من الشيــخ علي بن محمـد العجمـي ، شيـخ الاشاعر ، فقتلوه ، وفي السنة ٧٩٦ قتل الشيخ النهاري بن عيسى الأشعـري ، شيـخ بني الدريهم ، قتله أولاد علي بن العجمي ، بـأبيهم ، وقتل معـه الشيخ علي بن جهيض الأشعري (العقود اللؤلؤية ٢/٢١٧ ، ٢٦٠) .

وفي السنة ٧٩٢ قتل الأمير منطاش بدمشق ، الأمير محمـد بن بلبان بن المهمنـدار نائب القلعـة بحلب ، وكان واسـع الثـروة جـداً (الـدرر الكـامنـة ٤/١٧).

وفي السنة ٧٩٣ اعترض السلطان بـرقوق ، الأمـراء المحبوسين، وأفـرد منهم جماعة للقتل ، فأخرجوا من خزانة شمائل ، ومضـوا بهم الجبليّة ، مثـل الحراميّة ، في القيود والباشات ، إلى خارج القاهرة ، بـالترب ، بـالصحراء ، وضربوا رقابهم ، (تاريخ ابن الفرات ٩/٢٥٨) .

وفي السنة ٧٩٣ رسم للأمير علاء الـدين الطبـلاوي (والي القاهرة) أن يتسلّم عدّة من الأمراء ، « ويوقع فيهم قضـاء الله وقدره » فتسلّمهم ، وقتلهم ، وهم صـراي تمـر دوادار منطـاش ، وتكـا الأشـرفي ، ودمـرداش اليــوسفي ،

ودمرداش القشتمري ، وتسلّم أيضاً علي الجركتمري فلم يقتله معهم ، وإنّما عصره وقتله بعد ، وقطلو بك نائب صفد (نزهة النفوس ٣٣٠) ، وفي اليوم التالي لمقتلهم، رسم لوالي القاهرة بعرض المسجونين من المنطاشية (أتباع الأمير منطاش) فعرضوا بين يديه ، فميّز منهم جماعة ورسم للوالي « بانفاذ قضاء الله وقدره فيهم » فقتلوا ، وهم جنتمر أخو طاز ، وولده ، وألطنبغا الجربغاوي ، وتقطاي الطواشي الطشتمري ، وفتح الدين محمد بن الشهيد ، فضربت أعناقهم بالصحراء (نزهة النفوس ٣٣١) .

وفي السنة ٧٩٣ اجتمع القضاة ، وأحضر الأمير الطنبغا الدوادار ، والطنبغا الحلبي ، وادّعي عليها ، فحكم بإراقة دمهما ، وقتلا ، وحمل رأساهما على رمحين ، ونودي عليهما في شوارع القاهرة . (النجوم الزاهرة ١٢/٢٥) .

وفي السنة ٧٩٣ قتل بالقاهرة « بسيف السلطان » الرئيس فتح الدين أبو الفتح محمد بن إبراهيم النابلسي ، كانت ولادته سنة ٧٢٨ (الدرر الكامنة ٣/٣٨٣) .

وفي السنة ٧٩٣ أمر الامام صلاح الدين بن علي ، امام اليمن ، بقتل الفقيه أحمد بن زيد اليمني من رؤساء أهل صعدة ، فاستجار الفقيه بالمصحف ، وحمله على رأسه ، فلم يغن عنه ذلك ، وقتل ، ولحق الإمام به بعد موته بيسير (الدرر الكامنة ١/١٣٤ وشذرات الذهب ٦/٣٢٧) .

وفي السنة ٧٩٤ اعتقل السلطان برقوق ، الأمير قرا دمرداش ، نائب السلطنة في حلب ، « فكان آخر العهد به » أي انّه قتله (الدرر الكامنة ٣/٣٢٩ و٣٣٠) .

وفي السنة ٧٩٣ أرسل سلطان مصر ، إلى دمشق بقتل جانتمر أخي طاز نائب الشام ، وابنه ، والطواشي طقطاي ، والشيخ فتح الله محمد بن الشهيد

الدمشقي ، صاحب ديوان الإنشاء بدمشق ، فضربت أعناقهم في الصحراء . (بدائع الزهور ١/٢/٤٤٥) .

وفي السنة ٧٩٣ أرسل الغنيّ بالله محمد بن يوسف النصري ، صاحب غرناطة ، أتباعه إلى دار وزيره أبي عبد الله محمد بن يوسف ، المعروف بابن زمرك ، فقتلوه في داره ، وهو رافع يديه بالمصحف ، وقتل من وجد معه من بنيه وخدمه ، وكان ابن زمرك قد سعى بأستاذه لسان الدين بن الخطيب فقتل خنقاً . فلقي جزاء عمله . (الاعلام ٨/٢٩) .

وفي السنة ٧٩٣ اطّلع السلطان برقوق ، صاحب مصر والشام ، وهو في الشام ، على خيانة الأمير يلبغا الناصري ، نائب السلطان بدمشق ، فقبض عليه ، وذبحه ، بعد توبيخ كثير ، وقيل إنّ مماليك السلطان هبروا الناصري بالسيوف (تاريخ ابن الفرات ٩/٢٧١) .

أقول : أورد صاحب اعلام النبلاء الخبر بتفصيل أكثر ، قال : في السنة ٧٩٣ قدم السلطان دمشق ، واستصحب معه الأمير يلبغا الناصري ، ثم آمتدّ إلى حلب ، فأقام بها شهوراً ، وفي ليلة عوده ، قتل يلبغا الناصري وثلاثة وعشرين أميراً ، اتّهمهم بالخيانة ، فأحضر يلبغا ، وواجهه بالتهمة ، ووبّخه ، فلم ينطق بحجّة ، وانعقد لسانه عن الكلام ، فأمر السلطان بالقبض عليه وعلى جماعة الأمراء الذين اتّهمهم ، وحبسهم بقلعة حلب ، ثم أمر بقتلهم ، فقتلوا (اعلام النبلاء ٢/٤٧١ و٤٧٢) .

وفي السنة ٧٩٣ قتل كاتب السرّ ، فتح الدين أبو بكر محمد بن إبراهيم النابلسي ، المعروف بابن الشهيد ، وكان قد اشترك في الثورة على الظاهر برقوق ، فلما انتصر برقوق ، اعتقل في دمشق ونقل إلى القاهرة مقيّداً ، وأودع السجن مع أهل الجرائم ، ثم أمر به ، فأخرج إلى ظاهر القاهرة ، فضربت عنقه بالقرب من القلعة (شذرات الذهب ٦/٣٢٩ و٣٣٠) .

وفي السنة ٧٩٤ لما تغيّر الملك الظاهر برقوق ، على الأمير يلبغا نائب حلب ، وقتله ، اعتقل البيري علي بن عبد الله بن يوسف ، كاتب يلبغا ، وأخذه معه إلى القاهرة ، حيث قتله أيضاً . (الاعلام ١٢٢/٥) .

وفي السنة ٧٩٥ قتل أمير قسطموني وسينوب ، الأمير سليمان بن بايزيد بن آل جندارأوغلو الأسفندياري ، بعد أن حكم منذ السنة ٧٨٧ ، قتله السلطان بايزيد العثماني (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٢٢٤) .

وفي السنة ٧٩٥ حصر تيمورلنك قلعة سفيد ، وكانت حصينة للغاية ، حتى قيل إنّ ثلاثة أشخاص من الرجال فيها بإمكانهم أن يمنعوا جيشاً بأكمله ، فشدّد تيمورلنك في حصارها ، حتى فتحها ، وقتل حاكمها محمد آزاد مهتر الذي كان من قبل شاه منصور ، وأخرج السلطان زين العابدين بن شاه شجاع من محبسه في القلعة ، وكان شاه منصور قد سمل عينيه وحبسه في القلعة ، فأطلقه تيمورلنك ، وأنعم عليه ، ووعده بأن « يأخذ حيفه من شاه منصور » (تاريخ الغياثي ١٦٢) .

وفي السنة ٧٩٥ كانت شيراز وأصبهان وأبرقوه لشاه منصور ، وكانت يزد لشاه يحيى وهو مع ولديه فيها ، والسلطان أحمد بكرمان ، والسلطان أبو إسحاق بالسيرجان ، ففتح تيمورلنك شيراز ، وقتل شاه منصور ، ثم طلب حضور جميع أولاد وأسباط آل مظفّر ، فحضر شاه يحيى وأولاده من يزد ، والسلطان أحمد من كرمان ، وأمّا السلطان مهدي بن شاه شجاع ، والسلطان غضنفر بن الشاه منصور ، فقد كانا في شيراز ، وجاء السلطان أبو إسحاق حفيد شاه شجاع من السيرجان ، فأخذهم تيمورلنك معه ، متوجّهاً إلى إصبهان ، وفي الطريق أمر تيمورلنك بقتل جميع آل مظفّر ، فقتلوهم جميعاً ، صغاراً وكباراً ، وما بقي في البلاد من نسلهم قتلهم الولاة ، وكان للسلطان أحمد ، أخي شاه شجاع ولدان صغيران بكرمان ، فأمر متولّي كرمان ، أحد الجلّادين بقتلهما ، فقتلهما (تاريخ الغياثي ١٦٤ و١٦٥) .

وفي السنة ٧٩٧ قتل السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المريني ، وزير ولده الأمير علي بمراكش ، غيظاً منه ، وحنقاً عليه وسبب قتله : أنَّ السلطان يوسف كان قد سخط على اثنين من مشايخ المصامدة فأمر ولده الأمير علي باعتقالهما ، فاعتقلهما مع أولادهما وحاشيتهما ، وكان أحمد بن الملياني، أحد كتاب السلطان ، يحقد على الشيخين المذكورين ، فزوّر كتاباً عن لسان السلطان الى ولده الأمير علي ، يأمره بقتلهما ، فقتلهما ، وفرّ الكاتب ابن الملياني ، على أثر إرسال الكتاب ، إلى الأندلس ، وبعث الأمير علي ، وزيره إلى أبيه يخبره بإنفاذ أمره ، فاشتدَّ غضب السلطان ، لمّا أبلغه الوزير الخبر ، وأمر بالوزير فقتل من فوره ، كما أمر باعتقال ولده الأمير علي ، فاعتقل ، وأمر بالقبض على الكاتب ابن الملياني ، ففاته ، وفرّ إلى الأندلس ، ومات بها (ابن خلدون ٧/ ٢٣١ ، ٢٣٢) .

وفي السنة ٧٩٨ حدثت في مدينة زبيد باليمن ، حوادث قطع طريق ، وبعد البحث ظهر أنَّ جماعة ، يظهرون أنّهم من الفقراء ، يخرجون ليلاً فيسرقون وينهبون ويقطعون الطريق ، ففتشوا مساكنهم ، فوجدوا فيها كثيراً من الثياب الفاخرة ، ووجدوا أنّهم قد أعدّوا لهم طعاماً وهيّأوه للأكل ، مع أنّ الوقت رمضان ، فظهر أنّهم لا يصومون وأنّهم يتزيّون بزيّ الفقراء وأهل الفاقة ، فأمر السلطان بتلفهم ، أي بقتلهم . (العقود اللؤلؤية ٢ /٢٨٦) .

وفي السنة ٧٩٩ وقع الغلاء بدمشق ، وكان بها أمير يقال له ابن النشو ، كان يشتري الغلال ويخزنها حتى يبيعها بالسعر الزايد ، فاجتمع العوامّ وحصل بينهم وبينه كلام ، وهو راكب ، فرجموه ، ورموه عن فرسه ، وقتلوه ، وذبحوه ، وقطعوا رأسه ثم أحرقوه بالنار ، ولم ينتصر له نائب دمشق ولا أحد من أمرائها (تاريخ ابن الفرات ٩ /٤٦٢) .

وفي السنة ٨٠١ أرسل تيمورلنك إلى السلطان احمد بن أويس ، ببغداد ، أحد قوّاده واسمه شروان ، فتظاهر بأنّه قد فرّ من تيمور ، لاجئاً إلى

السلطان أحمد بن أويس ، فأكرمه ، وأقطعه ، ثم عثر أحد خدم السلطان على ورقة بخط شروان ، بالمبالغ التي وهبها إلى قوّاد السلطان أحمد ، ليحوزهم إلى جانبه ، فقدّم الخادم الورقة إلى السلطان أحمد ، وكان من جملة الأسماء المدوّنة في تلك الورقة ، اسم الخادم الذي قدّمها للسلطان ، ومقدار ما أخذه من شروان ، فقتل السلطان ذلك الخادم بيده ، ثم أمر بعض القوّاد بقتل شروان ، فقتلوه ، ثم قتل جميع القواد الذي وردت أسماؤهم في تلك الورقة ، وذلك بأن يقول للقائد : إذهب فاقتل القائد الفلاني ، ولك بيته وماله ، فيقتله ويستولي على جميع ما يعود له ، ثم يرسل من يقتل ذلك القائد ، وهكذا قتل القوّاد واحداً بعد الآخر ، حتى قتل في أسبوع واحد ، أكثر من ألفي نفس من أمرائه وأقاربه ومقرّبيه ، حتى أنّه قتل عمّته وفاخاتون ، وكانت بمثابة أمّه ، وهي التي ربته منذ نعومة أظافره ، كما قتل أكثر حريمه وخدمه الذين كانوا عنده ، قتلهم بيده ، وألقاهم في دجلة (تاريخ الغياثي ١١٩- ١٢١).

وفي السنة ٨٠١ قتل إبراهيم بن برية ، مستوفي البيمارستان المنصوري ، وكان مسيحياً من كتّاب الأقباط ، أسلم ، ثم ارتدّ عن الإسلام ، وعرض عليه الرجوع مراراً فأبى ، وأصرّ ، ولم يبد سبباً لذلك ، فضربت عنقه بباب القلة من القلعة بحضرة الطواشي شاهين الحسني أحد خاصكية السلطان (الضوء اللامع ١/٣٣) .

وفي السنة ٨٠٢ قتل السلطان أبو سعيد المريني ، صاحب أعنّته ، القائد عبد الرحمن بن أحمد القبائلي ، وقتل معه أباه . (الاعلام ٤/٦٧) .

ولما فتح تيمورلنك بغداد للمرة الثانية ، في السنة ٨٠٣ أمر كلّ نفر من عساكره بأن يحضر رأس إنسان ، وقال أحد الأمراء ، وكان أسيراً عند تيمورلنك ، إنّه أمر كلّ واحد من عسكره أن يحضر رأسين ، بحيث كان الواحد منهم إذا عجز عن إحضار رأسين يقطع رأس امرأة ، ويزيل شعرها ،

وقد اختلفت تقديرات المؤرخين في مقدار القتلى من بغداد في هذه الـواقعة ، فقدروا القتلى ما بين تسعين ألفـاً إلى مائتين وخمسين ألفاً ، وهذه التقـديرات تدلّ على ضخامة عدد القتلى (تاريخ الغياثي ١٢٦ـ ١٢٧) .

أقول : لما بارح السلطان أحمد بن أويس بغداد في السنة ٨٠٢ فارّاً من تيمـورلنك ، تـرك بغـداد في عهـدة شخص من قـواده ، اسمـه فـرج ، لضبط أمورها ، وتوجّه أحمد مع قره يوسف إلى الروم ، فقام فرج بمقاومة تيمورلنـك لما حصر بغداد ، فإنَّ جند تيمورلنك لما طلبوا تسليم البلد ، قال لهم فـرج : إنَّ السلطان أحمـد أمرني أن لا أسلّم بغـداد إلَّا إذا حضر تيمـورلنك بنفسـه ، وأخبروا تيمورلنك بقوله ، فقدم وأرسل إلى فرج يخبره بحضوره ، فأنكر فـرج صحـة مجيئه ، فسـأل تيمور أن يبعثـوا شخصاً يثق بـه أهل بغـداد ، فـذكـروا شخصاً اسمه الشيخ بشّـار من محلة أبي حنيفـة الإمام الأعـظم ، قالـوا إنَّهم يعتقدون فيه ، فأحضره تيمورلنك ، وجاء معه إلى خارج السور ، فقـال الشيخ بشّـار لفرج وللحـاضـرين معـه ، وحلف لهم على مصحف كـان معـه ، بـأنَّ تيمـورلنك مـوجود إلى جـانبـه ، فكـذّبـه فـرج ومن معـه ، وشتمـوه ، ورمـوه بالنشّاب ، وعندئذٍ شدّد تيمورلنك الحصار على بغداد واستولى عليها في السنة ٨٠٣ ، وكانت عاقبة فرج أن مات غرقاً (تاريخ الغياثي ١٢٣ـ ١٢٥) .

وفي السنـة ٨٠٢ قتل الأميـر نـوروز الـظاهـري ، كـانت اليـه حجـوبيّـة دمشق ، فقتله نائب السلطنة بها الأمير تنم الحسني بعـد خروجـه على الناصـر فرج (الضوء اللامع ١٠/٢٠٥) .

وفي السنة ٨٠٢ قتل بقلعة دمشق ، الأمير طيفـور الظاهـري ، وكان في حجوبيّة دمشق الكبرى ، وكان ممن وافق تنم الحسني على العصيان ، فقبض عليه ، وقتل بالقلعة (الضوء اللامع ٤/١٤) .

وفي السنة ٨٠٢ قتل الأمير أقبغا الطولوني علاء الدين الظاهري ، وكـان

قتله مع الأمير إيتمش، وكان قد عيّن لنيابة غزّة ، ثم أمسك قبل دخوله إليها ، وحمل إلى قلعة الصبيبة فاعتقل بها ، ثم قتل (الضوء اللامع ٢/٣١٨).

وفي السنة ٨٠٢ قتل الأمير أرغون شاه ، والأمير إيتمش بقلعة دمشق ، وكان أرغون شاه أسيراً عند الظاهر برقوق (الضوء اللامع ٢/٢٦٧).

وفي السنة ٨٠٢ قتل الأمير ألطنبغا شادي من مماليك يلبغا العمري، قتل مع ايتمش البجاسي (الضوء اللامع ٢/٣٢٠).

وفي السنة ٨٠٢ قتل بقلعة دمشق الأمير ايتمش البجاسي الجركسي أتابك العسكر في أيام الظاهر برقوق ، وكان مقدّم العسكر الذي جهزه برقوق لقتال يلبغا الناصري ، فظفر به يلبغا وحبس بدمشق ، ثم أطلق لما عاد حكم برقوق ، وجعله المنظم في الدولة ، وقتل بعد موت برقوق (الضوء اللامع ٢/٣٢٤).

وفي السنة ٨٠٢ قتل الأمير يعقوب شاه الظاهري ، وكان قتله بقلعة دمشق ، وقد أناف على الثلاثين (الضوء اللامع ١٠/٢٨١).

وفي السنة ٨٠٢ قتل في محبسه بقلعة دمشق ، الأمير يونس الظاهري ، لخروجه مع تنم الحسني نائب الشام ، وكان ظالماً غشوماً ، قتل جماعة من طرابلس ، ولما عصى مع تنم ، قتل قاضي طرابلس المالكي ، وقاضيها الحنفي ، وخطيبها (الضوء اللامع ١٠/٣٤٦).

وفي السنة ٨٠٢ قتل الأمير سيف الدين تنم ، بدمشق ، وكان قد قصد مصر ليتسلطن ، فاشتبك مع الأمراء المصريّين في معركة بالرملة ، انكسر على أثرها وأسر ، فحمل إلى دمشق ، وقتل فيها (الضوء اللامع ٣/٤٤).

وفي السنة ٨٠٢ وافى تيمورلنك مرج دابق ، وجهّز رسولاً إلى حلب ، فأمر سودون نائب السلطنة بحلب بقتل الرسول ، فقتل ، فحصر تيمورلنك

حلب ، وفتحها عنوة ، فلجأ النساء والأطفال إلى الجوامع والمساجد ، فلم يجدهم ذلك ، واستمرّ القتل والأسر في أهالي حلب ، فقتلوا الرجال ، وسبوا النساء والأطفال ، وقتل خلق كثير من الأطفال تحت حوافر الخيل وعلى الطرقات ، وأحرقت المدينة ، ثم رحل إلى دمشق ، فاستولى عليها ، وصنع بها أعظم مما فعله بحلب ، ونهب المدينة ، وخرّبها خراباً فاحشاً ، ولم يصل تخريب هولاكو للشام إلى قريب مما حصل في أيام تيمور ، ثم عاد إلى حلب فأحرقها مرّة ثانية ، وقتلوا، وسبوا ، وأسروا (الضوء اللامع ٣/٤٦-٤٨) .

وفي السنة ٨٠٣ قتل بغزّة علاء الدين علي بن عبدالله الطبلاوي ، وكانت إليه جميع الأمور في دولة الظاهر برقوق ، ثم غضب عليه السلطان ، فقبض عليه وعلى ابن عمّه ناصر الدين شادّ الدواوين وعلى أخيه ناصر الدين والي القاهرة ، فاجتمع العامّة بالرميلة ، ورفعوا المصاحف والأعلام ، وطالبوا بإطلاقه وإعادته ، فقوبلوا بالضرب والشتم ، فتفرّقوا ، وأرسله الأمير يلبغا ، راكباً على فرس ، وفي عنقه باشة حديد ، فسلّم اليه ما عنده من أموال وعروض ، ثم طلب الحضور بين يدي السلطان ، ليسرّ اليه كلاماً ، فأبى السلطان ، فأخرج الطبلاوي سكيناً وطعن بها نفسه ، ثم ضربه يلبغا مجدداً ، وسجن بالخزانة ، ثم أطلق ، ففرج به العامة ، وزيّنوا له البلد ، وأكثروا من الخلوق بالزعفران ، فنفاه السلطان إلى الكرك ، وقتل بغزّة (الضوء اللامع ٥/٢٥٢ و ٢٥٣) .

وفي السنة ٨٠٣ قتل الفقيه شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد المعرّي ، قتله تيمورلنك، لأنّه لقيه بكلام شديد (الضوء اللامع ٧/١٣) .

وفي السنة ٨٠٣ حصر تيمورلنك قلعة النجق بنفسه ، وكانت عساكره تحصرها منذ عشر سنوات ، فلما حصرها بنفسه استولى عليها ، وأحضروا أمامه كوتوال القلعة (الكوتوال : هندية ، بمعنى محافظ أو حامي) فأمر تيمورلنك بقتله ، فقتل (تاريخ الغياثي ٢٠١) .

وفي السنة ٨٠٣ قتل الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الحافظ الذهبي ، أخذه العسكر التيموري ، فقتلوه (شذرات الذهب ٣٦/٧) .

وفي السنة ٨٠٤ قتل فضل الله التبريزي ، صاحب النحلة المسمّاة بالحروفيّة ، وكان ملتجئاً إلى أمير زاده بن تيمورلنك ، وأمر تيمورلنك ولده أمير زاده بقتله ، فقتله بيده ، وبعث برأسه وجثّته إلى أبيه تيمورلنك فأحرقهما ، ونشأ في أتباعه واحد يقال له نسيم الدين ، وكان بحلب ، فأمر المؤيّد بقتله ، فقتل ، وسلخ جلده في السنة ٨٢١ (الضوء اللامع ١٧٣/٦) .

وفي السنة ٨٠٤ كان أمير زاده بن تيمورلنك ، يحكم أذربيجان ، وقتل بيده فضل الله التبريزي ، بأمر من أبيه تيمور ، وكان لفضل الله اتباع ومريدون ، فوثب اثنان من مريدي فضل الله ، على أمير زاده في الجامع ، وقت صلاة الجمعة ، وجرحاه جرحاً بالغاً لزم من أجله الفراش مدّة طويلة ، وقتل الرجلان شرّ قتلة (الضوء اللامع ١٧٤/٦) .

وفي السنة ٨٠٤ فتح تميورلنك بغداد ، وأمر كلّ نفر من عسكره أن يحضر له رأساً ، وبنى منائر من الرؤوس المقطوعة ، وأخرب عسكره البيوت وأحرقوها ، وأخربوا العمارات والمساكن (التاريخ الغياثي ٢٠٣) .

أقول : سبق للغياثي أن ذكر أنّ تيمورلنك فتح بغداد في السنة ٨٠٣ راجع الصحيفة ١٢٣ ـ ١٢٥ وهو التاريخ الصحيح ، فإن تيمورلنك استولى على بغداد ثانية في ٢٧ ذي القعدة سنة ٨٠٣ راجع معجم زامباور لأنساب الأسر الحاكمة .

وفي السنة ٨٠٥ قتل الأمير قرقماس الظاهري في دمشق ، بسيف السلطان الناصر ، وكان قد أراد الإلتجاء إلى نائب السلطنة بحلب ، فأمسك في بعلبك ، وجيء به إلى دمشق ، فحبسه نائبها ، ثم جاء المرسوم بقتله ، فقتل وقتل معه جماعة من المماليك (الضوء اللامع ٢١٨/٦) .

وفي السنة ٨٠٦ جيء إلى تيمورلنك بالأمير نور الورد ، ابن السلطان

أحمد ، سلطان العراق، وكان نور الورد شاباً في الثامنة عشرة ، فأمر تيمورلنك بقتله ، فقتل (التاريخ الغياثي ١٣٠).

وفي السنة ٨٠٦ قتل بقلعة المرقب ، بالإسكندرية ، الأمير سودون طاز ، وكان عظيماً في دولة الناصر بن برقوق ، ثم فسد ، ما بينهما ، فخرج بمماليكه مطالباً بعزل الأمير يشبك، فلم يجب إلى ذلك ، وخرج الناصر لمحاربته ، فاذعن الأمير سودون واستسلم ، فحمل إلى إسكندرية ، وقتل هناك في حبسه (الضوء اللامع ٣/ ٢٨٠ ، ٢٨١).

وفي السنة ٨٠٧ خرج السلطان الناصر من مصر وقصد الشام لقتال الأمير شيخ الذي عصى عليه ، فانكسر الناصر ، وقبض شيخ على الأمير صرق الظاهري فأمر به ، فقتل بين يديه صبراً (الضوء اللامع ٣/٣٢٢).

وفي السنة ٨٠٨ قتل السلطان جكم ، الأمير دقماق الظاهري ، نائب حماة ، صبراً بظاهرها (الضوء اللامع ٣/٢١٨) .

وفي السنة ٨٠٨ قتل الأمير دقماق المحمدي ، كافل حماة ، حاصره شيخ وجكم ، واشتبكا معه في معركة ، فانكسر دقماق، وأحضر بين يدي جكم ، فقتله (اعلام النبلاء ٥/ ١٥٠).

وفي السنة ٨٠٨ قتل الأمير نعير بن حيار بن مهنّا ، أمير آل فضل بالشام ، وكان قد أجار الأمير منطاش لما انكسر في معركته مع برقوق ، ثم أغراه برقوق بالمواعيد، فأسلم منطاشاً ، وعدّ ذلك عليه عيباً عظيماً ، ثم جرت بينه وبين الأمير جكم حرب ، فانكسر نعير ، وجيء به إلى حلب ، فقتل ، وقد نيف على السبعين (اعلام النبلاء ٥/١٤٨).

وفي السنة ٨٠٩ قتل الأمير جكم ، وكان قد خرج على الظاهر برقوق ، وأعلن نفسه سلطاناً ، وقصد مدينة آمد ، وحارب صاحبها قرايلك، فانكسر قرايلك ، وسقط ولده ابراهيم أسيراً في يد جكم ، فقتله بيده ، ثم اقتحم

جكم بعساكره أرضاً موحلة ، فوحلت فرسه ، فرجمه التركمان حتى قتلوه ، وقطع قرايلك رأسه وبعث به إلى الظاهر برقوق (أعلام النبلاء ٥/١٥١-١٥٦).

وفي السنة ٨٠٩ قتل اميران شاه بن تيمور كوركان (تيمورلنك)، والد خليل ، وكان أبوه أي تيمور كوركان قد ولّاه أذربيجان ، وجعل معه أخويه أبا بكر وعمر ، وجماعة من امرائه، وكانت تخته تبريز ، وقتل بعده ولده (الضوء اللامع ٢/٣٢١).

وفي السنة ٨١٠ قبض على الأمير سودون الظاهري ، وسجن بالإسكندرية ، ثم قتل بأمر السلطان (الضوء اللامع ٣/٢٧٥).

وفي السنة ٨١٠ قتل الأمير يشبك الشعباني ، قتله الأمير نوروز على بعلبك ، وأرسل برأسه إلى السلطان الناصر ، فطيف بها ، وعلّقت أياماً (الضوء اللامع ١٠/٢٧٩).

وفي السنة ٨١٠ ضربت عنق والي الفيوم ، بين يدي الاستادار جمال الدين (بدائع الزهور ١/٢/ ٧٧٧).

وفي السنة ٨١١ قتل بأمر السلطان الناصر ، الأمير سودون المارداني ، وكان دوا داراً كبيراً ، وكان ممن قاتل السلطان الناصر ، لما أراد الناصر الطلوع إلى القلعة . فلما ظفر الناصر اعتقله ، وحبسه بالإسكندرية ، ثم قتله في محبسه (الضوء اللامع ٣/٢٨٥).

وفي السنة ٨١٢ قتل الوزير جمال الدين يوسف بن أحمد البيري ، وكان عظيماً في الدولة ، بحيث أصبح مرجعاً في الإقليمين المصري والشامي (شذرات الذهب ٧/١٠٠).

وفي السنة ٨١٢ قتل بالقاهرة شريف ، لأنّه جرى تعزيره ، فقال: قد ابتلي الأنبياء ، فزجر عن هذا القول ، فقال : قد جرى على رسول الله ﷺ

في حارة اليهود أكره من هذا ، فاستفتي في حقّه ، فافتوا بكفره ، فضربت عنقه بين القصرين بحكم القاضي المالكي شمس الدين المدني (شذرات الذهب ٧/٩٦).

أقول : ما اجرأ هذا القاضي المالكي على دماء الناس .

وفي السنة ٨١٢ قتل الأمير إينال الصصلاي ، نائب السلطنة بحلب ، وكان قد وليها عن المؤيّد، ثم عصى عليه ، فقتل بقلعة حلب (الضوء اللامع ٢/٣٢٧).

وفي السنة ٨١٢ غضب السلطان على الأمير بلاط أحد المقدّمين بالقاهرة ، فأمر به فحبس بالإسكندرية ، ثم أخرج منها إلى دمياط ، فقتل في الطريق (الضوء اللامع ٣/١٨).

وفي السنة ٨١٣ قتل السلطان أحمد بن أويس ، قتله قرا يوسف صاحب تبريز حصره ببغداد ، وحاربه ، وأسره ، فقتله ، وكان قد خلف في السلطنة أخاه الشيخ حسين بن أويس في السنة ٧٨٤ وكان سلطاناً فاتكاً سفاكاً للدماء ، وعنده جور وظلم (شذرات الذهب ٧/١٠١).

وفي السنة ٨١٣ دخل شاه محمد بن قرا يوسف بغداد ، وكان ببغداد الشيخ أحمد السهروردي، وله ولد هو عمل غير صالح ، فسعى بأبيه عند شاه محمد وأخبره بأنّه يتقوّل بأنّ السلطان أحمد ـ خصم قره يوسف ـ ما زال حياً ، فأمر شاه محمد ،باحضار الشيخ أحمد ، فأحضروه ، وسألوه، فأنكر ،فبهته الولد وأصرّ على السعي بأبيه ، فقال له شاه محمد : إن كنت صادقاً ، فخذ هذا السيف واقتل به أباك ، فأخذ السيف ، وقطع عنق أبيه ، فأمر شاه محمد بالولد ، فأحرق (التاريخ الغياثي ٢٤٧).

وفي السنة ٨١٤ أخذ السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق ، يذبح مماليك أبيه بيده مثل الغنم ، ثم قبض على جماعة من الأمراء ، فوسّط

منهم خمسة ، وغرّق الباقين ، وذبح عشرين **مملوكاً من مماليك** أبيه ، ووسط تحت القلعة خمسة عشر مملوكاً ، ثم ذبح ليلاً مائة مملوك من الجراكسة ، ثم نزل في الصباح ، وقتل عشرة آخرين ، ثم نادى للمماليك الظاهرية بالأمان ، فظهروا ، وقبض عليهم وسجنهم ، وفي ليلة واحدة ذبح منهم مائة وعشرين مملوكاً ، ثم صار يذبح منهم في كلّ ليلة ، ويرميهم من سور القلعة (بدائع الزهور ١/٢/ ٨١٢- ٨١٤).

وفي السنة ٨١٤ قتل أمير ينبع ، الأمير وبير بن نخبار بن محمد الحسني ، وكان قتله غيلة ، فقتل أخوه مقبل ، وابنه علي ، قتلى كثيرة ممن أتهموهم بقتله ، واستقر في أمرة ينبع من بعده أخوه مقبل ، وبعد سبع عشرة سنة خلع ، ونصب في موضعه عقيل بن وبير (الضوء اللامع ١٠/ ٢١٠) .

وفي السنة ٨١٤ قبض السلطان الناصر ، على الأمير قانبك الظاهري ، وقتله (الضوء اللامع ٦/١٩٨).

وقتل في السنة ٨١٤ بالإسكندرية ، الأمير يشبك الظاهري ، وكان قد ولي نيابة غزّة، فظلم أهلها ظلماً فاحشاً (الضوء اللامع ١٠/ ٢٨٠).

وقتل في السنة ٨١٤ يحيى بن غريب شاه ، ويلقّب خان جهان ، وزير صاحب الهند الغياث أبي المظفر أعظم شاه بن اسكندر شاه (الضوء اللامع ١٠/ ٢٤٠).

وفي السنة ٨١٥ قتل الأمير قانباي العمري ، قتله الأمير سنبغا نائب الغيبة بالقاهرة ، وكان السلطان الناصر ، خارج الديار المصرية ، وكان الأمير قانباي مسجوناً بأمر الناصر ، فلما انكسر الناصر بادر سنبغا فقتل الأمير قانباي ، قيل أنّه قتله من دون أمر الناصر ، وقيل أنّه قتله بناء على أمر منه ، فلما تسلطن المؤيّد ، وقفت أمّ قانباي ، وهي أخت الظاهر برقوق للسلطان ،

فأمر المؤيّد بقتل سنبغا ، فقتل بمحضر من أمّ قانباي ، فهجمت على جثته ونهشت كبده (الضوء اللامع ٦/١٩٦).

وفي السنة ٨١٦ قتل الأمير العجل بن نعير ، أمير آل فضل بالشام والعراق ، وكان قد خرج عن طاعة أبيه في السنة ٨٠٦ وأعان جكم لما خرج على الظاهر برقوق ، وظلّ يقاتل بين يديه إلى أن قتل على يد طوخ ، وحمل رأسه ، فعلّق على باب قلعة حلب وهو ابن ثلاثين سنة (إعلام النبلاء ١٦٧/٥).

وفي السنة ٨١٦ قتل الأمير فضل بن عيسى بن رملة بن جماز، أمير آل علي ، قتله الأمير نوروز ، وكان الأمير فضل ممن نصر برقوق لما خرج من الكرك ، فصار وجيهاً عنده ، ودامت إمارته خمساً وثلاثين سنة (الضوء اللامع ١٧٤/٦).

وفي السنة ٨١٦ أمر المؤيّد شيخ بحبس الأميرين تغري بردي وأخيه قرقماس بالإسكندرية، وقتلهما، ثم أمر في السنة ٨١٨ بقتل عمّهما الأمير دمرداش المحمدي (الضوء اللامع ٦/٢١٩).

وفي السنة ٨١٦ ظهر بدمشق ، رجل ادّعى أنّه السفياني ، وكان من الفقهاء ، فأطاعه جماعة ، وسامحهم بخراج سنة ، وصار يكتب في مراسيمه تحت البسملة ، من السفياني الملك الأعظم ، ثم قبض عليه نوروز نائب الشام وقتله (بدائع الزهور ٢/٧).

وفي السنة ٨١٧ قتل ذبحاً ، الأمير طوخ الظاهري ، نائب السلطنة بحلب ، وكان قد عصى على الناصر ابن استاذه برقوق ، وانضمّ لشيخ ونوروز ، فلما اقتسما البلاد ولّاه نوروز نيابة حلب ، وكان معه على المؤيّد ، فلما انتصر المؤيّد، قبض عليه ، وقتله ذبحاً بقلعة دمشق (الضوء اللامع ٤/٩).

وفي السنة ٨١٧ قتل الأمير يشبك بن أزدمر الظاهري ، نائب السلطنة

بحلب، قتله المؤيّد وقتل معه صاحبه الأمير نوروز الحافظي ، وكان الأمير يشبك شجاعاً ، اشترك في المعركة التي دارت مع تيمورلنك ، فقتل أبوه ، وحمل أسيراً الى تيمورلنك وفي بدنه ما يزيد على ثلاثين جرحاً بين ضربة سيف وطعنة رمح ، فأعجب به تيمورلنك ، وأمر بالعناية به وبمداواته، فعولج حتى شفي ، ثم هرب وعاد إلى الناصر (الضوء اللامع ١٠/ ٢٧٠).

أقول: عاد صاحب الضوء اللامع (٢٧٩/١٠) فذكّر أن الأمير يشبك ، نائب السلطنة بحلب ، قتل في السنة ٨٢٤، وهو التاريخ الصحيح لمقتله ، وأيّد ذلك صاحب كتاب اعلام النبلاء (٣/١٣ـ ١٥) أمّا كيفية مقتله فذكر أنّ السلطان المؤيّد توفّي في السنة ٨٢٤ والعساكر المصرية بحلب ، فلما بلغهم خبر وفاة السلطان ، اتّفقوا على العودة إلى دمشق ، تركوا حلب ، فبدا للأمير يشبك أن يلحق بهم ويطوّقهم (ولعلّه طمع في السلطنة)، فخلّى سماط طعامه ، وخرج لمواقعتهم، فقتل، وحمل رأسه إلى القرمشي رأس المماليك السلطانية ، فعاد القرمشي إلى حلب ، ووجد سماط طعام يشبك حاضراً قد مدّ ، فأكله ومن معه .

وفي السنة ٨١٧ قتل السلطان المؤيد ، الأمير قمش أحد الأمراء المقدّمين من مماليك الظاهر برقوق ، وكان نائب السلطنة بطرابلس (الضوء اللامع ٦/ ٢٢٥).

وفي السنة ٨١٧ قتل السلطان المؤيّد ، الأمير برصيغا ، أحد مقدّمي الظاهرية وكان خيّراً عاقلاً يحفظ القرآن (الضوء اللامع ٣/ ١٠).

وفي السنة ٨١٨ قتل الأمير سودون المحمدي الظاهري ، وكان السلطان شيخ قد اعتقله ، وحبسه بالإسكندرية ، ثم قتل في محبسه (الضوء اللامع ٢٨٥/٣).

وفي السنة ٨١٨ قتل الأمير طوغان الظاهري ، في سجنه بالإسكندرية ،

وكان دواداراً كبيراً ، وأرسله الناصر ، سلطان مصر ، لمحاربة شيخ ونوروز مع أمراء آخرين ، فخامر على الناصر ، وانحاز إلى شيخ ونوروز ، فلما ظفر شيخ ، تزايدت عظمته جداً ، ثم اتفق مع بعض المماليك « وركبوا على السلطان » وانتظر من تواعد معه فلم يحضر أحد ، فاختفى ، ثم وجد بمصر القديمة ، وحمل إلى القلعة ، ثم حمل إلى الإسكندرية ، حيث سجن فيها ، ثم قتل (الضوء اللامع ٤/١١).

وفي السنة ٨١٨ قتل الأمير قانباي الظاهري ، ويعرف بقانباي الصغير ، وكانت إليه نيابة السلطنة بدمشق ، فعصى على السلطان، وحاربه ، وإنكسر ، وقبض عليه ، وقتل بقلعة دمشق (الضوء اللامع ٦/١٩٦).

أقول : أورد صاحب خطط الشام ٢/١٩٥ و ١٩٦ الخبر بتفصيل أوفى ، قال : في السنة ٨١٨ أعلن الأمير قانباي المحمدي ، نائب دمشق ، والأمير إينال الصصلاني ، نائب حلب ، العصيان على الملك شيخ ، الملك المؤيّد ، فخرج اليهم المؤيّد شيخ من مصر ، وواقعهم ، فانتصر عليهم ، وقبض على الأمير قانباي المحمدي ، نائب الشام ، فقطع رأسه ، ثم قبض على الأمير إينال الصصلاني ، وقتله على صدر أبيه ، ثم قتل الأب من بعد ذلك .

وفي السنة ٨١٨ قتل بالإسكندرية الأمير دمرداش الظاهري ، نائب السلطنة في حلب (الضوء اللامع ٣/٢١٩).

وفي السنة ٨١٨ قتل الأمير أسنبغا الزردكاش ، إذ قبض عليه ، وحبس بالإسكندرية ، ثم قتل في حبسه (الضوء اللامع ٢/٣١٢).

وفي السنة ٨٢٠ قتل الأمير أقباي المؤيدي ، نائب السلطنة بالشام ، وكان قتله بالقلعة بدمشق ، بأمر من السلطان الملك المؤيّد (الضوء اللامع ٢/٣١٤).

وفي السنة ٨٢١ قتل في حبسه الأمير أقبغا شيطان علاء الدين الظاهري، وكانت اليه حسبة القاهرة وشدّ الدواوين ، قبض عليه ، وحبس، ثم قتل (الضوء اللامع ٢ /٣١٨) .

وفي السنة ٢٨٣ قتل القاضي بدر الدين محمد بن إسرائيل ، المعروف بآبن قاضي سماونة ، اتهم بأنّه يسعى ليتسلطن ، فأخذ ، وقتل بسيروز (الاعلام ٨ /١٠- ٤١) .

وفي السنة ٨٢٣ قتل أبو سعيد عثمان بن أحمد المريني ، صاحب المغرب ، بويع في السنة ٨٠٠ وقتله وزيره عبد العزيز اللبابي . (الاعلام ٤ /٣٦٢) .

وفي السنة ٨٢٤ قتل بحبس الإسكندرية ، الأمير جلبان المؤيّدي ، أحد المقدّمين في الدولة المؤيّدية بمصر (الضوء اللامع ٣ /٧٨) .

وفي السنة ٨٢٤ قتل صبراً ، بقلعة دمشق ، الأمير جقمق سيف الدين التركماني ، وكان يلي دمشق ، فأظهر العصيان ، فاعتقله الأمير ططر ، وحبسه بقلعة دمشق ، وعصره ، ثم أمر بقتله فقتل صبراً (الضوء اللامع ٣ /٧٤ و٧٥) .

وفي السنة ٨٢٤ قتل الأمير قجعار الحسني ، قبض عليه الأمير ططر ، وحبسه بالإسكندرية ثم قتله (الضوء اللامع ٦ /٦١٢) .

وفي السنة ٨٢٤ قتل الأمير الطنبغا سيف الدين القرمشي ، وكان قد استولى على حلب ثم قصد دمشق، وجاء العسكر المصري ، فاستقبلهم القرمشي ، وعانق زعيمهم الأمير ططر ، فخلع عليه ، وصعد إلى القلعة ، فأمر ططر بالقبض على الطنبغا ، فاعتقل ، وقتل (الضوء اللامع ٢ /٣١٩) .

وفي السنة ٨٢٥ تشوّش شاه محمد بن قرا يوسف ، سلطان بغداد ، من جماعة من أصحابه ، فاعتقلهم ، وقتلهم ، وكان شاه محمد في أوّل حكمه

بغداد ، في حال حسنه ، ثم اختلّ عقله ، وقال : أنا لا احتاج إلى عسكر ، يكفيني للحماية نهر دجلة وسور بغداد ، وفضّ عساكره ، ثم ترك مطالبة الناس بالخراج ، ثم اشتبه بقسم من أصحابه ، فقبض عليهم ، وأحضرهم إلى شاطىء الدجلة، تحت القلندرخانه ، وجلس يشرب الخمر ، وكان الفصل صيفاً ، ضحوة النهار ، وطلب من يقتلهم ، وكان مع المعتقلين اثنان من الحمالين ، فقال لأحدهما : اقتل هؤلاء وأطلقك ، فلم يفعل ، فقام الآخر وقتلهم ، وهم أحد عشر نفراً ، وقتل معهم الحمّال الذي لم يرض بقتلهم ، فأطلق شاه محمد الحمّال القاتل ، فقال له : أخاف أن أخرج إلى الناس فيقتلوني ، فوضعه في سفينة عبرت به إلى الجانب الغربي (تاريخ الغياثي ٢٤٧ـ ٢٥٠) .

وكان ثمة مودّة بين الشاه علي بن الشاه محمد صاحب بغداد وبين خواجه ولي وأبصر الشاه علي صاحبه خواجه ولي وقد أقيم في النطع وضرب السياف عنقه بالسيف فقطع منها شيئاً وبقي البلعوم وبعض الودج ، فاستغاث خواجه ولي بالشاه علي ، فأقامه وأخرجه من النطع ، وأمر بحمله ومعالجته ، فعولج وخيط قفاه فعاش بعد ذلك أربعين سنة (التاريخ الغياثي ٢٦١) .

وفي السنة ٨٢٧ قتل الأمير تاني بك البجاسي، نائب السلطنة بدمشق ، كان قد بلغ السلطان عنه شيء، فكتب إلى الحاجب « بالركوب عليه » فركبوا ، فظفر تاني بهم ، وسار في أثرهم ، فسقطت رجل فرسه في حفرة من القناة فسقط ، فأمسكوه ، وحملوه إلى قلعة دمشق ، حيث قتل (الضوء اللامع ٣/ ٢٦) .

وفي السنة ٨٢٨ غضب السلطان الأشرف ، سلطان مصر ، على الأمير طوغان أمير آخور ، وحبسه بالمرقب، ثم قتله (الضوء اللامع ٤ / ١١) .

وفي السنة ٨٣٠ كانت بغداد قد اصبحت تحت حكم أويس بن شاه ولد بن شاه زاده بن أويس ، فحاربه شاه محمد بن قرا يوسف ، واستولى على

بغداد مرة أخرى ، وقتل أويساً (الضوء اللامع ٢/ ٣٢٤ وشذرات الذهب ٧/ ١٩٢).

وفي السنة ٨٣٠ قتل علي باك بن خليل الدلغادري ، وكان قد حصر حلب في السنة ٨٢٩ وحاربه أهلها ، وقتل منهم ، وقتلوا من أصحابه ، ثم جلا عنها لما بلغه أنّ الأمير نوروز ، نائب السلطنة بدمشق قد قصده لمحاربته ، ولما نصب الأمير جارقطلو كافلاً لحلب ، بثّ عليه الأرصاد ، حتى أخبروه بأنّه قد دخل عينتاب ، فخرج جارقطلو سراً من حلب ، ووصل إلى عينتاب بكرة النهار ، وإذا بعلي باك قد سكر وبات عند قينة ، وكان ما يزال نائماً، فأرسل اليه من أيقظه ، وأخبره بأنّ الكافل في انتظاره ، فنزل وفي عنقه منديل (إشارة الإستسلام) فاعتقله ، وأخذه إلى حلب ، وأحضر من أدّعى عليه قتل ابن عمّه ، وفي خلال المحاكمة ، أمسك علي باك بسيف الحاجب ليقتل غريمه المدعي ، فجذبه الحاجب بجنزيره، فسقط على الأرض ، وقتل (اعلام النبلاء ٥/١٨٢ـ ١٨٣).

وفي السنة ٨٣٢ ضربت عنق نور الدين علي بن محمد التوريزي ، من كبار التجار بمصر ، وجدت لديه رسالة من ملك الحبشة يطلب فيها منه أن يصوغ له بعض الصلبان والنواقيس ، ويحضّه على شراء مسمار من المسامير التي سمر بها المسيح عليه السلام ، فحبس ، وفوّض السلطان أمره إلى القاضي المالكي ، فحكم بقتله ، وضربت عنقه بين القصرين ، وهو يعلن بالشهادتين ، وتبيّن لأكثر الناس أنّه مظلوم (الضوء اللامع ٦/ ٢٩).

وفي السنة ٨٣٣ قتل الظاهر الرسولي يحيى بن اسماعيل صاحب اليمن، شهاب الدين أحمد بن عبد الله العلوي الزبيدي ، وسبب ذلك إنّ الملك الظاهر رأى زوجة اسماعيل أخي شهاب الدين فأعجبه جمالها ، فأمر زوجها اسماعيل بطلاقها ، وضيّق عليه حتى اضطره إلى طلاقها ، فتزوّجها الظاهر ، وفرّ اسماعيل إلى مكّة ، فلما بلغ الظاهر فراره ، قتل أخاه شهاب

الدين ، ونهب بيوتهم وأزال نعمتهم (الضـوء اللامـع ١ / ٣٦٠) وذكر إنَّـه دسّ إلى اسماعيل من قتله بالسمّ بمكة (الضوء اللامع ٢ / ٣٠١).

وفي السنـة ٨٣٤ قتل بـدمشق رجـل راود امـرأة عن نفسهـا ، فـامتنعت عليه ، فقتلها ، وقتل زوجها ، فرسم النائب بقتله (حوليات دمشقية ٥).

وفي السنة ٨٣٦ ضربت بالقاهرة رقبة رجل ارتدَّ عن الإسلام ، وكان من خبره إنَّه كان نصرانياً ، ووجده رجل مع زوجته ، فتخلّص من القتل بـأن أعلن إسلامه ، ثم ندم على ذلك وجاء بعد أشهر إلى أحد القضـاة ، وأخبره بـرغبته في العودة إلى النصرانية ، فتلطّف به القاضي ، ومن عنده ، وهو يلحّ ويعاند، فسجن ، وعـرض عليه الإسـلام مراراً ، فلمـا أعياهم أمـره ، ضربت رقبتـه ، وأحرقت جثته (حوليات دمشقية ٤٥).

وفي السنة ٨٣٦ كان الملك الأشرف برسباي ، صاحب مصـر والشام ، يحصر مدينة آمد، فـأسر جمـاعة من أصحـاب صاحب آمـد ، فقتل بعضهـم، وترك بعضهم في الحديد (حوليات دمشقية ٦٦ و ٦٧).

وفي السنـة ٨٣٩ أوهم رجل من استراباد ، اسمـه نـظام الـدين أسـدالله الحسيني ، الأميـر أسبان بن قـرا يوسـف ، بـأنَّه يعمـل الأكسير ، الـذي يقلب المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة، فطلب منه أن يعمل ذلك أمامـه ، فقال: إنَّ عمـل الإكسير يحتـاج فيه إلى أعشـاب وأدوية لا تـوجـد إلاَّ في مـاردين ، فأرسله أسبان إلى ماردين مع وزيره خواجه بير أحمد ، فلم يعودا ، وظهرا بعد ذلـك في مصر ، وقصـدا سلطانها الملك الـظاهر جقمق ، وأوهمـاه ، كـذلـك بأنّهما يصنعان الإكسير ، وحصلا منه على مـال كثير ، فلم يصـحّ ما ادّعيـاه ، وضاع على السلطان ما صرفه ، فاستفتى العلماء في حقّهم ، فأفتـوا بقتلهم ، فقتلهم (تاريخ الغيـاثي ٢٦٨ ، ٢٦٩).

ولما فتح الأمير أسبان ، قلعة إربل في السنة ٨٣٩، أخذ حاكمها ، وهو

ابن عمّه ميرزا علي ، هـو وجميع عـائلته ، وتـزوّج بابنتـه بلقيس باشـا ، ولما وصـل أسبان إلى الحلة، مـرض ، فدخـل عليه الأمير شيخي ، وأخبـره بـأنَّ جماعة من القوّاد قد اتفقـوا مع مـرزا علي على قتل الأميـر أسبان ، والمنـاداة بمـرزا علي سلطاناً بـدله ، وعـدّد له من المتـآمرين الأميـر زاهد ، وقـطلو بك العـراقي ، فـأمـر الأميـر أسبـان بـاعتقـالهم جميعهم ، ثم احضـر ميـرزا علي وأولاده، فأمر بقتلهم بحضرته ، وبحضرة زوجته بلقيس باشا بنت مرزا علي ، فقتل أبوهـا وأخوتهـا وأولادهم حتى الأطفال الـذين في المهد ، ولمـا أبصرت بلقيس باشا مصرع أبيها وأخوتها ، بكت ، فأمر أسبان بخنقها ، فقتلت خنقاً ، وكان ذلك في السنة ٨٤١ (تاريخ الغياثي ٢٧٠ ، ٢٧١) .

وفي السنة ٨٤٠ قتل الأمير قرمش الظاهري ، وكـان قد اشتـرك مع جـان بك في العصيان ، ثم استتر ، فقبض عليه بعد أن استتر عشـر سنين ، وسجن بقلعة حلب ، ثم قتل (الضوء اللامع ٦ / ٢٢١) .

وفي السنة ٨٤٢ قتل الأمير إينال الحكمي ، نـائب السلطنة بـالشام ، إذ خرج عن طاعة السلطان ، فأمر به فقتـل ، وحمل رأسـه إلى القاهـرة (الضوء اللامع ٢ / ٣٢٧) .

وفي السنة ٨٤٢ قتل الأميـر يخشباني المؤيّـدي ، بناء على حكم صـدر بكفره ، وكان الظاهر جقمق قد حقد عليه أموراً ، فقبض عليه ، وبعث به إلى إسكنـدريـة مقيّـداً ، ولم يلبث حتى اثبت كفـره ، وهــو في السجن ، وحكم بضرب عنقه ، فضربت وكانت التهمـة الموجّهـة إليه أنّـه سبّ شريفـاً من أهل منفلوط ، وشهـد عليه بـذلك ، فـأنكر الأميـر التهمة ، وحلف إنّـه لم يفعل ، فقيل له : إنّ الإنكار لا يفيد بعـد قبول الشهـادة ، فاستسلم للقتـل ، وضربت عنقه (الضوء اللامع ١٠ / ٢٦٩) .

وفي السنة ٨٤٢ قتل بدمشق ، محمد شيخ كرك نوح ، ويعرف ببلبان ،

قتله هو وولده عامّة دمشق ، وقتلوا معهما من قومهما جماعة ، بغياً وعدواناً ، ولكنّهم احتجّوا في قتله بأنّه كان يتّهم بالرفض (أي التشيّع)، وكان محمد القتيل صاحب همّة عالية ، ومروءة غزيرة ، وأفضال وكرم (الضوء اللامع ١٠/١١٩).

وفي السنة ٨٤٢ عصى الأمير تغري ويرمش السيفي ، كافل حلب ، على السلطان الظاهر سيف الدين جقمق ، صاحب مصر والشام ، فجرّد عليه عسكر من مصر ، فأسر ، وأدخل إلى حلب راكباً بغلة ، وخلفه شخص بيده خنجر ، وفي يده صولجان يلعب به ، فأسمعه الناس ما يكره ، وأصعد إلى القلعة ، وأودع السجن في قيد ثقيل ، فقال : بقي بيني وبين القتل مسافة الطريق ، يريد مسافة ما يكتب إلى السلطان بالقاهرة ، ليأمر فيه بما يراه ، ولما ورد المرسوم بقتله، أنزلوه من السجن ، وعصروه بين أبواب القلعة ،ليقرّ على المال ، فلم يعترف، فأحضروه إلى باب القلعة ، وقدّموه لضرب الرقبة ، فنادى عليه الجلّاد : هذا جزاء من خرج عن الطاعة ، فقال : قل هذا جزاء من لم يرع نعمة الله ، وبعد قطع عنقه ، دفنت جثته في حانوت من مدرسته التي بناها ووقفها في حلب (اعلام النبلاء ٣/٣٨).

وفي السنة ٨٤٤ مات الأمير مغلباي ، مسجوناً في قلعة دمشق بأمر من السلطان الظاهر جقمق (الضوء اللامع ١٠/١٦٥).

وفي السنة ٨٤٦ قتل القائد أحمد بن علي بن سنان ، أحد قواد مكة ، وطيف برأسه بجدّة ثم دفن من يومه ، وكان من أعيان القوّاد (الضوء اللامع ٢/٢٠).

وفي السنة ٨٤٨ هلك الأمير أسبان ، ونصب الأمراء ولده فولاذ ، سلطاناً من بعده على بغداد ، وكان فولاذ صغيراً ، فلما سمع الأمير ألوند بن اسكندر ، بأنّهم نعدّوه إلى فولاذ، غضب ، وقصد بغداد بجيش ، فلما وصل

إلى أنحاء الخالص ، قابله جيش بغداد ، واشتبك الجيشان في معركة ، وكان الظفر من نصيب ألوند، فلما ظفر ، ترك الإحتياط ، فكبسه عسكر بغداد وهو في غفلته ، فانفلّ عسكر ألوند ، ومضى هارباً ناجياً بنفسه ، وانحاز أكثر عسكره الى عسكر بغداد ، فلما وصلوا إلى بغداد ، قبض الأمير شيخوبيك على جميع الأفراد والأمراء من عسكر ألوند الذين استسلموا، وقتلهم بأجمعهم (تاريخ الغياثي ٢٨٠، ٢٨١).

ولما فتح الأمير جهان شاه بن قرا يوسف ، مدينة بغداد ، في السنة ٨٤٩ أمر بنهب بغداد ثلاثة أيام وثلاث ليالي ، وعذّب الناس وعاقبهم، فمات كثير من الناس في العقوبة (العذاب) ، وأمر بقبض الإسفاهية (العساكر) البغدادية وقتلهم، ثم فرض على كلّ خيمة من عسكره ، عشرة رؤوس ، فقتلوا ما مقداره عشرة آلاف رأس ، وهذه القتلة « ما كانت أقلّ من قتلة تيمور » (تاريخ الغياثي ٢٨٦).

وفي السنة ٨٥٣ قتل أبو زكريا يحيى بن زيان الوطاسي المريني ، وزير المغرب الأقصى، واستقرّ بعده قريبه أبو حسن علي بن يوسف بن زيان ، وكان يحيى يلقب بالأزرق لزرقة عينيه (الضوء اللامع ١٠/٢٢٦).

وفي السنة ٨٥٤ ضربت عنق أبي الفتح محمد بن محمد بن علي الطيبي ، بدمشق ، تحت القلعة ، استناداً إلى « محاضر كتبت بكفره » وكان الناس قد منعوا السياف من قتله ، بحيث لم يتمكّن منه أياماً ، إلى أن أخذ على حين غفلة منهم ، وكان لما قتل يكثر من التهليل والذكر ، وانتاب الناس قبره أياماً ، وأكثروا من البكاء عليه ، وسمّوه الشهيد المظلوم (الضوء اللامع ٩/١٤١).

وفي السنة ٧٥٧ أمرت الشريفة فاطمة بنت الحسن بن الناصر ، ملكة اليمن ، بقتل حسن بن محمد مداعس ، خلف باب سويدان ، فقتل (الاعلام ٥/٣٢٦).

وفي السنة ٨٥٧ قتل الأمير تغري بردي الظاهري ، وكان السلطان الأشرف إينال قد ولاه البهنسية ، فلما خرج إليها ، ندم السلطان ، وأرسل إليه سونج بغا ليقبض عليه ، فتلقّاه صاحب الترجمة مع علمه بسبب مجيئه ، وأذعن بالطاعة وتقدّم فسلّم عليه ، فلما حاذاه قبض عليه سونج بغا وأخبره بأنّه مأمور بوضعه في الحديد ، فقال له : الطائع لا يحتاج إلى هذا، فقال له : لابد من هذا ، فاستعان تغري بردي بأصحابه ، فرموا سونج بغا بسهم فقتلوه، فهجم أصحاب سونج بغا على تغري بردي وقتلوه (الضوء اللامع ٣/ ٢٩).

وفي السنة ٨٦١ دخل الأمير بير بوداق بن جهان شاه ، مدينة يزد ، وصادر اهلها ، وعسفهم ، ونصب ساتلمش الشيرجي محصّلاً ، وكان داروغة يزد ، واسمه قنبر الخزنجي ، نوكراً (خادماً) لجهان شاه ، والد الأمير بير بوداق ، ولم يكن حاضراً في يزد بل كان ملازماً خدمة جهان شاه، فطمع ساتلمش الشيرجي ، في امرأة قنبر وأولاده ، وفسق بهم ، فلما حضر قنبر الى يزد . علم بالقصَّة ، فعمد إلى امرأته وولده وابنتيه ، فقطع رؤوسهم ، ووضعها في مخلاة ، وطرحها أمام جهان شاه وقال له : هذا جزاء من يواظب في خدمتك ، وحدّثه عن القصة ، فأرسل جهان شاه إلى ولده بيربوداق يطلب منه إرسال ساتلمش الشيرجي، فامتنع ، وأصرّ على الإمتناع على رغم إلحاح الأب وتكرار المطالبة ، فغضب جهان شاه، وعزله عن إمرة بغداد ، وطلب منه أن يقنع بشيراز، فأبى ، فقصده جهان شاه بجيشه إلى شيراز ، فانحاز بير بوداق إلى بغداد ، وعسف أهلها ، فكرهوه ، وفي السنة ٨٦٩ تحرّك جهان شاه ، إلى بغداد، وحصرها ، فأعطي بيربوداق لقسم من العسكر « دستوراً » لقلّة الأقوات في بغداد ، كما إنَّه أذن لمن أراد الخروج من الرعيّة أن يخرج بشرط أن يسلّم جميع أمواله ويخرج ، ولما ضاق الحصار على الأمراء ببغداد ، خامر بعضهم وراسلوا جهان شاه ، ليسلّموا البلد إليه ، فأحسّ بهم بيربوداق ، وضرب أعناقهم ورماها إلى جهان شاه خارج السور ،

وبعد حصار دام سنة ونصف سنة ، وافق بيـربوداق على أن يتـرك بغداد، بـأن يعبر إلى الجانب الغربي ، ويأخذ معه مائة فارس من جماعتـه، ويذهب حيث يشاء ، وكان في خاطره أن يتـوجّه إلى شـاه سوار دلغـادر (ذي القدر) ثم بلغ جهان شاه أنَّ ولده بيربوداق ينوي العـودة إلى التحصّن داخل بغـداد ، فأرسـل إليـه أخاه محمـدي ميرزا مـع آخرين ، ولمـا دخلوا عليه، جرّد محمدي ميرزا سيفـه ، وضرب أخـاه بيربـوداق . فقتله ، وكان قتله في السنـة ٨٧٠ (تاريـخ الغياثي ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣١٥ ـ ٣٢٥) .

وفي السنة ٨٦٦ قام حسن باك بن علي بن قرايلوك صـاحب ديار بكـر ، بقتل آخر أمراء حصن كيفا من بني أيوب ، أيّوب بن علي بن محمود ، وكان هو القـائم بتدبيـر المملكة لأخيـه الصالـح زين الدين ، فقـام حسن بـاك ، بقتـل الملك الصـالح ، وأخيـه أيّوب ، وقتـل أخاً لهمـا آخر اسمـه عبد الـرحمن ، واستولى على الحصن (الضوء اللامع ٢/٣٣٢).

وفي السنة ٨٦٦ قتل السلطان عبـد الحقّ المريني بفـاس ، وزيره يحيى بن يحيى بن زيان الوطـاسي ، وقتل معـه جميع الـوطاسيين إلاّ من نجـا منهم (الاعلام ٩/٢٢٤).

وفي السنة ٨٦٩ قتل السلطان عبد الحقّ بن عثمان المريني ، آخر ملوك بني مـرين ، وكان ظـالماً فـاتكاً ، فثـار عليـه النـاس ، بفـاس ، وولّـوا عليهم الشـريف أبـا عبدالله الحفيـد ، واعتقلوا السلطان عبد الحقّ ، وأشهـروه على بغل ، ثم ضربت عنقه (الاعلام ٤/٥٣).

وفي السنة ٨٧٠ غضب السلطان الظاهر خشقدم على الـوزير الاستـادار منصور بن الصفي ، فصادره ، وضربه ، وقيّده بالحديد ، وحكّم فيـه أعداءه ، وأمر المالكي (القـاضي) بقتله ، فقتل عنـد خيمة الغلمـان ، وتزايـد الصراخ عليـه من العامـة ، واسمعوا أخصـامه من السب والمكـروه ، مـا الله بـه عليم (الضوء اللامع ١٠/١٧١).

وفي السنة ٨٧٢ قتل جهان شاه ، وخلفه عى أذربيجان ولده حسن علي ، وكان جهان شاه أبوه قد حبسه، فلما قتل ، أخرج من السجن وأجلس على العرش ، فكان أوّل ما صنعه ، الانتقام من أقارب زوجة أبيه بيكم خاتون ، إذ كان ينسب إليها إنًّها كانت تحرّض أباه على حبسه ، فلما جلس على عرش تبريز ، أمر بأقوامها وأهلها وإخوانها ، فعاقبهم ، وعذّبهم، وصلبهم، وقتلهم بأجمعهم (التاريخ الغياثي ٣٧٨).

ولما قتل جهان شاه ، وسمعت امرأته بموته ، تحصّنت في قلعة النجق ، وكان فيها جملة خزائن مال ، فأرسلت جملة من الخزائن إلى ولدها حسن بك ابن جهان شاه واستعجلته على القدوم إلى قلعة النجق ، فوقعت الخزائن في يد حسن علي بن جهان شاه أخي حسن بك، فاستولى عليها ، وتقدّم فحصر قلعة النجق فلم يقدر عليها ، فبعث من أغرى حراس القلعة ، فخامروا على المرأة ، وقبضوا عليها ، وسلّموا الى حسن علي المرأة والخزائن والقلعة ، فأخذ حسن علي زوجة أبيه إلى تبريز ، حيث صلبها بثدييها ، فاستمرّت في هذا العذاب ثلاثة أيّام حتى ماتت ، ولما سمع حسن بك ، بما صنعه أخوه حسن علي ، بوالدته (والدة حسن بك) غضب ، وكان يحاصر بغداد فترك حصارها وتوجّه إلى تبريز ، فحاصر أخاه حسن علي، وفي أثناء الحصار فرّ قائدان من قوّاد حسن علي إلى حسن بك ، وهما شاه علي وإبراهيم شاه ، فقبض حسن علي على أولادهما ونسائهما فقتلهم جميعاً ، كما قتل كلّ من كانت له علاقة بالقائدين المذكورين ، وفرّ حسن علي من تبريز الى همدان ، فاتّبعه حسن بك ، ففرّ منه إلى جبل ألوند ، فأرسل إليه من حصره هناك ، فلما عرف حسن علي أنّه مقبوض عليه أخرج سكيناً وذبح نفسه ، فمات وكان ذلك في السنة ٨٧٣ ، وكان مدّة حكمه سنة واحدة . (التاريخ الغياثي ٣٢٦- ٣٣١).

وتقدّم حسن بك ، صاحب ديار بكر، في السنة ٨٧٣ فحاصر بغداد ،

وكان يحكمها التواجي بير محمد ، من قبل جها نشاه ، فأحضر حسن بـك أخاً للتواجي وقدّمه الى قريب السور ، وطلب من بير محمـد أن يسلّم البلد ، وإلاّ قتل أخاه ، فلم يجب إلى التسليم ، فقتل أخاه بمـرأى منه (التـاريخ الغيـاثي ٣٧٩).

وفي السنة ٨٧٣ نصب حسين علي بن زينل بن بيـر علي ، سلطاناً على العراق ، وكان أوّل ما صنعه ، أن شكا إليه أهل بغداد، من جماعة « عـوانية » منهم فضيـل ، وناصـر مصـطفى ، وخـواجـه شيخي ، ويـوسف الاسكـافي ، وغيرهم ، فأمر بقتلهم ، فقتلوا (التاريخ الغياثي ٣٣٢).

وأعـطى سلطان العراق ، حسين علي زينـل ، مـدينـة الحلّة ، إلى ابن قراموسى، فاتفق مع درويش يقال له : شـاه علي بن الاسكندر ، وعصى على سلطان بغداد ، فسيّر إليه جيشاً ، فأسروا الإثنين ، وقتلوهما ، وكان الدرويش قد لجأ إلى موضع الغيبـة في الحلّة ، وهو مقـام صاحب الـزمان ، وصـاح أنا درويش ، وهذا « بالغصب جابني » فلم يسمعوا منه ، وقطعـوا رأسه ، ونصب حسين على زينل أخاه شـاه منصور حـاكماً في الحلّة في السنـة ٨٧٤ (تاريـخ الغياثي ٣٣٢- ٣٣٣).

وفي السنـة ٨٧٤ مـرض السلطان حسين علي زينـل ، ببغـداد فبلغـه أنّ جمـاعة من الأمـراء تآمـروا على قتله ، فأحضـر أخاه شـاه منصور من الحلّة ، وأخبره بالقصّة ، فاحتالوا على أولئك الأمراء ، وكانـوا خمسة ، فـأحضروهم ، وقتلوهم ، ورمـوا جثثهم في الميدان ، ثم مـات السلطان حسين وخلفه أخـوه الشاه منصور (تاريخ الغياثي ٣٣٣).

وفي السنـة ٨٧٨ قتل الصـدر العثماني محمـود بـاشـا ، وزيـر السلطان محمد بن مراد العثماني (معجم أنساب الاسر الحاكمة ٢٤١).

وفي السنة ٨٨٢ توفّي الشيـخ حسن الطويـل ، سلطان العراق ، فخلفـه

ولده خليل ، وقتل خليل في السنة ٨٨٤، قتله بعض أمرائه ، وتسلطن بعده أخوه يعقوب الشيخ حسن (أعلام النبلاء ٣/٨١).

وفي السنة ٨٨٣ أتّهم الحاج ناصر القتباني ، وأولاده ، وغلامه شعبان ببغداد ، بأنَّ لهم علاقة بالمشعشع ، فقتل الحاج ناصر وأولاده ، أما غلامه شعبان فقتل رمياً بالحجارة (التاريخ الغياثي ٣٩٥).

وفي السنة ٨٨٥ قتل الأمير يشبك الظاهري الصغير ، وكان قد سار على رأس عسكر هائل إلى حلب ، قاصداً البلاد العراقيّة ، فلما قطع الفرات وتوجّه إلى الرها ، قبض عليه أحد أمراء يعقوب بن حسن بك ، وضرب عنقه صبراً ، وبعث بجثته إلى مصر (الضوء اللامع ١٠/٢٧٤).

وفي السنة ٨٨٥ فرضت ضريبة على الدور بحلب ، فهاج العامة ، واتّهموا بوضعها محمد بن حسن الباعوري ، وكانت إليه الكثير من الأمور السلطانية بحلب ، ورجموا داره بالحجارة ، ولما ركب في عصر ذلك اليوم من الميدان إلى تحت القلعة ، خرجوا عليه ، ففرّ منهم ، فأدركوه بالكلاسة ، وقتلوه ، وحملوه إلى تحت القلعة ، وأحرقوه (الضوء اللامع ٧/٢٢٤).

وفي السنة ٨٨٦ قام محمد بن همياوان شاه ملك كلبرجة ، بقتل وزيره خواجه جهان محمود ملك التجّار ، وكان ملك التجّار قد اتصل بأبيه همياوان شاه فاستوزره ، ولما توفّي أوصاه بأولاده ، فقرّر ولده نظام شاه ، ولم يستكمل خمس عشرة سنة . فلم يلبث أن مات ، فقرر أخاه محمد شاه ، وهو ابن سبع سنين ، وساس الخواجا جهان المملكة ، ولكنّه استبدّ بالتصرّف ، وحجر على السلطان ، فاتّفق السلطان مع جماعة من حاشيته ، وطلب حضور خواجه جهان ، فلما دخل عليه وثب عليه عبد حبشي من عبيد السلطان ، فقتله ، بالسيف ، ثم قتل غلامه (الضوء اللامع ١٠/٢٤٥). ولم يلبث محمد شاه أن قتل في السنة ٨٨٧ بعد قتله وزيره بسنة واحدة (الضوء اللامع ١٠/ ٦٩).

وفي السنة ٨٩٦ قبض على عبد الملك بن علي الساوجي ببغداد، وكان قد نال رتبةً عالية ، في عهد أبن اخته القاضي مسيح الدين عيسى الساوجي ، قاضي السلطان يعقوب بن السلطان حسن الطويل ، فلما مات السلطان يعقوب ، قتل القاضي مسيح الدين ، وعذّب خاله عبد الملك الساوجي ، حتى مات (تاريخ العراق للعزاوي ٣/ ٣/ ٢٨٣) .

وفي السنة ٩٠١ وقع قتال بين الأمير علي الشهابي، في جماعة وادي التيم ورجال الشوف ، وبين عمّه الأمير بكر الشهابي ، وانتصر الأمير علي ، فقتل عمّه بيده وقتل معه بيده أيضاً ثلاثين من جماعته . (خطط الشام ٢/ ٢٠٩).

وفي السنة ٩٠٢ قتل قاضي القضاة شمس الدين محمد بن المزلق ، بدمشق، تآمرت عليه جاريتاه ، واتفقتا مع ثلاثة مماليك على قتله (الكواكب السائرة ١/ ٣٧).

وفي السنة ٩٠٣ قتل الفقيه الإمامي ، صدر الدين الكبير ، محمد إبراهيم الحسني ، بشيراز، قتله التركمان ، وكان له منصب الصدارة للسلطان شاه طهماسب الصفوي (الاعلام ٦/ ١٩٢).

وفي السنة ٩٠٤ قتل الملك الناصر أبو السعادات محمد بن قايتباي ، خلف أباه في السلطنة ، ثم اتّهم بارتكاب الجرائم ، فقتل (شذرات الذهب ٨/ ٢٣).

وفي السنة ٩٠٤ قتل لطف الله الشهير بمولانا لطفي التوقاتي ، وكان يطيل لسانه على أقرانه من العلماء ، فأبغضوه ، ونسبوه إلى الإلحاد والزندقة ، فحكم عليه المولى خطيب زاده بإباحة دمه ، فقتلوه ، وهو يكرّر كلمتي الشهادة ، وينزّه عقيدته عما نسبوه إليه من الإلحاد (شذرات الذهب ٨/ ٢٤).

وفي السنة ٩٠٦ أمر الملك العادل طومان باي ، بعد نصف شهر من

سلطنته، بقتل الأمراء قصروه ، والرماح أمير سلاح ، والأشرف الغوري الدوادار الكبير ، وغيرهم « فركب عليه الأمراء » فنزل السلطان من القلعة هارباً ، واختفى ، فبحثوا عنه حتى وجدوه، فقتلوه، وقطعوا رأسه ، وخلفه الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري ، آخر ملوك الجراكسة (أعلام النبلاء ٣/١١٢).

وفي السنة ٩٠٨ قتل أبو السعود قاضي قضاة مكة ، قتله الشريف بركات أمير مكّة (الكواكب السائرة ١/١٢١ وشذرات الذهب ٨/٣٦).

وفي السنة ٩١٣ قتل الشيخ زين الدين عبد الغفار الضرير ، ببلدة مطبوس ، بالقرب من الإسكندرية ، وسبب قتله أنَّ بلدة مطبوس كانت جارية في إقطاع الأمير طراباي وبها رجل متدارك لمالها اسمه أبو عمرو ، فوقع بينه وبين أهل البلدة شرّ ، فشكوه للأمير طراباي ، فأرسل طراباي أخاه للتحقيق ، فضرب أخو طراباي أحد أهالي البلدة بالدبّوس ، فهاج أهل البلدة ورجموه ، فأمر « بضرب السيف فيهم » فقتل منهم ما يزيد على ثلاثين نفراً ، فقال له الشيخ زين الدين : هذا لا يحلّ لك ، فضرب عنقه ، وألقى بجثته في البحر (الكواكب السائرة ١/٢٤٠).

وفي السنة ٩١٦ قتل الشيخ محمد العجمي الشهير ، بالطواقي ، شيخ الزاوية الخوارزمية بدمشق ، بتحريض من الدوادار ، إذ دسّ اليه ليلاً جماعة من غوغاء دمشق، فطعنوه بالسكاكين ، ثم ذبحوه، وقطعوا رأسه واقتلعوا قلبه ، وألقوا جثّته في بئر الزاوية (الكواكب السائرة ١/٧٧ و٧٨).

وكان أوّل ما مهّد به السلطان سليم العثماني ، لمحاربة الشاه اسماعيل الصفوي ، شاه العجم ، أن بدأ السلطان سليم فقتل الشيعة ببلاده ، وكانوا نحواً من أربعين ألفاً ، ثم زحف في السنة ٩٢٠ على بلاد الشاه اسماعيل الصفوي (خطط الشام ٢/٢١٦).

وفي السنـــة ٩٢١ قتـل السلطان سليم العثمـــاني ، الأميـر علي دولات (الكواكب السائرة ١/٢٨٣).

وكان الشاه اسماعيل علي الصفوي ، شاه العجم ، قتل صاحب هراة ، وولـده وبعث بـرأس الأب إلى السلطان سليم العثمـاني ، وبـرأس الـولـد إلى السلطان قـانصوه الغـوري ، سلطان مصر والشـام ، وكتب إلى السلطان سليم بطاقة بعث بها مع الرأس، فيها : (اعلام النبلاء ٣/١٣٣).

نحن أنـــاس شـــأننـــا دائمـــاً حــبّ عليّ ابـن أبي طـــالـب
يعيـبنـــا الـنـــاس على حـبّـه فـلعـنـــة الله عـلى الـعـــائب

وبعث إلى السلطان الغوري مع الرأس ، بطاقة فيها :

السيف والخنجـر ريحـــاننـــا أفّ مـــن الــنـــرجس والآس
وشـــربنـــا من دمٍ أعـــدائنـــا وكـــأسنـــا جمجمـــة الـــرأس

لمـا اجتـاز السلطان سليم العثمـاني بـالبيـرة ، يـريـد الشـاه اسمـاعيـل الصفوي ، أساء علاء الدولة عامل الغوري على البيرة معاملته ، فلما عـاد من غـزو الصفوي ، قبض على عـلاء الدولـة وذبحه وذبـح معـه أولاده ، وأرسـل الرؤوس إلى الغوري ، (خطط الشام ٢/٢١٨).

وفي السنـة ٩٢٢ لما قتـل السلطان سليم العثمـاني ، السلطان قـانصـوه الغوري ، وفتح حلب ، كان مع الغوري خلفاء المشايخ ، مثل خليفة سيـدي أحمد البدوي ، وخليفة سيدي عبد القادر الجيـلاني ، وخليفة سيـدي إبراهيم الـدسـوقي ، وأمثـالهم، فلمـا وقعت الكسـرة على الغـوري ، بقي المشـايـخ وأتبـاعهم بحلب ، فلمـا سمعـوا بـأنَّ السلطان قـادم إلى حلب ، خـافـوا من سطوته، وقصـدوا الشام ، فـرآهم السلطان سليم عن بعد ، ومعهم الـرايات ، فسأل عنهم ، فأخبروه بأنّهم خلفاء المشايخ الذين كانوا قدموا مع الغوري وهم

يريدون الآن الذهاب إلى مصر ، فأمر بهم فأحضروا بين يديه ، وأمر بضرب أعناقهم، فقتلوا بأجمعهم (أعلام النبلاء ٣/١٧٢) .

وفي السنة ٩٢٣ قتل القاضي حسام الدين محمد بن عبد البرّ ، المعروف بابن الشحنة ، قاضي الحنفية بالقاهرة المعزّية، قتله السلطان طومان باي بالصعيد ، وكان السلطان الأشرف طومان باي ، قد خلف السلطان الغوري الذي قتل في معركة مرج دابق التي انتصر فيها السلطان سليم العثماني ، فلما دخل السلطان سليم القاهرة ، فرّ السلطان طومان باي الى الصعيد ، وأرسل يطلب الأمان ، فأرسل اليه الأمان صحبة جماعة من القضاة منهم القاضي حسام الدين ، فقتله طومان باي ، وقتل معه بعض الجماعة الآخرين الذين حضروا معه رسلاً (أعلام النبلاء ٥/٣٩٨ والكواكب السائرة ١/٣٠٥).

وفي السنة ٩٢٣ والسلطان سليم العثماني في طريقه إلى مصر ، بلغه أنَّ أهالي مدينة الرملة ، قتلوا جماعة من عسكره ، فأمر السلطان بقتل جميع أهالي بلد الرملة ، فقتلوا بأجمعهم « ولم يبق فيها ديار ولا نافخ نار » (خطط الشام ٢/٢٢٦).

وفي السنة ٩٢٣ لما تلاقى الجيش العثماني ، وجيش المماليك المصري ، بمصر ، أشيع في مدينة غزّة ، أنَّ جيش المماليك قد انتصر على الجيش العثماني ، فبادر علي باي الدوادار ، نائب غزّة ، وأجناده ، فنهبوا وطاق العثمانيين الموجودين عندهم ، وأحرقوا خيامهم ، وقتلوا من كان في الوطاق والمدينة من العثمانيين ، وكانوا أربعمائة، بين شيخ ، وصبيّ، ومريض قد تخلّف عن اللحاق بالجيش لمرضه، فعاد سنان باشا، قائد الجيش العثماني الى غزّة، وجمع أهلها وسألهم عمّن فعل ذلك بأفراد جيشه ؟ فأحالوا على نائب غزّة وأجناده ، فأمر سنان باشا بكبس بيوت غزّة ، فوجدوا فيها قماش العثمانية، وخيولهم، وخيامهم، فقال لهم سنان باشا ، نحن لما دخلنا غزّة،

هل شوّشنا على احد منكم؟ قالوا : لا، قال : إذن لماذا فعلتم بعسكرنا ما فعلتم ؟ فلم يأتوا بجواب ولا عذر ولا حجّة ، فأمر عسكره بأن « يلعبوا » فيهم بالسيف ، فقتلوا منهم ما لا يحصى عدده (خطط الشام ، ٢/٢٢٦ ، ٢٢٧) .

وفي السنة ٩٢٤ عصى الأمير ناصر الدين ، والي صيدا ، على السلطان سليم العثماني ، وأعانه الأمراء زين الدين وقرقماس وعلم الدين سليمان ، فقبض جان بردي الغزالي ، والي دمشق ، عليهم ، وبعث برأس الأمير ناصر الدين ، ورأس ابن الحرفوش ، إلى السلطان سليم ، وأطلق سراح الباقين (خطط الشام ٢/٢٢٧) .

وكان الأمير جان بردى الغزالي ، من أمراء السلطان الغوري ، ثم خانه ، والتحق بالسلطان سليم العثماني ، فنصبه نائباً في الشام ، ثم فكّر في الخروج على الأتراك ، فادّعى السلطنة ، وتلقّب بالملك الأشرف ، فحاربه الجيش العثماني ، فانكسر الغزالي ، ودخل إلى الشام ، وكان فيها خمسة آلاف جندي تركي إنكشاري ، كان السلطان سليم قد جعلهم حامية في دمشق ، فأولم لهم الغزالي وليمة ، وجمعهم، ثم قتلهم على بكرة أبيهم (خطط الشام ٢/٢٣٣) .

وفي السنة ٩٢٨ حضر فرهاد باشا ، بأمر من السلطان العثماني ، وأحضر علي بك صاحب مرعش وأخوته الثلاثة إلى ارتيقاباد قرب توقات ، وقطع رؤوسهم بأجمعهم ، وكان علي بك قد خلف عمّه علاء الدولة بعد مقتله في المعركة في السنة ٩٢١ (معجم انساب الاسر الحاكمة ٢٣٦) .

وفي السنة ٩٢٩ قتل الشيخ شهاب الدين أحمد بن اسكندر الحلبي ، بدمشق ، قتله اللصوص بدرب الروم (الكواكب السائرة ١/١٣١) .

وفي السنة ٩٣٠ أمر احمد باشا ، والي مصر ، بمحاسبة مباشري الأمير

فارس ، وأحضرهم وعذّبهم ، فاعترض الأمير فارس على تعذيبهم ، فأمر أحمد ، باشا بضرب عنقه ، فضربت (الكواكب السائرة ١/١٥٦).

وفي السنة ٩٣٠ صادر أحمد باشا ، والي مصر ، الأمير جانم الحمزاوي ، على مائة وستين ألف دينار ، فشفع له الأمير قراموسى ، فغضب أحمد باشا ،وأمر بالأمير قراموسى ، فضربت عنقه (الكواكب السائرة ١/١٥٦).

وفي السنة ٩٣٠ أعلن والي مصر أحمد باشا ، الخروج على السلطنة العثمانية ، فعصى عليه من في قلعة الجبل من الينكجرية والجراكسة ، وأعلنوا بقاء طاعتهم للدولة ، فحصر أحمد باشا القلعة ، وفتحها عنوة ، وقتل جميع من فيها حتى أئمة الجوامع والمؤذّنين ، ولم يرحم صغيراً ولا كبيراً ، فقتل نحو ألف من الينكجرية ، وستمائة من الجراكسة ، وألف من المصريين ، ونهبوا بيوت من بقي ، واستباحوا حريمهم (الكواكب السائرة ١/١٥٧).

وفي السنة ٩٣٠ قتل أحمد باشا ، والي مصر للسلطان سليمان العثماني ، وكان السلطان سليمان قد نصبه نائباً عنه في مصر ، وهو من خواصّ السلطان سليم العثماني فأراد أن يستقلّ بحكم مصر ، وكاتب الشاه اسماعيل الصفوي ، شاه إيران ، فتحرّك الأمراء المصريّون ضدّه ، وأعانهم جند بعث بهم السلطان سليمان ، فانفلّ جمع أحمد باشا وقتل مع ستّة أنفار من خواصّه ، وعلّق رأسه بباب زويلة، ثم جهّز إلى السلطان سليمان (الكواكب السائرة ١/١٥٦ـ ١٥٩).

وفي السنة ٩٣٠ قطعت رأس المولى ظهير الدين الأردبيلي الحنفي ، الشهير بقاضي زاده ، بالقاهرة ، لأنه قال على المنبر : إنَّ مدح الصحابة على المنبر ليس بفرضٍ ، ولا يخلّ بالخطبة ، فاتّهم بإظهار شعار الرفض واعتقاد الإمامية ، فقطع رأسه وعلّق على باب زويلة بالقاهرة (شذرات الذهب ٨/١٧٣).

وفي السنـة ٩٣٣ قتل بـدر الدين أحمـد بن قاضي القضـاة تقي الدين ، وكان ناظـر أوقاف الحرمين بحلب، وسبب قتله إنّه انضمّ إلى قرا قاضي مفتش أوقاف حلب وأملاكها ، فلما قتل قرا قـاضي بجامـع حلب ، قتل معـه، وأراد العامة إحراقه ، فاستخلصه أهله ودفنوه (شذرات الذهب ٨/١٩٣) .

وكان الواعظ محمد بن عمر الانـطاكي ، المتوفى سنـة ٩٣٨، المعروف بملاعرب ، شديداً في الوعظ على الشاه اسماعيل الصفـوي ، وعلى الرافضـة (الشيعة)، واتفق أن حضر مجلسه رجل فـارسيّ من أتباع الألجي الـذي بعث بـه الشاه اسمـاعيل ، إلى السلطان الغـوري ، فلما سمـع منه قـوله في الشـاه والشيعة، جرّد سيفه ليضربه ، فاجتمع عليه الحلبيون وقتلوه ، وكان في جميـع خطبة « يقدح في الرافضة على أكمل وجـه » إلاّ إنّه « أخـذ في النهي عن أخذ أموالهم » فقيل له : قد كنت تبيحها بالأمس ، فما لك اليوم تنهى عن أخذها ؟ فقال : لأنّ الخنكار (يريد السلطان سليم) قد أمّنهم (اعلام النبـلاء ٥/٤٩٣ و٤٩٤) .

وفي السنة ٩٤٤ قتل الأميـر جانم الحمـزاوي ، وولده يـوسف ، قتلهما سليمان باشا كافل القاهـرة ، وكان الأميـر جانم قـد ولي ولايات عـدّة في عهد السلاطين المماليك، ثم تولّى نظارة الأموال السلطانية بالديار المصرية ، ولمـا أراد سليمان باشا كافـل القاهـرة ، أن يسافـر على رأس حملة لحرب الهنـد ، طلب من الأمير جانم ، أن يكون مرافقاً له في الحملة، فـأجاب ، وذهب مـع سليمان باشا إلى اصطنبول ، حتى اخذ موافقة الباب العالي ، ولكنّه لما رجـع إلى مصر ، بدا له أن لا يسافر ، وبلغ ذلك سليمان باشا ، فكتب الى السلطنة يستأذن في عقاب من يحـاول تخريب سفـر الحملة ، فأذن لـه السلطان في أن يتصـرّف التصرّف الـذي يراه منـاسباً ، وعنـدئذٍ أحضـر الأمير جـانم ، وولـده يـوسف ، وقطع رأسيهمـا وسلخ جلديهما وحشـاه تبنـاً ، وصلبهـا ببـاب زويلة (أعلام النبلاء ٥/٥١٢ـ ٥١٤).

ووصف صاحب البرق اليماني ، كيفية قتل الأمير جانم الحمزاوي ، وولده يوسف بك أمير الحج ، فقال : في السنة ٩٤٤ كان سليمان باشا الخادم ، يلي مصر للسلطان سليمان ، فاختلف مع الأمير جانم الحمزاوي ، فكتب فيه وفي ولده يوسف ، إلى السلطان ، فكتب إليه : إدفع شرهما ، فطلب منهما أن يحضرا عنده ، فحضر الإبن يوسف بك أمير الحجّ ، فأجلسه عند الكيخيا ، وأمره أن يشاغله حتى يحضر أبوه، فشاغله باللعب بالشطرنج ، حتى حضر الأب ، فأسلموه إلى الجلاّد ، فلما ايقن بالقتل ، صلّى ركعتين ، وطلب إلى الجلاد أن يقتله بسيفه ، لأنّه كان حادّاً، وأراد الكيخيا أن يخلّص الإبن من القتل ، فتوسّل إلى سليمان باشا أن يعفو عنه ، فسبّه، وصاح به : ائتني برأسه وإلاّ ألحقتك به ، فأمر الجلاّد بأن يدخل عليه ، فدخل عليه مع اثنين من غلمانه، وصرعوه، وقطعوا رأسه، فأمر سليمان باشا بالرأسين، فسلخا، وحشيا تبناً، وعلّقا على باب زويلة (البرق اليماني ٧١ـ ٧٣) .

أقول : وكان الأمير جانم الخمراوي ، بمصر ، يحقد على القاضي شرف الدين ، المعروف بالصغيّر ، فذهب الى الباب العالي (اصطنبول)، وسعى في قتل شرف الدين وحصل على مرسوم سلطانيّ بقتله ، فخاف شرف الدين ، وسافر بعده إلى اصطنبول ، فواجهه الأمير جانم ، في اسكدار ، وخدعه، وجامله، وعاد معه، حتى إذا وصل إلى مصر، أبرز المرسوم، وسلّم شرف الدين إلى الصوباشي ، فعذّبه بالاسكنجة، واستصفى أمواله ، ثم قبض على أحد أقارب شرف الدين وكان شاباً، ما نمّ عذاره ، وكانت له أمّ حنون ، هو وحيدها ، وكانت مولعة به، مجنونة بحبه ، فدارت على جميع العلماء والصلحاء ، وتوسّلت بالمشايخ والأولياء ، وحملت الجميع على الأمير جانم ليعيد لها ولدها ، فأظهر لهم إجابة سؤالهم ، وواعد بتسليمه في ليلة معيّنة، ودسّ له السمّ ، فلم يعمل فيه ، فأمر بخنقه ، وسلّم إليها مخنوقاً ، فلما قام الوالي سليمان باشا ، والي مصر ، بقتل الأمير جانم الحمزاوي، وولده ، في

السنة ٩٤٤ وعلّق رأسيهما بباب زويلة ، تخلّقت (تحنّت) أمّ الشاب قريب القاضي شرف الدين بالزعفران ، شماتة بهما ، وجاءت حتى وقفت تحت رأسيهما ، وأظهرت فرحها وحبورها (البرق اليماني ٧٣- ٧٥).

وفي السنة ٩٤٥ قتل شاه رخ بن فرخ ميرزا ، ملك شروان ، قتله الشاه طهما سب الصفوي (معجم انساب الاسر الحاكمة ٢٨٠).

وفي السنة ٩٤٥ قُتِلَ أمير عدن عامر بن داود ، من بني طاهر ، قتله الوزير سليمان باشا ، الذي وجّهه السلطان سليمان العثماني لدفع البرتغال عن الهند . (الاعلام ٤/١٧).

وفي السنة ٩٦١ قتل السلطان محمود شاه بن لطيف شاه ، سلطان كجرات بالهند ، قيل إنّه مات بالسمّ ، وقيل إنّه قتل غيلة ، وبعد قتله بعث قتلته على الوزراء بحجة أنَّ السلطان يطلبهم ، وكلّ من قدم من الوزراء قتلوه (شذرات الذهب ٨/٣٢٨).

وفي السنة ٩٦٦ قتل الشهيد الثاني زين الدين بن علي الجبعي العاملي ، وشي به للسلطان العثماني ، فطلبه ، فذهب إلى الأستانة محفوظاً ، فقتله المحافظ عليه في الطريق ، وأحضر رأسه للسلطان ، فأمر السلطان بقتل قاتله فقتل . (الاعلام ٣/١٠٥).

وفي السنة ٩٦٨ جاء جنكيزخان الى سرت وأحرق دورها ، وخرّبها ، وسبى أهلها ، وقتل صاحبها خداوندخان الذي كان أميراً جليلاً رفيع المنزلة حسن الاخلاق طيب السيرة (شذرات الذهب ٨/٣٥٢).

وفي السنة ٩٧٤ كان درويش باشا بن رستم باشا ، نائب السلطنة بطرابلس ، أميراً للركب الشامي إلى مكّة ، فقتل بطريق مكّة ، معصوم بيك وزير الشاه ومن معه ثم رجع الى محل نيابته بطرابلس ثم ولي نيابة الشام (الكواكب السائرة ٣/١٥٠).

وفي السنة ٩٧٤ أعدم بأمر من السلطان العثماني سليمان القانوني أرسلان باشا بن محمد يحيى زاده ، والي بلاد المجر ، وكان قد ولي الحكم ببلاد المجر في السنة ٩٧٢ (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٥٥) .

وفي السنة ٩٧٥ كان محمود باشا ، والي مصر للعثمانيين ، نازلاً من القلعة على بركة الناصرية ، فأصيب برصاصة ، تحت كتفه الأيسر ، واستقرت تحت ثديه الأيمن ، فهجم مماليكه على الموضع الذي جاءت منه الرصاصة ، فرأوا البندقية، وقد تركها الرامي وهرب ، ووجدوا فلاحين يمشيان ، فأخذوهما ، وسألوهما عن صاحب البندقية ، فقالا إنَّهما سمعا صوتاً، ولم يريا شخصاً ، فقطعوا عنقيهما ظلماً وعدواناً (البرق اليماني ١٥٥) .

وفي السنة ٩٧٥ هاجم اليمنيّون ، مراد باشا ، المعروف بكورمراد والي اليمن ، فكسروه ، وأسروه مع كبار رجاله ، فأخذه صاحب المضرّح ، وهو طالب ثار ، لأنَّ سليمان باشا الوالي العثماني ، كان قد صلب جدّه ، فأخذ مراد باشا، وقطع رأسه بيده (البرق اليماني ١٨١) .

وفي السنة ٩٧٥ قتل السلطان إبراهيم الثالث الأفغاني، سلطان دهلي ، من بني سور ، بعد أن حكم من السنة ٩٦١ قتله سليمان قراراني حاكم بنغالة (معجم انساب الاسر الحاكمة ٤٢٢) .

وفي السنة ٩٨٠ قتل السلطان برهان بن توفال ، سلطان الدكن ، قتله مرتضى نظام شاه ، واستولى على الحكم (معجم الأسر الحاكمة ٤٣٨) .

وفي السنة ٩٨٢ قُتِلَ الطبيب ألياس القرماني ، وسبب قتله إنَّه طبّب الوزير فرهاد باشا ، وكان مصاباً بسلس البول ، فمات في أيّام قلائل بالزحير ، فاتهم بقتله ، وترصّد له جماعة فرهاد باشا حين خرج من داره فضربوه بالسكاكين فقتلوه ، فغضب السلطان لذلك ، وصلب بعضهم ونفى الباقين (شذرات الذهب ٨/٣٩٧) .

وفي السنة ٩٨٤ قتل السلطان داود شاه ، بن سليمان خان قراراني حاكم بنغالة وبهار ، قتله خان جهان الذي ولي حكم بنغالة من قبل أباطرة دهلي (معجم أنساب الاسر الحاكمة ٤٢٨) .

وفي السنة ٩٨٦ قتل جمال الدين محمد طاهر الهندي ، « وكان يقوم على طائفتي الرافضة والمهدوية ، ويناظرهم ، ويريد إرجاعهم إلى الحقّ ، وقهرهم في مجالس وأظهر فضائحهم ، وقال بكفرهم ، فسعوا عليه واحتالوا ، حتى قتلوه » (شذرات الذهب ٨/ ٤١٠) .

وفي السنة ٩٨٧ قتل الوزير محمد باشا ، بالقسطنطينية ، وكان وزيراً للسلطان سليمان ، ثم للسلطان سليم ، ثم للسلطان مراد (شذرات الذهب ٨/ ٤١٤) .

أقول : ليس العجب من موت الوزير محمد باشا قتلاً ، وإنما العجب من طول سلامته بحث استمرّ وزيراً لثلاثة من السلاطين العثمانيّين .

وفي السنة ٩٨٧ قتل ذبحاً يحيى القدسي الشهير بالسايس ، قطعت رأسه لأنه سبّ شريفاً وسبّ جدّه ، وأثبت ذلك عليه « بالتعصّب » وضربه الجلّاد مرتين أو ثلاثاً بالسيف ، فلم ينقطع عنقه ، فذبحه ذبحاً ، فثار النيكجرية بالجلّاد وقطّعوه بالسكاكين (الكواكب السائرة ٣/ ٢٢٠) .

وفي السنة ٩٩٧ قتل ببخارى شهاب الدين عبدالله بن محمود الخراساني ، الفقيه الإمامي ، وجرى قتله على التشيّع ، وأحرق جسده في ميدانها (الاعلام ٤/ ٢٧٩) .

وفي السنة ٩٩٧ قتل محافظ دمشق ، سليمان باشا بن قباد ، قتله عبيده في داره (الكواكب السائرة ٣/١٥٨) .

وفي السنة ٩٩٧ قتل فرهاد باشا ، والي المجر للسلطان العثماني مراد الثالث ، قتله جنوده (معجم انساب الاسر الحاكمة ٢٥٥) .

وفي السنة ١٠٠٤ قاد السلطان محمد بن مراد العثماني ، المعركة مع ملك المجر بنفسه ، وانتصر عليه ، وفي ثاني يوم النصر عزل وزيره الأعظم إبراهيم باشا ، ونصب مكانه سنان باشا بن جغال ، وعزل خان التتار غازي كراي خان ، ونصب في موضعه أخاه فتح كراي خان ، ولما وصل إلى أدرنة بعد خمسة وأربعين يوماً ، عزل سنان باشا ، وأعاد إبراهيم باشا ، وعزل فتح كراي خان ، وقتله، وأعاد غازي كراي ، وفي السنة ١٠٠٦ عزل إبراهيم باشا وزيره ، وولّى حسن باشا الخادم في موضعه، ثم غضب على حسن باشا ، وحبسه في يديّ قله ، وقتله بعد ثمانية أيّام (خلاصة الأثر ٤/٢١٨، ٢١٩).

وفي السنة ١٠٠٨ قتل والي حلب إبراهيم باشا ، سبعة عشر شخصاً من الإنكشارية ، جاءوا من الشام وأخذوا يجبون أموالاً من الناس بحجة أنّهم من محصّلي الأموال الأميرية، فلما ظهر كذبهم ، أمر والي حلب بهم فقتلوا (أعلام الناس ٣/٢١٩، و٢٢٠).

وفي السنة ١٠١١ قتل مدّرس مدرسة بهرام ، عبد الرحمن المعروف بصاري ، اتّهم بالالحاد ، فأمر السلطان العثماني بقتله ، فقتل (خلاصة الأثر ٤/٢١٩).

وفي السنة ١٠١١ بلغ السلطان العثماني محمد الثاني بن مراد (١٠٠٣-١٠١٢) أنّ ولده محمود ، أكبر أولاده ، قد تكلّم عن أمور تتعلّق بالدولة، فأحضره، وسأله، فأجابه بجواب لم يرضه ، فقتله بيده ، وكان عمره ١٨ سنة (خلاصة الأثر ٤/٢٢١).

وفي السنة ١٠١١ شكا العساكر من غضنفر أغا حافظ الباب السلطاني، وعثمان أغا ضابط الحرم ، فأمر السلطان بقتلهما ، فقتلا ، ثم اجتمع العسكر بآت ميدان ، وشغبوا، فأحضر السلطان رؤساءهم بويزار عثمان ، واكوز محمود ، ودبه كور رضوان ، فقتلوا بحضرة السلطان (خلاصة الأثر ٤/٢١٩-٢٢١).

وفي السنة ١٠١٢ عزل السلطان وزيره الأعظم حسن باشا اليمشجي ، ونصب ياوز علي باشا وزيراً أعظم بدلاً منه ، فطلب العساكر أعادة اليمشجي للوزارة، فغضب السلطان من جرأتهم، وأرسل الى اليمشجي من قتله وهو في بستانه (خلاصة الأثر ٤/ ٢٢١).

وفي السنة ١٠١٣ قتل الوزير إبراهيم باشا ، نائب السلطان بمصر ، قتلته العساكر المصرية ، وقالوا أنّهم قتلوه حميّة للشيخ زين العابدين الذي أحضره الى قلعة الجبل ، ومات عند دخوله ، فرجّح الناس إنّه خنقه أو سمّه بأمر سلطاني ، فلم يبق بعده إلا أياماً يسيرة، ولما أراد التفتيش على عسكر مصر ، هاجوا عليه وقتلوه وادّعوا أنّهم قتلوه حميّة للشيخ زين العابدين (خلاصة الأثر ١/ ٦١، ٦٢).

وفي السنة ١٠١٤ قتل الأمير حسين باشا جانبولاد الكردي، أمير الأمراء بحلب ، قتله الوزير سنان باشا بن جغاله ، لأنّه كان قد طلب منه أن يحضر مع عساكره ، لمحاربة شاه العجم ، فتقاعس عنه ، حتى إذا عاد سنان باشا من حربه مع العجم ظافراً، لاقاه حسين باشا بمدينة وان ، فأمر به ، فقتل (خلاصة الأثر ٢/ ٨٧).

وفي السنة ١٠١٧ قتل السلطان توقتيمش كراي بن غازي ، قتله محمد كراي بن سعادت ، وكان قد تسلطن في السنة ١٠١٦ (معجم انساب الاسر الحاكمة ٣٦٧).

وذكر إنَّ السلطان جهانكير سلطان الهند (١٠١٤- ١٠٣٧) كان شديد القسوة ، وإنَّه قتل سكرتيره لمجرّد شكّه في إخلاصه ، من دون تحقيق ، وإنَّه قتل خادماً، لأنَّه كسر آنية . (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ٨٩).

وفي السنة ١٠١٨ قتل يحيى بن عيسى الكركي السلطي ، متهماً بالإلحاد والزندقة ، وكان في أوّل أمره ، قد أعلن عن اعتقادات فاسدة ،

فأحضره قاضي عجلون، وأدّبه، بأن ضربه خمسمائة سوط على رجليه وعلى بدنه ، ثم قصد الشام ، وأعلن عن معتقداته، فأحضره القاضي بدمشق ، ورآه مجنوناً ، فأمر بإيداعه البيمارستان ، ولكنّ بعض المتعصّبين راجعوه والحّوا في أمر محاكمته ، فأحضر ، وحوكم، فاعترف بما كتب ، فحكم عليه بالقتل ، وأرادوا إشهاره في البلد، ثم خافوا أن يتعصّب له العوام فيخلّصوه ، فضربت عنقه بفناء المحكمة وطمس قبره (خلاصة الأثر ٤/٤٧٨- ٤٨٠).

وفي السنة ١٠٢٠ قتل بأمر سلطاني ، الأمير علي بن جانبولاد ، أمير لواء الاكراد بحلب ، فإنَّه لما قتل عمّه حسين باشا ، خرج على الدولة العثمانية ، وجمع جموعاً من السكبانية ، ودبّر على قتل حسين باشا والي حلب، واستولى على حلب ، فنصب السلطان الأمير يوسف بن سيفا صاحب عكار أميراً على عساكر الشام ، وكلّفه بمحاربة الأمير علي بن جانبولاد ، فجمع له ابن سيفا جيشاً عرمرماً ، ولكنّه انكسر أمام عسكر ابن جانبولاد ، فاتصل الأمير علي بن جانبولاد ، بالأمير فخر الدين معن ، أمير الشوف وبلاد صيدا ، واتّفقا على حرب الأمير يوسف بن سيفا ، وقصدوا طرابلس الشام ، واستوليا عليها ، وامتنعت القلعة عليهما ، واستقرّا في البقاع ، فقصدتهما عساكر الدولة من الشام ، ولما نشبت المعركة انكسرت عساكر الدولة ، وأحاط عسكر ابن جانبولاد بالشام ، فأرضاه الشاميّون بفدية ، فعاد عنهم ، وتصالح مع الأمير يوسف بن سيفا الذي دخل تحت حكمه ، وأصبحت البلاد من حماة إلى أدنة تحت حكم ابن جانبولاد ، فوجّه السلطان الصدر الأعظم مراد باشا لحربه ، فقصدوه على رأس ثلثمائة ألف عسكري ، واشتبك معه في معركة ضارية فانفلّ عسكر ابن جانبولاد ، وفرّ إلى ملطية ، ثم قصد اصطنبول، ومثل أمام السلطان ، فعفا عنه السلطان ، وعينه والياً على طمشوار ، ثم أصدر السلطان أحمد أمراً بقتله ، فقتل ، وأرسل رأسه الى باب السلطنة (خلاصة الأثر ٣/١٣٥- ١٤٠).

وفي السنة ١٠٢٠ عزل السلطان أحمد بن السلطان محمد العثماني ، وزيره الأول الصدر الأعظم درويش باشا ، وأعدمه (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٤٢) .

وفي السنة ١٠٢٢ خرج الأمير عبدالله كتخدا الوزير جعفر باشا والي اليمن ، على الوالي ، وتحصّن في صنعاء ، فحاربه جعفر باشا ، فاستسلم ونزل اليه ، فأمر به فقطعت عنقه (خلاصة الأثر ١/٤٨٧) .

وفي السنة ١٠٢٣ قتل السلطان أحمد ، وزيره الأعظم نصوح باشا ، وكان قد ولّاه الوزارة العظمى في السنة ١٠٢٠ وزوّجه بابنته ، ثم قتله بعد ذلك ، وكان نصوح باشا ، قد ولي كفالة حلب ، فأصلح أمورها ، وأزال نفوذ العسكر الذين كانوا قد تسلّطوا عليها ، وفرّقهم ، وطرد رؤساءهم ، ثم نقل إلى ولاية أنا طولي ، ثم عيّن والياً على بغداد ، ثم نائباً للسلطان في ديار بكر ، ثم والياً على مصر ، ثم عينه السلطان صدراً أعظم ، فعقد الصلح مع شاه العجم ، ودخل القسطنطينية في السنة ١٠٢٠ فقابله السلطان أحمد بالقبول والإقبال ، وزوّجه ابنته ، ثم قتله (خلاصة الأثر ٤/٤٤٨ـ ٤٥١) .

وفي السنة ١٠٢٦ عزل الشريف إدريس بن الحسن ، شريف مكة ، وزيره أحمد بن يونس ، وكان قد عظم شأنه ، وقبض عليه ، فسجنه، وكبّله بالحديد ، وقتله في وادي النار (خلاصة الأثر ١/٣٧٢) .

وفي السنة ١٠٣٠ كان الأمير فروخ صاحب القدس ونابلس ، وأمير الحاج الشامي ، قد قصد مكّة مع المحمل ، وفوّض أمر حكومة القدس ونابلس إلى مملوك له يدعى يوسف ، فعمد ولده الأمير محمد بن فروخ ، إلى يوسف فقتله، واستولى على الحكم، وصادف أنّ والده الأمير فروخ مات بالحجاز ، فسافر الأمير محمد بن فروخ إلى الروم ، وتعيّن أميراً للحج بدلاً من والده ، ودامت له الإمارة ١٨ سنة ، وتوفّي في السنة ١٠٨١ وفيه نظم ابن النحاس قصيدته المشهورة التي مطلعها : (خلاصة الأثر ٤/١٠٨) .

بات ساجي الطرف والشوق يلحّ والدجى إن يمضِ جنح يأت جنح

ويقول فيها :

واذا قيل ابن فرّوخ أتى سقطوا، لو أنّ ذاك القول مزح

وفي السنة ١٠٣١ قتل الصدر الأعظم دولار باشا ، الوزير الأوّل للسلطان العثماني عثمان الثاني (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٤٣) .

وفي السنة ١٠٣١ قام قره داود ، زوج أخت السلطان مصطفى العثماني ، بقتل السلطان العثماني عثمان الثاني ، وأعاد صهره السلطان مصطفى للسلطنة ، فقتله السلطان مصطفى في السنة عينها (معجم انساب الاسر الحاكمة ٢٤٣) .

وفي السنة ١٠٣٢ قتل السلطان مصطفى الأوّل العثماني وزيره الأوّل الصدر الأعظم كورجي محمد (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٢٤٣) .

وفي السنة ١٠٣٢ لما استولى الشاه عباس ، شاه العجم ، على بغداد ، نصب السلطان أحمد باشا حافظ وزيراً أعظم ، وأمره بالتوجّه إلى بغداد وطرد العجم منها ، فوافى بغداد ، وحصرها ، فلم يتمكّن من احتلالها ، وضاق الأمر على عساكره ، ووقع فيهم الغلاء ، وهرب غالبهم ، واجتمع جمع كبير منهم ، ورجموا أحمد باشا قائدهم ، وطلبوا منه أن يرفع الحصار لكي يعودوا إلى أوطانهم ، فأستمهلهم ، فأمهلوه، ثم هجموا عليه ووضعوا في عنقه محرمة ، وجذبوه فقلعوه من مجلسه ، فاضطر إلى أن يرحل بهم ويفكّ الحصار عن بغداد ، ولما وصل إلى حلب أبلغ بقرار عزله ، فعاد إلى اصطنبول ، ثم نصب صدراً أعظم في السنة ١٠٤١ فاجتمع العساكر ، وهاجوا ، وطالبوا السلطان برأسه ، فخيّره السلطان بين أن يقتله بنفسه ، أو أن يسلمه الى العساكر ، فاختار الثانية فأسلمه إلى العساكر ، فقتلوه (خلاصة الأثر ١ / ٣٨٥) .

أقول : جاء في معجم زامباور (ص ٢٤٣) إنّ حافظ احمد باشا نصبه السلطان مراد الرابع ، صدراً أعظم في السنة ١٠٣٤ وعزله في السنة ١٠٣٦ ثم نصبه صدراً أعظم مرة ثانية في ربيع الأوّل من السنة ١٠٤١ وقتل في رجب من السنة ١٠٤١ .

وجاء في تاريخ العراق للعزاوي ١٧٢/٤ : إنه في السنة ١٠٣٢ حاصر حافظ أحمد باشا والي ديار بكر ، بغداد لتأديب بكر الصوباشي ، الذي قتل والي بغداد يوسف باشا ، وعصى فيها ، فانكسر جيش بغداد ، وقتل منه ٣٧٠٠ جندي وأسر منه ٢٥٠٠ أسير ، فأمر الباشا بقتلهم جميعاً ، فقتلوا .

وفي السنة ١٠٣٣ اختلف الأمير فخر الدين بن معن ، مع كيوان بن عبدالله ، سردار عسكر دمشق ، وأحد كبراء جنود الشام ، فضربه بخنجر فقتله ، وكان كيوان آية في الظلم والجور ، والإعتداء على الناس ، وكان قد اتفق مع بعض القضاة والشهود ، واستولى على كثير من الأوقاف والأملاك ، وكان يحتال للحصول على المال بأنواع عجيبة من الحيل ، ثم اتّفق مع الأمير فخر الدين بن معن ، وخرجا على الدولة العثمانية ، وأصلح بين الأمير فخر الدين وبين الأمير علي بن جانبولاد ، فاتحدا ضدّ الدولة ، وما زال يتقلّب بين الدولة وأعدائها حتى وقعت الفتنة بينه وبين الأمير فخر الدين بن معن ، فطعنه الأمير فخر الدين بخنجر ، فقتله (خلاصة الأثر ٢٩٩/٣ ـ ٣٠٢) .

وفي السنة ١٠٣٣ قتل السلطان مراد الرابع العثماني وزيره الأول الصدر الأعظم كما نكش قره علي (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٢٤٣) .

وفي السنة ١٠٣٧ نسب القضاة والمدرّسون في الأستانة ، إلى الصدر الأعظم مره حسين باشا ، أنّه قال عن صاحب الرسالة ، النبي صلّى الله عليه وسلّم : إنّ من مات من ألف سنة ، كيف يعتبر كلامه وقد صار عظماً رميماً ، فقدّم حسين باشا ، لضرب عنقه ، وضجّ العساكر يطلبون التأنّي في

أمره ، فصاح المفتي المولى حسين بن محمد ، المعروف بأخي زاده ، بالجلّاد ، بصوت هائل : أضرب عنق هذا اللعين ، فضرب الجلاد عنقه في الحال (خلاصة الأثر ٢/ ١١٠).

وفي السنة ١٠٣٩ دخل الأمير قانصوه باشا ، مكّة ، في طريقه إلى بلاد اليمن ، نائباً للسلطان فيها ، ومعه جيش عظيم ، فلما دخل مكّة اختلف مع الشريف أحمد بن عبد المطلب ، فقبض عليه وقتله ، وأقام مكانه الشريف مسعود بن إدريس ، وأرسل يوسف الكتخدا إلى اليمن فقبض على عابدين باشا ، وحبسه ، وقتله صبراً بعد ثلاثة أيّام ، ووصل قانصوه باشا إلى اليمن فقبض على الفقيه أحمد بن محمد بن جعفر العجيل ، وحبسه ، وصادره ثم صلبه ، ثم قتل الأمير سليمان في السنة ١٠٤٠ ثم أمر باعتقال يوسف الكتخذا ، وضرب عنقه، « فقام عليه العسكر » وحصروه في القلعة ، فاستغاث بالإمام الحسن الزيدي ، فخلّصه (خلاصة الأثر ٣/٢٩٧ـ ٢٩٩).

وفي السنة ١٠٤٠ قتل الأمير قانصوه باشا ، الأمير سليمان ، بإصرار من عساكره ، وكانوا قد شرطوا عليه قبض سبعة أنفار من القوّاد من جماعته ، فقتلوا اثنين منهم ، وحبسوا أربعة ، وفرّ السابع ونجا بنفسه ، واستمرّ خلافه مع عسكره ، حتى التجأ الأمير قانصوه في السنة ١٠٤٥ إلى الإمام الحسن الزيدي ، فحماه ، وزوّده، وسيره إلى مكّة (خلاصة الأثر ٣/٢٩٧ـ ٢٩٩).

وفي السنة ١٠٤٠ ولي حلب مرتضى باشا نوغاي ، وفي السنة ١٠٤٣ وافى حلب السردار محمد باشا ، فاستقبله مرتضى باشا ، وظهر للسردار أنّ مرتضى باشا قد تساهل في القبض على بعض المفسدين، فأنهى أمره للدولة ، فجاء الأمر بقتل مرتضى نوغاي باشا ، وكلّف السردار بأن يتولّى هذه المهمة بنفسه ، فقتله وبعث برأسه إلى الاستانة (أعلام النبلاء ٣/٢٤٦ـ ٢٤٧).

أقول : ورد هذا الخبر في خطط الشام كما يلي :

وفي السنة ١٠٤٣ جاء الصدر الأعظم محمد باشا ، إلى حلب ، يحمل مرسوماً سلطانياً ، بقتل نوغاي باشا ، بحجة أنّه أهمل في تأديب الأشقياء فقطعت عنقه ، وأرسل رأسه بلحيته البيضاء إلى جانب السلطنة (خطط الشام ٢/ ٢٦١) .

وفي السنة ١٠٤١ قتل السلطان مراد الرابع العثماني ، وزيره الأوّل الصدر الأعظم خسرو باشا (معجم الأسر الحاكمة ٢٤٣) .

وفي السنة ١٠٤١ قتل السلطان مراد الرابع العثماني ، وزيره الأول ، الصدر الأعظم حافظ احمد باشا (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٤٣) .

وقد سبق أن أوردنا هذا الخبر ،ولكن أتساق قتل السلطان لأثنين من وزرائه في نسق واحد في سنة واحدة ، أوجب ذكرها هنا .

وفي السنة ١٠٤٢ بلغ الوزير الأعظم العثماني بيرام باشا ، إنَّ الشاعر عمر المعروف بنفعي قد هجاه ، فحنق عليه وقتله (خلاصة الأثر ٣/ ٢٢٩) .

وفي السنة ١٠٤٣ ثار الانكشارية بحلب على رئيسهم كوسا محمد أغا ، وطلبوا عزله ، وأحدثوا فتنة ، فخرج كوسا محمد أغا متوجّهاً إلى الاستانة ، وقابل السلطان ، وعدد له خدماته ، فأمر السلطان بقتله ، فقتل (أعلام النبلاء ٣/ ٢٤٧-٢٤٨) .

وفي السنة ١٠٤٣ قتل بأمر سلطاني الأمير فخر الدين بن قرقماس بن معن الدرزي ، وكان قد علا شأنه ، واستولى على بلاد كثيرة منها صيدا وصفد ، وبيروت ، وما حولها ، ثم استولى على طرابلس ، ثم قصده مصطفى باشا

بعساكر الشام ، فحاربهم وانتصر عليهم ، وأسر مصطفى باشا ، ثم اطلقه ، فوجّه إليه السلطان أحمد باشا المعروف بالكوجك ، فقتل ولده الأمير علي بن فخر الدين في المعركة ، ثم حصر فخر الدين في قلعة جزّين ، فنزل إليه طائعاً مستسلماً ، فأخذه ودخل به إلى دمشق في موكب حافل ، وكان فخر الدين في الموكب خلف الباشا ، على فرس ، مقيّداً ، ثم أرسله الى جهة السلطان، فأمر السلطان بقتله ، فقتل (خلاصة الأثر ١/٣٨٦، ٣٨٧ و ٣/٢٦٧ ، ٢٦٨) كما خنق ولده مسعود (سلك الدرر ٢/٥٩) .

وقتل امام اليمن ، محمد بن أحمد بن الحسن (١٠٤٧- ١١٣٠) ولده ، إرهاباً لعسكره ، وقال : ما فرّطت في ابني إلاّ ليعلم الناس أنّي لا أعرف إلاّ القتل ، ولا أتوقّف فيه بحال (خلاصة الأثر ٤/٣١١) .

وفي السنة ١٠٥٢ وقع بين علي بن حسين الأرنود ، أحد كبراء جند الشام ، وبين نائب السلطان الوزير أحمد باشا ، مغاضبة، فأمر احمد باشا بإحضاره ، فأحضر، فأمر بقتله، فقتل ، وألقي خارج باب السعادة (خلاصة الأثر ٣/٦ و١) .

وفي السنة ١٠٥٥ فتح القائد البحري يوسف باشا ، جزيرة كريت ، فلما قدم القسطنطينية ، قتله السلطان إبراهيم لأمر نقمه عليه (خلاصة الأثر ١/١٤) .

وفي السنة ١٠٥٧ قتل السلطان العثماني إبراهيم الأوّل ، وزيره الأوّل ، الصدر الأعظم صالح باشا (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٤٣) .

وفي السنة ١٠٥٨ قتل السلطان إبراهيم الأول العثماني ، وزيره الأوّل ، الصدر الأعظم أحمد هزار پاره (معجم الأسر الحاكمة ٢٤٣) .

وفي السنة ١٠٥٨ قام العسكر باصطنبول على السلطان إبراهيم ، واجتمعوا في جامع السلطان أحمد ، وحضر العلماء والصدور، فعزم القاضي

مصطفى ، قاضي القسطنطينية ، على الحضور معهم ، فنصحه أصحابه أن لا يحضر ، فأبى وأصرّ على الحضور ، فلما وافى الجامع ، تعرّض له العسكر ، وقتلوه بباب الجامع (خلاصة الأثر ٤/٣٩٤).

وفي السنة ١٠٥٨ اتّفق أرباب الدولة العثمانية ، وخلعوا السلطان ابراهيم من السلطنة ، وخلفه ولده محمد ، وفي ثالث يوم من خلعه ، قتلوه ، وقد اتّفق له ما لم يتّفق لغيره من السلاطين ، فإنّه رأى سلطنة أبيه وعمّه وأخويه وولده (خلاصة الأثر ١/١٥).

وفي السنة ١٠٥٨ قتل المولى حسين الشهير بالجنجي ، قاضي العسكر في دولة السلطان إبراهيم ، وكان سبب اتصاله بالسلطان إبراهيم العثماني ، إنّ السلطان لم يكن يولد له ، فتلا عليه المولى حسين بعض العزائم والأدعية ، فحملت إحدى جواريه وولد له ولد ، فانهالت الدنيا على المولى حسين ، وحصل على أموال عظيمة ، وصار له جاه كبير ، فلما خلع السلطان إبراهيم ، حبس المولى حسين، وصودر ، وحمل الى قصبة ميخاليج حيث قتل هناك (خلاصة الأثر ٢/١٢٣).

وفي السنة ١٠٦٥ هاج العسكر على الوزير الأعظم مصطفى باشا ، الشهير بأبشير وكان قد ولي الوزارة العظمى في السنة ١٠٦٤ فلم تطل مدّته في الوزارة ، إذ هاج عليه العسكر ، وقتلوه (خلاصة الأثر٤/٣٩٦).

وفي السنة ١٠٦٩ قتل بدمشق عبد السلام بن عبد النبي المرعشي ، أحد أعيان الجند ، مع آخرين ، بموجب أمر سلطاني ، لأنّهم تحرّكوا في وجه الوالي الذي نصبه السلطان ، وحالوا دون مباشرته بعمله ، ومنعوه من دخول دمشق ، فعاد الوالي إلى أدنه ، وكتب إلى السلطنة ، فصدر الأمر بنصب والٍ جديد ، وبقتل هؤلاء الذين تحرّكوا ، فقتلوا (خلاصة الأثر ٢/٤١٨).

وفي السنة ١٠٧٠ صدر أمر سلطاني بعزل غازي باشا بن شاه سوار

الجركسي ،عن محافظة مصر ، وحبسه، فحبس أياماً ، ثم صدر الأمر بقتله ، فقتل (خلاصة الأثر ٣/٢٤٥).

وفي السنة ١٠٧١ قتل الرئيس مصطفى رمضان الدفتري بمدينة أدرنة ، اتهم بالتصرّف في أموال الخزينة بدمشق ، فأمر السلطان بقتله ، فقتل ، قال المحبّي : من العجائب أنّ الرئيس مصطفى ولد بدمشق ومات بأدرنة، أما والده رمضان فقد ولد بأدرنة ومات بدمشق (خلاصة الأثر ٤/٣٧٢).

وفي السنة ١٠٧١ اتصل بمسامع الصدر الأعظم ، أنَّ أبا النور محمد باشا ، والي حلب، صار « يضرب السكّة المغشوشة » لنفسه ، فعرض ذلك على الحضرة السلطانية، فأمر السلطان بعزله ، وأحضر إلى الأستانة ، ولما وصل ، أمر بقتله ، فقتل (أعلام النبلاء ٣/٢٧٢).

وفي السنة ١٠٧٢ قتل حسين باشا المعروف بدالي حسين ، أحد الوزراء الكبار في الدولة العثمانية ، وكان شديد الصلة بالسلطان مراد فاتح بغداد ، وقد صحبه في سفر بغداد ، وبعد وفاة السلطان مراد ، ولي حكومة بغداد ، ثم ولي وزارة البحر ، وفي عهد السلطان إبراهيم عيّن والياً لجزيرة كريت ، فأقام فيها سبع عشرة سنة ، وفتح أكثر بلادها وقراها ، ثم أرسل اليه السلطان ختم الوزارة العظمى ، أي أنّه طلب حضوره ليكون صدراً أعظم ، وقبل أن يصل إلى إسطنبول فوّضت الوزارة إلى غيره ، فلما دخل حسين باشا إلى أدرنة في موكب حافل ، اجتمع بالسلطان محمد بن إبراهيم ، فأرسله إلى اصطنبول وحبس في المكان المعروف بيدّي قله ، واستفتي مفتي الدولة في قتله ، فامتنع، فعزل المفتي ، وولي مكانه آخر أفتى بقتله ، فقتل (خلاصة الأثر ٢/١٢٣ و ١٢٤).

وفي السنة ١٠٧٢ توفّي محمد باشا الكوبري ، الوزير الأعظم للسلطان محمد بن السلطان إبراهيم ، وكانت أمور الدولة قد اختلّت، وكان الوزير يولّى

أيّاماً ، ثم يعزل أو يقتل ، وبلغ من تفلّت الأمور أنّ جماعة من الخدم العبيد في قصر السلطان، هجموا على جدّته صاحبة الخيرات ، فقتلوها ليلاً، فأشار علي أغا الطويل ، من أغوات الحرم ، باستيزار محمد باشا الكوبري ، فنصبه السلطان وزيراً أعظم ، فكان أوّل ما صنعه أن نفى علي أغا الطويل إلى قبرس ، ولما سئل عن سبب ذلك ، قال : إنَّ الذي يملك التعيين يملك العزل ، ثم قتل كثيراً من رجال الدولية ، حتى أنَّ أحد الباشاوات ، واسمه خسرو باشا ، كان بينه وبين الكوبري محبّة زائدة ومواثيق ، فأحضره، وقال له : إنّي أريد أن أقتلك ، فقال له : لم يحصل منّي ما يستوجب القتل، وأنا على عهدك وميثاقك ، فقال له : إنَّ في قتلك إرهاباً للقوم ، إذ يقولون إنَّ الوزير قتل أقرب الناس إليه ، فهو لا يتوقّف في أمر القتل ، فألقي بذلك الرعب في قلوبهم، فتوسّل خسرو باشا إليه أن يبقى عليه ، فأبى ، وقتله (خلاصة الأثر ٤/٣١١).

وفي السنة ١٠٧٣ قتل في محبسه ، بأمر من السلطان العثماني، حسين باشا بن حسن حاكم غزّة ، وكان أمّياً ، خلف أباه في حكم غزّة ، وقدّمت بشأنه شكوى إلى السلطان بعدم اهتمامه بحراسة الحجّاج وهم في طريقهم إلى الحجّ ، فاعتقل بأمر السلطان ، وسجن بقلعة دمشق ، ثم حمل إلى اصطنبول ، فقتل في سجنه (خلاصة الأثر ٢/٨٨ و٨٩).

وفي السنة ١٠٧٣ قتل الأميران منصور بن الشهاب التيماني ، أمير وادي التيم ، وابن عمّه الأمير علي ، وكان قد اشتركا في حركة ضدّ الدولة العثمانية ، ثم انفلّ عسكرهما ، فلجأ الأمير منصور إلى القسطنطينية ليسترضي السلطان ، فلما وافي القسطنطينية عوجل بالقتل ، أما ابن عمّه الأمير علي ، فإنّه أستتر ، ثم ظفروا به فقتلوه في السنة عينها (خلاصة الأثير ٤/٤٣٠).

وفي السنة ١٠٨٦ ورد أحمد باشا والياً على مصر ، وأراد فرض ضرائب على العقار ، فاجتمع العسكر ، وهاجوا ، وصادف أن كان كاتب مقاطعة

الغلال عبد الفتاح افندي الشعراوي ، نازلاً من الديوان، وكان قد قدم صحبته أحمد باشا إلى مصر ، فاتهموه بأنّه هو الذي أغرى الباشا على فرض تلك الضرائب ، وهجموا عليه ، وقطعوه قطعاً (الجبرتي ١/١٤٩، ١٥٠).

وفي السنة ١٠٨٨ قتل الأتراك بمكّة ، جماعة من العجم اتّهموهم بتلويث البيت الشريف ، إذ اطّلع على هذا التلويث بعض سدنة البيت الحرام ، فاجتمع خاصّة أهل مكة ، والشريف ، والقاضي ، وقرّروا إنَّ هذا المتجرّي لابد أنّه من الرافضة (الشيعة) وجزموا به ، وقرروا أن يقتلوا كلّ من اشتهر بالرفض ووسم به ، وصادفوا بالحرم خمسة انفار من القوم (الشيعة) ومنهم السيد محمد مؤمن ، وكان رجلاً مسنّاً ، متعبّداً ، متزهداً الا أنّه معروف بالتشيّع، فقتلوه ، وقتلوا الأربعة الآخرين (خلاصة الأثر ٣/٤٣٢ و ٤٣٣).

وفي السنة ١٠٩١ باغت الأمير عمر الحرفوش ، مع آل حمادة، جماعة الأمير فارس شهاب ، في نيحا ، قرب الفرزل، فقتله، وقتل معه خمسين رجلاً من شيوخ وادي التيم (خطط الشام ٢/٢٧٦).

وفي السنة ١٠٩٤ خرج الوزير الأعظم مصطفى باشا المرزيفوني ، لمحاربة ملك المجر ، فانكسر جيشه ، وعاد إلى مدينة بلغراد ، فورد امر السلطان بقتله في السنة ١٠٩٥ فقتل (٤/٣٩٧-٤٠٣).

أقول : ذكر صاحب معجم أنساب الحاكمة (ص ٢٤٤) إنَّ اسم الوزير المقتول قره مصطفى باشا مرزونلي ، وأنَّ إعدامه تم في السنة ١٠٩٥ بأمر من السلطان محمد الرابع العثماني ، وأنّه أعدم في بلغراد .

وفي السنة ١٠٩٩ قتل السلطان محمد الرابع العثماني ، وزيره الصدر الأعظم أبازه باشا سياوش (معجم انساب الاسر الحاكمة ٢٤٤).

وفي السنة ١١٠١ اعدم بأمر من السلطان سليمان الثاني العثماني ،

الصدر الأعظم وزيره الأوّل نشانجي اسماعيل باشا (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٤٤).

وفي السنة ١١٠٦ ورد أمر سلطاني من اصطنبول ، بقتل حسن بن علي الرومي الدفتري ،« أحدخواجكان الدولة » وكان قد عاد من مهمّة أرسله بها السلطان إلى بلاد النمسا ، فوصل الأمر بقتله ، وهو في داره بحماة ، وكان مريضاً قد عبر الثمانين ، فقتل (سلك الدرر ٢/٣٢).

أقول : جاء في خطط الشام ٢/٢٨٥ في أخبار السنة ١١٠٦ خبر مقتل هذا الرجل بتفصيل أكثر ، قال : في السنة ١١٠٦ قام الحمويّون على متسلّم حماة سعد بن مزيد ، لظلمه وجوره ، وأخرجوه من البلد ، فشكاهم إلى الدولة في اصطنبول ، واتّهم أحد وجهاء حماة ، واسمه حسن الدفتري المشهور بابن قنيف ، بأنّه هو الذي أثار الفتنة ، فجاء أمر السلطان بقتله، فقتل (خطط الشام ٢/٢٨٥).

وفي السنة ١١٠٨ قامت العساكر على ياسف (يوسف) اليهودي ، وقتلوه ، وجرّوه من رجله ، وطرحوه في الرميلة ، وجمعوا حطباً وأحرقوه ، وسبب ذلك إنَّ يوسف اليهودي رحل إلى اصطنبول ، وحضر ومعه فرمان بزيادات في الضرائب ، واستقبله اليهود في بولاق ، ولما أعلن ما جاء به ، اغتمّ الناس ، وراجعوا الباشا ، فلم يجبهم بما يرضيهم ، فهاجوا، وأخذوا اليهودي ، وقتلوه، وأحرقوه (تاريخ الجبرتي ١/٤٩).

وفي السنة ١١١٠ ظهر بمصر رجل من أهل الفيّوم ، يدعى العليمي ، واجتمع عليه كثير من العوامّ ، وادّعوا فيه الولاية ، وأقبل الناس عليه من كلّ جهة ، فقامت عليه العساكر ، وقتلوه بالقلعة ، ودفن بمشهد السيدة نفيسة (تاريخ الجبرتي ١/٥٠).

وفي السنة ١١١١ ظهر باليمن ابراهيم بن علي بن حسن الشرفي

المحطوري ، وحرّم الدخان ، وادعى الخلافة ، فتبعه كثير من الناس، واستمرت فتنته ثلاثة أشهر ، قتل فيها عشرون ألفاً ، ثم ظفر به صاحب صعدة ، فذبحه ، وصلبه (الأعلام ١/٤٨).

وفي السنة ١١١٤ قتل بأمر سلطاني الصدر الأعظم علي باشا المعروف بالعربجي، وثمَّ قتله في قبرس ، وكان وزيراً شديد البأس، حادّ المزاج (سلك الدرر ٤/٣).

وفي السنة ١١٢٢ عزل الداماد علي باشا الجور ليلي ، الصدر الأعظم ، وزوج بنت السلطان مصطفى خان ، ونفي إلى جزيرة مدلّلي ، وقتل هناك (اعلام النبلاء ٣/٣٠٨).

وفي السنة ١١٢٣ وقعت بمصر فتن بين الجند المماليك والينكجريّة، فقتل إيواظ بك زعيم القاسمية ، وكان شجاعاً ، أطلق خصومه عليه الرصاص ، فأصابته رصاصة في صدره ، فقتل (تاريخ الجبرتي ١/٧٥) ثم تغلّب المماليك وعزلوا الباشا نائب السلطان بمصر ، وأنزلوه من القلعة ، وقام المماليك بالإقتصاص ممن قتل إيواظ بك فقتلوا حسني أغا مستحفظان ، رأوه خارجاً من بيته من باب المطبخ فقطّعوه ، وقطّعوا اسماعيل افندي بالمحجر ، وكذلك عمر أغات الجراكسة قتل بحضرة اسماعيل بن إيواظ ، ونزل إفرنج أحمد وكجك أحمد أوده باشا إلى المحجر متنكّرين ، فعرفهما الجالسون بالمحجر فقبضوا عليها ، وذهبوا بهما إلى باب العزب ، وقطعوا رأسيهما ، وقبض على احمد كتخدا وطلعوا به إلى الباب حيث خنق ، وحمل إلى منزله في تابوت (تاريخ الجبرتي ١/٨٠ و ٨١).

وفي السنة ١١٢٦ قتل الأمير قيطاس بك ، من أمراء المماليك بمصر ، قتله عابدي باشا ، والي مصر ، إذ دبّر عليه بأن طلب منه الحضور إليه ليرافقه الى موضع اسمه سبيل علام ، فنصحه بعض الأمراء أن لا يحضر في

الموعد ، فلم يأبه للنصيحة ، وحضر لمقابلة الباشا ، فلما صعد إليه ، هجم عليه أتباع الباشا وقتلوه بالخناجر ، وقطعوا رأسه ورموه إلى أتباعه من الشباك ، بعد أن سلخ وجهه (تاريخ الجبرتي ١/١٥٧). فهاج أتباع قيطاس بك في السنة ١١٢٧ وقتلوا الكتخدا شريف حسين وإبراهيم باش أوده باشا ، ثم تحرّك أخو الشريف حسين وهو محمد كتخدا كدك ، وقتل حسن كتخدا النجدلي ، وناصف كتخدا القاز دغلي، وهرب كور عبدالله ، ثم قبض عليه بعد ستّة أيّام ، وأحضر راكباً حصاناً وفي عنقه جنزير ، وعلى رأسه ملاءة ، فأمر به الباشا ، فقتل (الجبرتي ١/١٥٨).

وفي السنة ١١٣٠ عين السلطان العثماني ، رجب باشا ، والياً على مصر ، وأوعز اليه بأن يقتل علي باشا والي مصر المعزول ، فلما وصل رجب باشا إلى مصر ، واستقر بالقلعة ، أمر بعمل حساب علي باشا ، ثم أحضره، وقطع رأسه ، وسلخها، وأرسلها إلى الباب العالي ، ودفنت جثّته بالقرافة ، وعرف قبره ، بقبر علي باشا المظلوم (الجبرتي ١/٩٦).

وفي السنة ١١٣٠ توفّي المهدّي الزيدي ، محمد بن أحمد ، من أئمة الزيدية ، وكان جباراً بطاشاً ، قتل أبناً له في جرم يسير إرهاباً للناس ، وقتل عالماً من الناس سفك دماءهم بمجرد الظنون والشكوك ، خلع من الحكم سنة ١١٢٩ (الإعلام ٦/٢٣٩).

وثار السيك ، في البنجاب ، بالهند ، على السلطان فروخ سير (١١٢٤ـ ١١٣١) فجرّد عليهم جيشاً أوقع فيهم مذبحة عظيمة ، قتل فيها الآلاف، حتى إنّه بعث إلى دلهي ألفي رأس ، وألف أسير ، من بينهم « بندا » زعيم السيك ، وابنه الصبيّ البالغ من العمر ثماني سنوات ، فأدخل الأسرى مشهرين على الجمال وأمر السلطان بقتل الأسرى ، ومن افظع ما حصل أنّ بندا زعيم السيك ، أمر بأن يقتل ولده بيده ، وظهر من السيك تضامن وارتباط يثيران الإعجاب ، حتى أنّ السلطان أصدر أمراً بالعفو عن أحد هؤلاء

الأسـرى ، ولما أريـد اطلاقـه ، أبى ، وأصـر إلاَّ أن يشـارك رفـاقـه مصيـرهم (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ١٨٦ و ١٨٧) .

وفي السنـة ١١٣٦ قتل الأميـر احمد بـك المسلماني . قتله والي مصـر محمد باشا بأن أرسله إلى ولاية جرجا « ليشهّل غـلال الميري » ثم أرسـل إلى سليمان كاشف فرمانـاً بقتل الأميـر احمد ، فـذهب سليمان كـاشف إلى الأمير احمد ، بحجّة السلام عليه ، ثم غمـز عليه بعض أتبـاعه ، فضـربوه، وقتلوه، وقطعوا رأسه (الجبرتي ١/١٧٧) .

وفي السنة ١١٣٦ قتل إسماعيل بك إيواظ واسمـاعيل بـك جرجـا ، في قاعة كتخدا الوالي ، بالقلعة بمصر ، بناء على اتفاق مع الوالي محمد بـاشا ، إذ تقدّم منه الأمير ذو الفقار وقدّم له عريضة، فأخذ في قـراءتها فهجم عليـه ذو الفقار ، وقتله بخنجر ، وكان آخرون من الأمراء متآمرين مع ذي الفقـار ، فلما رأوه طعن اسمـاعيل بـك إيواظ سلّوا سيـوفهم وقتلوا اسماعيـل بـك جـرجـا ، وقطعوا رأس الأميرين ، وسلخوهما (الجبرتي ١/١٨٣) .

أقول : قتل اسماعيل بك إيواظ وهو ابن ثمان وعشرين سنة .

وفي السنة ١١٣٦ لما قتل إسماعيـل بك إيـواظ بالقـاهرة ، بـاتّفاق مـع الـوالي محمد بـاشا ، قـرّر أن يقتل من بعـده كلاًّ من عبـداللّه بك زوج أخت اسماعيل إيواظ والأمير محمـد بك إيـواظ والأمير إبـراهيم بك تـابع الجـزّار ، فـاحتـال عليهم حتى حضـروا عنـد الكتخـدا ، ثم دخـل الجـوخـدارية على عبداللّه بك ، فأخذوا ثيـابه ، ومـا في جيوبـه ، وأنزلـوه وسلّموه إلى الـوالي ، فأركبه على ظهر كديش ، ونـزلوا بمحمـد بك إيـواظ ومعه الأميـر إبراهيم بـك الجـزّار على حمارين ، وأخـذ الثلاثـة إلى مركب في النيـل وقـام المشـاعليـة بقتلهم وسلخـوا رؤوسهم ، ورمـوا جثثهم في البحـر (الجبـرتي ١/ ١٨٥ - ١٨٧) .

وفي السنة ١١٣٨ اتّفق بمصر ثلاثة من أمراء المماليك وهم مصطفى بك إيواظ وعلي بك أبو العذب ، وأبو دفيّة ، على قتل الباشا نائب السلطان بمصر ، والدفتردار علي بك الهندي ومحمد بك ذي الفقار ، وبلغ الباشا الخبر ، فلما طلع علي بك أبو العذب قبض عليه الباشا وقتله ، ثم أمر بالقبض على الآخرين ، فقبض على مصطفى بك إيواظ وأركب حماراً ، وصحبته مقدّمه ، وأحضروهما أمام الباشا ، فأمر بقتله ، وقتل مقدّمه ، فقتلا معاً (الجبرتي ١ / ١١٠ و ١١١) .

وفي السنة ١١٤٠ كان الأمير محمد بك بن يوسف بك الجزّار ، في كشوفية المنوفية فعينوا له بأمر الباشا ، تجريدة لقتله ، وبلغه ذلك ، فارتحل في مركب إلى رشيد ، مع مملوكين من مماليكه ، فنمى خبره إلى حسين جربجي ، فقبض عليه وعلى أحد المملوكين ، وكتب إلى القاهرة ، فأرسل الباشا إليه فرماناً بقتل الأمير محمد بك ، وقتل مملوكه معه ، ومع الفرمان اغا من قبل الباشا ، فقتلوا محمد بك ومملوكه ، وسلخوا رأسيهما ، ورجع بهما الأغا المعيّن من قبل الباشا إلى القاهرة (الجبرتي ١ / ٢٠٠) .

وفي السنة ١١٤٠ قتل الأمير علي بك الهندي ، والأمير ذو الفقار قانصوه ، إذ آحتيل على الأمير علي بك حتى أحضروه إلى دار ذي الفقار بك ، ثم أخذوا حصانه والكرك الذي كان عليه ، وأركبوه كديشاً عرياناً ، ثم أخذوا معه ذا الفقار قانصوه وسحبوهما عريانين إلى سبيل المؤمن ، وقطعوا رأسيهما ، ووضعوا جثّتيهما في تابوتين ، وأرسلوا التابوتين إلى بيتيهما (الجبرتي ١ / ١٩٩) .

وفي السنة ١١٤١ قتل الشاه حسين الأوّل ، قتله السلطان الأفغاني أشرف ، وكان الشاه حسين قد عزله السلطان محمود الأفغاني في السنة ١١٣٥ (معجم انساب الأسر الحاكمة ٣٨٨) .

وفي السنة ١١٤٢ قتل عبدالغفار اغا بن حسن افندي ، وكان قتله خطأ ، إذ أنّه ورد إلى الباشا والي مصر ، رسالة من اصطنبول تتضمن الوصيّة بعبد الغفار اغا ، فأمر كتخدا الشاويشيه بأن يحضره من أجل تلطيفه ، فأمر كتخدا الوالي باحضاره امام الباشا ، وحسب الوالي أنّ المطلوب قتله ، فأحضره ، وواجه الباشا ، ولما أراد العودة إلى داره ، أوصلوه إلى باب بيته ثم أمسكوا به وقتلوه ، فصرخت والدته ، وزوجته ، وجواريه ، وتظلّموا إلى الباشا ، وقالت والدته : إذا كان الباشا أراد قتله كان يفعل ذلك بعيداً عنّا ، فتعجّب الباشا ، وسأل عن القصّة ، فأخبروه بما حصل ، فاغتاظ ، وعزل الوالي (الجبرتي ١ / ٢١٥ و ٢١٦) .

وفي السنة ١١٤٣ قتل الصدر الأعظم الداماد ابراهيم باشا ، الوزير الأوّل للسلطان أحمد الثالث العثماني (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٤٥) .

وفي السنة ١١٤٧ غلت الأسعار في حلب ، وقلّت الأقوات ، فتحرّك العامّة لنهب الخبز من الخبّازين ، فصادفوا في طريقهم خليل المداري دائراً على الأفران ، يقبض ثمن الطحين ، فهاجموه ، ففرّ منهم نحو البرية ، فأدركوه ، وقتلوه (اعلام النبلاء ٦ / ٤٨٨) .

وفي السنة ١١٤٧ ظهر بالجامع الأزهر ، رجل تكروري ، وادّعى النبوة ، فأحضروه بين يدي الشيخ أحمد العماوي ، فسأله عن حاله ، فأخبره إنّه كان في شربين ، فنزل عليه جبريل ، وعرج به إلى السماء ليلة سبع وعشرين رجب ، وإنّه صلى بالملائكة ركعتين ، وأذّن له جبريل ، ولما فرغ من الصلاة أعطاه جبريل ورقة ، وقال له : أنت نبيّ مرسل ، فآنزل وبلّغ الرسالة ، وأظهر المعجزات ، فلما سمع الشيخ كلامه ، قال له : أنت مجنون ، فقال : لست بمجنون ، وإنما أنا نبيّ مرسل ، فأمر بضربه ، فضربوه وأخرجوه من الجامع ، ثم سمع به عثمان كتخدا ، فأحضره ، وسأله ، فقال له مثل ما قاله للشيخ العماوي ، فأرسله إلى المارستان ، واجتمع عليه الناس

والعامّة ، رجالاً ونساءً ، ثم إنّهم أخفوه عن أعين الناس ، ثم طلبه الباشا ، فأجابه بمثل كلامه الأوّل ، فأمر بحبسه في « العرقانة » ثلاثة أيّام ، ثم إنّه جمع العلماء ، وسألوه فلم يتحوّل عن كلامه ، وأمروه بالتوبة فامتنع ، وأصرّ على أقواله ، فأمر الباشا بقتله ، فقتلوه بحوش الديوان ، وهو يقول : فأصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل (الجبرتي ١/ ٢١٩) .

وفي السنة ١١٤٩ قتل الأمراء عثمان كاشف ، ورضوان بك أمير الحاجّ سابقاً ، ومملوكه سليمان بك ، إذ أنّ المؤامرة التي آشتركوا فيها وقتلوا فيها الأمير محمد قطامش وأصحابه ، خابت ، وانعكس الحال عليهم ، فاختفوا بخان النحاس في خان الخليلي ، وصحبتهم صالح كاشف ، ثم دبّروا رأياً في ظهورهم ، وذهب عثمان كاشف إلى إبراهيم جاويش قازدغلي ، بعد المغرب ، واستجار به ، وأخبره بأنّ رفاقه في خان النحاس ، فأخّره عنده ، وأرسل إلى محمد جاويش الطويل يخبره بأنّ عثمان كاشف عنده ، فأرسل إليه جماعة وقفوا له في الطريق ، ولما خرج قتلوه ، ثم إنّ ابراهيم جاويش ، أخبر أغات مستحفظات بمكان اختباء الجماعة الآخرين ، فكبسهم وقبض على رضوان بك وصحبته ثلاثة ، أخذهم إلى الباشا ، فقطع رؤوسهم ، أما صالح كاشف ، فلما سمع بقتل أصحابه ، فرّ متستّراً ، حتى وصل إلى اصطنبول ، وواجه دار السعادة (أحسبه أحد خدم السلطان الأغوات) وكان هذا من أتباع والد محمد بك الدفتردار ، فعرّفه عن نفسه ، فقال له : أنت السبب في خراب بيت ابن سيّدي ، واستأذن في قتله ، فقتلوه بين الأبواب ، في المحلّ الذي قتل فيه الصيفي ، سراح جركس ، فكان تحرك هؤلاء الجماعة ، وطلبهم الظهور ، كالباحث عن حتفه بظلفه (الجبرتي ١ / ٢٨٧ ، ٢٥٨) .

وفي السنة ١١٤٩ قتل الأمير محمد بك بن اسماعيل بك الدفتردار ، وهو الذي حصلت مذبحة الأمراء في داره ، بمعرفة منه ، فإنّه لما حصل المذبحة ، « وانقلب التخت عليهم » اختفى في مكان لم يعرف به أحد .

فمرضت أمّه مرض الموت ، ولهجت بذكر ولدها ، تريد أن تـراه ، فأحضـروه إليهـا ، مرتـدياً مـلابس النساء ، فنـظرت إليه وتـأوّهت ، ومـاتت ، وعـاد إلى مـوضعه ، فـدلّت عليه امـرأة بلانـة ، ذهبت إلى أغات الينكجـرية ، وأخبـرته بموضعه فكبسوه ، وأخذوه ، وأركبوه حماراً ، وطلعوا به إلى القلعـة ، « ورموا عنقه » (الجبرتي ١ / ٢٥٧) .

وفي السنـة ١١٥٢ كبس وزير صيـدا (الوالي) ، بـلاد الشقيف ، وقتل الشيخ أحمد فارس وأولاده (خطط الشام ٢ / ٢٩٣) .

وفي السنة ١١٥٣ قتل الأمير علي كتخدا الجلفي ، بمؤامرة دبّرهـا والي مصر سليمان باشا الشامي ، المعروف بـابن العظم ، إذ اتّفق مـع الأمير عمـر بك بن علي بك قطامش علي قتل الأمراء أصحاب الرياسة بمصر ومن جملتهم الكتخدا الأمير علي الجلفي ، فـدبّـر الأميـر عمر بـك ، لكلّ واحـد من الأمراء من يقـوم بقتله ، وكـان المعيّن لقتـل الأميـر علي الجلفي ، شخص من اتبـاع يـوسف كتخدا اسمـه « لاظ ابراهيم » وفي الـوقت المعيّن ترصّـد لاظ ابراهيم لـلأمير علي ، فلمـا وصل إلى المـوضـع ، خـرج لاظ ابـراهيم ، وتقـدّم إلى المترجم كأنّه يريد أن يقبّل يـده ، فلما قبض على يـده ، ضربـه بالـطبنجة في صـدره ، فسقط إلى الأرض ، وسحبوه إلى الخـرابة ، وفيـه الروح ، فقـطعوا رأسه ، ووضعوها تحت مصطبة الباب (الجبـرتي ١ / ٢٥٤) وكان الـذي قام بتـدبير المؤامـرة أحمد كتخـدا البـركـاوي ، فغضب الأمـراء لمقتـل علي بـك الجلفي ، وطاف أحمد كتخدا البركـاوي على الأمراء طـول الليل ، فلم يقبله (لم يجـره) أحد منهم ، فضـاقت الـدنيـا في وجهـه ، وتـوفّي في تلك الليلة الأمير محمد كتخدا الطويل ، فاجتمع الأمراء في بيته لحضور مشهده ، فدخل عليهم أحمد كتخدا البركاوي ، وقال لهم : انا في عرض هذا الميت ، فأمروه بـالانتظار في إحـدى الحجر حتى يعـودون من الجنازة ، وجلس لاظ ابـراهيم (قاتل الأميـر علي الجلفي) بالحـوش مع اثنين من السـرّاجين ، وعندئـذ قتل

السرّاجون لاظ ابراهيم وأحمد كتخدا كذلك أما لاظ ابـراهيم فقطّعـوه قطعـاً ، واما أحمد كتخدا ، فقطعوا رأسه ، وأخـذوها إلى رضـوان كتخدا ، فـأعطاهم البقاشيش ، وقطع رجل ذراعه ، وذهب بهـا إلى الست الجلفية ، زوجـة علي كتخدا الجلفي ، وأخذ منها بقشيشاً أيضـاً ، واستمرّ أحمـد كتخدا مـرميّاً على الأرض بـلا رأس ولا ذراع ، حتى دفنوه بعـد الغروب ، ثم دفنـوا معه الـرأس والذراع (الجبرتي ١ / ٢٥٥ و ٢٥٦) .

وفي السنـة ١١٦٠ اتفق والي مصر محمـد راغب بـاشـا ، مـع الأمير حسين بك الخشّاب على قتل الأمراء خليل بك ، وعلي بك الدمياطي ، وعمر بك بلاط ، ومحمد بك ، على أن يتمّ ذلـك في يوم الإجتمـاع في الديـوان ، فلما كان يوم الديـوان ، أحدث عثمـان أغا أغـات المتفرّقـة ، وكان من جملة المتآمرين شغباً ، فسحب عثمان اغا أبو يوسف النمشة ، وضرب خليل بـك ، فأسرع الباقون وضربوا عمر بك بلاط ، فقتلا ، ودخلوا برأسيهما إلى البـاشا ، فقـام علي بك الـدمياطي ومحمـد بـك ، ونـزلا مـاشيين ، ودخـلا إلى نـوبـة الجاويشية ، فأرسل الباشا إلى الإختيارية ، يقول : إنّهما مطلوبان للدولة (أي أنّـه أمر بقتلهمـا) ، وأخذهمـا ، وقـطع رأسيهمـا أيضـاً (الجبـرتي ١ / ٢٢٩ و ٢٣٠) .

وفي السنة ١١٦٠ قتل نادرشاه طهماسب قلي خان ، شاه إيـران (معجم انساب الأسر الحاكمة ٣٨٩) .

وفي السنة ١١٦٧ قتل علي مراد خان ، الذي تولّى الحكم في إيـران ، قتله محمد خان الزند (معجم انساب الأسر الحاكمة ٣٨٩) .

وفي السنة ١١٦٩ أعدم السلطان عثمان الثالث العثمـاني ، وزيره الأوّل الصـدر الأعظم نشـانجي بيقلي علي بـاشـا (معجم انسـاب الأسـر الحـاكمـة ٢٤٦) .

وفي السنة ١١٧١ قتل الأمير سليم البابـاني ، المستولي على شهـرزور وبشـدر ، قتله سليمـان بـاشـا والي بغـداد (معجم انسـاب الأسـر الحـاكمـة ٣٩٨) .

وفي السنـة ١١٧١ وصل الأمـر العالي السلطاني ، على يـد محمد اغـا الأورفه لي ، رئيس البوّابين بالباب العالي ، بالقبض على أسعد باشا العظم ، والي حلب ، ونفيـه إلى جزيـرة كريت ، ثم قتـل بمدينـة أنقرة بـداخل حمّـام (اعلام النبلاء ٣ / ٣٣٥) .

وفي السنة ١١٧١ استعدى أهـالي دمشق ، إلى السلطنة العثمـانية ، من الدفتردار فتحي افندي ، حيث إنّه ظلم الناس في دمشق ، وبالـغ في أذاهم ، فـأمر السلطان بـإحضاره إلى اصـطنبول ، ومحـاكمته ، فـأحضـر ، وحـوكم ، وثبتت عليـه التهم ، فأمـر السلطان بإعـدامـه ، فبـذل فتحي افنـدي أمـوالاً ، فـأدخلوا على السلطان شخصاً آخـر بدلاً منـه ، وأوهموه بـأنّه فتحي افنـدي ، وقتـل أمـام السلطان ، أمـا فتحي افنـدي ، فعـاد إلى دمشق يـزاول أفـاعيله المنكـرة ، حتى إذا تكرّرت الشكـوى منـه ، ورد أمـر سلطاني بقـطع رأسـه ، فقـطعت ، وجرّت جثّتـه في شوارع المـدينة ، وتـرك من بعد ذلـك ، فـأكلتـه الكلاب (خطط الشام ٢ / ٢٩٨) .

وفي السنة ١١٧١ تآمر قسم من الأمراء بالقاهرة ، على قتل الأمير حسين بك الصابونجي ، واتّفقوا مع أصحابه على قتله ، وحضروا عنـده يوم الجمعـة على جاري عادتهم ، وزاروا معه ضريـح الإمام الشـافعي ، ثم رجع صحبتهم إلى مصر القديمة ، وباتوا صحبته في أنس وضحك ، وفي الصباح حضـر لهم الفطور فأكلوه ، وطلبـوا منه إنعـاماً ، فكتب إلى كـلّ واحد منهم وصـولاً بألف ريـال وألف أردب قمح وغـلال ، ووضعـوا الأوراق في جيـوبهم ، ثم سحبـوا عليه السلاح وقتلوه ، وقطّعوه قطعاً ، فقام مماليكه بوضـع أعضائـه في خرج ،

وأخذوه على هجين فدخلوا بـه المدينـة حيث غسلوه وكفنوه ودفنـوه (الجبرتي ١ / ٢٩٤) .

وفي السنة ١١٧٤ تقلّد الأمير حسين بـك كشكش إمارة الحـجّ ، ووقف له العرب في مضيق ، وطلبوا عوائدهم ، وحضر إليه كبراؤهم ، فأمر بقتلهم ، فنزلوا عليهم بالسيوف ، وفيهم نيف وعشرون كبيراً من مشايخ العـربان خـلاف هزاع المذكور ، وعاد بالحاج إلى مصر ولم يمكّن العرب من مدّيد الأذى إليـه أو إلى أحد من الحاجّ (الجبرتي ١ / ٣٠٩) .

وفي السنـة ١١٧٧ قتل صـلابت جنـك بن نـظام الملك ، نـظام حيـدر آباد ، وكان قد استولى على الحكم في السنة ١١٦٤ تحت وصاية الفرنسيّين ، فعزل في السنة ١١٧٥ وقتله نظام علي في السنة ١١٧٧ (معجم انساب الأسر الحاكمة ٤٤٦) .

وفي السنـة ١١٧٧ قتل الأميـر سليمان البـاباني ، وهـو ابن الأميـر سليم المقتـول سنة ١١٧١ وكـان قد استـردّ سلطانه في السنـة ١١٧١ واستولى على أردلان في السنة ١١٧٦ (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٣٩٨) .

وفي السنـة ١١٧٨ (١٧٦٤م) قامت ثـورة في بغـداد على الـوالي علي بـاشا ، فهـرب من السراي متنكّـراً في زيّ آمرأة ، والتجـأ إلى إحـدى الـدرر القريبة منه ، ولكنّ الثوّار علموا بمقرّه فأخرجـوه ، وحملوه إلى القلعة ، وقتلوه (حكم المماليك في العراق لعلاء موسى كاظم نورس ص ٣٥) .

وفي السنة ١١٧٨ عزل الصدر الأعظم مصطفى باشا ، ونفي إلى جزيرة مدللي ، وهناك أعدم ، وقطعت رأسـه ، وأحضرت لـلأستانـة (اعلام النبـلاء ٣ / ٣٣٩) .

وفي السنة ١١٧٩ كان علي بـك بلوط قبان ، صـاحب السلطة بمصر ، فأرسل إلى حسين بك كشكش فرمـاناً بنفيـه إلى جهة عيّنهـا له ، فلم يـطع ،

وجاء إلى القاهرة ، ونزل في داره ، فأراد علي بك أن يسمّه ، وأوعز للطبيب عبدالله الحكيم أن يدسّ له السمّ ، وكان حسين بك قد طلب منه معجوناً للباءة ، فوضع له فيه سمّاً ، فارتاب به حسين بك ، وطلب من الطبيب أن يأكل منه فأبى ، فأمر بقتله (الجبرتي ١ / ٣١٥) .

وفي السنة ١١٨٢ تآمر علي بك واتباعه بالقاهرة على قتل الأمير صالح بك القاسمي ، وفي اليوم المتّفق عليه ، اجتمع الأمراء بمنزل علي بك على العادة وفيهم صالح بك ، فلما انقضى المجلس وركب صالح بك ، ركب معه محمد بك وأيّوب بك ورضوان بك وأحمد بك بشناق المعروف بالجزّار ، وأحدقوا بصالح بك ، فلما وصلوا إلى مضيق الطريق تأخر محمد بك ومن معه عن صالح بك ، وتظاهر بأنّه قد غضب على سائسه ، وسلّ سيفه وضرب صالح بك ، وسحب الآخرون سيوفهم ، وضربوا بها صالح بك ، حتى قتلوه ، إلا أحمد بك بشناق ، فإنه لم يسلّ سيفه ، وصعد الأمراء القتلة إلى القلعة ، وأخذوا في عتاب أحمد بك بشناق إذ آتّهموه بأنّه لم يشترك معهم في قتل صالح بك ، فأنكر أحمد بك التهمة ، وقال : إنّني اشتركت معكم ، فكذّبوه ، وقالوا له : أرنا سيفك ، فامتنع ، وقال : إن سيفي لا يخرج من غمده بقصد الفرجة ، ثم أوجس أحمد بك خيفة من جماعة علي بك من جراء هذه التهمة ، فخرج من القاهرة خلسة إلى الإسكندرية ، ثم بارحها وآل أمره إلى أن صار أحمد باشا الجزّار ، الذي تملّك عكّا ، وتولّى الشام ، وطار صيته في الممالك (الجبرتي ١ / ٣٥٩ ـ ٣٦١) .

وفي السنة ١١٨٣ أرسل علي بك ، رأس المماليك بالقاهرة ، تجريدة لقتال عرب الحبايبة والهنادي ، وكان شيخهم سويلم بن حبيب منعزلاً في خيمة صغيرة عند امرأة بدويّة بعيداً عن المعركة ، فدلّهم عليه بعض العرب ، فكبسوه ، وقتلوه ، وقطعوا رأسه ، ورفعوها على رمح (الجبرتي ١ / ٣٧٥) .

وفي السنة ١١٨٣ ، قتل عمر باشا ، والي بغداد ، الأمير عبدالله بن

شاوي الحميري ، رأس أسرة الشاوي في العراق ، خوفاً من آتّساع نفوذه ، واتّهمه بالمخامرة على الدولة . (الاعلام ٤ / ٢٢٢ و ٢٢٣) .

وفي السنة ١١٨٣ أعدم السلطان مصطفى الثالث ، وزيره الأوّل الصدر الأعظم يعليقجي زاده نيشانجي محمد أمين باشا (معجم انساب الأسر الحاكمة ٢٤٦) .

وفي السنة ١١٨٤ أرسل علي بك رأس المماليك بالقاهرة ، عبدالرحمن اغا مستحفظان ، إلى ناحية غزّة ، وأمره بقتل سليط شيخ عربان غزّة ، فلم يزل يتحيّل عليه حتى قتله هو وإخوته وأولاده (الجبرتي ١ / ٣٩٩) .

وفي السنة ١١٨٥ نفي حسين باشا الداماد ، والي حلب ، إلى قلعة البيرة ، وبعد أيام أرسل إليه من قتله ، وأرسل رأسه للدولة (اعلام النبلاء ٣ / ٣٤٨) .

وفي السنة ١١٨٦ قدم الأمير محمد بك أبو الذهب إلى القاهرة ، لمحاربة سيده علي بك ، فخرج علي بك من القاهرة ، وسار نحو الشام ، فدخل محمد بك القاهرة ، واستقرّ بها ، وأرسل عبدالرحمن اغا مستحفظان ، إلى الأمير عبداللّه كتخدا الباشا الوالي ، فذهب إليه بداره ، وقطع رأسه (الجبرتي ١ / ٤١٦) .

وفي السنة ١١٨٤ أمر علي بك ، أمير مصر ، بارسال تجريدة من العسكر إلى الشام ، لمعونة الشيخ ظاهر العمر على الدولة ، وكان قد أرسل أحد رجاله إلى غزّة فقتل سليطاً شيخ عربان غزّة ، هو وإخوته وأولاده ، ثم بعث تجريدة عظيمة بقيادة الأمير محمد بك أبي الذهب ، في جند كثير من المغاربة والهنود والأتراك واليمانية والمتاولة (الشيعة) ، فحصر محمد بك أبو الذهب يافا ، واستولى عليها ، ثم استولى على الممالك الشامية إلى حلب ، ثم عاد فجأة إلى مصر ، وفي السنة ١١٨٨ عاد على رأس جيش إلى بلاد

الشام ، ولكن لمحاربة الظاهر عمر ، فحصر يافا ، وضيّق على أهلها ، فكانوا يصعدون على السور ، ويسبّون المصريّين وأميرهم سبّاً قبيحاً ، فأوغروا صدر محمد بك أبي الذهب ، فلما فتحها ، قبض على أهلها ، وأمر بهم فريطوا بالحبال والسلاسل ، وسبوا النساء والصبيان ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ثم جمعوا الأسرى خارج البلد ، وأعملوا فيهم السيف ، وقتلوهم عن آخرهم ، لم يميّزوا بين مسلم ومسيحي وموسوي ، ولا بين العالم والجاهل ، والعامّي والسوقي ، وبنوا من رؤوس القتلى عدّة صوامع ، وجوهها بارزة (خطط الشام ٢ / ٣٠٨) .

أقول : هذا ما ورد في كتاب خطط الشام ، أما ما جاء في كتاب سلك الدرر عن هذا الخبر فهو :

في السنة ١١٨٩ توجّه محمد بك أبو الذهب ، من مصر ، بعسكر لمحاربة عمر الظاهر صاحب عكا ويافا ، ففتح قلعة يافا عنوة ، وأمر بالقبض على أتباع عمر الظاهر ، وربطهم بحبل « على بعضهم بعضاً » ثم جلس على كرسي ، وأمر بضرب أعناقهم ، فضربت أعناقهم عن آخرهم ، وهو جالس ينظر إليهم (سلك الدرر ١ / ٥٧) .

وأعاد صاحب سلك الدرر ٣ / ١٨٤ و ١٨٥ وصف كيفية فتح الجيش المصري بقيادة محمد بك أبي الذهب يافا ، قال : لما حاصر محمد بك أبو الذهب يافا ، كان أهلها يصعدون على السور ، ويسبّون الجنود المصريين وأميرهم سبّاً قبيحاً ، فلما فتحها أبو الذهب ، نهبها جنده ، وسبوا النساء والصبيان ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وجمعوا الأسرى خارج البلد ، وقتلوهم عن آخرهم ، ولم يميزوا بين الشريف والوضيع ، والعالم والجاهل ، واليهودي والنصراني ، والعامي والسوقي ، والظالم والمظلوم ، وبنوا من رؤوس القتلى ، عدّة صوامع ، وجوهها بارزة ، ثم ارتحل عنها أبو الذهب قاصداً عكا ،فلما بلغ الظاهر ما صنع أبو الذهب بيافا،فرّ من عكا هارباً ،

فدخل إليها أبو الذهب بلا مقاومة ، ولكن القدر لم يمهله ، فمات في عكا .

وأورد الجبرتي في تاريخه ، قصة افتتاح يافا ، فقال : وفي السنة ١١٨٩ حضر محمد بك ابو الذهب ، بجيشه المصري ، مدينة يافا ، فحاربه أهلها ، وكانوا يصعدون إلى أعلى السور ، ويسبّون المصريين وأميرهم سبّاً قبيحاً ، ثم فتحها محمد بك عنوة ، وقبضوا على أهلها ، وربطوهم بالحبال والجنازير ، وسبوا النساء والصبيان ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ثم جمعوا الأسرى خارج البلد ، « ودوروا فيهم السيف » وقتلوهم عن آخرهم (الجبرتي ١ / ٤٧٤) .

وفي السنة ١١٨٩ (١٧٧٥م) قُتل عمر باشا والي بغداد بأمر من السلطان العثماني فقطع رأسه وأرسل إلى الأستانة (حكم المماليك في العراق لعلاء موسى كاظم نورس ٣٧) .

وفي السنة ١١٨٩ امتنع الأمير ظاهر العمر ، صاحب عكّا ، من أداء الأموال الأميرية ، فأرسلت إليه الدولة قائد البحر حسن باشا الجزائري لمطالبته بالأداء ، فاغراه مستشاره ابراهيم الصباغ أن لا يؤدّي شيئاً ، فضرب حسن باشا عكا بالقنابل ، ففرّ الأمير ظاهر إلى خارج عكّا ، فاغتاله أحد عبيده ، وأحضر رأسه إلى القائد التركي حسن باشا ، يتقرّب إليه بذلك ، ولما علم القائد أن هذا العبد ، هو عند الأمير ظاهر منذ خمس عشرة سنة ، غضب منه لخيانته ، وأمر بقتله ، فقتل ، وأرسل القائد رأس الأمير ظاهر العمر ، إلى اصطنبول (خطط الشام ٢ / ٣١٠) .

أقول : ورد الخبر في سلك الدرر ببعض الاختلاف ، سواء في اسم الأمير أو في تاريخ مقتله ، وفي كيفية قتله ، قال : وفي السنة ١١٩٠ قتل الشيخ عمر بن صالح الظاهر الصفدي ، صاحب عكا ويافا ، قتله الوزير حسن باشا القبودان ، وكان الوزير سليمان باشا العظم قد قتل أخاه مصطفى ، وشنقه بدمشق ، ثم قصده فلم يتمكّن منه ، إذ أنّه لما وصل إلى قرب عكّا ، دسّ

إليـه من سمّه في طعـامه ، فمـات وأعيد إلى دمشق جثّـة هامـدة ، ثم قصـده محمـد بك أبـو الذهب من مصـر ، فـآحتـلّ يافـا ، ثم قصده إلى عكّـا ، ففرّ منه ، ومات أبو الذهب بعكّا ، ثم كان قتل الشيخ عمـر على يد الـوزير حسن باشا القبودان (سلك الدرر ٣ / ١٨٤ و ١٨٥) .

وفي السنة ١١٩٠ بعد قتل الأمير ظاهر العمـر ، أمرت الـدولة بـالبطش بـأولاده ، فاعتقلهم حسن بـاشا ، قـائد البحـر ، وحملهم معه إلى الأستـانة ، وقتل أحدهم في الطريق ، واسمه أحمد ، لأنّه طعن في حسن بـاشا ، وأفلت من يد الدولة ، أحد أولاد الأمير ظاهر ، واسمه الشيخ علي ، فأرسلت الـدولة إلى محمد باشا العظم ، بأن يرسـل إليها رأس الأميـر علي الظاهـر ، أو يؤخذ رأسـه هو بـدلاً منه ، فقتـل والي دمشق ، الأميـر علي ، وأرسـل رأسـه ومعـه رؤوس ثلاثة من أصحـابه ، وانكـر قوم أنّ الـرأس رأس الأمير علي الـظاهر ، فـأحضـر ولـداه الحسن والحسين ، وعـرضت عليهمـا الـرؤوس المقـطوعـة ، فبكيا ، وقالا : هذا رأس أبينا الأمير علي ، وكان عظيم العارضين ، حتى إنّـه كان يدعى أبو سبعة شنبات (خطط الشام ٢ / ٣١٠ و ٣١١) .

وفي السنة ١١٩١ قتل الأمير يوسف بك ، من كبار المماليك بالقاهـرة ، وكان قبل قتله ، قد قتل الشيخ صادومة وأمر بـرمي جثّته في البحـر (النيل) ، وسبب ذلك إنّ هذا الشيخ واسمه أحمـد ويلقّب بصادومـة ، كان يـدّعي طول الباع في الروحانيات وآتّفق أنّ الأمير يوسف بـك اختلى ذات ليلة بمحظيتـه ، فرأى على سوأتها كتابـة ، فسألهـا عن ذلك ، وتهـدّدها بـالقتل ، فـأخبرتـه أنّ آمرأة ذهبت بها إلى الشيخ صادومة ، وهو الذي كتب هذه الكتابة على سـوأتها ليحبّبها إلى سيّدهـا ، فنزل يـوسف بك وأمـر بالقبض على الشيـخ صادومـة ، وقتله ، وإلقاء جثته في النيل ، ففعلوا ذلك ، وأرسـل إلى داره فآحتـاطوا على ما فيها ، وأخرجوا منها أشياء كثيـرة ، وتماثيـل ، منها تمثـال قطيفـة على هيأة الذكر ، فأحضروا له تلك الأشياء ، فصار يريهـا للجالسين عنـده ، والمتردّدين

عليه من الأمراء وغيرهم ، ووضع ذلك التمثال بجانبه على الوسادة ، فيأخذه بيده ، ويشير لمن يجلس معه ، ويتعجّبون ويضحكون (الجبرتي ١ / ٥١١) .

وفي السنة ١١٩١ تآمر كلّ من الأمراء حسن الجداوي واسماعيل بك الصغير أخو علي بك العزاوي وسليم بك الإسماعيلي وعبدالرحمن بك العلوي ، على الأمير يوسف بك ، فجلسوا عنده ، وحادثوه ، ثم سحب عبد الرحمن بك النمشاة ، وضرب بها يوسف بك ، فأراد أن يهمّ قائماً ، فداس على ملوطة اسماعيل بك ، ووقع على ظهره ، فنزلوا عليه بالسيوف وقتلوه (الجبرتي ١ / ٥٠٢) .

وفي السنة ١١٩٢ قتل الأمير عبدالرحمن اغا ، اغات مستحفظان ، قتل بحلوان ، وكان قد نجا من خصومه الذين يحكمون القاهرة ، ومرّ بحلوان يريد السفر إلى قبلي (الصعيد) فلما وصل إلى حلوان ، أرسل مملوكاً له ليجيء له بلوازم من داره ، فعلم مراد بك بوجوده فسار بنفسه إلى حلوان ، وحصرها ، وأخذوا عبدالرحمن اغا قبضاً باليد ، وعرّوه ثيابه حتى السراويل ، وسحبوه بينهم عرياناً مكشوف الرأس والسوأتين ، وأحضروه بين يدي مراد بك ، فلما وقعت عينه عليه ، أمر بقطع يديه ، وسلّموه لسواس الخيل يصفعونه ويلطمونه على وجهه ، ثم قطعوا عنقه بسكّين حزّاً ، وهم يقولون له : أنظر قرص البرغوث ، يذكرونه بقوله لمن كان يقتله : لا تخف يا ولدي ، إنما هي كقرصة البرغوث ، ودخل مراد بك القاهرة ، ورأس عبدالرحمن اغا ، أمامه ، على رأس رمح (الجبرتي ١ / ٥٣٢) .

وفي السنة ١١٩٢ غلت أسعار القمح بحلب ، فقام الناس على القاضي ، وأخذوه معهم إلى السرايا ، وأهانوه وشتموه ، ووضعوه في الجاويشخانة ، وأرادوا قتله ، فسكّن الوالي إبراهيم باشا خاطرهم ، وسيّر القاضي إلى إسلامبول ، ووافى حلب قاضي جديد هو إمام زاده السيد محمد

صادق أفندي ، فصار يدور بنفسه في الأسواق ، ونظر في أمور الخبز ، وصار يرسل إلى المحكمة أناساً يعاقبهم بضرب العصي ، وآناً يرفعهم إلى القلعة ، وفي تلك الأثناء ، قام الناس على أحمد الخبّاز في السقطيّة ، وجاؤوا إلى القاضي ، فأمر برفعه إلى القلعة ، فذهب به الناس إلى الباشا ، فحال وصوله إلى السرايا ، أمر الباشا بقتله ، فقطع رأسه في الحال (اعلام النبلاء ٣ / ٣٥١ و ٣٥٢) .

وفي السنة ١١٩٤ في عهد الوزير عبدي باشا سرعسكر أنا طولي ، والي حلب ، توجّه كاتب الديوان ، وإبن جيان ، إلى دار أحمد أفندي الخنكارلي ـ وابنه محمد أغا إذ ذاك كان متسلّماً ـ فطلبوه من الحرم بعدما حاطوا داره بالتفنكجية، المسلّحين بالسلاح الكامل ، فخرج إليهم ، وتلقّاهم أحسن ملتقى ، وجلس لمؤانستهم ، فلم يشعر إلا وقد أحاطوا به وقبضوا عليه ، وذبحوه ، وحزوّا رأسه ، ورجعوا به إلى السرايا ، ثم أخذوا ولده محمد أغا المتسلّم ، والسيد أحمد أفندي الكواكبي ، وعيّنوا معهما بيارق، وأخذهما مع الرأس إلى ناحية أعزاز ، فحبسوهما في جادر (خيمة) وركزوا الرأس حذاء إبنه ، ثم نفي الكواكبي إلى قلعة البيرة ، وعيّن معه بيارق ، وأرسل الرأس للدولة العليّة (اعلام النبلاء ٣ / ٣٥٦) .

وفي سنة ١١٩٥ قتل بشيراز صادق الزند ، حاكم إيران (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٣٨٩) .

وفي السنة ١١٩٨ أعدم السلطان شاهين كراي بن أحمد ، آخر خانات القرم ، جرى إعدامه بجزيرة رودس ، وضمّت القرم إلى روسيا (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٣٢٩) .

وفي السنة ١٢٠٠ أرسل القبطان حسن باشا ، وكان بالقاهرة ، إلى أحمد بن عياد المغربي ، وكان ببولاق، يطلب منه مالاً بالقرض ، فأبى أن يدفع

شيئاً، فتوجّه إليه إسماعيل كتخدا القبطان ، وكانت له عداوة سابقة مع إبن عياد ، فدخل عليه في داره ، والتجأ إبن عياد إلى الحريم ، وضرب على الكتخد الرصاص ، فقتل إثنين من أتباعه ، فهجم الكتخدا وأصحابه عليه ، وأمسكوا به ، وقطعوا رأسه ، وألقوا جثّته في الطريق (الجبرتي ١ / ٦٥٧) .

وفي السنة ١٢٠٠ ورد إلى الديار المصرية ، جيش على رأسه القبطان حسن باشا . وحدث عندما كان في القاهرة ، أن قبض على ثلاثة من العسكر خطفوا أمتعة وأقمشة من الدكاكين في سوق الغورية ، كما قبض على ثلاثة من العسكر « أفسدوا بالنساء » فرفعوا أمرهم إلى القبطان (حسن باشا) فأمر بقتلهم ، فضربوا أعناق ثلاثة بالرميلة ، وثلاثة في جهات متفرقة (الجبرتي ١ / ٦٣٤) .

وفي السنة ١٢٠١ قبض على عثمان التوقتلي ، تابع أحمد قبودان حمامجي أوغلي ، وعوقب بأنواع العذاب ، وصودرت أمواله ، ثم قتل بالرميلة (الجبرتي ٢ / ٢٣) .

وفي السنة ١٢٠٢ ضربت بالقاهرة أعناق خمسة أشخاص من أتباع الشرطة ، يقال لهم : البصّاصون ، وسبب قتلهم أنّهم أخذوا « عملة » وأخفوها عن حاكمهم ، واختصّوا بها دونه ، ولم يشركوه معهم (الجبرتي ٢ / ٥٤) .

وفي السنة ١٢٠٢ قام إسماعيل باشا ، كبير الأرناؤط ، بقتل رئيس عسكره ، إتّهمه بالمخامرة عليه ، فأحضره ، ولاطفه ، وأكرمه ، واختلى به ، ثم آغتاله ، وقطع رأسه ، وألقاها من الشباك إلى جماعته (الجبرتي ٢ / ٥٣) .

وفي السنة ١٢٠٥ قبض أحمد باشا الجزار في دمشق ، على أولاد السيد عبيد وسجنهم ، وصادرهم ، ثم قبض على ثلاثين من أتباعه ، فسجنهم

في القلعة ، ففدوا أنفسهم بمائتين وخمسين ألف قرش ، فأدّوها ثم قتلهم ، وقبض على مفتي عكا ، وعلى رئيس مينائها ، فقتلهم صبراً (خطط الشام ٣ / ٢٢) .

وفي السنة ١٢٠٥ تنازع بطّال أغا زاده نوري محمد أغا ، متصرف عينتاب مع الإنكشارية ، فاستغاث أهل عينتاب بمتصرف كلز محمد علي باشا آل طبّال زاده ، فجاء إلى عينتاب ، وطرد نوري محمد أغا ، ثم أخذ في ظلم الرعيّة ، أكثر مما ظلمها نوري محمد اغا ، فاتفّق عليه أهالي عينتاب ، وقتلوه ، فلما بلغ نوري محمد اغا ، ذلك ، عاد إلى نواحي عينتاب ، وأخذ يقطع الطريق ، فعيّنت الدولة كوسا مصطفى باشا لقمع فتنته ، فتوجّه إلى عينتاب وحصرها ، فنزل نوري محمد اغا مستسلماً ، فأعدم (اعلام النبلاء ٣ / ٣٦٩) .

وفي السنة ١٢٠٧ قبض أحمد باشا الجزار ، على محمد بن حسن بن علي العاملي ، وأحرق كتبه ، وسجنه أربعة أشهر ، ثم قتله . (الأعلام ٦ / ٣٢٣) .

وفي السنة ١٢١١ قتل لطف علي الزند ، آخر حكّام إيران من آل الزند ، قتله أغا محمد القاجاري (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٣٨٩) .

وفي السنة ١٢١١ قتل غيلة أغا محمد القاجاري ، بعد أن حكم إيران مدة تقلّ عن السنة (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٣٨٩) .

وفي السنة ١٢١١ ، قتل أحمد الجزار ، الحاكم التركي في تبنين ، زين بن خليل بن موسى الزين ، الأنصاري ، الخزرجي ، العاملي (نسبة إلى جبل عامل) ، ولم يكتف بقتله ، بل أحرق جثّته ، ومكتبته . (الأعلام ٣ / ١٠٤) .

وفي السنة ١٢١٢ قام الإنكشارية على أعيان حلب ، وقتلوا كثيراً

منهم ، حتى كانوا يقتلون السيد وهو يصلي في المحراب ، فعرض الحال على الدولة ، فأرسلت شريف باشا ، والياً على حلب فمنعه الإنكشارية من دخولها ، فتعهّد لهم بأن يكون في جانبهم ، ثم إنّه راسل الإنكشارية سرّاً ، فثاروا بالسادات ، وكبسوهم ليلاً ، وقتلوا منهم مائتين وخمسين نفساً (خطط الشام ٣ / ١١) .

وفي السنة ١٢١٣ لما قصد نابليون بونابارت بلاد الشام ، بعث إلى الجزار صاحب عكا ، رسولاً ، فلم يردّ عليه جواباً ، فأرسل إليه رسولاً ثانياً ، فقتله الجزار (خطط الشام ٣ / ١٧) .

وفي السنة ١٢١٣ إعتقل الإفرنسيون بالقاهرة شيخ العرب سليمان الشواربي شيخ قليوب ، ومعه ثلاثة من عرب الشرقية ، وحبسوهم بالقلعة ، ثم أنزلوهم إلى الرميلة ، على يد الأغا ، وقطعوا أعناقهم ثم وضعوا جثّة الشواربي مع رأسه في تابوت ، وأخذه أتباعه إلى بلاد قليوب ، ليدفن هناك (الجبرتي ٢/ ٢٤١) .

وفي السنة ١٢١٣ هاج غلام مملوك بالقاهرة ، في أول يوم عيد الأضحى ، وخرج إلى السوق وسيفه مسلول ، وصادف ثلاثة من الإفرنسيين فقتل واحداً منهم ، ثم قبض عليه ، وسأل عن سبب صنعه ، فقال : إنّه يوم الأضحية ، وأحببت أن أضحي بالإفرنسيّين ، فحبس وقتل (الجبرتي ٢ / ٢٧٥) .

وفي السنة ١٢١٣ قبض الإفرنسيون بالقاهرة ، على شخص من الأجناد المماليك إسمه مصطفى كاشف ، ورد إلى القاهرة من دون إذن ، فقطعوا رأسه ، وطافوا بها ينادي عليها المنادي بأنّ هذا جزاء من يدخل إلى مصر من دون إذن الفرنسيس (الجبرتي ٢ / ٢٣٧) .

وفي السنة ١٢١٤ قتل الإفرنسيون بالقاهرة الأمير عبد الله أغا ، أمير

يافا ، وكانوا قد أسروه عند افتتاحهم مدينة يافا ، فاعتقلوه ، ثم قتلوه (الجبرتي ٢ / ٢٩٧) .

وفي السنة ١٢١٤ لما استعرت الحرب بين الجيش الإفرنسي ، وبين المماليك وأهل القاهرة ، بعث القائد الإفرنسي إلى أهالي بولاق رسولاً إفرنسياً ، ينادي : الأمان الأمان ، سواسوا ، فأنزلوه عن فرسه ، وقتلوه (الجبرتي ٢ / ٣٣٧) .

وفي السنة ١٢١٤ هاجم جماعة من الجيش العثماني ، قلعة أبو قير ، وكان فيها جماعة من الجيش الإفرنسي ، فانتصر الإفرنسيون ، وأسر قائد الجيش السيد مصطفى باشا ، ومعه عثمان خجا ، فنقلوا مصطفى باشا إلى الجيزة ، أما عثمان فاعتقلوه بالإسكندرية ، ثم نقلوه إلى رشيد ، فدخلوا به البلد وهو مكشوف الرأس ، حافي القدمين ، وطافوا به البلد يزفّونه بطبولهم ، حتى وصلوا به إلى داره فقطعوا رأسه تحتها ، ثم رفعوا رأسه ، وعلّقوها في شباك داره ليراها من يمرّ بالسوق (الجبرتي ٢ / ٣٠١) .

وفي السنة ١٢١٤ كان الجيش الإفرنسي بمصر ، قد اتفق مع العثمانيين على الجلاء عن مصر ، ثم اتهموا الوزير العثماني يوسف باشا ، بأنّه قد اتفق سراً مع الإنكليز خصومهم على استئصالهم ، فعادوا وتحصّنوا في مواقع حصّنوها حول القاهرة ، وراسلوا الوزير يوسف باشا ، وطالبوه بالرحيل خلال أربع ساعات ، ولم يكن الوزير متهيأً للحرب ، فاضطر للرحيل ، ودخل أمراء المماليك القاهرة ولما دخل نصوح باشا إلى القاهرة ، قال للعامّة : أقتلوا النصارى ، وجاهدوا فيهم ، فهاج العامّة ، وصاحوا ، ومرّوا مسرعين يقتلون من صادفوه من نصارى القبط والشوام ، وذهبوا إلى حارات النصارى ، وأخذوا يكسبون الدور ، ويقتلون من يصادفون من الرجال والنساء والصبيان ، وينهبون ، وأعلن عثمان كتخدا أن كلّ من جاءه برأس نصراني أو يهودي أو فرنساوي ، حيّاً أو ميتاً ، يأخذ البقشيش (الجبرتي ٢ / ٣٢٣ ـ ٣٢٥) .

وفي السنة ١٢١٤ (١٧٩٩م) دخلت النجف قافلة من الوّهابيين تمتار، وشاهد أفرادها ، شيخ الخزاعل وهو يقبّل عتبة باب مرقد الإمام عليّ بن أبي طالب ، فهجموا عليه وقتلوه (حكم المماليك في العراق ٥٥) .

وفي السنة ١٢١٦ مات بالقاهرة تسعة أشخاص في شربة عرقسوس ، وذلك إنّ شخصاً من العسكر الأرنؤد بالحملة ، شرب من العرقسوسي ، شربة عرقسوس ، ولم يدفع له ثمنها ، فشكاه العرقسوسي إلى القلّق الإنكشاري ،فأحضره وأمره أن يدفع ثمنها ، ونهره ، وأراد ضربه ، فاستلّ العسكري طبنجته ، وضرب الحاكم (القلّق) فقتله ، وهرب إلى حارة الجوانية ، ودخل إلى دار ، وامتنع فيها ، وصار يضرب بالرصاص على كلّ من قصده ،فقتل خمسة أنفار ، ومرّ شخصان من الأرنؤد بتلك الخطّة ، فقتلهما الإنكشارية ، لكون الغريم أرنؤدياً من جنسهما ، فلما أعياهم أمره ، حرّقوا عليه الدار ، فخرج هارباً من النار ، فقبضوا عليه وقتلوه ، ومات تسعة أشخاص في شربة عرقسوس (الجبرتي ٢ / ٤٧٩) .

وفي السنة ١٢١٦ لما دخل العسكر العثماني القاهرة ، ورحل الإفرنسيون ، أعدم بالرميلة شخص إسمه حجّاج ، كان متولّي الأحكام ببولاق أيّام الفرنسيّين ، وقتل معه آخر قيل إنّه أخوه ، كما قتل آخرون بالأزبكية ، وجهات مصر (الجبرتي ٢ / ٤٨٢) .

وفي السنة ١٢١٦ حدث بالقاهرة، أنّ شخصين من القليوبية ، دخلا دار رجل نصراني فأخذا من داره بقجتين من الثياب، وخرجا، فوجدا شخصين من الفلّاحين مارّين ، فسخّراهما في حمل البقجتين ، وخرج النصراني ، وشكا إلى القلّق ، فأمر بالقبض على الشخصين العسكريين ، فتخلّصا وهربا ، وأخذوا الشخصين المسخّرين، فقطعوا رأسيهما ظلماً وعدواناً ، (الجبرتي ٢ / ٤٨٠) .

وفي السنة ١٢١٦ أمر الباشا والي مصر ، بقتل محمد أغات ، المعروف بالوسيع ، أغات المغاربة ، فقطع رأسه على الجسر ببركة الأزبكية ، وكتب سبب قتله في رقعة وضعت عند رأسه (الجبرتي٢ / ٥١٥) .

وفي السنة ١٢١٦ أمر الباشا والي مصر ، برمي رقبتي محمد أغا والي القاهرة ، وسليم أغا المحتسب ، فقطعوا رأس الوالي تحت بيت الباشا على الجسر ، وقطعوا رأس المحتسب عند باب الهواء وختم على دورهما (الجبرتي ٢ / ٥١٢) .

وفي السنة ١٢١٦ قتل بالقاهرة رجل إسمه مصطفى الصيرفي ، قطعوا رأسه تحت داره عند حانوته ، وسبب قتله إتّهامه بأنّه كان قد تعاون مع نصارى القبط في أيّام الفرنسيين في توزيع الفرد (الجبرتي ٢ / ٤٩٥) .

وفي السنة ١٢١٦ قطعوا بالقاهرة رأس علي جلبي تابع حسن أغا شنن ، بباب الخرق ، بأمر من الوزير العثماني ، إتّهم بأنه دلّ الفرنسيّين على مخبّآت كان يوسف باشا الكبير قد أودعها عند حسن أغا شنن ، وثبت ذلك عند القاضي ، فقتل ، وترك مرمياً ثلاثة أيّام بلياليها (الجبرتي ٢ / ٥٠٩) .

وفي السنة ١٢١٦ (١٨٠١م) هاجم الوهّابيّون كربلا ، واقتحموها وأسرفوا في القتل والنهب ، ولم يعمل عمر أغا حاكم البلدة شيئاً لحمايتها ومقاومة الغزاة فأمر سليمان باشا والي بغداد باعتقال عمر أغا ، وإعدامه ، فأعدم (حكم المماليك في العراق ٥٨) .

وفي السنة ١٢١٧ قتل بالقاهرة ، شخص عسكري نصراني ، عند باب الخرق ، قتله أغات التبديل ، بسبب أنّه كان يقف عند باب داره ، بحارة عابدين ، هو ورفيقان له ، ويخطفون من مرّ بهم من النساء في النهار إلى أن قبض عليه ، وهرب رفيقاه (تاريخ الجبرتي ٢ / ٥٥٤) .

وفي السنة ١٢١٧ قتل الباشا والي مصر ، ثلاثة أشخاص من النصارى

المشاهير ، وهم ألطون أبو طاقية ، وإبراهيم زيدان ، وبركات معلّم الديوان ، وختم الدفتر دار على دورهم ، وأملاكهم ، وشرعوا في نقل موجوداتهم إلى بيت الدفتردار لتباع بالمزاد (الجبرتي ٢/٥٣٠) .

وفي السنة ١٢١٧ أراد جماعة من العسكر العثماني بالإسكندرية ، القبض على امرأة من النساء اللاتي يصاحبن الإنكليز ، فمنعها عسكر الإنكليز منهم ، فتضاربوا ، وقتل إثنان من الإنكليز ، فاجتمع الإنكليز ، وراسلوا الحاكم خورشيد باشا ، بأن يخرج إلى خارج البلدة ، وأن يحاربهم ، فامتنع ، فأمروه بالنزول من القلعة ، وأسكنوه في دار بالبلد ، وجرّدوا العسكر العثماني من السلاح (الجبرتي ٢ / ٥٣٤) .

وفي السنة ١٢١٧ غضب الباشا والي مصر ، على محمد كتخدا ، محافظ البحيرة ،وأحضره ، فلما حضر أمر بقتله ، فنزل به لعسكر ، ورموا رقبته عند باب الباشا ، ثم نقلوه إلى بين المفارق ، واستمرّ مرمياً عرياناً إلى قبيل الظهر ، ثم شالوه إلى بيته (الجبرتي ٢ / ٥٤٥) .

وفي السنة ١٢١٨ قتل علي باشا والي بغداد كلاً من محمد بك الشاوي وأخيه عبد العزيز (حكم المماليك في العراق ٦٥) .

وفي السنة ١٢١٨ أمر طاهر باشا ، قائمقام الوالي بمصر ، فقبض على المعلم ملطي القبطي من أعيان كتبة القبط ، وكان قاضياً أيّام الفرنسيس ، فرموا رقبته عند باب زويلة ، وكذلك قطعوا رأس المعلم حنّا الصبحاني ، أخي يوسف الصبحاني ، من تجّار الشوام ، عند باب الخرق ، وأقاما مرميين إلى ثاني يوم (الجبرتي ٢ / ٥٧٤) .

وفي السنة ١٢١٨ طارد ثلاثة من العسكر ، بالقاهرة ، رجلاً تاجراً ، فهرب منهم إلى حمّام الطنبدي ، فدخلوا خلفه وقتلوه ، في داخل الحمّام ،

وأخذوا ما في جيبه من الدراهم ، وذهبوا ، وحضر أهله ، وأخذوه في تابوت ودفنوه (الجبرتي ٢ / ٦١٦) .

وفي السنة ١٢١٨ راجع الإنكشارية بالقاهرة ، طاهر باشا ، قائمقام الوالي بمصر ، وطالبوا بجماكيهم المنكسرة ، فقال لهم : ليس لكم عندي شيء ، ولا أعطيكم إلا من وقت ولايتي ، فأوغر ذلك صدورهم ، وألحّوا عليه ، فنتر فيهم، فضربه أحدهم بسيفه ، فطيّر رأسه ، ورماها من الشبّاك إلى الحوش ، وهاجوا على أتباعه فقتلوا منهم جماعة ، ووقع الحريق والنهب في الدار ، وشقّ الوالي والأغا ينادون بالأمان حسبما رسم الوالي أحمد باشا ، وظلّت جثّة طاهر باشا مرمية لم يلتفت إليها أحد (الجبرتي ٢ / ٥٧٥) ، فهاج الأرنؤد لمقتل طاهر باشا ، وحصروا أحمد باشا مع الإنكشارية ، حتى استسلموا ، فاعتقلوا أحمد باشا ، والشخصين اللذين قتلا طاهر باشا ، وهما إسماعيل أغا وموسى أغا ، وقطعوا رأسيهما ، وذهبوا بهما إلى زوجة طاهر باشا ، وإلى أخي طاهر باشا (الجبرتي ٢ / ٥٨١) .

وفي السنة ١٢١٨ كان عرضي (اوردي) الباشا والي مصر ، بناحية شلقان ، وأرسل أمير آخوره علي جمال لجلب برسيم، فوجدوا جمالاً للأمير الألفي ، فطردوها ، وعلم الألفي بدلك ، فأمر أحد كشّافه بالركوب عليهم ، فذهب إليهم وقتل المير آخور وساق معه الجمال ، وبلغ الباشا الخبر فغضب ، فترضّاه رضوان كتخدا إبراهيم بك وأعاد إليه الجمال ، وذهب دم المير آخور هدراً (الجبرتي٢ / ٦١٨) ، ثم إنّ عسكر الأرنؤد اتفقّوا مع المماليك ورتّبوا مؤامرة ، وافتعلوا مضاربة كان من جرّائها أن قتل الوالي علي باشا ، وقتل معه إبن أخته حسن بك ، وكتخداه ، وثمانية عشر رجلاً من أتباعه ، وروي أنّ الباشا لما سقط وفيه رمق ، رأى أحد الأمراء المصريّين ، فقال له : في عرضك يا فلان ، إنّ معي كفناً بداخل الخرج ، فكفّني فيه ، وادفني ، ولا تتركني مرمياً ، فصنع له ما طلب (الجبرتي ٢ / ٦٢١) .

وفي السنة ١٢١٨ هاج عسكر الأرنؤد بمصر ، وجاء جماعة منهم إلى بيت الدفتر دار بالقاهرة وكان معه يوسف كتخدا بك ، فدخلوا وأغلقوا الباب ، وقبضوا أولاً على الدفتر دار ، وشلحوه من ثيابه ، وهو يقول : عيبتر ، وأخرجوه إلى فسحة في الدار ، وقطعوا رأسه بعد ضربات ، وهو يصيح مع كلّ ضربة ، لكون المشا علي (الجلّاد) لا يحسن الضرب ، ولم يكن معه سلاح، بل ضربه بسلاح بعض العسكر الحاضرين ، ثم فعلوا ذلك بيوسف كتخدا بك وهو ساكت لم يتكلّم ، وأخذوا الرأسين ، وتركوهما مرميّين ، وخرجوا بعدما نهبوا ما وجدوه (الجبرتي ٢ / ٥٧٩) .

وخرج أحمد باشا الجزّار ذات يوم ، قبل طلوع الشمس ، إلى باب السراي ، وأمر بإغلاق أبواب المدينة ، وقبض على كثيرين من العمّال والكتّاب والأهالي ، وسجنهم ، وكانوا مائتين وثلاثين إنساناً ، ثم قبض على النواب وسجنهم معهم ، ثم أحضر الفعلة وسجن منهم جملة، ثم أحضر التجّار وأرباب الصنائع والحمّالين ، وسجن منهم جماعة ، فامتلأت السجون ، وفي غد ذلك اليوم ، أحضر المغاربة ، وأمرهم أن يخرجوا السجناء إلى خارج البلد ، وأن يقتلوا الجميع ، ففعلوا ما أمرهم به ، وكان يوماً عصيباً ، لم تكن تسمع فيه إلّا صراخ المقتولين ظلماً ، وعويلهم ، وأنينهم ، وبقي القتلى مطروحين خارج البلد ، ثم أذن لأهاليهم أن يدفنوهم ، وأنذر كلّ امرأة ترفع صوتها أن تقتل حالاً ، ثم أرسل جنوده فأحضرمشايخ البلاد ، وأصحاب الإقطاعات ، فمنهم من قتله ، ومنهم من اكتفى بجدع أنفه ، وصلم أذنه (خطط الشام ٣/٢٢) .

وفي السنة ١٢١٨ أعطيت للجزار ولاية دمشق ، فبعث إليها وهو في عكّا ، تعريفاً إلى دمشق ، صحبة المفتي أسعد افندي المحاسني ، وبعد تلاوته، أخرجت الأوامر الصادرة منه ، فإذا أحدها تعيين القائمقام ، فجري ايجابه ، وإذا أوامر أخرى بالقبض على عبد الرحمن افندي المرادي ، المفتي

السابق ، وجملة من الرؤساء والوجوه ، فسجنوا في القلعة ، وفي غيرها ، وكتب للجزّار بذلك ، فحضر الجواب بعد ليلتين بإعدامهم الحياة ، فقتلوا عبد الرحمن افندي المرادي ، والدفتر دار حسن افندي ليلاً ، ثم قتلوا جملة ذوات معتبرين ، وبادروا بسلب الأموال (مجموعة السيد محمود الحمزاوي) .

وجاء في خطط الشام ٣/ ٢٠ إنّ الدولة العثمانية ، لما بلغها مقتل من قتل في دمشق ، كتبت إلى الجزّار تلومه على قتل عبد الرحمن افندي المرادي ، فألقي تبعة قتله على وكيله محمد بن عقيل ، وقبض على وكيله ، وقطع جسمه إرباً .

وقال الشيخ البيطار في تاريخه : كان أحمد باشا الجزّار ، مجبولاً على الفظاظة والقسوة ، مطبوعاً على الفسوق والآثام ، سفّاكاً للدماء ، وفي السنة ١٢١٨ أضيف إلى حكمه ، ولاية دمشق ، فزاد في طغيانه ، وقتل الأنفس ، وسلب الاموال ، حتى قتل خلقاً كثيراً من أعيان دمشق ، ومن أفضلهم عبد الرحمن افندي المرادي ، مفتي دمشق ، وأسعد افندي المحاسني ، فقيهها أيضاً ، واصطنع للناس أنواع العذاب ، بآلات أخترعها له طائفة من الاكراد ، عاونوه على ظلم العباد ، وأقرّوه على دعواه بأنّه مجدّد الوقت ، وكان رئيسهم يدّعي التصوّف ، ويقول : إنّ الشيخ الأكبر أخبر عنه في فتوحاته ، وآدّعوا أنّ ما يرتكبه من القتل والنهب ، ليس حراماً ، بل إنّه حلال ، حتى إنّهم أكفروا من أنكر عليهم ذلك من علماء عصرهم .

أقول : قرأت في كتاب لا يحضرني اسمه ، لوزير مغربي ، لقي الجزّار في مكّة ، وجالسه ، وتحدّث إليه ، وتناول معه الطعام ، فذكر أنّ الجزار كان لا يثق بأحد من الناس ، حتى إنّه كان يحضر طعامه بيده ، إذ لا يطمئن لأتباعه ، وإنّه أراه كرّاساً يظهر عليه أثر القدم ، فيه رموز وإشارات فيها أوصاف الجزّار ، وإنّه صاحب الزمان ، قال : وسألني عن رأيي فيما جاء في

الكراس ، فصدقته ، وأخبرته بأنّ ما جاء في الكـرّاس مخاريق يصنعهـا بعض المحتالين لاصطياد الدراهم ، وإنّ في أمكـاني أن أصنع لـه كرّاسـاً مثل هـذا الكرّاس ، وأكتب فيه ما أريد ، ثم أعالجه حتى تظهر عليه دلائل القدم ، فلما سمع ذلك مني ، بانت عليه دلائل الإنكسار ، ودخلت عليـه يومـاً ، وكان مـع أصحـابه ، فكّلمهم بـالتركيـة ، وهو يحسب أنّي لا أحسنهـا ، وقال لهم : إنّ هذا الرجل، كلّمني كلاماً كسر بـه رأسي . أقول : ليس هـذا نصّ ما ورد في الكتاب ، وانّما ألممت بالمعنى .

ولمـا هلك الجـزّار في السنـة ١٢١٩ كـان أحـد البـاشـاوات ، واسمـه اسمـاعيـل بـاشـا الأرنـاؤطي في حبسه ، فخـرج من الحبس ، واستـولى على متروكات الجزّار ، وعلى منصبه ، فاضطرّت الـدولة إلى قتـاله ، وجيّشت عليه جيشاً حصره في عكّا أربعة اشهر ، حتى أخذ وقتل (خطط الشام ٢٦/٣) .

وفي السنة ١٢١٩ مرّ بالقاهرة جماعة من العسكر العثمـاني بخطّ الدرب الاحمـر ، فأرادوا أخـذ قنديـل من قناديـل السوق ، فقـام عليهم الخفير يـريد منعهم ، فـذبحوه ، وأخـذوا القنـديـل ، كمـا وجـدوا عسكـريـاً مقتـولاً جهـة الموسكي (الجبرتي٣/٢٥) .

وفي السنة ١٢١٩ تشاجر في القاهرة شخص من العسكر العثمـاني ، مع شخص حكيم فرنساوي ، عند حارة الإفرنج بالموسكي ، فأراد العسكري قتل الفرنساوي ، فعاجله الفرنساوي فضربه وقتله ، وفرّ هـارباً ، فـآجتمع العسكـر وأرادوا نهب الحارة ، فوصل الخبر إلى محمـد علي ، فركب في الـوقت ومنع العسكـر من النهب ، وأغلق بـاب الـحـارة ، وقبض عـلى وكيـل قـنصـل الفـرنساويـة ، وأخـذه معـه ، وحبسـه عنـده ، حتى سكن العسكـر (الجبـرتي ٢٥/٣) .

وفي السنـة ١٢١٩ وصل إلى القـاهرة شخص رومي بمـراسلة من الأمير

الالفي من المماليك ألى والي مصر أحمد رشيد باشا ، ولما قرأ الباشا الرسالة ، أمر بقتل الرسول ، فرموا عنقه برحية القلعة (الجبرتي ٣/١٤) .

وفي السنة ١٢١٩ أرسل الالفي الصغير ، من أمراء المماليك ، ورَقة إلى شخص من كبار العسكر بالقاهرة مقطوع الأنف ، كان من أتباعه حين كان بمصر ، يدعوه في الورقة للحضور إليه ، ويعده بالإكرام ، فأخذ الورقة والرسول إلى الوالي أحمد خورشيد باشا، فأمر الوالي بقتل الرسول ، فرموا رأسه بالرميلة ، وأنعم على مقطوع الأنف بعشرين ألف نصف فضّة وشكره (الجبرتي ٣/١٥) .

وفي السنة ١٢١٩ قبض والي القاهرة على شخص يشتري طربوشاً عتيقاً من سوق العصر بسويقة لاجين ، وإتّهمه بأنّه يشتري الطرابيش للماليك النازحين إلى الصعيد ، ورمى رقبته عند باب الخرق ظلماً (الجبرتي ٢/٦٥٣) .

وفي السنة ١٢١٩ نزل الباشا في التبديل (متنكراً) ومرّ من سوق السمكرية ، فرأى عسكرياً يشتري كوز صفيح ، فأعطاه خمسة أنصاف ، فأبى السمكري إلّا عشرة ، فلم يدفع له إلا خمسة ، فتدخّل الباشا ، وقال للعسكري : أعطه ثمنه ، فقال له العسكري ، ولم يعرف إنّه الباشا : وايش علاقتك ؟ فقال له : أما تخاف من الباشا ؟ فقال العسكري : الباشا على زبّي ، فضربه الباشا ، وقتله (الجبرتي ٣/٣٢) .

وفي السنة ١٢١٩ ركب الباشا (والي مصر) بالتبديل ، ونزل من جهة التبّانة ، فوجد في طريقه عسكرياً يأخذ حمل تبن من صاحبه قهراً ، فكلّمه ، وهو لم يعرفه ، فأغلظ له في الجواب ، فقتله ، ثم نزل إلى جهة باب الشعريّة ، وخرج على ناحية قناطر الأوز ، فوجد جماعة من العسكر غاصبين قطعة زبدة من رجل فلّاح ، وهو يصيح ، فأدركهم وهم سبعة ،

وفيهم شخص ابن بلد أمرد ، لابس ملابس العسكر ، فأمر بقتلهم ، فقبضوا على ثلاثة منهم ، وفيهم ابن البلد ، وقتلوهم ، وهرب الباقون ، ثم نزل إلى ناحية قنطرة الدكّة ، وقتل شخصين أيضاً ، وبناحية بولاق كذلك ، وبالجملة فإنّه قتل في ذلك اليوم نيفاً وعشرين شخصاً ، وأراد بذلك الإخافة ، فانكّف العسكر عن الإيذاء قليلاً (الجبرتي ٣/٣٧) .

وفي السنة ١٢٢٠ مرّ بالقاهرة ثلاثة من العساكر « السجمان » بناحية مرجوش فصادفوا غلاماً حمّامياً من اللاذنجية ، خرج ليشتري قهوة ، فأرادوا أخذه ، ففرّ منهم ، فضربوه برصاصة وقتلوه ، فتبعهم الناس ، فوصلوا إلى النحاسين ، وعطفوا على خان الخليلي ، وأرادوا الخلوص إلى جهة المشهد الحسيني ، فأغلقوا البوابة في وجوههم ، فضربوا على من يلاحقهم ، فقتلوا شخصاً وجرحوا آخر ، وفرغ ما عندهم من البارود ، فطلعوا إلى ربع وكالة الشبراوي ، فاجتمع الناس وكسروا باب الربع ، فنزلوا يريون الهرب ، فقتلهم الناس (الجبرتي ٣/٦٥) .

وفي السنة ١٢٢٠ مرّ بعض أولاد البلد بجهة الخرنفش بالقاهرة ، فضربه بعض عسكر حجو المقيم بيت شاهين كاشف فقتله ، فثار أهل الناحية ، وتضاربوا بالرصاص ، وقتل من الطرفين أشخاص ، وتسلّقوا على بيت حسن بك مملوك عثمان الحمامي الحكيم ، وذبحوه ، وكذلك رجل زيّات ، وعبد صالح أغا الجلفي ، وحسن ابن كاتب الخردة ، وكان سبب الحادثة إنّ عسكرياً اشترى من رجل خردجي ملاعق ، وأراد أن يردّها من الغد فلم يقبل . وتسابّا ، فضربه العسكري ، فصاح الخردجي : هذا ما يحلّ من الله ، النصراني يضرب الشريف ، فاجتمع الناس ، وسحبوه إلى بيت النقيب ، فلما اقتربوا من البيت ، ضربوه وقتلوه ، وأخرجوه إلى تلّ البرقية ، ورموه هناك (الجبرتي ٣/٧٥) .

وفي السنة ١٢٢٠ دخل إلى القاهرة قسم من المماليك جاءوا من خلف

الجبل ، فاحاط بهم العسكر ، وضاربهم ، فدخلوا إلى جامع البرقوقية ، وأغلقوا الباب على أنفسهم ، فأحرق العسكر الباب ، وقبضوا عليهم ، وعرّوهم ، وذبحوا منهم نحو الخمسين مثل الأغنام ، وساقوا نحو الخمسين أيضاً وهم عراة ورؤوسهم مكشوفة وأقدامهم حافية ، مكتوفين ، يضربونهم ، ويصفعونهم على أقفيتهم ووجوههم ويسبّونهم ، وأخذوهم إلى بيت الباشا ، (محمد علي) بالأزبكية ، وكان من جملتهم احمد بك تابع البرديسي ، وقد كان أميراً بدمياط ، فطلب أحمد بك ماءً ، فحلّوا اكتافه وجاءوا اليه بماء ليشرب ، فخطف يطقاناً من وسط بعض الواقفين ، وهاج فيهم ، وأراد قتل محمد علي باشا ، وقتل أنفاراً ، فقام الباشا وصعد إلى فوق ، وتكاثروا على أحمد بك وقتلوه ، ووضعوا باقي الجماعة في جنازير ، وفي أرجلهم القيود ، وربطوهم بالحوش ، وهم على الحالة التي حضروا فيها من العري والحقارة والذلّة ، وفي ثاني يوم أحضروا الجزّارين ، وأمروهم بسلخ الرؤوس بين يدي المعتقلين ، وهم ينظرون إلى ذلك ، وأحضروا جماعة من الإسكافية فحشوها تبناً وخيّطوها ، ثم عادوا فقتلوا جميع المعتقلين ما عدا حسن شبكة ومعه اثنان قيل إنّهم عملوا على أنفسهم ثلثمائة كيس (أي تعهّدوا بدفعها) فأبقوهم ، وقتلوا الباقين قتلاً شنيعاً ، وعذّبوهم في القتل من أوّل الليل إلى آخره ، ثم قطعوا رؤوسهم وحشوها تبناً ، ووسقوها في مركب ، وبعثوا من يوصلها إلى إسلامبول (إصطنبول) (الجبرتي ٣/٨٥ و ٨٦) .

وفي السنة ١٢٢٠ قبض المحافظون بالقاهرة على خيّال مقبل من جهة مصر القديمة ، يريد الطلوع إلى القلعة آخر النهار ، ووجدوا معه أوراقاً ، فأخذوه إلى محمد علي باشا ، فوجدوا في ضمنها خطاباً إلى الباشا المخلوع من علي باشا وياسين بك مضمونها أنه في صباح يوم الجمعة نطلق من الجيزة سبعة سواريخ تكون اشارة بيننا وبينكم ، فعندما ترونها تضربون بالمدافع والبمب على بيت محمد علي ، ونحن نعدّي إلى مصر القديمة ، ويصل

البرديسي من خلف الجبل ، ويأتي باقي المصريين من ناحية طرا ، ويقوم من بالبلدة على من فيها ، ويتمّ المرام ، فاشتدّ غيظ محمد علي على الرجل ، فاستجار الرجل بالقاضي ، فلم يجره وأمر به فأخذوه وقتلوه ، ورموه ببركة الازبكية (الجبرتي ٣/٧٩) .

وفي السنة ١٢٢١ هاج الإنكشارية على السلطان سليم الثالث العثماني ، وخلعوه وقتلوه ، لأنّه حاول إصلاح الإدارة والجنديّة في الدولة العثمانية ، وتولّى مكانه السلطان مصطفى الرابع ، فدام ملكه أربعة عشر شهراً ، ثم قتله الإنكشارية كذلك (خطط الشام ٣/٢٨) .

وفي السنة ١٢٢٢ ظهر بناحية فيها العسل ، رجل اسمه الشيخ سليمان ، ادّعى الولاية وتبعه كثير من الناس ، ولما كثر أتباعه ، قدم القاهرة ، فأحضره الكتخدا ، وبعث معه أشخاصاً ذهبوا به إلى بولاق ، وأنزلوه في مركب ، وانحدروا به ومعه أربعة من تلاميذه ، ثم قتلوه ، وألقوه في البحر (النيل) وألقوا تلاميذه الأربعة ، فنجا منهم واحد سبح في الماء وطلع إلى البرّ وهرب (الجبرتي ٣/٢١٣) .

وفي السنة ١٢٢٣ مرّ ببلاد النصيريّين طبيب انكليزي ، فقتله الرعاع هناك ، فأرسل سليمان باشا والي صيدا ، عسكراً بزعامة مصطفى بربر ، للقبض على القتلة ، فاكتسح العسكر بلاد النصيرية ، وقتل سبعين رجلاً من كبارهم ، وحشى رؤوسهم تبناً ، وبعث بها إلى سليمان باشا (خطط الشام ٣/٢٨ و٢٩) .

وفي السنة ١٢٢٣ وردت الأخبار من اصطنبول بأنّ طائفة النيكجرية قاموا علس السلطان سليم وعزلوه وأجلسوا مكانه السلطان مصطفى ، وأبطلوا النظام الجديد ، وقتلوا الدفتر دار وكتخدا الدولة ، وقطّعوهم ، وكان السلطان سليم قد أرسل يستنجد بمصطفى باشا البيرقدار وكان القائد بالروملي ، فركب في

عدّة وافرة من العسكر وقدم إصطنبول ، ودخـل إلى القصر السلطاني ، فـوجد السلطان سليم مقتـولاً ، فعزل السلطان مصـطفى ونصب السلطان محمـود في مكانه (الجبرتي ٣/٢٣٧ و٢٣٨) .

وفي السنة ١٢٢٤ قتل محمد علي باشا ، الأمير مصطفى أغا تابع حسن بك في قصبة رضوان ، وسبب ذلك إنّ آختـلافاً وقـع بين قبودان بـولاق وأحد العساكر الارنـاؤد ، فسلّ القبود ان سيفه ليضـربه ، فعـاجله الأرناؤدي وضـربه بالطبنجة فقتله ، وفرّ القاتل إلى حيث اجتمع جماعـة من الدلاة فـالتجأ إليهم ، فحمـوه ، وكان مصـطفى اغا ملتـزم البلدة ، فخشي أن تخرب البلدة ، وقـال لهم : يا جماعة ، نذهب إلى الباشا ، ليرى رأيه ، فذهبوا بأجمعهم ، والقاتل معهم ، فلمـا طلعـوا إلى سـاحـل بـولاق فـرّ القـاتـل والتجأ إلى عمـر بـك الأرناؤدي ، وأراد مصطفى اغا أن يأخذه ، فقال له عمر بـك : قل للبـاشا إنّـه عندي ، فذهب إلى البـاشا (محمـد علي) وأخبره بـالحال ، فغضب ، وقـال له : لماذا تركته يهرب ، وأمر بقتل الامير مصطفى فأنزلوه إلى الـرميلة ، ورموا رقبته عند باب القلعة (الجبرتي ٣/٢٥٧) .

وفي السنـة ١٢٢٧ (١٨١٢ م) ثار محمـد باي ، بـوهران ، على أميـر الجزائر ، الحاج علي باشا ، فبعث إليه الأمير جيشاً بقيـادة عـمـر اغـا ، وكان عمـر أغا يحقـد على محمد بـاي ، لأنّه سبق أن قتـل أخاً لـه ، فقصـد الأغـا وهران ، وكتب إلى حاشية محمد باي ، يأمرهم بالقاء القبض عليه واعتقـاله ، فألقوا القبض عليه ، وأوثقوه ، فلما وصل عمـر اغا ، عذّبه ، ثم قتله ، وسلخ جلدة رأسـه ، وحشاهـا قطنـاً ، وبعث بالـرأس إلى الأمير في الجـزائر ، فـأمر الأمير بأن ينصب الرأس على عمود يـركز فـوق باب البلدة ، وظـلّ هناك عـدّة سنين (مذكرات الزهار ١٠٧) .

وفي السنة ١٢٢٧ قتل بالإسكندرية محمد افنـدي الودنلي ، الـذي كان ناظر المهمّات وكان أثيراً عند محمد علي باشا ، فحسده الكتخدا ودسّ عليه ،

فعزله الباشا ، ولما أراد العودة إلى وطنه في تركيا ، أذن له ظاهراً ، وكتب إلى حاكم اسكندرية ، بقتله ، فقتله ، وكان كريماً ، محسناً (تاريخ الجبرتي ٣/٣٨٥ - ٣٩٢) .

ومن أغرب أنواع الفتك ، الفتك بقصد الإرهاب ، وقد مارسه رجل من شرار الخلق ، وهو جلال الدين ، والي حلب في السنة ١٢٢٧ فانّه كان إذا أراد النزول إلى السوق ، أمر فزيّنت له الأسواق نهاراً ، فينزل ، ومعه البلطجيّة والعساكر عن يمينه وشماله ، فيدور في الأسواق ، ومتى أدار الوالي نظره إلى رجل ، فإنّ البلطجيّة يأتون فيضربون رقبة صاحب ذلك الحانوت ، يفعل ذلك بثلاثة أو أربعة أشخاص ، ثم يعود ، وتكرّر منه هذا الفعل ، فسأله وجوه البلد ، عن سبب قتل هؤلاء ، وعن ذنبهم ، فقال : إنّهم لا ذنب لهم ، غير أنّي أريد إرهاب الناس (اعلام النبلاء ٣/٣٧٧ و٣٧٨) .

وفي السنة ١٢٢٨ (١٨١٣ م) نشبت معركة بين والي بغداد عبد الله باشا وبين حمود الثامر ، أمير المنتفق ، لأنّ سعيد باشا بن سليمان باشا التجأ إلى حمود ، فطالب الوالي حموداً بتسليمه ، فأبى ، وأسفرت المعركة عن انكسار جيش بغداد ، وأسر الوالي عبد الله باشا ، والكتخدا طاهر أغا ، والقوّاد ، وكان برغش بن حمود الثامر قد جرح في المعركة ، فلما مات ، قطع أصحاب حمود رأس الوالي والكتخدا (حكم المماليك في العراق ٨٦ والاعلام ٢/٣١٥) .

وفي السنة ١٢٢٨ أرسل محمد علي باشا ، إلى اصطنبول ، ولده إسماعيل ، ومعه مفاتيح مكّة والمدينة وجدّة ، وكان يحملها لطيف أغا ، أحد خدم محمد علي باشا ، ومعه مضيان أمير المدينة للوهابيين ، فأعدم مضيان ، وكرّم لطيف أغا ، وأنعم عليه الخنكار بطوخين فأصبح لطيف باشا (الجبرتي ٣/٤٠١ و ٤١١) .

وفي السنة ١٢٢٨ ارتاب محمد علي باشا ، ببعض تصرّفات لطيف باشا ، الذي كان لطيف أغا ، فأمر الكتخدا باستئصاله ، وبارح القاهرة ، ليتمّم الاستئصال في غيابه ، وأحسّ لطيف باشا بما يحيط به ، فأمر أتباعه بالإجتماع بسلاحهم ، وبلغ الكتخدا ذلك ، فعاجله ، وجمع القوّاد ، وأرسل اليه يطلب حضوره ، فامتنع عن الحضور ، فأرسل الكتخدا قسماً من قوّاده فأحاطوا بدار لطيف باشا ، واقتحموا عليه الدار ، فاختبأ، وانتقل إلى موضع آخر ، فأحسّوا به واعتقلوه وأخذوه إلى الكتخدا ، فتعلّق لطيف باشا بالقائد محمود بك وقال له بالتركيّة : أنا في عرضك ، ومادت يده على قيطان سيف محمود بك ، بحيث إنّهم اضطروا إلى قطع القيطان بالسكّين ، وأخذوا لطيف باشا ، وأزاحوا عمامته ، وضربه المشاعلي (الجلّاد) بالسيف ضربات، ووقع إلى الأرض ولم ينقطع عنقه ، فكمّلوا ذبحه مثل الشاة ، وقطعو رأسه ، وعلّقوها تجاه زويلة (الجبرتي ٣/٤١١-٤١٥).

وفي السنة ١٢٢٨ قتل عثمان بن عبد الرحمن المضايفي ، من أمراء الحجاز ، كان من أنصار الشريف صاحب مكّة ، واختلف معه ، فرحل إلى نجد ، وانحاز إلى السعوديّين ، ثم فتح الطائف ، فولّاه السعوديّون عليها ، ولما استولى الجيش المصري على الطائف ، هاجمها عثمان بشرذمة من القبائل ، فقبض عليه الشريف غالب ، وسجنه ، ثم قتله . (الاعلام ٤ / ٣٧٠).

ومن طريف ما روى الحاج الزهار في مذكراته (ص ١١١ و١١٢) إنّ الحاج علي باشا ، أمير الجزائر (١٢٢٤-١٢٣٠) قتل جماعة من كبراء اليهود ، لأنّهم لبسوا ألبسة خضراء . . .

وفي السنة ١٢٣١ اتّهم محمد علي باشا ، بالقاهرة ، أحد قوّاده واسمه احمد أغا البخورجي المدللي ، بأنّه يلقي الفتن بين أولاد الباشا وبين كبار

العسكر ، فأحضره ، وعنّفه ، ثم أمر بقتله ، فنزلوا به إلى باب زويلة ، وقطعوا رأسه هناك ، وتركوه مرمياً طول النهار (الجبرتي ٣/٥٠٨) .

ولما تولّى علي باشا ، حكم الجزائر في السنة ١٢٣٢ (١٨١٦ م) أظهر شهامة وجرأة ، فأوجس العسكر منه خيفة ، وثاروا عليه ، وكان مستعداً لمواجهة من يثور عليه ، فتحصّن منهم ، وفشلت ثورتهم ، فقبض على سبعة من زعمائهم ، وأمر بهم ، فقطعت رؤوسهم عند باب القصبة ، وكان أمره بقطع رؤوسهم ، إهانة لهم ، لأنّ العسكري الذي يستوجب القتل ، يخنق في دار سركاجي (مذكرات الزهار ١٣٥ و١٣٦) .

ولما تولّى علي باشا ، إمارة الجزائر ، في السنة ١٢٣٢ (١٨١٦ م) ثار عليه جافر باي قسنطينة ، وجنّد جنداً ، فأخمد علي باشا الثورة ، وبعث جنداً إلى قسنطينة ، فقتلوا جافر باي ، ونصب بدلاً منه مملوكاً من مماليك الأغا اسمه أحمد ، وعيّن صهره مصطفى بن مالك ، ليكون ناظراً عليه ، (مذكرات الزهار ١٣٧ و١٣٩) .

وفي السنة ١٢٣٣ قتل الوزير فتح خان الأفغاني ، قتله السلطان كامران صاحب هراة بعد أن سمل عينيه (معجم انساب الأسر الحاكمة ٤٤٨) .

ومن أعجب أنواع الفتك ، قتل الأبرياء ، بدلاً من المحكوم عليهم بالإعدام ، الذين كانوا يطلقون لقاء رشوة يعطونها ، ويؤخذ مكانهم أناس أبرياء ، فيعدمون ، وكان ذلك يجري في السنة ١٢٣٣ في حلب ، في ولاية خورشيد باشا ، وتقدّمت شكاوي في الموضوع وأجري التحقيق في القضية ، فظهر أنّ كبار موظّفي الولاية لهم يد في الموضوع ، فاضطر الأغا القائم بالتفتيش إلى السكوت ، ومثل هذه الأمور ليست مختصّة بولاية واحدة ، بل يوجد كثير من هؤلاء الرجال ، في نفس العاصمة اصطنبول ، ولم يكن للرجل قيمة ، ولا للدم حرمة ، وكان يذبح الإنسان كما تذبح الدجاجة الصغيرة (اعلام النبلاء ٣/٣٨٦ و ٣٨٧) .

وفي السنة ١٢٣٣ (١٨١٧ م) قام السيّد عل وي ، أغا الانكشارية ببغداد ، بأمر من داود باشا ، بقطع رأس سعيد باشا ، سلفه في حكم بغداد ، وصهره أخي زوجته ، فقطع السيد عليوي رأسه ، وغطّوا بدنه بحصيرة ، بينما أندفعت أمّه مذعورة ، ولما عثرت على جثّته ألقت بنفسها عليها ، فأخذوها من بين يديها ، وبعد حين اتّهم داود باشا ، السيد عليوي ، أغا الإنكشارية ، بالخيانة، فقطع عنقه ، وبعث برأسه إلى الأستانة (حكم المماليك في العراق ١٠١ و ١٠٦).

وفي السنة ١٢٣٣ قتل محمد بن احمد الرفيدي المتحمي ، من أمراء عسير ، وكان أميراً في السراة ، وحارب جيش محمد علي ، ثم توالت عليه حملات الأتراك ، وأعانهم محمد بن عون ، شريف مكّة ، ورجال من العرب ، فأسر المتحمي ، وقتل وهو مريض (الأعلام ٦/٢٤٢).

وفي السنة ١٢٣٤ تحرّك الإنكشارية بحلب على الوالي ، وعلى العسكر السلطاني ، وكبسوا أفراد العسكر السلطاني ، وقتلوا من وجدوه منهم ، وكان في المدينة من قبل الوالي موظّفان غير المتسلّم ، وهما الجوخدار والأربا أميني ، فلما علما بالثورة هربا ، وحثّ الجوخدار ابنه على الهرب ، فأبى أن يبرح مكانه ، فحصره الثائرون، ونقبوا عليه داره ، ففرّ من السطح إلى دار جاره ، فلحقوا به ، وقتلوه ، ومثّلوا به ، وألقوا جثّته من إحدى الكوى إلى البرية ، ثم هاجموا كاتب السرّ وقتلوه ، وقتلوا معه اثنين وعشرين رجلاً من العسكر (إعلام النبلاء ٣/ ٣٩٠و ٣٩١).

وفي السنة ١٢٣٤ قتل بالأستانة الأمير عبدالله بن سعود ورفيقان له هما سريّ وعبد العزيز بن سلمان ، وكان سعود قد حاربه إبراهيم باشا بن محمد علي ، وطلب سعود الصلح ، وأخذه إبراهيم إلى مصر ، وطلبته الحكومة العثمانية من محمد علي ، فأرسله إلى اصطنبول ، حيث طيف به وبرفيقيه في شوارعها ، ثم أعدموا في ميدان مسجد أيا صوفيا . (الإعلام ٤/٢٢٢).

وفي السنة ١٢٣٥ كان أحد الإفرنج في الإسكندرية ، بالديار المصرية ، وخرج إلى كفرحشاد يصطاد الطير ، فضرب طيراً ببندقيته ، فأصابت بعض الفلاّحين في رجله ، وصادف وجود عسكري من الأرنؤود بيده هراوة ، فجاء إلى الإفرنجي ، وقال له : أما تخشى أن يأتي إليك بعض الفلاّحين ويضربك على رأسك هكذا ، وأشار بما في يده على رأس الإفرنجي ، فضربه الإفرنجي ببندقيته فقتله ، فأخذ الإفرنجي والمقتول إلى الكتخدا ، واجتمع الأرنؤود ،وطالبوا بقتل الإفرنجي ، وتهدّدوا بنهب البلد ، وقتل جميع الإفرنج ، فأمر الكتخدا بقتل الإفرنجي فنزلوا به إلى الرميلة ، وقطعوا رأسه (الجبرتي ٣/٦٠٩).

وفي السنة ١٢٣٦ حضر إبراهيم باشا بن محمد علي باشا ، من الصعيد إلى القاهرة ، وأحضر معه أربعة اشخاص ، قبض عليهم ، من المفسدين ، وهم في الجنازير الحديد ، فشقّ بهم البلد ، ثم حبسوهم، ثم قتلوهم إثنان بالرميلة ، وأثنان بباب زويلة (الجبرتي ٣/٦٢٥).

وفي السنة ١٢٤١ (١٨٢٥ م) قتل عبدالله الجزار والي عكّا ، بشير بن قاسم جان بولاد (جنبلاط)، اختلف مع الأمير بشير الشهابي ، فسجن في دمشق ، ونقل إلى عكّا ، فأطلقه واليها عبد الله الجزار ، فكتب الأمير بشير الى محمد علي باشا صاحب مصر ، يشير بقتله ، فقتله الجزّار (الإعلام ٢/٢٩).

وفي السنة ١٢٤١ قتل صبراً ، الحكيم اليماني محمد بن صالح الصنعاني ، من مجتهدي الزيديّة ، إذ أوغروا عليه صدر المهدّي ، صاحب اليمن ، فضرب بالجريد ، ونفي إلى كمران ، ثم اعتقل في الحديدة ، ثم أفتى الفقهاء بقتله ، فضربت عنقه . (الاعلام ٧/٣٣).

وفي السنة ١٢٤٢ عزم الشريف يحيى بن سرور ، شريف مكّة ، على

إزاحة أحد أقاربه وهو الشريف شنبر من طريقه ، فقتله وهو في المسجد الحرام ، عند باب الصفا ، بعد صلاة المغرب (أعيان القرن الثالث عشر ١٣٢).

وفي السنة ١٢٤٤ قتل أحمد بك بن إبراهيم باشا بحلب ، وكان قد صدر له أمر بأن يتوجّه إلى أرضروم بمائة وخمسين عسكرياً ، فخرج من حلب ، ولكنّه أصيب بمرض ، فعاد إلى حلب فصدر أمر سلطاني إلى علي باشا والي حلب ، بقتل احمد بك ، فتوجّه علي باشا لزيارة احمد بك ، فتلقّاه وأحسن استقباله ، وتحادثا مدّة ، ثم نهض علي باشا ، وخرج من باب القصر ، فشيّعه احمد بك ، وكان علي باشا قد أوعز لثلاثة من أتباعه ، أن يطلقوا النار على أحمد بك إذا خرج لتوديعه ، فلما خرج معه ، أطلقوا عليه النار ، وقتلوه ، ثم قطعوا رأسه ، وأدخلوا الجثّة إلى الحريم ، وأرسل الوالي الرأس إلى الأستانة ، فأحضر السلطان ، مصطفى بك ميرآخور ، أخا أحمد بك ، وعرض عليه الرأس ، وقال له : هل هذا هو رأس أخيك ؟ ولما أجاب بالإيجاب ، أمر السلطان بقتله، فقتل ، وأصدر السلطان أمراً بمصادرة أملاك الأخوين ، ونفي أولادهما ، وكافّة من يلوذ بهما ، البعض منهم إلى سيواس ، والبعض إلى عينتاب ، والبعض إلى امكنة أخرى (اعلام النبلاء ٣/٤١٢-٤١٤).

وفي السنة ١٢٤٧ (١٨٣١ م) كان في اصطنبول رجل بغداديّ تاجر ، صاحب ثروة وجاه ، اسمه قاسم أغا العقيلي ، فلما صدر أمر الدولة بأخذ صليان من الشام (الصليان ضريبة على الأشجار ، أخذت من ساليانه ، تركية بمعنى سنوية) فمن طمع قاسم أغا ، وحبّه في الدنيا ، ضمن مادّة الصليان من الدولة ، وأحضر معه البراءة إلى الشام ، بانتظار الوزير (الوالي) ، فلما حضر محمد سليم باشا ، وفرض الصليان، ثار عليه أهل الشام ، وحصروه في القلعة ، فهرب قاسم أغا ، واختفى في الصالحيّة ، وحلق ذقنه حتى لا

يعرف ، لكنّهم عرفوه ، وقطعوه « أربع شقف » في الصالحية (مذكرات تاريخية ١٨) .

وفي السنة ١٢٤٩ قتل إبراهيم باشا بن محمد علي باشا ، بمدينة حلب ، أحمد اغا بن هاشم ، أحد زعماء الإنكشارية ، أتّهمه بأنه جمع الإنكشارية ، وأغراهم بقتل إبراهيم باشا ، ولما أمر بقتله ، أخذ وقتل أمام قهوة الأغا بحلب ، وبعد مدّة دعا إبراهيم باشا الأغوات إلى المكان المعروف بالشيخ أبي بكر ، فلما اجتمعوا ، ضرب عليهم « زنجير » وقبض عليهم ، وأمر بقتلهم فقتلوا ، ونظم الشيخ عبد الرحمن الموقّت ، في هذه الحادثة ، قصيدة يشير بها إلى سرور أهل حلب بالخلاص من شرّهم ، مطلعها : (اعلام النبلاء ٣/٤٢٤ و٤٢٥) .

أهل الفساد شرّهم   في حلب الشهباء دائم

وفي السنة ١٢٤٠ انتقضت نابلس ، على حكم إبراهيم باشا ، ثم أخضعها وفرّ مشايخها وعددهم ١٢٠ رجلاً الى ابن دوحي رئيس غزة ، فطلبهم إبراهيم باشا ، وأحضرهم إلى دمشق في الاغلال، فقطع رؤوس اثنين منهم في دمشق ، وبعث الباقين إلى عكّا حيث قطعت رؤوسهم هناك (مذكرات تاريخية ١١٤) .

وفي السنة ١٢٥٠ تحرك الدروز على إبراهيم باشا ، وأرسلوا رسائل ثلاث إلى شيخ ضيعة الهجّانة ، ليوصلها إلى المفتي وشمدين أغا والبوظلي ، فنزل شيخ الهجانة وسلّم الرسائل ، أما المفتي ، حالاً أحرق الرسالة، وأما شمدين أغا فإنّه أخذها إلى متسلّم الشام وسلّمها إليه ، فأرسل المتسلّم الى المفتي ، وسأله ، فأخبره بأنّه أحرق الرسالة ، فبعث الأوضه باشي إلى البوظلي لإحضاره ، فأحسّ البوظلي بالشرّ واحتال على الأوضة باشي ، وأفلت منه ، وهرب من الشام ، فلما علم المتسلّم بذلك قطع رأس الأوضه باشي ، ورأس شيخ الهجّانة ، ورأس واحد آخر من الميدان (مذكرات تاريخية ١٢٥ و ١٢٦) .

وفي السنة ١٢٥٥ جرت في دمشق محاكمة علي أغا خزينة كاتبي (كاتب الخزينة) ونسب إليه إنَّه تكلّم في حقّ الحكم بكلام غير لائق ، وكان المجلس برئاسة شريف باشا، متسلّم دمشق ، وأحد أعضائه بحري بك ، وكانا راغبين في قتله ، لأنَّه « لسانه طويل ، وما يعرف خاطر أحد » وكان حكم القاضي نسيب افندي « من حيث المذكور ، ثبت إنَّه تكلّم بحقّ الحكم ، وما راعى الشرف الحاصل له من وليّ الأمر ، فترتيب جزاه منوط بأولياء الأمور » ونبّه شريف باشا على القوّاص ، أن يأخذ علي أغا ، صباح اليوم التالي ، ويقطع رأسه أمام باب السراي ، وفي الصباح ذهب القوّاص إلى علي أغا وقال له : قم كلّم أفندينا ، فلما نزل من الكشك ، قال له : أفندينا برّا في أرض السرايا ، وأخذه لأودة القهوة ، وسكّر (أغلق) الباب ، وصار يعرّيه ، وأخذ ساعته ، وكيس الخرجيّة ، وشقّ قميصه ، وربط له عيونه ، وكتّفه ، وجاء به إلى باب السراي ، فبرّكه ، وقطع رأسه ، وظل مرمياً بباب السراي طول النهار (مذكرات تاريخية ١٨٣ ـ ١٨٥) .

وفي السنة ١٢٥٥ تحرّك الشيخ حسين جنبلاط، في ناحية سعسع ، وأخذ يقطع الطريق ، فأرسل إليه الأمير خليل جماعة من رجاله ، وحصروه ، وقتلوا من رجاله أربعة ، وأسروه ومعه أحد عشر من رجاله ، وأحضروهم للشام (دمشق) مكتوفين ، فلما وصلوا إلى السراي ، قطعوا رؤوسهم، أربعة في باب السراي ، وأربعة في الشاغور ، وأربعة في الميدان (مذكرات تاريخية ١٧٥ ، ١٧٦).

وفي السنة ١٢٥٦ دخل إبراهيم باشا إلى دمشق ، ويوم دخوله رمى رقبة نقولا ظاهر ، الذي كان معتمد إمارة حاصبيا ، لأنّه كان عليه مبلغ للميري ، وهرب ، وأسره المير بشير ، وبعث به إلى دمشق ، وبقي محبوساً ، حتى وصل إبراهيم باشا ، وقال للمتسلم : إلى الآن ما قتلت نقولا ظاهر ؟ بدّي

بمروري من باب السرايا ، أنظر رأسه مرمي ، فحالاً أرسل شريف باشا ناساً من طرفه ، بسرعة ، وقطع رأسه . (مذكرات تاريخية ٢٢٢) .

وفي السنة ١٢٥٧ (١٨٤١ م) قتل السلطان أكبر بن دوست محمد ، من سلاطين الأفغان، السير ماكناتن ، وقد توفّي أكبر في السنة ١٢٦٦ (معجم انساب الأسر الحاكمة ٤٤٨) .

وفي السنة ١٢٥٧ تحرّك قسم من الدروز ، وحضروا إلى سعسع ، وقطعوا الطريق ، فحصرهم إبراهيم باشا ، وقتل منهم جماعة ، وأرسل إلى دمشق آذان الذين قتلوا ، وأرسل منهم مرابيط (أسرى) إلى دمشق ، وبوصوله إلى دمشق ، أمر على ١٢ منهم ، فقطعت رؤوسهم ، ورموهم من باب السراي إلى الدرويشية (مذكرات تاريخية ٢٢٦) .

وفي السنة ١٢٦٥ فتح المتوكّل الزيديّ ، محمد بن يحيى ، صنعاء بمعونة من الجيش التركي . وطرد صاحبها الناصر علي بن عبدالله ، ولما انتشر جنود الترك في صنعاء ، طلب بعضهم من أحد أهلها خمراً ، فثار أهل صنعاء ، وغضبوا على المتوكّل للإستعانة بالترك ، وسقط المتوكّل أسيراً في يد العامّة ، فعاد الناصر وأمر بالمتوكّل فضربت عنقه في السنة ١٢٦٦ (الاعلام ٨/١٣) .

وفي السنة ١٢٧٤ (١٨٥٧م) ثار الهنود على الإنكليز، ونادوا ببهادرشاه ملكاً على الهند ، وانتهت الثورة بالفشل ، وقبض على بهادرشاه ، وحكم عليه بالإعدام، وأبدل الحكم بالسجن مدى الحياة ، ونفي إلى مدينة رانغون حيث مات سنة ١٨٦٢ وكان أشدّ ما يثير الألم ، أنّ الضابط الإنكليزي هدسن ، جاء بأبناء بهادر شاه الثلاثة ، وأعدمهم أمام والدهم (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ٢١١ و ٢١٢) .

وفي السنة ١٢٧٧ حصلت في بلاد الشام مذبحة النصارى ، وهي التي

أصبحت تسمّى « مذبحة الستّين » لأنّها استعرت في السنة ١٨٦٠ ميلادية ، وكان أوّل أمرها في بيت مري من لبنان ، إذ هجم قسم من الدروز ، على قرية بيت مري ، وأحرقوا ثلاث قرى ، وقتلوا بعض رجالها ، ثم أوعز خورشيد باشا ، قائد الجند في الساحل ، إلى سعيد بك جنبلاط ، أن يقوم بقتل النصارى ، فأوعز إلى رجاله بالهجوم على النصارى ، فقتل الدروز بضعة عشر من النصارى في الطريق ، وأرغم طاهر باشا ، قائد الحامية في دير القمر ، النصارى على تسليم سلاحهم ، فلما تسلّمه ، سمح للدروز بالهجوم على المدينة ، فسالت الدماء أنهاراً ثلاثة أيام ، ولم ينج من النصارى إلا القليل ، ويقال إنَّه بلغ عدد القتلى في دير القمر نحواً من ألفي قتيل ، وفي حاصبيّا نزع من النصارى سلاحهم ، ففتك بهم الدروز ، حيث قتل من المسيحيين سبعمائة وأربعة وعشرون، وفي نفس اليوم الذي قتل فيه النصارى في حاصبيا ، هجم دروز حوران ، على نصارى راشيّا الوادي في بيوتهم ، وفي السراي ، وأجهزوا عليهم ، وقتلوهم مع أمراء الشهابيّة ، وبلغ عدد قتلى المسيحيّين في راشيا الخمسمائة ، بين رجل وامرأة وطفل ، وهاجم الدروز بقيادة اسماعيل الأطرش ، مدينة زحلة فقاومه أهلها ، وقتل من أهل زحلة مائة ، ومما يذكر لإسماعيل الأطرش ، إنَّه وجد في راشيا مائة وخمسة وثلاثين مسيحياً ، التجأوا إلى شيخ المسلمين في قرية كناكر ، فقتلهم ، وسرت الفتنة إلى دمشق ، فهجم جماعة من الأوباش على النصارى ، ووضعوا فيهم السيف ، وقدّر عدد من قتل من النصارى بدمشق ثلاثة آلاف وخمسمائة نسمة ، يضاف إليهم ألف نسمة من الغرباء الذين التجأوا إلى دمشق فراراً من الموت ، فلاقوه فيها ، ويقال إنَّ قتلى المسيحيّين في الجبل لا يتجاوز الأربعة آلاف ، فأرسل السلطان العثماني وزيره فؤاد باشا ، وخوّله أن ينزل العقوبة بمن كان سبباً في هذه الفتنة ، فأعاد فؤاد باشا الأمن إلى نصابه ، وأعدم والي دمشق المشير أحمد باشا رمياً بالرصاص ، كما أعدم ١١ مسلماً بالرصاص ، وشنق ٥٦ ونفى ١٤٥ وحكم بالأشغال الشاقة على ١٨٦

استخدموا في إنشاء الطرق ، كما أعدم قائد حي النصارى ، وقائد حامية حاصبيا ، وقائد حامية راشيا ، وعزل خورشيد باشا قائد الجند في الساحل (خطط الشام ٣/٨١ـ ٩٠).

أقول : لمن أراد الاطلاع بتفصيل على مذابح السّتين ، أن يرجع إلى كتاب « حسر اللثام عن نكبات الشام » المطبوع بمصر في السنة ١٨٩٥ ولم يذكر فيه اسم مؤلّفه .

وفي السنة ١٣٠٢ قتل جنود الإمام المهدي السوداني ، غوردون باشا ، في الخرطوم ، وقطعوا رأسه ، وحملوه على رمح . (الاعلام ٦/ ٢٤٥).

وفي السنة ١٣٠٤ قام مصطفى الكاتب في المحكمة الشرعية ، ومأمور صندوق القاصرين ، بقتل نجم الدين نائب القاضي ، بأن طعنه بخنجر ، حتى قتله ، في محلّة الفضل ببغداد ، فحوكم القاتل ، وصدر الفرمان بقتله ، فقتل في ساحة الميدان علناً ، بحضور جمع عظيم من الناس ، بقطع عنقه بالسيف ، في السنة ١٣٠٥ (تاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي ٨/ ٨٠).

وفي السنة ١٣١٣ بدأت مذابح الأرمن في بلاد الدولة العثمانية ، ثم همدت بعد مداخلة سفراء الدول الأجنبية، ثم اشتدت واستعرت، فذبح قسم عظيم من الأرمن ، وأجلي الباقون ، ولم يكن لديّ وقت تحرير هذه السطور مرجع لبيان التفاصيل ، ولذلك اكتفيت بما أورد محمد كردعلي في خطط الشام ٣/ ١١١ و١٢٧ بأنّ الأتراك والأكراد ذبحوا من الأرمن الثائرين نحواً من مائة ألف نفس .

أقول : للشاعر العربي الكبير معروف الرصافي ، قصيدة في مذابح الأرمن ، رثى فيها لهم، وبرأ الدين من الجرائم التي ترتكب باسمه ، وعنوان القصيدة « أمّ اليتيم » تحدّث فيها عن فتاة أرمنية قتل زوجها ، وتركها وحيدة

مع طفلها ابن السنوات الخمس ، وذكر إنَّ القتيل لم يرتكب ذنباً ، إنما قتله التعصّب الذميم .

مشى أرمنياً في المعاهد فارتمت ... به في مهاوي الموت ضربة مسلم
على حين ثارت للنوائب ثورة ... أتت عن حزازات الى الدين تنتمي
فقامت لها بين الديار مذابح ... تخوّض منها الأرمنيّون بالدم
وليس بدين كلّ ما يفعلونه ... ولكنّه جهل وسوء تفهّم
لئن ملأوا الأرض الفضاء جرائما ... فهم أجرموا والدين ليس بمجرم

وفي السنة ١٣٢٠ (١٩٠٢ م) ذبح ابن صنيتان ، رئيس الضفير ، ولده ، وبعث برأسه إلى عشيرة العمور من شمّر ، وكانت في جواره ، وسبب ذلك أنّ العمور ، وهم فخذ من شمّر ، كانوا نازلين في جوار الضفير جماعة ابن صنيتان ، وخرج العمور مرّة للغزو ، فلحق بهم أحد أولاد ابن صنيتان ، وغزا معهم ، فغنموا ، وأراد ولد ابن صنيتان أن يأخذ ناقة من نوق الغزو ، فمنعه رئيس العمور ، لأنَّ من تقاليد الغزو ، أنَّ العقيد (رئيس الحملة) له وحده أن يختار ، ولا حقّ لغيره في الإختيار ، فغضب ولد ابن صنيتان، وأسرّها في نفسه ، وبعد أيّام قدم رئيس العمور إلى خباء ابن صنيتان زائراً ، فلما أخذ مكانه في المضيف ، أطلق ولد ابن صنيتان عليه النار، فقتله، وفرّ ، فقوّض أفراد العمور خيامهم ، يريدون ترك جوار ابن صنيتان ، ولما بلغ ابن صنيتان الخبر ، دعا إخوته وقومه ، وقال لهم : إن لم تأتوني بالصبيّ ولدي قبل المغرب فإنّي سوف أنتحر ، فبحثوا عن الولد ، وأحضروه إلى أبيه ، فقام إليه أبوه ، وقال له : إنَّ ولداً يهين جواري ، ويقتل جاري في بيتي ، لا يجازى بغير الذبح ، وأمسك بولده فذبحه ، وبعث برأسه إلى عشيرة العمور التي قتل رئيسها (مجلة لغة العرب البغدادية ج٧ سنة ٣) .

وفي السنة ١٣٢٤ قتل الأمير طلال بن نايف ، من آل الرشيد، قتله

الأمير سلطان بن حمود من أبناء عمه من آل رشيد (معجم انساب الاسر الحاكمة ١٩٢) .

وفي السنة ١٣٣٢ قتل الأمير زامل بن سالم من فرع بني سبحان ، من آل الرشيد (معجم انساب الاسر الحاكمة ١٩٢) .

وفي السنة ١٣٦٧ (١٩٤٨ م) ، قتل الإمام احمد ، صاحب اليمن ، عبدالله بن الوزير ، الذي حكم اليمن ، على أثر مقتل الإمام يحيى حميد الدين وقتل معه وزير خارجيته حسين الكبسي اليماني ، وكانا قد اشتركا في التدبير على الفتك بالإمام الشيخ يحيى حميد الدين (الأعلام ٢ / ٢٨٣) .

فهرس الكتاب